



مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية

سلسلة التراث

أغاني السقا ومغاني الموسيقى أو الارتقا إلى علوم الموسيقى

للشيخ إبراهيم التادلي

(المتوفى عام 1411هـ)

دراسة وتحقيق

عبد العزيز ابن عبد الجليل

2011م

أكاديمية المملكة المغربية

أمين السر الدائم : عبد اللطيف برّيش
أمين السر المساعد : عبد اللطيف بنعبد الجليل
مدير الجلسات : إدريس خليل
المقرر : مصطفى الزباخ

العنوان : شارع محمد السادس (الإمام مالك سابقا)، كلم 11، ص. ب. 5062

الرمز البريدي 10100

الرباط - المملكة المغربية

الهاتف : 75.52.00 (05 37) / 75.51.24/35/57 (05 37)

البريد الإلكتروني : arm@alacademia.org.ma : E-mail

الفاكس : 05.37.75.51.01/89/78 : Fax

الإيداع القانوني : 2011MO1237

ردمك : 978-9981-46-078-2 : ISBN

التصنيف الضوئي : أكاديمية المملكة المغربية

السحب : مطبعة المعارف الجديدة - الرباط

سنة 2011

تقديم

تعتبر الموسيقى لونا من أرقى الفنون التي تجمع بين إيقاع الشعر وصورة الرسم، ومن ثم كانت ولا تزال الغذاء الروحي لأعصاب النفس المضطربة، حيث أكدت التجارب العلمية أثرها الفعال في حياة الكائنات البشرية وحتى الحيوانية والنباتية أيضا، كما أبرزت الدراسات الإنسانية احتياجات المجتمعات المرتقية في سلم التطور المادي إلى قيم الفن والجمال والخير التي ترفع الإنسان إلى أعلى مراتب الإنسانية.

ومن هنا كانت حاجة البشرية إلى فن الموسيقى لا تقل قدرا عن حاجتها إلى الأكل والشرب والعلاج، وبذلك عرف المغرب منذ تاريخه القديم تراثا موسيقيا جمع بين المتعة والفائدة. وعلى الرغم من أهمية ما حققه علماءه وفنانوه من إبداع متميز في الثقافة الموسيقية فإنه لم يلق ما يستحقه من الاهتمام الكاشف لكنوزه، والحافظ لتراثه، أمام بعض المواقف المتشددة التي رأت فيه ضربا من البدع، فضاع تراث غني، وبقي آخر مغمورا ومتناثرا في مناطق مختلفة من المغرب. وبرغم قلة ما وصل إلينا من هذا التراث الوطني فإنه يعد إضافات نوعية متميزة، فقد نبغ الفنانون والدارسون المغاربة في أداءاتهم الفنية وبرعوا في تأليفهم العلمية. مما جعل ابن خلدون يستعرض في مقدمته مظاهر تطور هذا الفن بنغماته وآلاته. وكان من وراء هذا التطور الذي شهد بأصالته ابن خلدون علماء وفنانون شغفوا بتدوين تراثه وتفوقوا في ضبط أوزانه والتعريف بمصطلحاته منهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلي الرباطي الذي أهله رحلاته وسعة معارفه وانفتاح تربيته لأن يصبح من رواد التأليف في

هذا الفن بكتابه «أغاني السقا ومغاني الموسيقى أو الارتقا إلى علوم الموسيقى» الذي يعتبر إلى جانب ما حواه من معارف موسيقية، وثيقة تاريخية عن مظاهر تطور الموسيقى في المغرب ومراكزها المتألفة وأعلامها ومجالاتها والمدن التي فاقت غيرها في العناية بها، والصراع الذي كان قائما بين المتشددين والمنفتحين وموقف العلماء ورجال التصوف منها.

فإذا كان من حظ تراثنا الموسيقي المغربي أن تحتفظ خزائن كتبه بنسخ من مخطوطات هذا الكتاب القيم لمؤلفه التادلي الرباطي، فإن من حظ البحث العلمي أيضا أن يتصدر لتحقيقه ودراسته الأستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل، الباحث القدير والمتخصص الذي قضى فترة من عمره مديراً للمعهد الموسيقي بمكناس، ومنقبا ومحققا ودارسا للموسيقى المغربية بكتب منها: «مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية» و«المشترك في مجال النغم والإيقاع بين المغرب والشعوب الإفريقية المجاورة» و«معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية»، و«إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع» لمؤلفه البوعصامي الذي حققه الأستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل أيضا، مؤاسيا أتعاب تنقلاته بين الخزانات المختلفة للتعريف بجواهرها وفك طلاسم خطوطها وكلماتها وتصويب أخطاء نساخها، بنبل الرسالة الثقافية والحضارية التي يؤديها لتراث وطنه وأمته.

وإذ تقدم أكاديمية المملكة المغربية هذا الكتاب لترجو أن ينتفع بعلمه القراء والباحثون والمؤرخون والموسيقيون، وأن يكتب المولى القدير لمؤلفه ومحققه أجور وحسنات المنتفعين بهذا العمل.

أمين السر الدائم

لأكاديمية المملكة المغربية

البروفيسور عبد اللطيف بربيش

مقدمة

هذا الكتاب عبارة عن رسالة ألفها شيخ الجماعة العالم الرباطي أبو إسحاق إبراهيم التادلي الرباطي، موضوعها في الموسيقى. وقد كنت - قبل أن يستقر في نفسي العزم على تناوله بالتحليل والتحقيق والدراسة- قد اطلعت على إحدى نسخه منذ ما يربو على ربع قرن، وأنا - يؤمئذ - بصدد إعداد المواد المعرفية لكتابي «مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية» الذي صدرت طبعته الأولى عام 1983 ضمن سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية.

وقد ظهر شغفي بالكتاب من أول وهلة، فنسخت جل ما بين دفتيه بخط يدي في كناشة ما زالت - حتى اليوم - من بين الوثائق التي أحفظ بها، وقبست من درره الكثير مما شكل مادة هامة من كتابي، وأعانني على سبر أغوار البحث وخاصة في الفترات المتأخرة من العصر الحديث.

ولطالما كنت أعاود استنطاق هذا الكتاب في مناسبات متفرقة، فأنهل من مواده ما يسعفني في تقديم محاضراتي بالمغرب وخارج المغرب.

واليوم، وأنا أعاود الرجوع إليه بعزم أمضى وثقة أشد قوة فلأنني أحس وكأن بيني وبينه صلة من الود طرزت خيوطها سنوات من العشرة والمصاحبة، ووطدت لي سبيل مباشرته بالدراسة، وبددت ما كان ينتابني من تردد.

والكتاب موجود في عدة نسخ أشار الأستاذ محمد المنوني إلى أربع منها، ثلاثها الأولى مودعة بالمكتبة الوطنية بالرباط⁽¹⁾، وتحمل الأرقام التالية :

- مخطوط رقم د 109

- مخطوط رقم د 2/2385

- مخطوط رقم د 1/3796

والمخطوط الرابع ضمن مجموع بالخزانة الحسنية رقمه 12063.

وقد وقفت على نسختين أخريين. أما أولاهما فهي موجودة بالخزانة الحسنية تحت رقم 13914. وأما الثانية فهي من محتويات خزانة خاصة كانت في ملك المرحوم عبد المجيد الرغاي الرباطي قبل أن يتم تحويلها إلى الخزانة الحسنية أواخر شهر يناير 2011.

وقد كان الرغاي عدلا موقتا، أوكلت إليه مهمة التوقيت بالرباط وسلا، واستمر قائما بهذه المهمة إلى أن توفي في 17 يناير 2003. وقد ترجمته الدكتور لطيفة الكندوز في معلمة المغرب عدد 24 (ملحق 1) وقد سلمتني نسخة منها. وبهاتين النسختين اجتمعت لدي ست نسخ فيما يلي وصفها مرتبة بحسب تسلسل تاريخها :

1) المخطوط رقم 13914

أحد مخطوطات الخزانة الحسنية، عبارة عن مجموع ضخم يحتوي على ثمان وعشرين رسالة تشغل 641 صفحة.

(1) في سنة 2010 حولت الخزانة العامة إلى مقرها الجديد حيث أصبح يطلق عليها اسم «المكتبة الوطنية». وسنرمز لها بحرف م و.

تقع رسالة التادلي في نهاية المجموع، وقوامها 87 صفحة تبتدئ من صفحة 555 وتنتهي في صفحة 641.

كتبت الرسالة بخط مغربي أسود يتخلله اللون الأحمر أحيانا، وخاصة في كتابة عناوين الأبواب والفصول وأشعار الصنعات الغنائية. وتحتوي كل صفحة على 26 سطرا، وحجمها 23 على 18 سم. وتحمل رسالة التادلي عناوين وردا في الصفحة الثانية منها عند قوله: «وجعلتها مشتملة على عشرة أبواب ومقدمة وخاتمة، وسميتها (أغاني السقى ومغاني الموسيقى، أو الارتقا إلى علوم الموسيقى)».

لم يعلن الناسخ عن اسمه، وقد فرغ من نسخ الرسالة نصف ذي الحجة الحرام سنة ألف وثلاثمائة وأربع عشرة (1314) ⁽¹⁾.

2) المخطوط رقم 12063

مجموع تتوسطه رسالة التادلي بدءاً من الورقة 162 إلى الورقة 202، مما يرفع عدد صفحاته إلى 81 كتبت بخط مغربي دقيق يقرب من الخط الزمامي. ولون الكتابة أسود تتخلله أحيانا كتابة باللون الأحمر لإبراز عناوين الأبواب وأشعار الصنعات.

تحتوي الصفحة على 23 سطرا من حجم 23 على 18 سم. ولم يكشف الناسخ عن اسمه، وقد أتم نسخه يوم السابع عشر من ربيع النبوي عام 1319 هـ ⁽²⁾.

1) المخطوط ص : 641.

2) المخطوط ص : 202.

3) المخطوط رقم 109 د

يحمل هذا المخطوط عنوانين أولهما : كتاب السقا ومغاني الموسيقى⁽¹⁾، والثاني: الارتقا إلى علوم الموسيقى. وقوام المخطوط 130 صفحة من الحجم المتوسط، كتبت بخط مغربي واضح نسبيا. وتحتوي الصفحة على 18 سطرا.

لم يذكر الناسخ اسمه، وكان الفراغ من النسخ صحوة يوم السبت عاشر شوال عام 1336⁽²⁾. والنسخة عارية عن الخط إلا في حالات نادرة، وقد يلجأ الناسخ إلى التشطيب عليه بخط أفقي.

4) المخطوط رقم 2/3285 د

مجموع بالمكتبة الوطنية، قوامه 134 صفحة. تنصدره رسالة «فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار» لمحمد بن العربي الدلائي⁽³⁾. وتأتي بعد ذلك رسالة التادلي لتحتل باقي صفحات المجموع⁽⁴⁾. ويتصدرها العنوان التالي: «أغاني السقا ومعاني (بالعين المهملة) الموسيقى». وقد كتبت الرسالة بخط مغربي أنيق واضح. وتحتوي الصفحة على عشرين سطرا، وحجم الورقة 23 على 18 سم. وقد تم نسخه صباح يوم الأربعاء ثامن شعبان 1343⁽⁵⁾. بيد ناسخ يبدو حسبما أثبتته في صفحة 106 من المخطوط - أنه من أبناء مدينة الرباط.

5) المخطوط رقم 3796 د

مجموع قوامه 190 صفحة مسطورة على نحو يشبه الدفتر المدرسي. وهو يضم رسالتين: الأولى رسالة التادلي، والثانية بعنوان: «الدرة المنتخبة فيما

1) عند عبد السلام بنسودة في «دليل مؤرخ المغرب الأقصى»، ج2، ص: 440 : معاني بعين مهملة.

2) المخطوط ص 130.

3) من ص: 1 إلى ص: 30.

4) من ص: 31 إلى ص: 134.

5) ص 105.

صح من الأدوية المجربة من تأليف الحكيم الحكيم (كذا) المقصود بادشاة الأعظم»⁽¹⁾. وقد ذيلت الرسالتان بما يفيد أن الفراغ من النسخ كان يوم الجمعة خامس وعشري صفر الخير عام 1361هـ⁽²⁾.

يبلغ الجزء المخصص لرسالة التادلي من المجموع 120 صفحة كتبت منها بخط مغربي واضح 24 صفحة لا غير، وفي كل صفحة 24 سطرا، وحجم الصفحة 23 على 18 سم، فيما ظلت باقي صفحات الدفتر (من 25 إلى 120) فارغة، وبذلك جاءت الرسالة مبتورة في هذا المخطوط، تقف عند قول المؤلف - وهو يتحدث عن زرياب - : «ففاق شيخه، فغار من تلميذه وقد هم به، فهرب زرياب»⁽³⁾.

وتأتي بعد الرسالتين خمس مقالات مرتبة على النحو التالي: ⁽⁴⁾

- بيان وزن المثقال الطبي والدرهم والدانق والقيراط مع كتاب الرحمة.
- ما كتب للفهم.
- الطب والأدوية للقلب.
- قد كتب أخيرا عن سوء الهضم.

6 مخطوطة مكتبة الرغاي

هي رسالة توجد ضمن مجموع ضخم يحتوي على كتب ورسائل تشغل 267 صفحة. وتبلغ من المجموع 74 صفحة غير مرقمة، كتبت بخط مغربي

(1) يوجد بالخزانة الحسنية مخطوط بنفس العنوان تحت رقم 314 نسبه المحيي في خلاصة الأثر لشمس الدين محمد بن أحمد القوصوني. والصواب أنه لداود الأنطاكي كما في كشف الظنون، ص 744.

(2) المصدر نفسه، ص: 176.

(3) كتاب السقا، المخطوط د 109 الباب السابع في النوبة الرابعة، ص: 41.

(4) المصدر نفسه، من ص: 177 إلى ص: 190.

أسود يتخلله اللونان الأحمر والأخضر أحيانا لإبراز عناوين أبواب الكتاب. وتحتوي كل صفحة على 23 سطرا، حجمها 23 على 18 سم. وتحمل الرسالة اسمين ورد ذكرهما في الصفحة الثانية منها عند قوله: وسميتها «أغاني السقا ومغاني الموسقا، أو الارتقا إلى علوم الموسيقى». وقد تم الفراغ منها سبع رجب عام سبعة وثلاثمائة وألف.

وقد عمدت إلى ترقيم صفحات النسخة التي صورتها عن مخطوطة ورثة الرغاي من 1 إلى 74 حتى يتأتى لي إثبات مرجعيات المعلومات عند الدراسة أو عند تحقيق المتن.

وإن أهم ما خلصت إليه بعد المقارنة بينها وبين النسخ الأخرى أنها مشوبة بالنقص في أحد عشر موضعا نابت الصفحات المرقمة التالية: 20-27-31-40-48-62-63-64-66-74. وبذلك يتبين أن النسخة التي يحويها مخطوط ورثة الرغاي لا تعدو أن تكون مجرد نسخة نقلت على يد ناسخ لم يعلن عن اسمه، كما لم يعلن عن تاريخ الفراغ من تقييدها.

وتأتي بعد رسالة التادلي ثماني مؤلفات مرتبة على النحو التالي:

أ- تأليف في الغناء للسلطان العلوي المولى سليمان بن محمد بن عبد الله، صدره بمقدمة تلوها أقسام أبطل فيها ما نسب إلى الأمام مالك من إجازته سماع العود وفعله، وذكر ما جاء في ذم الغناء، ودعوة العلماء إلى التنزه عن مجالس الغناء. والرسالة في إحدى وثلاثين صفحة انتهت من تحريرها يوم الجمعة 12 ربيع النبوي 1221هـ بخط محمد بن أحمد الحاج الرهوني بإذن المولى سليمان.

ب- كتاب «فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار» لمحمد بن العربي الدلائي، قوامه عشرون صفحة. ولا ذكر لاسم الناسخ ولا لتاريخ الفراغ من نسخه.

ج- رسالة لمؤلف مجهول، موضوعها فتوى حول بيع المدارس واتخاذها متاجر وتغييرها عما قضى المحبسون: هل لذلك وجه شرعي. وقوام الرسالة ست صفحات.

د- تأليف لمحمد بن محمد بن حمدون بناني عنوانه: «الكوكب الساطع والعقد المنظوم في بيان النعيين باعتبار المنطوق والمفهوم». قوامه عشرون صفحة. تم تحريره يوم السبت رابع جمادى الثانية عام 1108، وتم الفراغ من نسخه بخط المؤلف أواخر رمضان 1109. والنسخة التي في المجموع لناسخ لم يعلن عن اسمه، أنجزها في محرم 1317 نقلا عن نسخة عتيقة بخط المؤلف.

هـ- كتاب لمحمد بن الحسن بن مسعود البناني، ضَمَّنَهُ إجاباته عن خمسة عشر سؤالاً في فنون كثيرة طرحها عليه بعض فقهاء مصر وهو في طريق العودة من الحج عام 1163هـ. يضم الكتاب سبعا وعشرين صفحة.

و- كتاب «زينة النحر بعلوم البحر» لإبراهيم التادلي في سبع عشرة صفحة. فرغ من تأليفه سنة 1305، وتم الفراغ من نسخه عام 1317 على يد ناسخ مجهول.

ز- كتاب في علم التوقيت والتعديل للشيخ إبراهيم التادلي، عنوانه «حسان الحقائق والرقائق في حساب الدرج والدقائق». قوامه تسع وأربعون صفحة. وقد ألحق به المؤلف جدولين، وجاء بعدهما بخط تلميذ له أن الفراغ من كتابته وإخراجه من مبيضته وافق يوم الجمعة ثامن وعشرين شعبان عام 1297.

ح- تأليف لأبي الربيع سليمان أحمد الفشتالي، سماه: «بُغية ذوي الرغبات في شرح عويص رسالة المارديني في الرُّبُع المجيب والميقات». وهو مبتور الخاتمة. وتبلغ صفحاته ثلاثة وعشرين.

هذه مجمل المخطوطات التي حوت كتاب السقا للتادلي^(*)، وسوف يتبين وشيكا أن أقرب النسخ من تاريخ تأليف هذا الكتاب النسخة المودعة بالخزانة الحسينية رقم 13914 التي كان الفراغ منها عام 1314. ذلك أن التادلي شرع في تأليف كتابه في بحر عام 1302 هـ كما يدل عليه قوله في المقدمة: «إن كتب الأقدمين في الموسيقى عارية عن مصطلحه وقانونه اليوم بالمغرب لعام 1302 وقبله بكثير»⁽¹⁾ وأما الفراغ منه فكان يوم سابع رجب سنة سبع وثلاثمائة وألف⁽²⁾.

وقد كانت نسخة المكتبة الوطنية رقم د 109 عمدتنا الأولى في إنجاز هذا التحقيق، مع الرجوع إلى النسخ الخمس الأخرى كلما دعا الأمر إلى إجراء مقابلة بين نصوصها لتوضيح كلمة غامضة، أو لتصحيح تصحيف، أو ملء بياض، أو تلافى نقص، أو رفع إشكال.

وباستثناء المخطوطة رقم د 1/3796 التي لم يبلغ بها ناسخها نهاية الكتاب كما أسلفنا القول في التقديم، فإن المخطوطات الباقية تبدو - على الرغم من تباين تواريخ نسخها - قريبة من بعضها، إذ لا يفصل بين أولها وآخرها غير أربعة عقود ونيف، ومن هنا، فإن اعتماد المخطوطة رقم د 109 لا يبرره غير اشتغالي بها في فترات انكبابي على إنجاز كتابي «مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية». وفيما عدا ذلك فإن النسخ الأخرى شكلت برمتها نسخا أساسية ظلت تلازمي في تحقيق متن الكتاب من أجل استجلاء ما يشوبه أحيانا من لبس وغموض منشؤهما التصحيف الذي أصاب بعض الكلمات لتشابه حروفها،

(*) عندما كان الكتاب في طريقه إلى الطبع وقفت عند تصفحي تحقيق الدكتور حسن الوزاني لكتاب «معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين» للمؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان - على إشارة إلى وجود نسخة من كتاب «السقا» للتادلي بمكتبة المؤرخ التطواني محمد داود، أوردتها المحقق في الهامش رقم 34 ج 2 ص 12 (منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - 2009/1430).

1) كتاب السقا، ص: 45.

2) المصدر نفسه، ص: 130.

أو لجوء الناسخ إلى تشطيب كلمة بغرض إبطالها، أو تصويبها بالشطب عليها وكتابة الصواب بعدها، أو استدراك كلمة أو فقرة أغفلها في النص، فعاد ليكتبها في الطرة، وفوقها كلمة «صح» بغرض استثباتها في النص.

وإلى ذلك فقد كنت - كلما عنّ لي خطأ في النسخة التي اعتمدها وشق علي الاهتداء إلى صوابه في النسخ الأخرى - أحتكم إلى السياق، أو ألوذ بالمصادر التي استقى المؤلف منها مواد كتابه. وهكذا فعلت في تحقيق ما نقله من «كناش الحايك»، أو «العقد الفريد» لابن عبد ربه، أو «ترتيب المدارك» للقاضي عياض، أو شرح الشهاب الخفاجي لكتاب «الشفاء».

ولقد لجأت - في سبيل تحري الدقة - إلى جملة من الوسائل التي أطمح إلى أن تكون مجدية في تقريب المتن المحقق إلى القارئ والدارس، وهذه الوسائل هي:

- اعتماد قواعد الرسم المتداولة اليوم في كتابة اللغة العربية، مثل إلغاء ألف المد في كلمتي ذلك، ولكن.
- استعمال علامات الوقف.
- الشكل التام للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، وكذا بعض الكلمات والتراكيب الصعبة.
- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب
- شرح ما غمض من الكلمات والعبارات في الحاشية.
- تخريج ما اهتديت إليه من نصوص أغفل المؤلف ذكر مصادرها.
- المقابلة بين المخطوطات في تحقيق المتن، مع اعتماد دليل المراجع التالي:
- مخطوطة ورثة الرغاي : غا

- مخطوطة المكتبة الوطنية رقم 109 د: عا
- مخطوطة المكتبة الوطنية رقم 3285 د: عب
- مخطوطة المكتبة الوطنية رقم 3796 د: عج
- مخطوطة الخزانة الحسنية رقم 13914 : حا
- مخطوطة الخزانة الحسنية رقم 12063 : حب
- تحقيق كناش الحايك» لابن جلون : ج.
- تحقيق كناش الحايك لبينمنصور: مص
- الهوامش والتصويبات: ١- ٢- ٣...
- الشروح والتعليقات : 1-2-3...
- اتخاذ الرموز التالية للدلالة على مواقع المخطوطات :
- الخزانة الحسنية : خ ح
- المكتبة الوطنية : م و
- مؤسسة علال الفاسي : م ع ف
- خزانة الجامع الكبير بمكناس : خ ج ك م

ولقد كان عليّ أن أتحمّل بكثير من الصبر والأناة عناء تحقيق المتن عند المقابلة بين نسخه الست، ذلك أن أخطاء النساخ وهفواتهم كانت من الكثرة بحيث لا تكاد تخلو منها أية صفحة من صفحات الكتاب التي تزيد على المائة والثلاثين، ولا أذيع سرا إذا قلت إن الأخطاء تتجاوز التسعمائة، أي بمعدل لا يقل عن سبعة في الصفحة الواحدة.

وهنا يحضرني ما قاله «لالان» في كتابه «العجائب العلمية»: إن أخطاء النساخين في كثرتها مثل نسل سيدنا إبراهيم عليه السلام، فمن أراد عدّها كان عدّ رمال البحر أسهل عليه.

على أن المخطوطة المودعة بالمكتبة الوطنية تحت رقم 3285 د والتي وضعت لها رمز (عب) تبقى أوضح النسخ الخمس خطأ، وأقلها خطأ. وإلى ذلك فهي تتميز عن أخواتها بوفرة التعاليق، فقد بلغ ما جاء في طرر صفحاتها سبعة عشر تعليقا، في حين تحوي نسخة (حا) ستة تعاليق، ونسخة (حب) تعليقين.

وبعد، فإنه ما كان لي أن أقدر على مواجهة العقبات التي يتطلبها تحقيق هذا الكتاب وضبط مصادره، لولا ما حفني به من عون وتوجيه فضيلة الأستاذ الألمعي والباحثة المحقق المدقق الدكتور أحمد شوقي بنين مدير الخزنة الحسنية ومحافظها بالرباط. فلقد فسح لي صدره، وخصني بأكثر من لقاء في مكتبه، فكنت أنهل من فيض معارفه، وهو يزجها بعفوية مثلى وسخاء نادر المثال، ويمدني بفهارس المصادر المخطوطة والمطبوعة، وييسر لي سبل الاطلاع عليها. فيألي سيادته أزجي خالص شكري راجيا له دوام العافية واطراد التوفيق، كما أعبر عن امتناني للقيمين على المكتبة الوطنية، ومؤسسة علال الفاسي بالرباط، وخزنة الجامع الكبير، ومكتبة الأوقاف، وخزانة كلية الآداب بمكناس.

ولا بد من كلمة شكر أزجها خالصة إلى السيد أمين السر الدائم للأكاديمية المملكة المغربية فضيلة البروفيسور عبد اللطيف بريش على ما أولاه لنشر هذا الأثر النفيس من عناية فائقة. كما يسعدني أن أنوه بالسيد المقرر العام للأكاديمية الأستاذ مصطفى الزباخ لما بذله من جهد في الإشراف على تنفيذ هذا العمل الذي أطمح من ورائه إلى الإسهام في خدمة تراثنا الأدبي والفني في ظل الرعاية السامية لسليح الدوحة العلوية وراعي هذه المؤسسة العتيدة جلالة الملك محمد السادس حفظه الله وأقر عينه بولي عهده الأمير الجليل مولاي الحسن.

والله من وراء القصد.

والامام يسمون بالواحد الواسع بفتح واو اللام عندهم مفسر الى ذلك

كبايع ما في الكوة اربع . مع ملها اخرى للظنوم في ك
 جلواها السوداء ولا يرضيها . وبالردغ اليسير في حصرها السا
 ويلغ في صبح الماء كحب وبارح . ولصبح الهوى والرح للدم فن شكا
 وصبره في صبح الفارح وحره . لما فيه من ينه ينج من عن العشا
 منعمة صوت الزيل في وعده . نكي للسوداء حرقا من تالما
 نها وورم الزيل ما صنع للحنه . وصر له مار صراة تتنتر اعمتنا
 والبلغ الزيل اصبهان . حجاز حصار زير فن كها النعللا
 وعطافه فذبان واقتصر الفيا . مع موع مفسر لعمد ابا الوال
 ولباية حصى موكنا زوق اليرما . بر صر ورجل والحسيب الى انجلا
 وصبره المزروع بانسب موعده . ثم كبا احسب للظنوم مكملا
 وزيد من كبح في حصر . واصل يلا اوم فبانك مهيلا
 وصر وبلغ في زير في لولا . وفتحا على كالحيا ارسلا
 وزيد كبح لا استهلا او السرفعا . وضع عراف النجم الزيل في انجلا
 والاشبي في انشر الضاح مجتبا . وصبره المزروع لانك موهولا
 كزير انغلاب الزيل مع قبح مابنه . يفتح اشواق التصاب في العسلا
 ككرا كبح موعده الاربعون والعشرون موانة خمسة وهي بسبك ويطاخي
 والدرج وفلي ونصفا ويسمى في عن ابو يفي في حصر في الغدام وجموع
 من كالكسة يقال له بنو وعربيل . يفتح ريب التوبة كمان وصر
 الغلاب عن موعده في اللبالي البطار كلبلة الشيب في العوسر الكبير والغلاب
 استعمل في تلك البلة نوبه من الماية ويحتمل ريبها ليعتقن اسم او كيب
 كلبت منه في قده تيمم في التشرقات في جعلون ميزانا منها في الصبح
 في اليبليه عن الحكي في اليبليه عن الزوال الى العروب وفيه يقسم على حصفا
 بحسب مشهورات الصامعير ومقر حلتهم فيقال للمعلم الحلبت منك فلام مل
 الماية او سبك او استهلا او حوزة في كل صبره ان م العوازيه المتعدي
 منسمل على السطار وازجال ونو يمحرك في الصبره كمان عوازيه الحوز
 الخمسة عن غير العرضيين في حاله يتل عن موعده الموهوب الومي

وزاد يعلم

نوب و بعضه

التعب

منهج التحقيق

يعتمد المنهج الذي اخترناه لإنجاز هذا التحقيق على مدخل عام، وقسمين، يتلوهما تحقيق النص، فملاحق الكتاب.

المدخل العام : ويشمل الموضوعات التالية:

- وضعية الموسيقى بالمغرب على عهد المؤلف
- التعريف بالمؤلف
- ثقافة المؤلف الموسيقية
- شيوخه في الموسيقى
- تلامذته في الموسيقى
- مؤلفاته في الموسيقى
- كتاب «أغاني السقا» ومنهجه في تأليفه

القسم الأول : الجانب الموسيقي من كتاب السقا، ويحوي:

- منزلة علم الموسيقى من بين العلوم
- مقدمات علم الموسيقى

الباب الأول : 1. حقيقة علم الموسيقى ومباحثه

2. موضوع علم الموسيقى

3. واضع علم الموسيقى

الباب الثاني : النوبة، بنيتها ومكوناتها

الباب الثالث : الطبوع وعلاقتها بالطبائع

الباب الرابع : الأوزان والإيقاعات

الباب الخامس: الآلات الموسيقية

القسم الثاني: مواقف الفقهاء والمتصوفة من السماع

تحقيق المتن

الملاحق :

- 1- مصادر المؤلف
- 2- فهرست الآيات القرآنية
- 3- فهرست الأحاديث النبوية
- 4- فهرست الأبيات الشعرية
- 5- فهرست أشطار الأبيات
- 6- فهرست الصنعات الغنائية
- 7- فهرست الإنشادات والبيتينات
- 8- فهرست المصطلحات الموسيقية الواردة في المتن
- 9- فهرست الأعلام
- 10- فهرست مصادر ومراجع البحث
- 11- فهرست موضوعات الكتاب

المدخل العام

وضعية الموسيقى على عهد المؤلف

سجل التادلي في مقدمة كتابه بكثير من الحسرة أن طائفة من أصحاب حرفة الموسيقى بفاس كانوا قليلي العناية بكناش الحايك حتى قل وجوده بينهم، وأصبح عندهم يومئذ (1302هـ) حرفة للمعاش يتكسبون به، لا علما يقرأ، وكان قصارى جهد غالبيتهم حفظ ميازينه وتحصيل صنائعه في صدورهم بسبب انتشار الأمية في أوساطهم.

وإن لنا أن نقرر أن وضعاً موسيقياً كهذا الذي رسمه التادلي سيكون من بين دواعي إقدام محمد بن العربي الجامعي وزير السلطان الحسن الأول على تشكيل لجنة من خبراء الموسيقى «الآلة» في بحر عام 1303 هـ / 1886م يعهد إليها مراجعة كناش الحايك وإعادة النظر في ترتيب نوباته وميازينه بغية تبسيط تداوله بين الطلاب وبعث روح الحيوية في مادته الموسيقية.

وسيفضي عمل اللجنة إلى الخروج بديوان جديد لأشعار «الآلة» الأندلسية يصطلح على تسميته «مختصر كناش الحايك» أو «كناش الجامعي» نسبة إلى راعي لجنة المراجعة المذكورة.

لقد عايش التادلي هذا الحدث الفني بعد أن استكمل تكوينه العلمي والفني. ونحن لا نستبعد أنه كان قريباً من أجوائه. ويدل على ذلك أن بوجندار الرباطي نسب له وضع مختصر لـ كناش الحايك⁽¹⁾ كما يدل عليه أن التادلي أورد

(1) محمد بوجندار: الاغتباط، بترجم أعلام الرباط، تحقيق د. أحمد عبد الكريم نجيب. دار نجيويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر. محرم 1430 / 17 يناير 2009. صفحة 428.

في كتابه الترتيب الجديد الذي تبنته لجنة المراجعة لصناعات ميزان البسيط من نوبة رصد الذيل إذ يقول في هذا الصدد: إلا أن العمل اليوم بفاس على ترتيب آخر غير الذي على ترتيب الحايك في كتابه...⁽¹⁾.

وما ينبغي أن ترسخ الصورة القاتمة التي رسمها التادلي لأصحاب «حرفة الموسيقى» في ذهن القارئ تصورا سيئا عن حقيقة الوضع الذي كانت عليه الموسيقى الأندلسية في أوساطها الفنية الراقية بفاس أو غيرها من المدن، فلقد عاش التادلي في فترة عرفت فيها هذه الموسيقى طفرة تميزت بالحيوية والانتعاش بالحواضر المغربية الكبرى، وخاصة منها فاس وتطوان. يقول التادلي: وأما سماع أهل المغرب بالموسيقى فلم أر حسن صنيعه إلا بالمغرب خصوصا بفاس وتطوان، وكيف لا وذلك بقية من بقايا طرب الأندلس الذي لم يوجد مثله في الدنيا إلى الآن، حتى عند النصارى مع أنهم أهل طرب وآلاته العجيبة⁽²⁾.

إن حدث فاس لعام 1303 يأتي ليؤكد ما بلغته الحركة الفنية بهذه المدينة من نضج خلال القرن التاسع عشر، الأمر الذي سيؤدي وشيكا إلى انتشار «المختصر» الجديد وشيوعه في حواضر المغرب ليصبح - على حد قول التادلي - معتمد أرباب الصناعة في تلقين ميازين النوبات الإحدى عشرة.

لقد عاصر التادلي نخبة من أقطاب «الآلة» ممن أسهموا بنصيب وافر في النهوض بها وتمهيد السبيل لوضع مختصر الحايك موضع التنفيذ. ومن أبرز هؤلاء:

- أبو عبد الله الغالي بن المكي ابن سليمان الأندلسي الفاسي دفين مراکش 1880/1298 وهو صاحب كتاب «الجواهر الحسان في نغم الألحان»⁽³⁾ الذي تناول فيه وضع الموسيقى الأندلسية على عهده.

1) أغاني السقا، ص: 33.

2) المصدر نفسه، ص: 41.

3) تحتفظ الخزانة الحسنية بنسخة منه تحت رقم 13943.

- محمد بن العربي الرايس. ولد عام 1262 هـ، وتوفي في عشرينيات القرن الرابع عشر. وقد قام بتصحيح كتاب «الأنيس المطرب» لمحمد بن الطيب العلمي، ووضع على حاشية ترجمته للموسيقى محمد البوعصامي تعليقات ذات قيمة فنية كبرى. وقد واكب أشغال لجنة الجامعي، وغير بعيد أن يكون أحد أعضائها.

- عبد السلام البريهي المتوفى عام 1311 هـ. وهو زميل التادلي في التلمذ على الشيخ الحاج حدو بنجلون، وشيخ رواد المدرسة الفاسية الحديثة : نجله محمد البريهي، وعمر بن العباس الجعايدي، ومحمد بن إدريس المطيري.

وإلى جانب ما عرفته الموسيقى الأندلسية من ازدهار فقد شهدت الزوايا المغربية بدورها حركة فنية دؤوبة حولتها إلى ما يشبه مراكز لتلقي المدايح النبوية على طبوع «الآلة» الأندلسية وتخريج مهرة المسمعين المزمزمين اشتهر من بينهم عميد المادحين بالرباط الحاج محمد بن العربي الدلائي (ت 1285 هـ) صاحب الكتاب الشهير «فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار»⁽¹⁾ وهو كتاب جمع فيه صاحبه ما يستعمله أرباب الزاوية الدرقاوية بالرباط من أشعار في السماع والمديح مرتبة وفق طبوع الموسيقى الأندلسية.

ويوافينا التادلي بوصف مسهب لحلقات الإنشاد في زوايا فاس فيقول: كان جماعة الموسيقيين بفاس تحضر كلها كل عيد المولد الشريف بزوايا سيدي عبد القادر الفاسي عند الصباح، ويكملون بها نوبة كاملة، لكن بلا آلة، بل بتصفيق أيديهم⁽²⁾.

(1) حققه التهامي الحراق تحت إشراف الدكتور شوقي بنين بكلية الآداب - الرباط عام 2005.
(2) يراد بتصفيق الأيدي هنا ضبط الإيقاع باليد اليمنى على اليد اليسرى أو على الركبة. ويصطلح عليه اسم «التوسيد»، ص: 100.

- ويضيف التادلي قائلا : وكل جمعة بعد العصر في سيدي ابن عباد رضي الله عنه داخل باب الفتوح بلا آلة أيضا. وكل أربعاء في الضحى عند ضريح سيدي بوغالب رضي الله عنه، وعلماء فاس كلهم ساكتون⁽¹⁾.

ومثل هذه الحركة عرفتها مدن أخرى كالرباط وتطوان. أما في الرباط فقد اشتهر اشتغال السادات الصوفية أصحاب مولاي العربي الدرقاوي بالسماع⁽²⁾، وكان التادلي يحضر معهم في زاويتهم بعض الأوقات، ويحضر - أيضا - أهل العدوتين⁽³⁾.

وأما في مدينة تطوان فقد كان الشريف سيدي عبد السلام بن علي ريسول (ت 1299هـ) رضي الله عنه تحضره جماعة الموسيقيين من أهل بلده مرارا⁽⁴⁾.

وعلى غرار ما عرفته الزوايا من نشاط في مجال نشر المديح النبوي وتلقين مستعملاته، فكذلك عرفت موسيقى الآلة - ولاريب - مراكز لتلقين أصولها. من ذلك إشارة التادلي إلى أنه كان يستقبل أحد طلبته التطوانيين بمدرسة العطارين في فاس، وهي مؤسسة علمية شيدت على عهد بني مرين في القرن الثامن، وتحتوي على غرف متعددة لإيواء الطلبة الوافدين على فاس للتعلم، كما تحتوي على صحن ومرافق للوضوء وقاعة مخصصة للصلاة والتدريس. وشبيهه بغرف مدرسة العطارين ما أثر عن استخدام غريفة بصومعة القرويين لتدريس الموسيقى.

(1) أغاني السقا، ص: 100.

(2) المصدر نفسه، ص: 99.

(3) يراد بالعدوتين مدينتا الرباط وسلا.

(4) أغاني السقا، ص: 100.

ونعود إلى أجواء الممارسة الموسيقية الأخرى التي أتى على ذكرها التادلي في كتابه، فنقف عند مجموعات فنية كان لها - هي أيضا - أثر في نسج خارطة الوضع الموسيقي بالمغرب، وخاصة مدينة فاس، ومن هذه المجموعات⁽¹⁾.

- أهل الكريحة، وهو الاسم القديم لما أصبح معروفا في العهود المتأخرة بفرقة الملحون.

- أهل المسامع من النساء، وقد كان لهؤلاء حتى مطلع القرن العشرين رصيد غنائي غني جمع ديوان أشعاره الأستاذ محمد الفاسي⁽²⁾.

- طوائف عيساوة والقاسميين.

- أهل سوس، ويراد بهم الفرقة المعروفة اليوم باسم «روايس أحواش» في منطقة سوس.

- أهل طنبور العسكر، وهم فرقة الموسيقيين العازفين على آلات النفخ النحاسية من أتباع القصر الملكي، وتعرف «بجوق الخمسة والخمسين».

- أهل الطبل والغيط، وقد وقف التادلي عند هذه المجموعة فاستعرض مكونات المادة الموسيقية التي تشكل برنامج عروضها الفنية، وهي جملة من المعزوفات الآلية تؤديها الغيطات على إيقاع الطبل وفق ترتيب متعارف عليه، وهي على التوالي: رأس النوبة - بشراف - خلط - رواني - اسماحيل (كذا) - تركي - تركي مغلوق - تركي بالزوائد - حربي. وتكشف أسماء هذه المستعملات عن أصلها التركي مما يدل على تسرب بعض تقاليد الموسيقى

(1) أغاني السقا، ص: 17 - 19.

(2) محمد الفاسي: ربايات نساء فاس (العروبيات). ط. 1 فاس 1971 ط. 2 الدار البيضاء 1986.

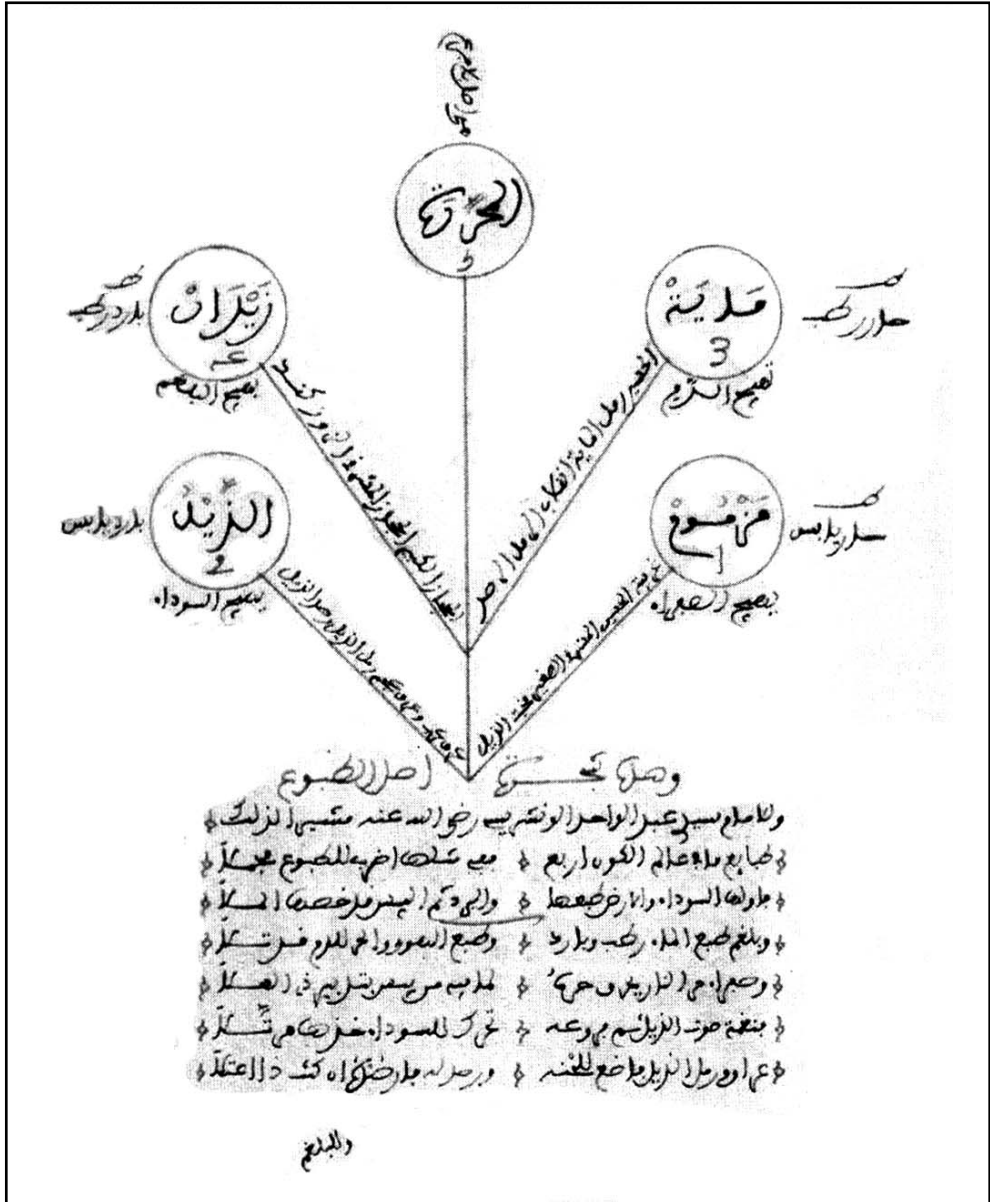
التركية إلى المغرب بفعل الجوار مع الجزائر التي كانت حتى سنة 1830 خاضعة للنفوذ العثماني.

وفيما ينوه التادلي بما عرفته الزوايا من تألق بالرباط في مجال فن السماع والمديح أنبت أعلاما كبارا من أمثال الدلائي صاحب «فتح الأنوار»، فإنه يسجل تدني مستوى الحفظ والممارسة في مجال موسيقى «الآلة» بهذه المدينة. وفي هذا الصدد ترد في ثنايا كتابه إشارات تدل على أن سوق هذه الموسيقى بالعدوتين كانت على عهده أقل رواجاً منها بفاس، فيقول: اندرست (النوبات) اليوم بالمغرب، ولم يبق منها إلا القليل بفاس ثم بمكناس، ثم بالرباط، بل كادت تعدم بالرباط⁽¹⁾. ويقول أيضا: صارت الأربعة والعشرون طبعا (أي نوبة) إلى أحد عشر طبعا في حدود 1200هـ وما قاربها إلى زماننا هذا 1302هـ، لكن بفاس. وأما الرباط ونحوها من الأمصار فقد ذهبت كلها، ولم يبق منها بالرباط إلا نزر يسير⁽²⁾. وهو في هذا الصدد يقول أيضا: لما جئت للرباط لم نجده (أي ميزان بسيط رصد الذيل). فلما سمعته مني شيخ الصنعة صاحبنا الفقيه الأجل السيد محمد الرطل الرباطي قال لي: يا فقيه، أنت تحسن هذا العلم، وهذه نغمة رصد الذيل؟ فقلت له: نعم، وأحسن أكثر من هذا، ثم أخذ يلح علي في تعلم رصد الذيل لفقده بالرباط⁽³⁾.

(1) أغاني السقا، ص: 14.

(2) المصدر نفسه، ص: 23.

(3) المصدر نفسه، ص: 34.



شجرة الطبوع. صورة من مخطوطة الخزانة الحسينية رقم 12063

التعريف بالمؤلف

هو الشريف الحسيني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلي الرباطي. يرتقي نسبه إلى الولي الصالح سيدي جابر بن سليمان دفين تادلة، ولد بمدينة الرباط ليلة الأحد 28 من ذي الحجة عام 1242هـ، وبها نشأ. ولما شب عوده أقبل على طلب العلم، فكان يؤم مجالس العلماء وينهل من العلوم اللغوية والدينية والعقلية.

ترجمه المؤرخ الرباطي محمد بوجندار المتوفى عام 1345 هـ⁽¹⁾، كما ترجمه بعض تلاميذه كمحمد بن الحسين العلمي الرباطي المتوفى سنة (1341هـ)⁽²⁾. وأبي حامد البطاوري في فهرسته، وفتح الله بناني (ت 1353هـ) في طبقاته، وأبي العباس جسوس (ت 1319هـ) في كناشته، والمهدي متجينوش (ت 1344هـ)، والشريف العربي التهامي الوزاني (ت 1339هـ)⁽³⁾. وقد أفرد له السيد عبد الله الجراري كتابا خاصا ضمن سلسلة أعلام العدوتين. وقد قال في حقه المؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان في أكثر من موضع من كتابه: هو فخر الرباط، وشيخ الجماعة بها...، وخاتمة المحققين، ذو الباع الطويل في سائر الفنون، والعارضة العريضة... والبحر المتلاطمة بالتحقيق أمواجه⁽⁴⁾. ومما قيل فيه: هو العلم النادر، والآية الكبرى في المضممار الثقافي والحقل العلمي... وإذا كان السيوطي (ت 911هـ) دائرة معارف القرن العاشر، فشيخ الرباط التادلي معلمة هذا القرن ومجده بل آيته الكبرى في عصر النهضة الحسينية⁽⁵⁾.

1) محمد بوجندار : الاغتباط - ص 435/418.

2) كناشة عن ابن زيدان عبد الرحمن : إتحاف أعلام الناس بأخبار حاضرة مكناس، ج 4، ص: 204.

3) عبد الله الجراري، أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا، مطبعة الأمنية الرباط، ط 1 1391-1971 ج 2، ص: 250.

4) إتحاف أعلام الناس، ج 3، ص : 129 - ج 4، ص: 263.

5) عبد الله الجراري. ص 243 و 245.

عاصر التادلي ثلاثة من ملوك الدولة العلوية هم على التوالي: المولى عبد الرحمن، وولده محمد الرابع، والحسن الأول. وتوفي يوم الخميس 18 حجة الحرام عام 1311هـ، موافق 22 يونيو 1894، ودفن بمحل درسه في دار سكناه⁽¹⁾.

كان التادلي طوال حياته دؤوبا على طلب العلم، فهو لا يطمئن إلى الركون، ولا يقر له قرار إلا حيث يجد ما يروي نهمه إلى العلم وتعطشه إلى المعرفة. تتلمذ على شيوخ العلم بالرباط وفاس ومكناس ومراكش وغيرها. يروي التادلي بنفسه أنه تعاطى زمن شبابه قراءة علوم الرياضة، فقرأ علم الحساب، وبعض الهندسة والتعديل والتوقيت⁽²⁾. وعندما شب طوقه رحل إلى فاس، فلزم شيوخ العلم لفترة أربت على خمس عشرة سنة درس خلالها مختلف العلوم والفنون، وعلوما كثيرة كالحديث والتوقيت والجدول والمنطق.

ويوافينا التادلي بأسماء شيوخه فيذكر منهم بفاس: عبد السلام بوغالاب، وأحمد بناني، والطيب بناني ابن كيران، وأحمد الروداني، والمكي الجنان، والعربي البرغيثي، والوليد العراقي، وأحمد المرنيسي، ومحمد بن عبد الرحمن السجلماسي⁽³⁾ وقاضي الجماعة بفاس الطالب ابن الحاج الذي كثيرا ما عناه التادلي بقوله «شيخنا»⁽⁴⁾، والولي الصالح الهاشمي الطالب السلاوي⁽⁵⁾، ومن شيوخه بمكناس الشريف لمراني⁽⁶⁾ وقد ذهب به الطموح بعيداً ليشد الرحال إلى

1) عبد الله الجرازي، المصدر نفسه، ج 3، ص: 467 - 468.

2) أغاني السقا، ص: 9.

3) انظر الاغتباط، ص 423/420.

4) أغاني السقا، ص: 114.

5) المصدر نفسه، ص: 99.

6) الاغتباط، المرجع السابق.

المشرق مرتين إحداهما عام 1278⁽¹⁾، فجاور بمكة والمدينة جلة العلماء وأخذ عنهم العلوم الشرعية الاثني عشر والفقه على المذاهب الأربعة كما تلقى عنهم علوم التفسير والحديث والفقه وأصوله والتوقيت والجدول والمنطق والنحو، وختم الهمزية بالمدينة المنورة، وبمكة كتب الشفا، والجوهرية، والسلم. ومن هؤلاء بمكة» الشيخ جمال الهندي مفتي الحنفية، والشيخ أحمد دحلان والشيخ حسين. وبالمدينة الشيخ العزب والشيخ الدراج. ونزل القاهرة فأخذ عن الشيخ عليش المالكي، ثم تحول إلى الإسكندرية، وبها أخذ عن الشيخ البنا⁽²⁾. ثم ولى شطر البلاد التركية حيث أدرك حظوة مرموقة لدى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، فأسكنه بيتا لصيقا بقصره، وبالغ في إكرامه⁽³⁾. وقد عاوده الحنين إلى الرحلة، فذهب إلى البلاد الإسبانية وبها قرأ بعض العلوم الحديثة، وفي رحلة العودة إلى المغرب عرج على جبل طارق، فأخذ به علم الجدول والحرف عن شيخه الشريف الحسيني التهامي⁽⁴⁾.

وكان الفتى حينما حل أقرأ أنا فأدهش تلاميذه، وقرأ أنا فاستأثر بإعجاب شيوخه. وتحفل مؤلفاته بفيض من الأخبار عن رحلته العلمية تشكل قوام سفر شيق لسيرة عالم طبعها روح متوقدة وعزيمة وثابة تعشق المغامرة وتسترخص الغالي وتستتهين بالصعاب في طلب العلم.

وقد كان التادلي جريئا في قول الحق مهما كلفه ذلك. لا يجامل ذوي النفوذ، ولا تأخذه في الله لومة لائم. من ذلك أنه في يوم من أيام رمضان عام 1302هـ عبر عن استيائه من فرض المكس عند أبواب المدن، وخاطب في

(1) المصدر نفسه.

(2) الاغتباط، المرجع السابق.

(3) أغاني السقا، ص: 36.

(4) الاغتباط. ص 423.

ذلك محمد بركاش ورجاه أن يرفع الأمر إلى الجناب الملكي. وقد تكلم مسعاه بالقبول، فرفع المكس يوم الأحد 13 ربيع الأول من عام 1303هـ، وتلي في ذلك ظهير سلطاني.

ويدل تصرفه هذا على نزوعه إلى الاهتمام بشؤون الناس، واستعداده لخدمة المواطنين، ومن شواهد ذلك ما تناقلته بعض الأخبار حول قيامه بحمل رسالة وقعها بعض أعيان الرباط إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1876/1909).

وتذهب رواية الخبر إلى القول بأن الرسالة قصدت إلى توطيد العلاقات بين المغرب والدولة العثمانية في وقت كان المغرب قد أصبح معرضا لخطر الاستعمار الأوروبي وتكالبه عليه.

ومهما تكن درجة صحة هذا الخبر الذي تناوله أكثر من مصدر⁽¹⁾ فإن الحفاوة التي لقيها التادلي في الباب العالي ربما تبررها الطبيعة الرسمية - أو شبه الرسمية - لرحلته إلى الديار التركية واضطلاعه بدور الوساطة بين بلدين توحدهما العقيدة ومواجهة العدو المشترك.

وقد تصدر التادلي للتدريس بالرباط لمدة تربو على ثلاثة عقود. ويكشف الجواب الكتابي الذي وافى به أبا العباس جسوس وناقش فيه قول الإمام الغزالي «ليس في الإمكان أبدع مما كان» عن عمق في النظر والتحليل و معرفة دقيقة بوجوه تأويل المقولات ونواحي دلالاتها، الأمر الذي يقدم صورة حية عن طبيعة دروسه وإملاءاته التي تتوخى تنمية قدرات الطلبة الفكرية وتربيتهم على قوة الاستدلال. فلقد كان من عاداته عند تلقين كل فن أن يعمل على تقريب أبعاده ووسائله من أذهان تلاميذه المبتدئين خاصة.

(1) عبد الله الحراري. المرجع السابق ص: 256.

ألف التادلي في الفقه والتصوف شروحا ضافية، وألف في المنطق والكلام والأصول، وترك في النحو واللغة والبيان أكثر من كتاب، كما وضع كتباً ورسائل في الحساب والتوقيت والطب، وغير ذلك من العلوم والفنون. ومما يدل على سعة اطلاعه ومعرفته بما ألفه العلماء نظمه أراجيز في التعريف بأقسام العلوم العقلية. من ذلك قوله في منظومة له : (رجز)

وَعَلَّمَنَا الإِلَهِي كَالتَّوْحِيدِ ثُمَّ طَبِيعِي مِثْلَ طَبِّ يَهْدِي
ثُمَّ رِيَّاضِي. هَذِهِ ثَلَاثُهُ قَدِيمَةٌ لِلْفَلَسَفِي وَرَأْتُهُ⁽¹⁾

ومن ذلك أيضا ما قاله حول أقسام العلم الرياضي: (رجز)

هَنْدَسَةٌ، وَهَيْئَةٌ، حِسَابٌ مُوسِيقَى: فَالرِّيَّاضِي لَأَعْتَابُ⁽²⁾

وقد نسب له المؤرخ الرباطي محمد بوجندار في كتابه «مقدمة الفتح عن تاريخ رباط الفتح» أزيد من مائة وعشرين كتابا ألفها في كثير من العلوم، غير أن جلها غير تام. وهي قوام خزانته الخاصة التي كان قد «حبسها على طلبة العلم بالرباط، ولا يزال بعضها بخزانة قائمة في ضريحه، والبعض منها تلاشي»⁽³⁾. ومن هذه الكتب:

1- اختصار «جدوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس»، لأحمد ابن القاضي.

2- اختصار «صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر» لمحمد الصغير الإفرائي.

(1) أغاني السقا، ص: 90.

(2) المصدر نفسه.

(3) عن كتاب «دور الكتب في ماضي المغرب» لمحمد المنوني، منش الخزانة الحسنية، ط 1، 2005، ص: 79.

- 3- اختصار تذكرة الأنطاكي.
 - 4- اختصار «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لأحمد بابا السوداني.
 - 5- رسالة في تاريخ دول المغرب.
 - 6- مجموعة من الشروح والرسائل ألفها في الإعراب والعروض وقواعد اللغة والبيان، وفي المنطق والتصوف، والفقه والتوقيت، والأسطرلاب، وعلم الرمل، والطب، والفرائض والتركات والتعديل، وفقه الأئمة الأربعة.
 - 7- رسائل تاريخ الدول والملوك من العباسيين وبنو أمية، وسلاطين الدولة العثمانية.
 - 8- رسالة في التعريف بمشاهير بلاد العراق العرب والعجم، وبلاد الأكراد، وأرض الروم والشام التي دخلها بعض أصحابنا من أهل فاس.
 - 9- رسالة المجاز وشرحها.
 - 10- رسالة في العمل بالربع المجيب
 - 11- رسالة في الحساب.
 - 12- مجموعة من الحواشي على كتب وشروح في الفقه، وعلم الضبط، ومخارج الحروف، وعلم الجدول، والتفسير، والحديث، وعلم التعديل، وعلم الهندسة، والمنطق، والفلسفة، والسيرة، والطب⁽¹⁾.
- ويذكر بعض من عنوا بترجمته أنه تأثر بالثقافة الغربية، وأن ذلك ظهر في بعض كتبه ومنها⁽²⁾:

1) الاغتباط: ص 226-227.

2) المنوني محمد: مظاهر يقظة المغرب، ج 1، ص: 253.

- تأليف في تفسير بعض اللغات كلغة الفرس، والترک، والفرنسية،
والأنجليزية والبربرية.
- رسالة في علم المدفع والمهراس من علم الطبيعة.
- رسالة في الرياح على اصطلاح البحرية.
- رسالة في علم الجغرافيا.
- رسالة في البوصلة التي في علم البحر.
- قلائد النحر في علوم البحر.
- ومن مؤلفاته الموجودة بالخرزانة الحسنية:
- بيان المراد لجمل المجراد (شرح لامية الجمل). أربع نسخ منها نسخة
تحت رقم 11885.
- الإشارات السعدية على الاستعارات السمرقندية. رقم 12063.
- تحفة الأحباب بعلم الحساب. نسختان. إحداهما تحت رقم 11969.
- العصيدة الشافية البنفسجية على القصيدة الوافية الخزرجية، نسختان
إحداهما تحت رقم 14001.
- الوافية بشرح الكافية، لابن الحاجب. رقم 13848.
- النخبة الشافية على قواعد اللامية (شرح لامية الأفعال). أربع نسخ
إحداها تحت رقم 12063.

- المطلع على معاني المقنع في علم أبي مقرر. نسختان إحداهما تحت رقم 7097.

- الملحة على النزهة. رقم 11889.

- شرح قصيدة البردة رقم 13959.

- العمدة في شرح البردة. رقم 13959.

- كافي الراوي عن الأزهرى والكفراوى. رقم 12034

- المجاز إلى معرفة المجاز. رقم 14116.

- اليواقيت في علم المواقيت. زينة النحر بعلوم البحر، نسختان إحداهما تحت رقم 11474.

وقد حرر التادلي جملة من الإجازات في التنويه ببعض معاصريه من العلماء. ومنها:

إجازة أجاز بها محمد بن الخليفة المسعودي التونسي ثم المدني المتوفى بمكناس عام 1895/1313. وتحفل هذه الإجازة بأسماء مشايخه المشاركة والمغاربة مع بيان مقروءاته ومروياته عنهم⁽¹⁾.

وللتادلي مشاركة في مجال قرض الشعر. ومما وقفت عليه التوشيح التالي:⁽²⁾

(1) خ ح رقم ك 1427 آخر مجموع، ص: 407 - 416.

(2) أغاني السقا، ص: 51.

وَالزَّهْرُ فَاحٌ	الصُّبْحُ لَاحٌ
قَدْ لَدَّ لِي ذِكْرِي	وَالطَّيْرُ صَاحٌ
وَالْعُودُ نَاحٌ	وَالشُّرْبُ رَاحٌ
قَدْ حَلَّ لِي شُكْرِي	وَاللَّيْلُ رَاحٌ
جُنْحُ الدُّجَا	وَالْفَرْحُ جَا
غَمَرَنِي سُكْرِي	وَلَيْ الدُّجَى
وَقَدْ حَجَا	سِرُّ فَجَا

جَاءَ بِهِ فِكْرِي

ومما نظمه - أيضا - «شغل» من بيتين من بحر البسيط.

وَالطَّيْرُ بِالذِّكْرِ لِلْعُشَّاقِ قَدْ بَاحَا	بَنَفْسِجُ الصُّبْحِ قَدْ فَاحَ بِعَطْرَتِهِ
بِالمُوسِيقَى يَفْرَحُ المُشْتَأِقُ إِذْ نَاحَا ⁽¹⁾	وَوَتَرَ العُودِ قَدْ أَجَابَ دَعْوَتَهُ

ثقافة التادلي الموسيقية

ظهر تعلق التادلي بالموسيقى علما وعملا وهو لا يزال في سن الشباب، فقد تشوقت نفسه إلى ذلك وهو منشغل بدراسة علوم الرياضة، وأحس بأن هذه العلوم لا تكمل إلا باجتماع أركانها، مثلها كمثل المداد، فإنه «لا يكمل إلا بأركانه الأربعة: الماء والعفص*^(*) والزاج والعلك»⁽²⁾.

1) أغاني السقا، في البيت إخلال بالوزن.

* العفص: من أنواع شجر البلوط.

2) المصدر نفسه، ص: 1.

ولما بلغ الفتى سن التمييز اشتد ولعه بالغناء، ثم لما ناهز البلوغ عرف طبعه عند الذكارين بالرباط، فكان يتباهى بين خلانه بما انتهى إلى معرفته من طبع كالرصد والمزموم والمائة، وبما يستعمل في نوباتها من صنائع، وهو بعد فتى.

وقد كان القطب الكبير سيدي عمر بن المكي بن المعطى بن الصالح (تـ1180) صاحب «الذخيرة»⁽¹⁾ إذا قدم من مدينة أبي الجعد من بلاد تادلا استقبله والده بيته، وأحضر له جده سيدي صالح الحكماوي أهل الموسيقى من أصحاب العود والرباب ونحوهم، فكان الفتى يجلس - وهو صغير - بين يدي الضيف المحتفى به⁽²⁾.

وهكذا نشأ الفتى في أسرة لم تكن من طينة الأسر المتشددة أو المنغلقة على نفسها، فوالده من هواة الموسيقى، وبيته أشبه بالنادي يلتقي فيه أصحاب الفن. أما جده للأم الفقيه قاضي مكناسة الزيتون والرباط صالح بن القاضي أحمد الحكماوي فهو - على جلال موقعه في زمرة العلماء والفقهاء، وسمو مكانته في سلك القضاء⁽³⁾ - ممن كان يشارك في الموسيقى. ولقد كان حريا بفتى نشأ في هذه الأجواء أن يشب على حب الموسيقى والتعلق بها.

ثم لما انتقل إلى فاس للدراسة شمر عن ساعد الجد في تحصيل علم الموسيقى من أربابه، فكان إذا فرغ من قراءة العلوم الشرعية ودخلت شهور «العواشر»^(*) واستراحة الطلبة من القراءة تجرد لتحصيل علوم الفلسفة كالحساب والهيئة والموسيقى ليلا ونهارا حتى لا يقضى له زمان في البطالة⁽⁴⁾.

1) ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء و التاج.

2) أغاني السقا. ص 2.

3) ولي القضاء على مكناس والرباط على عهد المولى عبد الرحمان و المولى سليمان.

* لفظ عامي معناه أيام العطلة.

4) أغاني السقا، ص: 3.

ولعل مما ضاعف من شغفه بهذا الفن أن بعضا من شيوخه في العلم كانوا - إلى جانب انقطاعهم لتدريسه - يتساهلون في أمر الغناء ولا يجدون حرجا في مجالسة أربابه. ومن هؤلاء :

- سيدي عبد السلام بوغالب آخر من اقتص بعلم المعقول في فاس. فقد كان «بييت الليالي وأهل الموسيقى يضربون بين يديه، وكان له معرفة تامة به (أي علم الموسيقى) فكانوا لا يحركون نغمة إلا بشهوته ومشورته»⁽¹⁾.

- السيد عبد الواحد مؤقت فاس الجديد. فقد «كان يحسن ضرب العود بيده»⁽²⁾.

- سيدي عمر بن المكي بن المعطي ابن الصالح. «كان مشغوبا بسماع الموسيقى»⁽³⁾.

- سيدي الهاشمي الطالب دفين سلا. كان يأتي للرباط ، وينزل بيت آل التادلي. وكان يهوى سماع الموسيقى فيحضر أهلها عنده⁽⁴⁾.

- سيدي أحمد بن علي الوزاني نزيل الرباط، وأخوه العربي الوزاني، فقد كانت الموسيقى لا تفارقهما⁽⁵⁾.

ولقد كان الفتى خلال دراسته بفاس يتصيد الفرص لمجالسة أرباب «الآلة الأندلسية» فيأخذ عنهم قواعدها وطرائقها وأصول مستعملاتها، كما كان

1) أغاني السقا، ص: 98 - 99.

2) المصدر نفسه، ص: 99.

3) المصدر نفسه.

4) المصدر نفسه.

5) المصدر نفسه، ص: 100.

يجتهد في تحصيل النوادر من صناعاتها. من ذلك - مثلا - صنعة «العود قد ترنم» من بسيط نوبة الاستهلال التي يقول في شأنها: «لا توجد بفاس إلا عند بعض المعلمين الكبار، ولحسنها وغرابتها وطولها ييخلون بها ولا يعلمونها أحدا حتى عرفتها وحفظتها بالسماع وأتقنت ميزانها»⁽¹⁾. ومن ذلك - أيضا - صنعة «من رسولي إليك يا نور عيني» من الحجاز الكبير، فقد كان - زمن الشباب - يحفظها بأدوارها الستين⁽²⁾.

وهو - إلى جانب تتلمذه المباشر على رجال الفن - لم يفته الاطلاع على ما ألفه الأقدمون حول الموسيقى. ويوفينا في مقدمة كتابه بعناوين بعض المؤلفات التي وضعها المسلمون في علم الموسيقى. وهي : كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، وكتاب الموسيقى لابن سينا، وغاية المطلوب في فن الأنغام والضروب لشمس الدين الحنبلي المتوفى عام 759هـ، وما ألفه الحافظ المرأغي، والرسالة الفتحية لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي.

ويحملنا ذكر هذه المؤلفات على التساؤل عن حقيقة اطلاع التادلي عليها وتصفحها، لاسيما ونحن نعلم أن كتاب «غاية المطلوب» للحنبلي بات اليوم في عداد المؤلفات الموسيقية الضائعة⁽³⁾. ونفس الواقع قائم بالنسبة لكتب السرخسي (تـ286هـ) الموسيقية برمتها. فهل كانت هذه الكتب موجودة بالفعل حتى عهد التادلي؟ أم أنها قابعة في زوايا بعض الخزانات الخاصة بالمغرب؟

وإن لنا أكثر من دليل يؤكد اطلاع التادلي على هذه الكتب. من ذلك نقله المباشر من كتاب اللاذقي فقرة تتعلق بتعريف حقيقة علم الموسيقى، واقتباسه

1) أغاني السقا، ص: 79.

2) المصدر نفسه، ص: 24.

3) انظر فارمر: مصادر الموسيقى العربية، تعريب حسين نصار، ص: 100.

أكثر من مرة من كتاب الأصبهاني⁽¹⁾، واستشهاده بابن سينا في معرفة كيفية تأليف اللحن⁽²⁾.

وتأتي - بعد هذا - ملاحظة التادلي أن ما تحويه هذه الكتب ومثيالاتها من اصطلاحات وقواعد أصبحت مخالفة لما حدث في موسيقى «الآلة» المغربية على عهده. وإن ملاحظة دقيقة كهذه لا يمكن أن تصدر إلا بعد قراءة متأنية لمؤلفات المشاركة وتأمل عميق فيها.

وإلى جانب المؤلفات الموسيقية التي ذكرنا فقد كان التادلي كثيرا ما يستفتي مصادر المعرفة العامة لاستخلاص ما يتصل بأبواب الكتاب وفصوله. وفي هذا ما يدل على عظيم الجهد الذي بذله في تجميع مادة كتابه ودعم ما ينتهي إليه من خلاصات.

ومن بين مصادر المعرفة العامة نذكر مقدمة ابن خلدون، والمزهر للسيوطي، وإحياء علوم الدين للغزالي، وحل الرموز للمقدسي، وشرح المقدمة الوغليسية للشيخ زروق، وتذكرة أولي الأبواب لداود الأنطاكي، والكامل لابن الأثير، وكتب الحديث الستة الصحاح، ومروج الذهب للمسعودي، ورسالة ابن حزم في حكم الغناء، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والفتوحات المكية لابن عربي، وغير هذا من الكتب.

وخلاصة القول إن التادلي بلغ في المعرفة بالموسيقى الأندلسية والإلمام بمستعملاتها ما كان يؤهله أحيانا للقيام بالمقارنة بينها وبين ما سمعه في إستانبول وفي إسبانيا. وهو في هذا لا يتردد في القول بأنه لا وجه للمقارنة بين هذه الأخيرة وبين موسيقى المغرب السائدة على عهده. وعلّة ذلك - في رأيه - أن «أصل وصول الموسيقى المغربية للأندلس من الفرس لا من اليونان»،

(1) أغاني السقا، ص: 14.

(2) المصدر نفسه، ص: 42 - 98.

وأن النصارى البيزنطيين لم يستفيدوا من الازدهار الموسيقي الذي عرفته ممالك اليونان بعد استيلائهم عليها. ومن ثم لم تنتقل موسيقى اليونان إلى الأندلس قبل الفتح الإسلامي، فلما حل بها زرياب أذاع موسيقات الفرس، وهي التي وصلت إلى المغرب⁽¹⁾.

على أنه لا يفوتنا أن نسجل أن صاحبنا، على الرغم من ولعه بالسماع وشديد تعلقه بالموسيقى وعظيم شغفه بسماعها فقد قرر الانقطاع عن تعاطيها وهو على وشك الانتهاء من تحرير كتابه، وذلك بسبب ما رأى من اختلاف الناس فيها ما بين فقيه متشدد في أمر السماع، وآخر مترنح بين كراهته وإباحته، ومتصوف لا يرى حرجا في ممارسته.

يقول التادلي في هذا الصدد: «لا أظن أحدا يعجبه السماع ويرتاح إليه اليوم مثلي، إلا أنني تركته لله منذ أزمان لما وقفت على خلاف العلماء فيه»⁽²⁾.

وكأني بالتادلي تتنازعه قوتان، إحداهما قرار التخلي عن السماع منذ أزمان، والأخرى إعجابه به والارتياح إليه حتى وهو في لحظة إعلانه عن تركه.

شيوخ التادلي في الموسيقى

ومثلما كان التادلي يسأل المصادر المكتوبة لمعرفة أدبيات الموسيقى وقواعدها النظرية فكذلك كان يتلقى مستعملاتها عن طريق مجالسة شيوخها من أرباب الفن. وقد تنوعت المعارف التي أخذها عن هؤلاء ما بين ميازين النوبات، وعزف على بعض الآلات، خاصة العود والطر. يدل على ذلك إشادته بمهارة أساتذته في مجالات تخصصاتهم، وحدبه المتواصل على حضور مجالسهم.

1) أغاني السقا، ص: 12.

2) المصدر نفسه، ص: 125.

على أنه كان أكثر ميلا إلى حفظ الصنعات، يساعده استعداده الفطري، فلا يجد صعوبة في استيعاب ما كان منها صعب المنال. ومن شيوخه الفاسيين :

- شيخ الصناعة في الموسيقى وقيّم جماعة الموسيقيين بفاس الحاج حدو ابن جلون الفاسي. يقول عنه التادلي: لا أحد في وقته يعرف ميزان الموسيقى سواء بصوته أو بيده (1). له صوت رقيق. كان ماهرا في الموسيقى وموازينها، وكان لا يستعمل إلا ضرب العود دون غيره كما كان آية في ضرب الطر. ومما أخذ التادلي عنه صنعة «عروس يوم القيامة» من بسيط نوبة رمل الماية (2).

- الشريف سيدي رشيد الجمل، من ذرية القطب الكبير علي الجمل. تتلمذ على الشيخ حدو ابن جلون، ولكنه كان أعلى منه صوتا، وله ترنيمات إذا صاح بها تذهل العيون (3). وهو بارع في ضرب الرباب. ومما أخذ التادلي عنه صنعة «صلوا يا عباد» وهي تصديرة بسيط رمل الماية (4). وهذه الصنعة من عيون صنعات الميزان، وهي مشغولة مليئة بالامتدادات اللحنية مما يعرف بالتراتين، وقوامها بيتان من بحر الطويل، عدد أدوار كل واحد منهما 37 دورا موسعا من ميزان 6/4.

- الغالي الجمل شقيق رشيد آنف الذكر، كان ماهرا في ضرب الكمنجة (5).

(1) التادلي : التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار.

(2) أغاني السقا. الباب الرابع: ص 30.

(3) التذكار، المصدر السابق.

(4) أغاني السقا. الباب الرابع: ص 30.

(5) التذكار، المصدر السابق.

- الشيخ محمد الصبان الفاسي، كان بارعا في ضرب العود⁽¹⁾، نادرة في التوقيع عليه⁽²⁾.

ومن شيوخ التادلي بالرباط :

- الحاج قاسم بنعسل الرباطي، ضارب القانون. يقول التادلي عنه: «كان يضرب مرارا أمامي وقل من يحسن ضربه اليوم»⁽³⁾.

وممن أخذ عنه - أيضا - من أبناء تطوان :

- الحاج أحمد العسراوي التطواني. كان يحسن ضرب العود دون غيره⁽⁴⁾.

- فنان آخر من تطوان، لم يذكر اسمه، واقتصر على القول إنه كان من مهرة الموسيقيين. وقد أخذ عنه صنعة «الفلك فيك يدور» من بسيط نوبة الأصبهان⁽⁵⁾.

تلامذة التادلي في الموسيقى

يطلعنا التادلي في مواقع متفرقة من كتابه على جملة من الأعلام الذين تتلمذوا عليه في الموسيقى الأندلسية. ويبدو أنه آنس من نفسه الاستعداد للتعليم حتى وهو في فاس قبل أن يستكمل دراسته بها، فكان يسترق من أوقاته لحظات يصرفها في تلقين بعض الصناعات بمدرسة العطارين.

(1) التذكار، المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

ولم يكن التادلي - وهو المتبحر في العلوم الدينية - يجد أي حرج في تعليم موسيقى «الآلة» لمن يرغب في ذلك. وهو في هذا يقول: كنت أعلمها لمن طلبها مني بفاس وغيره لأنني لا أتعاطى صنعة الموسيقى فأخاف من يزاحمني فيها⁽¹⁾. وهكذا فهو لم يمتحن حرفة الموسيقى ولم يتخذ تعليمها صناعة ولا سبيلا إلى الكسب، ومن ثم ترفع عن أن يضمن بها على من يريد تعلمها، لأنه لم يكن يخشى مزاحمة المنافسين في الصناعة، إذ هي عنده «من جملة العلوم والآيات الدالة عليه تعالى. ومعرفة الأشياء خير من جهلها»⁽²⁾.

ويطلعنا التادلي على منهج تعليم «الآلة» بين أرباب الصناعة في عهده، فيرسم طريقتهم في تلقين النوبة بمستعملاتها. يقول ما مؤداه: إن المعلم يبدأ بتقديم توشية النوبة - والتوشية معزوفة آلية خفيفة الإيقاع، تؤديها آلة موسيقية وأكثر دون غناء -، ثم ينتقل إلى إنشاد النوبة - وهو بيتان من الشعر يؤديهما المنشد على لحن حر الإيقاع - . فإذا فرغ المعلم من ذلك انتقل إلى الصناعات الغنائية التي يشترك فيها «العمل مع القول» أي العزف الآلي والغناء⁽³⁾.

وقد استعرض التادلي أسماء من تتلمذ عليه في موسيقى «الآلة» فذكر من هؤلاء بفاس:

- محمد الفكيكي الفاسي. فقد كان يحسن ضرب العود، كما كان من أحسن الناس صوتا، غير أنه لم يحترف صناعة الغناء، وإنما كان يخصص بها أصدقاءه. وكان ولوعا بتعلم الصناعات الكبيرة مما لا يوجد إلا عند مهرة المعلمين⁽⁴⁾.

(1) أغاني السقا، ص 77.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص 31.

(4) المصدر نفسه، ص 79.

- محمد الشريف رئيس المعلمين بتطوان. كان - إذا قدم فاس - أخذ عن التادلي بمدرسة العطارين. ومما لقنه تصديرة بسيط نوبة عراق العجم «حفظ الله ليلنا ورعى»⁽¹⁾.

وممن أخذ عنه بالرباط :

- شيخ الصنعة محمد الرطل الرباطي. وكان لا أعلم منه بالموسيقى بالرباط، حسن الصوت، يتقن العزف على آلة الرباب⁽²⁾. لازم التادلي طويلا في علم التعديل، وقد سمعه يوما يترنم ببعض صنائع بسيط رصد الذيل فسأله أن يعلمه إياها وفق الترتيب الجديد لكناش الحايك⁽³⁾، فعلمه منها ما تيسر.

- الشريف سيدي المكي الفكيكي الرباطي. كانت نغمته في الموسيقى رخيمة حسنة كأخيه آنف الذكر⁽⁴⁾. لقنه التادلي صنائع ميزان البسيط من نوبة رصد الذيل.

- العربي بوجندار. أخذ عن التادلي صنعة «هَبَّتْ سَحْرًا» من بسيط الحجاز الكبير، وبمعيته محمد الرطل سابق الذكر، غير أنها «صعبت عليهما لكثرة أدوارها وموازينها وتلحيناتها، فلم يدركا منها حتى دخولها⁽⁵⁾. ولا يعجب المرء من هذا حينما يعلم أن البيت الواحد من دخول الصنعة يستغرق 31 دورا إيقاعيا أي 31 حقلا من جنس 6/4. وفي هذا ما

(1) أغاني السقا، ص 84.

(2) المصدر نفسه، ص 34.

(3) المصدر نفسه، ص: 84.

(4) التذكار المصدر السابق.

(5) أغاني السقا، ص: 34.

يذكرنا بما حكاه الـتيفاشي عن أحد الأصوات التي غنتها «جارية مغنية في مجلس عظيم من عظماء المغرب تغني في هذا الشعر⁽¹⁾.

تَشَكَّى الكَمَيْتُ الجَرِي لَمَّا جَهَدَتْهُ

فمر عليها في غناء هذا البيت وحده مقدار ساعتين من الزمان».

مؤلفات التادلي في الموسيقى

تناول التادلي موضوع الموسيقى في كتابين:

- الأول : التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار، انتهى من تأليفه عام 1285، موضوعه الأساسي في الطب، وقد شرح فيه كتاب «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب» للطبيب داود الأنطاكي المتوفى بمكة عام 1008هـ/1599. والكتاب حافل بالاستطرادات التي تطرق فيها التادلي للحديث عن حياته الفنية بفاس، واستعرض أسماء شيوخه وأساتذته في الموسيقى، كما أتى على ذكر كثير من أعلام هذا الفن بالحواضر المغربية خاصة منها فاس والرباط وتطوان ومكناس.

- الثاني : أغاني السقا ومغاني الموسيقى، أو الارتقا إلى علوم الموسيقى، وهو يختص بموضوع الموسيقى كما سنرى وشيكا.

ولعل أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ التساؤل عن علة تسمية الكتاب بأغاني السقا. فهل لكلمة «السقا» علاقة بنغمة السيكة الشرقية، أم أنها تحيل على طبع «الصيكة» الأندلسية؟ أما الأولى فهي اسم لمقام مشرقى لا نحسب التادلي إلا أنه سمعه في فترة إقامته بالعاصمة العثمانية وهو في ضيافة الباب العالي. يدل على

(1) الـتيفاشي الصفاقسي : متعة الأسماع في علم السماع. عن محمد بن تاويت الطنجي. مج الأبحاث البيروتية.

س 1. مجلد 21. أعداد 2-3-4 دجنبر 1968، ص: 103.

ذلك مقارنته بين الموسيقى التركية والموسيقى الأندلسية، وهي مقارنة لا يمكن أن تتأتى للمرء ما لم يكن مُلماً بطرفيها. وأما طبع الصيكة فقد أورد المؤلف ذكره في الكتاب عندما أشار إلى ظاهرة تداخل الطبوع مع بعضها، ومثل لذلك بتداخل طبعي الصيكة وعراق العرب كما هو ملموس في صنعة «ياغاديا نحو الحبيب عَسَاكا».

ومع ذلك، فالتعليقان المطروحان يقيان مجرد اجتهاد لا نحسب أنه يحسم الموضوع.

ومثل هذا الاجتهاد ما ذهب إليه ناسخ المخطوطة رقم 13914، فقد كتب على طرة الصفحة رقم 556 من المجموع العبارة التالية: المراد بالسقى الكناية على الشرب، كشرب الأتاي⁽¹⁾، لأن الغناء ملازم له غالباً، وقد كان في القديم مع شرب الخمر.هـ.

ومن جهة أخرى فقد نسب المؤرخ الرباطي صاحب كتاب «الاغتباط» للتادلي رسالتين في فن الموسيقى هما: - رسالة في الموسيقى⁽²⁾. - رسالة في علم طبوع الموسيقى الأربعة والعشرين.

ونعود إلى كتاب السقا فنجد أن التادلي يعلن في مقدمته عن الداعي إلى وضعه فيقول: لما حصلت من علوم الفلسفة ما شاء الله، وألفت في كل منها رسالة، أحببت أن أتممها برسالة خاصة بالموسيقى أذكر فيها ما استفدناه من أسياننا فيه، أو من بعض كتبه ليزداد الذين آمنوا إيماناً، والله يجعلها خالصة لوجهه الكريم⁽³⁾.

1) اسم شراب «الشاي» في التعبير المغربي.

2) الاغتباط : ص 425 و 427.

3) أغاني السقا، ص 3.

كتاب أغاني السقا ومنهج التادلي في تأليفه

قسّم المؤلف كتابه «السقا ومغاني الموسيقى» إلى جزأين، أولهما يتضمن مقدمة وأربعة عشر باباً تتخللها فصول خمسة وتلوها خاتمة أدرجت تحتها خمسة فصول أخرى.

وتشكل هذه الأبواب والفصول الجزء الفني من الكتاب، وقوامه سبع وتسعون صفحة وجزء من الصفحة الثامنة والتسعين.

أما الجزء الثاني من الكتاب فقد خصه المؤلف ببيان مواقف المتصوفة والفقهاء من الغناء وسماعه، ويتكون هذا الجزء من سبعة فصول تستغرق من الكتاب اثنتين وثلاثين صفحة. وهذا بيان ذلك.

المدخل والمقدمة

الجزء الفني:

- الباب الأول في حقيقة علم الموسيقى
- الباب الثاني في موضوعه
- الباب الثالث في الواضع
- الباب الرابع في النوبة الأولى
- الباب الخامس في النوبة الثانية
- الباب السادس في النوبة الثالثة
- الباب السابع في النوبة الرابعة

♦ فصل في بيان قدر الحركة والسكون اللذين هما أصل الموسيقى

♦ فصل في حد الموسيقى

♦ فصل في بعض منافع الموسيقى

- ◆ فصل في أحسن آلات الطرب
- ◆ فصل في سبب حسن استماع الناس للطرب
- الباب الثامن في النوبة الخامسة
- الباب التاسع في النوبة السادسة
- الباب العاشر في النوبة السابعة
- الباب الحادي عشر في النوبة الثامنة
- الباب الثاني عشر في النوبة التاسعة
- الباب الثالث عشر في النوبة العاشرة
- الباب الرابع عشر في النوبة الحادية عشرة

خاتمة:

- ◆ فصل في مدح الصوت الحسن
- ◆ فصل في أصل الغناء
- ◆ فصل في أخبار المغنين
- ◆ فصل فيما قيل في العود
- ◆ فصل فيما قيل في الغناء البارد

الجزء الثاني:

- ◆ فصل في حكم الغناء وسماعه
- ◆ فصل في بيان من خفف فيه
- ◆ فصل في جواز السماع
- ◆ فصل في بيان من شدد فيه
- ◆ فصل في تفصيله على مذهب الشافعية
- ◆ فصل في حكم السماع على مذهب الحنابلة
- ◆ فصل في بيانه على مذهب الحنفية

بسم الله الرحمن الرحيم وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

لشعره انزل الكرب (العصاة) بملح غزيرة كجمع المستلوا) ونحوه في لغة (افناء
 الاذان) وتفضل عليها بنحوه (الاحلام) والصلوة والصلح على من حضر من اهل
 بحراء العرب وعرفوا الصبح، الزنا على صوتها وادوية الرخيم، بل كان احسن الناس
 صوتا في الحرك والفرح، وعلى والده النبي رجعوا الصيوعه كقلم من تلخر او قنق
 ورجل يفتون لا يصبر المزب الخاكي، ابراهيم بن محمد الشكاه بالارهاكي لمل
 تعاطفتها من الصلابة فرأى على اهلها ضمة، ففكرت على الصلابة ونحو
 المنزلة والجملة والتفصيل والتفريق، وكذا ما ارادنا على القوسية
 تسوية نفع الشيء اذا كانت كمل ما هيته الشيء، (بباركلانه) كالميراد لا يكل
 الا باركلانه الاربعه الماء والعصير والزاج والعدس، بل انصاره على
 انزاله رضى الله عنه في الاحياء التي انزلها ينسخ له ان يكون جاعدا
 لعلو نشتي ثلثها متقلونه وبعضها متوقفا على بعضها بل افول الصلوع
 كذا في اراء كثره في، واحتر وانما قيلت بل موضوعات لعلو العربيه
 الا ان موضوع الصلوع والصلابة والصلابة من ثلثها في، واحتر ثلثها بل حتم
 على معلوم او موجوده كجمع امثله في علو العربيه على غير ما كان موضوعها
 الكثرة العربيه وموضوع الصلابة الكثرة المنفصل كالمعروف وموضوع الصلابة
 الكثرة المتصل كالمشايخ، ولما روى على الاصل في الصلابة رضى الله عنه انه قال
 لعلو نبلع وبعضه وبعضه لبعض قيل: بل كذا في زمانه وتكونه غير التبيين
 مؤثرا بل فيضاه كجملة ناهية الصلوع كصواع الصلابة، عند انزل كذا في
 من رضى وفروع وملايه من رضى الملايه وما يستعمل في كل كجمع منها وادى
 بالهله كذا او كذا في صلوع الصلابة لعلو الصلابة احلوا ومعه في ثلثها
 وانما يجمع فيها فلكا لثلاثه لثلاثة الصلابة الكثرة صلوع العربيه الصلابة
 ابر الصلابة ان خير نفعنا الله به واولادنا بجمعنا من ارضنا كذا في باركلانه

القسم الأول :

الجانب الموسيقي

من كتاب السقا

الجانب الموسيقي من كتاب السقا

افتتح التادلي كتابه بحمد الله والصلاة على نبيه الكريم ﷺ، ثم تحدث عن تعلق نفسه بعلم الموسيقى منذ أن تعاطى في زمن الشباب دراسة العلوم الرياضية من حساب وهندسة وهيئة وتعديل وتوقيت، فإن ماهية الشيء لا تكتمل إلا بأركانها كالمداد لا يكمل إلا باجتماع عناصره الأربعة الماء، والعفص، والزاج، والعلك.

وقد استشهد المؤلف بأقوال بعض العلماء على أن العلوم متعاونة، وأن بعضها مرتبط ببعض حتى عدوها علما واحدا، وإن تعددت وتشعبت موضوعاتها كعلوم العربية الاثني عشر، فإن موضوعها واحد هو الكلام العربي. استهل التادلي مقدمة الكتاب ببيان تقسيم العلوم، فاستعرض أصنافها وموضوعاتها وخلص إلى أن مراتبها ثلاث هي :

1. العلم الطبيعي، وهو الموجود بالحواس الخمس، مثل الطب، ويسمى العلم «السفلي».
2. العلم الإلهي، وهو الموجود بالعقل كعلم التوحيد، وهو لا يفتقر في وجوده إلى المادة، ويسمى «العلم العلوي».
3. العلم الرياضي، هو المدرك بالعقل والحواس معا كالأشكال الهندسية، ويسمى «العلم الأوسط».

وأصول العلم الأوسط أربعة هي : الحساب، والهندسة، ثم الهيئة، ثم الموسيقى. ومن فروع الموسيقى علم الآلات، وعلم الرقص، وعلم الغنج⁽¹⁾.

وقد نظم المؤلف هذه الأصول في بيت رجزي فقال:

هَنْدَسَةٌ، وَهَيْئَةٌ، حِسَابٌ مُوسِيقًا : فَالْرِیَاضِ لَا عِتَابُ⁽²⁾

ويطلق على هذا العلم بأصوله الأربعة « العلم التعليمي»، وذلك «لأنهم يقدمون في تعاليمهم على سائر العلم - حتى المنطق - شيئاً من الهندسة والحساب تقويماً لأفكار المتعلمين وتأنيساً لطبائعهم بالبراهين»⁽³⁾.

وينتقل التادلي إلى الكتب المؤلفة في الموسيقى، فيذكر أن أقدمها ما ألفه الفرس، ثم اليونان، وأن هذه الكتب انتقلت إلى البلاد الإسلامية زمان المامون العباسي، ثم توسع المسلمون في هذا العلم، فألفوا فيه تأليف كثيرة، منها: كتاب «الموسيقى الكبير»، وكتاب «الموسيقى الصغير» للسرخسي المتوفى سنة 286هـ، وكتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (ت 356هـ)، وكتاب «الموسيقى» لابن سينا (ت 428هـ)، «وغاية المطلوب في فن الأنغام» لشمس الدين الحنبلي المتوفى سنة 759هـ، تأليف الحافظ المراغي (ت 838هـ)، و«الرسالة الفتحية في الموسيقى» لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي (ت حوالي 900هـ).

ويعلق التادلي على هذه الكتب وما شاكلها مما ألفه المسلمون الأقدمون فيقول: «إلا أن كتب الأقدمين في الموسيقى عارية عن اصطلاحه وقانونه اليوم بالمغرب لعام 1303 وقبله بكثير».

1) أغاني السقا، ص: 9. نقلاً عن ابن هيدور في أول شرحه لتلخيص ابن البناء في الحساب. مخ خ ح رقم 2425.

2) المصدر نفسه، ص: 90.

3) أغاني السقا، ص: 91. انظر كتاب القانون لليوسي. ص 151.

ويتبين من هذه العبارة أن القواعد والمصطلحات الموسيقية الواردة في كتب المشاركة لا تنطبق على واقع النظرية التي تحكم «موسيقى» الآلة السائدة في الحواضر المغربية على عهد المؤلف، بل وحتى قبل عهده بكثير.

وكأني بالتادلي وهو ينهل من «الرسالة الفتحية» للاذقي بعض ما فيها، فلا يكاد يتجاوز تعريفه لمصطلح اللحن إلى ما يتعلق بتصوير المقامات على سبع عشرة درجة، أو تسلسل الأدوار والأوازات والشعب عند منظري الموسيقى العربية المشرقية، وما تحفل به كتب هؤلاء من اصطلاحات حتى يعلن أنها عارية عن اصطلاح علم الموسيقى وقواعده بالمغرب. ويذهب التادلي في تبرير ذلك إلى ما عرفته الموسيقى العربية من تحولات جراء تفاعلها مع موسيقات الشعوب المتساكنة بالأندلس، الأمر الذي أسفر عن نشوء مصطلحات وأسماء لقواعد لا وجود لها أو لنظائرها في كتب المشاركة الأقدمين، وهي قواعد يرجع العهد بها إلى زمان نفاق الموسيقى في الأندلس، وخاصة في غرناطة التي أصبحت مركزا مؤهلا لاستقطاب مهاجري حواضر الأندلس المتناثرة في أعقاب حملات الاسترجاع المسيحية، إلى أن هجرها ساكنوها نحو بلاد المغرب ومدنه كفاس وتطوان والعدوتين في نهايات القرن التاسع هـ الخامس عشر م، فتبنت إرثها الاصطلاحي؛ وعليه ألف الحايك كتابه في الموسيقى⁽¹⁾.

وقد نوه التادلي بهذا الكتاب فقال: إنه أحسن ما رأى، غير أن جل الذين يتعاطون موسيقى الآلة بفاس انصرفوا إلى تحصيل ما فيه من أشعار في الصدور واللسان، فاتخذوا إنشادها حرفة للمعاش، لاهين بذلك عما بين دفتي الكتاب من معلومات تتصل بعلم الموسيقى وقواعده.

1, أغاني السقا، ص: 12.

على أن التادلي لا يفوته أن يؤكد أن ألحان الموسيقى الأندلسية المتداولة في مدن المغرب كفاس وتطوان شرقية الأصل في طبيعتها وبنائها. وهو يستدل على ذلك بأن زرباب المغني تلميذ إسحاق الموصلي على عهد بني العباس هو الذي أدخل صنعها إلى الأندلس. كما يدل عليه - في نظره - الأصل الشرقي لبعض طبوع الموسيقى الأندلسية كطبع الأصبهان الذي هو من بلاد فارس التي هي دار عساكر بني العباس، وأن واضع طبع رمل المائة فارسي. ومن هنا يخلص التادلي إلى استبعاد أن يكون أصل موسيقى العرب في الأندلس من الموسيقى التي عند الروم (الأوروبيين) اليوم، وقد اختبر التادلي الأمر بنفسه ووازن بين الموسيقتين، فلم تتزنا، بل كانت موسيقى «الآلة» أكثر أصالة وأعظم حلاوة، و«لذلك نجد بعض النصارى (الأوروبيين) اليوم إذا سمع الموسيقى التي عندنا اهتز لها طربا، وأصغى بكليته، وأخذته قلبا وقالبا»⁽¹⁾.

ويقتحم التادلي مجالات أخرى للموازنة والمقارنة فيذهب إلى القول بأن ألحان الموسيقى بالمغرب اليوم مخالفة للموسيقى بمصر (القاهرة) والأسكندرية، وتونس، والجزائر (العاصمة) وتلمسان⁽²⁾. وهو يبرر هذا الاختلاف باختلاف المقامات الموسيقية في هذه المناطق عن طبوع «موسيقى الآلة»⁽³⁾.

ويختتم التادلي مقدمة الكتاب بما يفيد أن نوبات الموسيقى الأندلسية اندرست على عهده بالمغرب ولم يبق منها إلا قليل بفاس، ثم بمكناس، ثم بالرباط، بل كادت تعدم بالرباط⁽⁴⁾.

(1) أغاني السقا، ص: 13.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، 13-14.

(4) المصدر نفسه، ص: 14.

– منزلة علم الموسيقى من بين العلوم

عني العلماء – منذ القدم – ومن بينهم العلماء المسلمون بالنظر في العلوم وتصنيفها. ويرجع اهتمام المسلمين خاصة بهذا الموضوع إلى العناية التي أولاها خلفاء بني العباس الأوائل لصنوف المعرفة وتشجيعهم لحركة ترجمة علوم اليونان إلى اللغة العربية.

وفي موازاة حركة الترجمة التي مهدت للعرب استيعاب علوم اليونان، ثم في مواكبة التطور الذي عرفته هذه العلوم درسا وشرحا وتحقيقا ونقدا، وما حققته من تراكم في ظل الحضارة الإسلامية في المشرق والمغرب والأندلس، اتجه العلماء إلى تصنيفها، ووضعوا في ذلك مؤلفات كثيرة، بغية تعيين فروعها وبيان غاياتها ومنافعها ووجوه الفرق بينها.

وقد أفاض التادلي الحديث في مواضع متعددة من كتابه حول تصنيف العلوم ببيان منزلة علم الموسيقى من بينها، ولم يفته – في سياق تبرير الخوض في هذا الموضوع – أن يحيل إلى ما ذكره عضد الدين الإيجي في «المواقف» إذ قال: والعلوم متشعبة متكثرة، والإحاطة بجملتها متعسرة أو متعذرة، فلذلك افترق أهل العلم بين منقول ومعقول، وافترق حالهم ورجالهم في الترقى إلى مراتب العلوم⁽¹⁾ ومرد هذا الاختلاف في تصنيف العلوم إلى اختلاف طبيعة الموجودات، إذ «إن لكل شيء وجودات أربع: وجودا في البنان، ووجودا في اللسان، ووجودا في الأذهان، ووجودا في الأعيان»⁽²⁾.

1) أغاني السقا، ص. 4. انظر المواقف للإيجي، دار الجبل – بيروت 1417-1997 مجلد 1 ج 1 ص 20-21.

2) المصدر نفسه، ص. 5. انظر كشف الظنون لحاجي خليفة. ط وكالة المعارف أستانبول. ج. 1 ص 14.

وقد دأب العلماء على تقسيم العلوم إلى نظرية وعملية، وصنفوا النظرية في ثلاثة أقسام: علم إلهي، وعلم رياضي، وعلم طبيعي، ثم أضاف المسلمون إلى هذه الثلاثة قسماً رابعاً هو «علم المنطق» الذي كان أرسطو يعتبره مجرد آلة للعلوم النظرية أو بمثابة مقدمة لها.

وقد اعتبروا القسم الرياضي بمثابة «العلم الأوسط» لتوسطه بين العلم الأعلى - وهو الإلهي - والعلم الأدنى - وهو الطبيعي - متأثرين برأي أفلاطون⁽¹⁾. وينطلق ابن هيدور في تصنيفه للعلوم من حيث اعتبارها موجودات، فيقسمها إلى ثلاثة أقسام:

1. موجود يدرك وجوده بالحواس الخمس، وهو العلم الطبيعي كالطب، ومادته هي موضوعه.

2. موجود يدرك وجوده بالعقل فقط، وهو العلم الإلهي كالتوحيد.

3. موجود يدرك وجوده بالحواس والعقل، ولا يفتقر إلى مادة، وهو العلم الرياضي.

والعلوم الرياضية أربعة هي: علم الحساب، وعلم الهندسة، وعلم الهيئة، وعلم الموسيقى.

ولأن العلوم متعاونة ومترابطة كما يقول الغزالي⁽²⁾، فإن بعضها للبعض تباع على حد قول اليوسي⁽³⁾. وهكذا يفرض علم الحساب إلى علم الهيئة، إذ لا سبيل إلى معرفة المربع - مثلاً - بدون معرفة عدد أربعة، مثلما يفرض علم الهندسة إلى علم التنجيم لأن موضوع الهيئة حركات الأفلاك، ثم مثلما يفرض علم الهيئة

(1) أغاني السقا، ص 89-91. انظر ابن هيدور في تلخيص ابن البناء.

(2) الغزالي: إحياء علوم الدين. دار الفكر للطباعة والنشر ط 1. ج 1 الباب الخامس، ص: 52.

(3) أغاني السقا، ص 8.

إلى علم الموسيقى لأن حركات الأفلاك والنجوم لها ألحان ونغمات من علم الموسيقى، بل قيل إن علم الموسيقى مستنبط من حركات الأفلاك والنجوم. فلحركات الأفلاك نسبة هندسية تتحكم في الميزان الذي هو روح الموسيقى، وبه يحصل الطرب للروح، ذلك أن ائتلاف اللحن ومشاكلتها إنما هو باتفاق الأصوات في نسبة خاصة⁽¹⁾.

ويرتبط بهذا ما قاله قديما فيثاغورس: إني أسمع نغمات شهية وألحانا بهية من الحركات الفلكية، وتمكث تلك النغمات في خيالي وضميري⁽²⁾.

ونعود إلى علم الموسيقى - وهو رابع العلوم الرياضية - لنجد أنه - عند اليوسي - هو علم الأصوات، ويقال له علم النغم⁽³⁾. أما عند ابن هيدور فهو يتفرع إلى ثلاثة علوم هي: علم الآلات، وعلم الرقص، وعلم الغنج⁽⁴⁾.

- مقدمات علم الموسيقى

ألمّ التادلي في هذا القسم - كما سيتضح فيما يلي - ببيان «مقدمات علم الموسيقى» باعتبارها مما تجب معرفته وجوبا صناعيا، وهي: حقيقته أو حدّه، وموضوعه، وواضعه.

أما الحدّ ففائدته الإحاطة بجميع مسائل العلم إجمالا وضبطها على كثرتها إذ بتصوره يأمن فوات الطالب ما يريجه من تلك المسائل، كما يأمن

(1) أغاني السقا، ص 10 انظر تلخيص ابن البناء لابن هيدور، الورقة رقم 6.

(2) المصدر نفسه : ص 28.

(3) المصدر نفسه : ص 7 . انظر فهرست اليوسي . تقديم وتحقيق د. حميد حماني . دار العرفان للنشر - الدار البيضاء. ط1-1425/2004 ص 58-60.

(4) المصدر نفسه، ص 8-9.

ضياح الوقت فيما لا يعنيه بطلب ما هو أجنبي عنها. ولذلك قال سعد الدين التفتازاني في «شرح مقاصد الطالبين»: لا خفاء في أن حقيقة كل علم من الكلام وغيره تصورات وتصديقات كثيرة يطلب حصولها بأعيانها بطريق النظر والاستدلال.

وأما الموضوع فهو ما يقع به امتياز (تمييز) العلم المطلوب من غيره. وموضوع كل علم ما يبحث في ذلك العلم عن أعراضه الذاتية... كالأعداد في علم الحساب.

وأما الواضع فمعرفة ما له دخل في دواعي الإقبال. والمراد به من ابتكر قواعد العلم⁽¹⁾.

الباب الأول : 1- حقيقة علم الموسيقى ومباحثه

يأتي الباب الأول من كتاب التادلي حول حقيقة علم الموسيقى. وهو يعرف هذا العلم فيقول: هو علم يبحث فيه عن أحوال نغم الأصوات وأزمانها وأوزانها⁽²⁾. وقد جعله رابع أنواع العلم الرياضي بعد الهندسة والحساب والهيئة، وجعل من فروعه علم الآلات، وعلم الرقص، وعلم الغنج⁽³⁾.

وباعتبار أن علم الموسيقى يقوم على ركنين هما الشعر واللحن فإن له جهتين: إحداهما جهة النغمة الساذجة ونقر الآلة، وبها يعد من علم الفلسفة، والثانية جهة الشعر، وبها يعد من علم الأدب.

(1) الوزاني إدريس بن احمد: حاشية النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب لابن كيران ص 234-238-242-239.

(2) أغاني السقا. الباب الأول ص 14.

(3) المصدر نفسه، ص 9 نقلا عن ابن هيدور في «التمحيص في تلخيص ابن البناء» خ ح 2425 الورقة 6.

ويوافينا التادلي بتعريف علم الموسيقى عند بعض العلماء، فهو عند عبد الحميد اللاذقي: علم رياضي يبحث فيه عن أحوال النغم من حيث الاتفاق والتنافر، وأحوال الأزمنة المتخللة بين النقرات من حيث الوزن وعدمه⁽¹⁾. وهو عند ابن ساعد: علم تعرف منه النغم والإيقاع وأحوالها، وكيفية تأليف اللحن، وإيجاد الآلة الموسيقية⁽²⁾.

2- موضوع علم الموسيقى

يعرج التادلي في الباب الثاني من كتابه على «موضوع علم الموسيقى»، فيشير إلى أن مناحي النظر فيه تتعدد مثلما تتعدد أصناف الحرف والمهن. وعنده أن موضوع علم الموسيقى هو الأصوات إن أريد العموم، وإن أريد الخصوص تشعبت مناحي البحث واحتاج النظر فيها إلى تصنيف موضوعاتها كالأنغام الموزونة بالأزمان كالعدد، أو بالأشعار كبحر الطويل⁽³⁾.

وقد اقتضى كلام بعضهم أن علم الموسيقى إنما يبحث في الأزمنة التي تكون نقراتها منغمة أو ساذجة، والمراد بالنقرات الأصوات التي تقع في الأزمنة، وهي تارة منغمة كنقرات أوتار العود والحلوق المنغمة، وتارة ساذجة خالية من النغمة كصوت الرعد وصوت البارود⁽⁴⁾.

ويتحصل مما سبق أن الموسيقى علم عمل⁽⁵⁾.

(1) أغاني السقا، ص 14، نقلا عن كتاب «الرسالة الفتحية» بتصرف.

(2) المصدر نفسه، ص: 124.

(3) المصدر نفسه، ص: 16.

(4) المصدر نفسه، ص: 15.

(5) المصدر نفسه، ص: 59.

فأما من حيث أنها عمل فهي مركبة من حركة وسكون، وتكون الحركة فيها على نسبة معلومة هي ما يطلق عليه الميزان الذي يحصل به الطرب للنفس⁽¹⁾، وأداتا العمل: اليد والحلق. فأما اليد فبنقر آلة كالعود أو ندف أخرى كالطار، وأما الحلق فبغناء الأشعار على ألحان مقابلة لنقرات العود وندفات الطار⁽²⁾.

وأما من حيث أنها علم فهو يبحث في أحوال النغم، ويسمى علم التأليف⁽³⁾، وهو معرفة ماهية النسب وكيفية تأليف المختلف⁽⁴⁾، وتندرج تحته خمسة أقسام هي :

1. معرفة النقرات، وكيفية تألف الأصوات منها، وهي كالأسباب والأوتاد في العروض.

2. علم الإيقاع، وهو تنزيل الأصوات والنغمات على الآلات وطرق الضرب، ويرتبط بالأزمنة، وموضوعه «بُعد النقرات، وقربُها، وكيفُها من شدة وخفة، وكمُّها، وهو عدد النقرات من ثنائي وثلاثي وغيرهما، ويعرف كمها بالنسبة العددية»⁽⁵⁾.

3. علم النسبة، وهو معرفة مساواة أوتار العود ونحوه⁽⁶⁾، وهو علم قياس أوتار الآلات الموسيقية، ومثاله أن تعرف أن وتر البَم من آلة العود

(1) أغاني السقا، ص: 65.

(2) المصدر نفسه، ص: 68.

(3) المصدر نفسه، ص: 15.

(4) المصدر نفسه، ص: 74.

(5) الصواب: النسب الزمانية، كما جاء في رسالة الكندي «رسالة في أجزاء خبرية في الموسيقى» تح زكريا يوسف - بغداد 1962.

(6) أغاني السقا، ص: 68.

ستون طاقا (من الحرير)⁽¹⁾، وأن وتر المثنى⁽²⁾. ثمانية وأربعون طاقا. ويعرف هذا - عندنا - بتسوية الأوتار⁽³⁾.

4. تفكيك الدائرة.

5. التلحين «هو رد الأشعار إلى نغمة مخصوصة»، ويعني هذا أن تساوق الكلمات المنظومة الأنغام الموسيقية على نحو يتطابق فيه طرفا التلحين، وحتى تكون «نغمة الشعر بالفم مطابقة لنغمة العود باليد» فيبدو عزف العود وكأنه ترجيع صدى لغناء المنشد، مصداقا للمثل السائر حول هذه الآلة «إنه كما تقول يقول»⁽⁴⁾. ومن خلال هذا الكلام تتبين بجلاء سيادة الطبيعة المونودية للمسارات اللحنية في الألوان الموسيقية المغربية.

ويرتبط موضوع التلحين بأحوال النغم من مد الصوت، وقصره، وترجيعة، وتفخيمه وترقيقه، ورفعته وخفضه⁽⁵⁾.

3- واضع علم الموسيقى

وينتقل التادلي - في الباب الثالث من الكتاب - إلى واضع علم الموسيقى، فيذهب إلى القول بأن علوم الفلسفة - ومن بينها علم الموسيقى - أصلها الوحي المنزل على الأنبياء، إذ الإنسان عاجز عن إدراك أصولها الأول. والتادلي لا يستبعد أن يكون آدم عليه السلام واضع الموسيقى باعتبارها لغة تدخل ضمن

1) الصواب: أربع وستون. انظر ص: 73 من الكتاب.

2) الصواب: المثلث انظر ص: 73 من الكتاب.

3) أغاني السقا، ص: 65.

4) المصدر نفسه.

5) المصدر نفسه.

اللغات التي علّمه الخالق إياها مصداقا لقوله تعالى من سورة البقرة : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، كما لا يستبعد أن يكون النبي إدريس عليه السلام واضعها لما اشتهر أنه عند الفلاسفة والحكماء يسمى «المعلم الأول» حتى زعموا أنه هو «هرمس» الذي قال الله عز وجل عنه : ﴿بَلْ رَفَعَهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. ثم لما بعث داود عليه السلام نبيا وهبه الله حسن الصوت والنعمة معجزة في قوم غلب عليهم الطرب والموسيقى.

وقد تحقق وضع علم الموسيقى عبر مستويين أو مرحلتين:

- المستوى الأول عام. وفيه تم ابتكار القواعد العامة الضابطة لهذا الفن انطلاقا من رصد طرق الممارسة العملية، والتأمل في تناسب الأصوات، وصنع الآلات الموسيقية على أساس من التفكير العميق والفيض الإلهامي. وقد كان القصد من استنباط قواعد علم الموسيقى تأنيس الأرواح إلى عالم القدس، وليس مجرد اللهو والطرب، والصعود بالنفس البشرية الغريقة في الأبدان وبحور الضياع إلى عالم الروحانية ومقامات القدسية.

ويعزو التادلي - نقلا عن صاحب كشف الظنون - وضع علم الموسيقى في مستواه العام إلى حكماء اليونان، وفي مقدمتهم فيثاغورس⁽¹⁾، كما يذكر أنه حقق على يد العلماء المسلمين كثيرا من التطور، ومن هؤلاء عبد المومن الأرموي (ت 693هـ)، وعبد القادر بن غيبي الحافظ المراغي (ت 838هـ)⁽²⁾.

1) فيلسوف يوناني ولد عام 560 ق.م في جزيرة ساموس. طاف نحو عشرين عاما في بلدان المشرق اطلع فيها على كل ما كان معروفا في الرياضيات. عاد إلى مسقط رأسه، ولكنه سرعان ما غادره فرارا من حاكمه المستبد، فتوجه نحو جنوب إيطاليا. وهناك تعرف على رجل غني مولع بالرياضة والرياضيات، فوفر له ما ساعده على فتح مدرسة توافد عليها الطلبة من كل جهة. اهتم فيثاغور بالرياضيات والموسيقى، وكان يعتقد أن الكون يتألف من تمازج العدد بالنغم، وقد توفي عام 480 ق.م.

2) حاجي خليفة: كشف الظنون. مج 2 ص 1902-1903.

- أما المستوى الثاني فهو خاص، ويعني النظر في القواعد الخاصة بكل نمط من أنماط الموسيقى، وذلك من قبيل نوبات موسيقى «الآلة» الأربعة والعشرين⁽¹⁾.

- الصوت :

تنطوي كلمة «الصوت» على ثلاثة مفاهيم هي:

1) أداة الكلام والغناء، ويراد بها الحلوق البشرية التي تؤدي الكلام أو الغناء.

والسائد عرفا أن يختص لفظ «الصوت» بالإنسان، غير أنه يهتم الصوت الآدمي وصوت الآلة الموسيقية معا⁽²⁾. وذلك باعتبار الآلة بمنزلة الحلوق البشرية.

2) الصوت بمعنى الأثر المسموع الناتج عن تموج الهواء بين أداتين مرتطمتين: قارع ومقروع، وقد عرض التادلي لهذا المفهوم معتمدا على ما أورده الأنطاكي في كتاب «النزهة»، فقسم الصوت المسموع إلى قسمين: لفظ، وسادج.

- أما اللفظ فهو ما ركب من حروف الهجاء. وموضوعه علوم اللغة العربية الاثني عشر كالصرف والنحو والبيان. واللفظ عنده مفيد أو غير مفيد. والمفيد هو الكلام المنشور والشعر المنظوم وهو يناسب سائر القوى والملكات والغرائز⁽³⁾.

1) أغاني السقا، ص: 92.

2) المصدر نفسه.

3) المصدر نفسه، ص: 75.

- وأما الساذج فهو ما ليس مركبا من الحروف وهو نوعان: الأول صوت منكر، والثاني صوت مستلذ. والمستلذ نوعان: ثقيل يتأتى من قرع جسمين صلبين كحجر بحجر، وخفيف مشتمل على لحن صادر عن الحلق أو عن آلة موسيقية⁽¹⁾. والمستلذ هو ما شكل موضوع علم الموسيقى⁽²⁾، وهو بسائر أقسامه أشد لذة لرقته⁽³⁾ ولصدوره عن الفم أو عن الآلات الموسيقية المطربة.

ويكون الصوت المسموع ممتدا في الزمان إذا كان مصدره آلة جوفاء كالناي، فإن كان صادرا عن أداة صلبة كأوتار العود أو إحدى آلات النقر جف وقصر في الزمان⁽⁴⁾.

وقد عرض التادلي - نقلا عن تذكرة الأنطاكي - لموضوع يتعلق بالمفاضلة بين ما يصدر عن الآلات الموسيقية من جهة، وما يصدر عن أصوات النساء اللواتي بلغن الغاية في إتقان الغناء من جهة ثانية، فذكر أن بعض المنظرين ذهبوا إلى المساواة بين النوعين، فيما ذهب آخرون إلى تفضيل ما يصدر عن أصوات النساء واعتباره أعلى مرتبة. غير أن الظاهر يقتضي التفصيل: فإذا اتسع حجم الآلة الموسيقية وغلظ صوتها فضلتها أصوات النساء، وإن صغر حجم الآلة ورق صوت أوتارها كان العكس⁽⁵⁾.

3 الصوت بمعنى القطعة الغنائية، وهو مصطلح مشرقي اعتمده المشاركة قديما، وفي مقدمتهم أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني» الذي وضعه

1) أغاني السقا، ص: 76.

2) المصدر نفسه، ص: 50.

3) المصدر نفسه، ص: 75 - 76.

4) المصدر نفسه، ص: 70.

5) المصدر نفسه، ص: 76.

ليان واستعراض المائة الصوت المختارة على عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد.

وقد أشار التادلي إلى هذا المصطلح فقال، وأما الأصوات التي يذكرها القاضي أبو الفرج الأصبهاني في كتابه «الأغاني» وهو من نحو عشرين سفرا - فلعل المراد به كالمراد بطبوع الموسيقى⁽¹⁾ كقوله : صوت كذا، فهو كقول أهل الموسيقى : طبع الاستهلال... ولعلها المراد - أيضا - بالمزامير في قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري⁽²⁾... لا آلة الزمر المعروفة⁽³⁾.

الباب الثاني : النوبة - بنيتها ومكوناتها

- البنية

يعرف التادلي النوبة فيقول: لكل طبع من الطبوع الأربعة والعشرين ميازين خمسة، وهي: البسيط، والبطيحي، والدرج، والقائم ونصف، ثم القدام. ومجموع هذه الخمسة يقال لها نوبة⁽⁴⁾. والتادلي هنا يستخدم لفظ الطبع في التدليل على النوبة.

ويعتبر كتاب السقا أول مصدر مكتوب يعرف بالنوبة، وهو يدرج ميزان الدرج من بين ميازينها الأربعة الأصلية؛ وبذلك يكرس التوجه الفني الذي أقرته لجنة مراجعة كناش الحايك عام 1303هـ.

(1) يريد هنا مستعملات النوبات أي الصنعات.

(2) أشار إلى قول الرسول ﷺ لأبي موسى وقد سمعه يرتل القرآن: «لقد أوتيت مزاميرا من مزامير آل داود».

(3) أغاني السقا، ص: 42.

(4) المصدر نفسه، ص: 22.

ويضيف التادلي قائلاً: بعضهم يرتب النوبة كما ذكر، وهو الغالب عند مهرتهم في الليالي الكبار كليلة النبيتة^(*) في العرس الكبير. والغالب استعمالهم في تلك الليلة نوبة رمل المائة⁽¹⁾.

وعند إمعان النظر في هذا الترتيب يلاحظ أنه مباين للترتيب المتبع اليوم عند أجواق الموسيقى الأندلسية (البيسط . القائم ونصف - البطايحي - الدرج - القدام).

ويعقب التادلي على كلامه السابق فيذكر أن بعض أرباب الفن يتبعون ترتيباً آخر يقتضي توزيع ميازين النوبة الواحدة على فترات اليوم، ولاسيما في أيام النزّه، فيجعلون ميزانا من النوبة في الصباح، ثم الذي يليه عند الضحى، ثم الذي يليه عند الزوال إلى المغرب⁽²⁾.

وقد كان عدد النوبات - في الأصل - أربعة وعشرين بعدد الطبوع التي تقوم عليها، ثم حدث ما عرض بعض النوبات للانحلال والتفكك، فضاعت جل صناعاتها، وعمد المتأخرون إلى إدراج ما تبقى من صناعاتها النادرة في النوبات الباقية⁽³⁾، مراعين في ذلك تقارب نغماتها وتناسبها. ويقدم التادلي لعملية الإدماج مثلاً يتجلى في إلحاق ما تبقى من صناعات نوبة عرق عجم الضائعة في نوبة الاستهلال⁽⁴⁾.

* يراد بليلة النبيتة ليلة اليوم السابع لليلة الزفاف.

1) أغاني السقا، ص: 22.

2) في هذا النظام ما يذكر بنظرية توزيع النوبات الأربع والعشرين على عدد ساعات اليوم.

3) اصطلاح أهل الفن على تسمية الصناعات المدمجة بالصناعات اليتيمة.

4) المصدر نفسه، ص: 25.

ويعزو التادلي ندرة صنعات بعض النوبات إلى أحد أمرين، أولهما أن هذه النوبات كانت - منذ وضعها - قليلة الأشعار، وثانيهما قلة الاهتمام بحفظ صناعاتها والتوقف عن تداولها حتى لم يبق منها إلا القليل⁽¹⁾.

وقد أدى الإدماج إلى تقلص عدد النوبات من أربعة وعشرين إلى إحدى عشرة نوبة استقر العمل بها، على حد كلام التادلي، في حدود 1200هـ، وما قاربها إلى زمانه، أي 1302هـ.

وقد أكد الحايك هذا قبل التادلي بنحو قرن عندما قال: «ولما كانت الطبوع أربعة وعشرين جرت عادة أهل زماننا يستعملون إحدى عشرة نوبة، ويضيفون إلى كل نوبة ما يناسب نغمتها»⁽²⁾.

ويتعارض ما ذهب إليه الحايك والتادلي كلاهما مع ما في كتاب «إيقاد الشموع» لمحمد البوعصامي المتوفى حوالي عام 1150هـ⁽³⁾، الذي أكد أن أرباب طرب «الآلة» درجوا على إدماج الصنعات اليتيمة في النوبات الإحدى عشرة قبل العهد الإسماعيلي، أي قبل الحايك بما يزيد قليلا على قرن من الزمن.

(1) أغاني السقا، ص: 24.

(2) كناش الحايك. تحقيق ابن جلون. الحاج إدريس: التراث العربي بالمغرب في الموسيقى. مستعملات نوبات الطرب الأندلسي العربي. شعر - توشيح - أزجال - براول. دراسة وتنسيق وتصحيح كناش الحايك 1981.

(3) البوعصامي: هو محمد بن محمد البوعصامي: عاش في فترة تتراوح بين أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر، وبذلك يكون قد عاصر السلطان المولى إسماعيل (1082-1139هـ) وخدم ابنه المولى عبد الله (1139-1171) حيث كان من جملة شعرائه بعد بيعته الأولى عام 1441 وأنه كان حيا ما بين 1149 و1151. ترجمه محمد بن الطيب العلمي في كتابه «الأنيس المطرب» وكان أدبيا شاعرا وموسيقيًا. الف كتاب: إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع.

وقد قدم البوعصامي كنماذج للإدماج صنعات من طبعي رمل الذيل، والذيل أدمجت في نوبة العشاق، وأخرى من طبع المزموم أدمجت في نوبة الرصد⁽¹⁾.

ويشير التادلي إلى ظاهرة فنية دقيقة هي تداخل أكثر من طبع في الصنعة الواحدة، وهو يمثل لذلك بصنعة من بحر الكامل ذكر أنه تداخل فيها طبعان هما الصيكة، وعرق عرب، ومطلعها: (كامل)

يَا غَادِيَا نَحْوَ الْحَبِيبِ عَسَاكََا اِقْرَا السَّلَامَ إِذَا وَصَلْتَ هُنَاكَ

ومثل هذا التداخل واقع في عدة صنعات تجتمع فيها الخصوصيات المقامية لأكثر من طبع واحد، مما يجعل طبعها غامضة لا يكاد المستمع يطمئن إلى طبيعة ساللمها. ونتيجة إدماج الطبع في بعضها فقد أصبحت سبع نوبات من بين النوبات الإحدى عشرة تحتضن طبعين أو أكثر، ثم أطلق على كل واحدة منها اسم طبع معين. أما النوبات الأربع الباقية فقد احتفظت بأسماء طبعها.

وفيما يلي بيان ذلك:

1. ألحق بنوبة رمل المائة ثلاثة طبع هي: الحسين، وانقلاب الرمل، وحمدان، وسميت نوبة رمل المائة.
2. ألحق بنوبة الأصبهان طبع واحد هو الزور كند، وسميت نوبة الاصبهان.
3. ألحق بنوبة الاستهلال طبع واحد هو عراق العرب، وسميت الاستهلال.

(1) محمد البوعصامي: إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبع. مخ خ الحسنية الرباط رقم 11333. تحقيق عبد العزيز ابن عبد الجليل. منش. أكاديمية المملكة المغربية. سلسلة التراث 1995. ص: 117 و154.

4. ألحق بنوبة الرصد ثلاثة طبوع هي الزيدان، والحصار، والمزموم، وسميت نوبة الرصد.
5. ألحق بنوبة غريبة الحسين طبع واحد هو الغريبة المحررة. وسميت نوبة غريبة الحسين.
6. ألحق بنوبة الحجاز الكبير طبعان هما المشرقي الصغير، ومُجَنَّب الذيل. وسميت نوبة الحجاز الكبير.
7. ألحق بنوبة العشاق طبعان هما الذيل، ورمل الذيل، وسميت نوبة العشاق.
8. نوبة المائة: لم يلحق بها أي طبع.
9. نوبة رصد الذيل: لم يلحق بها أي طبع.
10. نوبة الحجاز المشرقي: لم يلحق بها أي طبع.
11. نوبة عراق العجم: لم يلحق بها أي طبع.

وفي ضوء هذا الترتيب الجديد للنوبات أفرد التادلي لكل واحدة منها بابا خاصا، ذكر فيه طبعها الرئيسي، والطبوع المدمجة فيها، ونسبتها إلى الطبوع الأصول، وبيان خصائصها النغمية وآثارها النفسية، ثم ردها إلى مستنبتها، وأردف ذلك بذكر إنشاداتها، وهو إلى ذلك يقدم أمثلة من الصنعات المستعملة في ميازينها، غير أنه - بخصوص هذا الموضوع - ركز على ميزان البسيط في سائر النوبات، باستثناء نوبة المائة التي مثل لها بصنعات من ميزاني الدرج والقدام.

1) نوبة رمل المائة:

لرمل المائة نفقتان، صغيرة وكبيرة.

- فالصغيرة هي التي يعرفها المتوسطون في هذا العلم، وتصديرها في ميزان البسيط هو: (مجث)

عَرُوسُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِفْتَاحُ بَابِ الْفَلَاحِ⁽¹⁾

هذه الصنعة من بحر المجث، وهي مشغولة بالترتين، وعدد أدوارها ما بين 12 و14 دوراً⁽²⁾.

والنفقة الكبيرة لا يعرفها إلا المهرة منهم، وتصديرتها:

«صَلُّوا يَا عَبَّادُ»⁽³⁾

وهي صنعة من بحر الطويل، مشغولة بالترتين، وقوامها بيتان، أدوار كل منهما 37⁽⁴⁾.

2) نوبة الأصبهان:

هي نوبة ذات طبع واحد. ومما يستعمل في بسيط هذه النوبة صنعة مطلعها:

الْفَلَكَ فِيكَ يَدُورُ وَيُضِيءُ وَيَلْمَعُ

وهي صنعة كبيرة⁽⁵⁾، عبارة عن توشيح من بحر المتدارك، مشغولة، عدد أدوار دخولها 18، وكرسيها 24.

1) أغاني السقا، ص: 30.

2) كناش الحايك، المرجع السابق، ص: 42 - 43.

3) أغاني السقا، ص: 30.

4) كناش الحايك، المرجع السابق، ص: 42.

5) أغاني السقا، ص: 31.

3) نوبة المائة:

مثل التادلي لهذه النوبة بصنعتين: الأولى من ميزان الدرج، وهي عبارة عن برولة ملحونة مطلعها:

غَدَّرْ طَاسُتِي يَا سَاقِي وَأَمْلَاهَا نَعْنَمُ عُشِيَّتِي نَتْسَلَاً

والثانية من ميزان انصراف القدام وأولها:

شَمَشُ الْعِشِي قَدْ غَرَّيْتُ وَأَسْتَعْرَبْتُ عَيْنِي مِنَ الْفُرْقَا⁽¹⁾

طبع المائة



4) نوبة رصد الذيل :

هي نوبة وحيدة الطبع، غير أن بعضهم يشركها مع المائة، والصواب إفرادها⁽²⁾. ووجه الإشراف أن طبعي المائة ورصد الذيل يستقران على درجة واحدة هي نغمة الذيل (ضو)، وأن دليل المقام في كليهما خال من أية علامة للتحويل مما يجعلهما شبيهين بمقام «ضو الكبير»، لولا خفض درجة سي في المائة عند نزول لحن الجملة نحو القرار، ثم لولا استقرار كثير من ألحان نفس النوبة على الدرجة الثالثة (مي) بدل نغمة القرار.

1) أغاني السقا، ص: 31.

2) المصدر نفسه، ص: 32-33.

طبع رصد الذيل



ويقدم التادلي الترتيب الجديد الذي أصبحت عليه صناعات بسيط نوبة رصد الذيل في عهده، وهو يمهد لذلك بقوله: «إن العمل اليوم وقبله بفاس على ترتيب آخر غير الذي عليه ترتيب الحايك في كتابه»⁽¹⁾.

ومعلوم - كما ذكرنا آنفا - أن التادلي عاصر حدث مراجعة كناش الحايك الذي دعا إليه الوزير محمد بن العربي الجامعي سنة 1303هـ، وهو الحدث الذي ذكرنا أن التادلي ربما كان من المشاركين فيه.

وعند مقابلة الترتيب الجديد بما هو عليه واقع الممارسة لدى الأجواق اليوم تتبين جملة من الملاحظات منها:

- احتواء ميزان بسيط رصد الذيل - عند التادلي - على 12 صنعة، بينما عددها في تحقيق الحايك لابن جلون 16 صنعة، ومثلها في مجموع «من وحي الرباب» الذي أخرجه الحاج عبد الكريم الرايس.

- الاختلاف الواقع بين المصدرين الأخيرين وبين جدول التادلي يعكس التجاء كل من ابن جلون والرايس إلى استعادة بعض الصناعات التي سبق للجنة الوزير الجامعي أن استغنت عنها. ويدل على ذلك وجود أربع من هذه الصنائع ضمن نسخة الحايك التي انتهت إلى ورثة الرقيواق الطنجي.

(1) أغاني السقا، ص: 33.

- شملت عملية استعادة الصنعات اللجوء - أيضا - إلى استكمال أبيات صنعتين اثنتين سبق للجنة الوزير الجامعي أن ألغت دخولهما، والصنعتان هما:

1- ألا يَا عَشِيَّه: صنعة سباعية الأبيات في الأصل، وردت عند التادلي في خمسة أبيات لا غير، حيث حُذِف دخولها⁽¹⁾ من بيتين هما:

شَمْسَ النَّهَارِ مَا تَصَبَّرُ
عَلَى الثَّمَارِ حِينَ تَصْفَرُ

وبحذفهما تتغير البنية اللحنية للصنعة، فتصبح أبياتها الثلاثة الأولى على لحن آ، وبيتها الرابع تغطية على لحن ب، وبيتها الخامس على لحن أ.

2- شَمْلِي اجْتَمَعُ : وهي أيضا سباعية أولها:

يَا قَلْبِي بُشْرَى هَنِيَّه شَمْلِي اجْتَمَعُ بِحَبِيبِي
وَحِبِّي اعْطَفَ عَلَيَّ غَيْطًا لِكُلِّ رَقِيبِ

وهي عند التادلي خماسية بعد حذف دخولها. وأولها :

شَمْلِي اجْتَمَعُ بِحَبِيبِي غَيْطًا لِكُلِّ عَاذُولُ

وينطبق عليها ما ينطبق على الصنعة السابقة.

ونثبت فيما يلي جدولاً ببيان الترتيب الحديد لصنعات بسيط رصد الذيل مع مقارنته بما هو في كتاب «من وحي الرباب» للحاج عبد الكريم الرايس، وفي مدونة يونس الشامي برواية لبزور التازي، وفي تحقيق الحاج إدريس ابن جلون لكناش الحايك، وفي نسخة الحايك لدى ورثة الرقيواق الطنجي.

(1) يراد بالدخول في الصنعة السباعية بيتها الأولان.

ورثة الرقبواق	ابن جلون	الشامي	الرايس	التادلي	الصنعات
1	1	1	1	1	عُجْ بِالْحَمَى
5	3	2	3	2	قُمْ يَا أَخِي
	4	5	4	3	إِنْ أَحْسَنُوا
	3	3	2	4	نَكْتَبُ كِتَابَ
4	7	6	7	5	مَالَتِ الشَّمْسُ
	6	7	6	6	أَلَا يَا عَشِيهِ
	9	9	9	7	مَنْ يَقُولُ لَكَ
10	10	10	10	8	قُمْ يَا حَبِيبِي
	13	13		9	شَمَلِي اجْتَمَعُ
11	14	15	13	10	لِكُلِّ مَنْ هُوَ عَاقِلٌ
	-	-	-	11	أَوْقَدْتَ فِي قَلْبِي هَوَاكَ
	-	-	-	12	أَلَا يَا رَقِيبَ
	5	4	-	-	تَبِيهَتِّي بَيْنَ الْأَنَامِ
6	8	8	8	-	أَنَا بِالْأَفْرَاحِ
8	11	11	11	-	لَا تَسْأَلَنَّ النَّسِيمَ
13	12	14	-	-	يَا نَاصِحاً رَامَ
9	15	12	15	-	سُبْحَانَ رَبِّي الْمُقْتَدِرِ
	16	16	16	-	سِرِّكَ هُوَ سِرِّكَ

5) نوبة الاستهلال :

يقول التادلي: «وطبع الاستهلال خارج عن الشجرة ... وهو من الطبوع المجهولة»⁽¹⁾، ولعله يقصد بخروج هذا الطبع عن شجرة طبوع الموسيقى الأندلسية أنه يعتبر من الطبوع المستحدثة بالمغرب، وليس من التي تأسست عليها الشجرة قديما، فهو منسوب إلى فنان من أهل فاس يرجع عهده - حسب أقوى الروايات - إلى عهد السعديين أواسط القرن العاشره /16م⁽²⁾.

يلحق بهذه النوبة صنائع نوبة عراق العرب الضائعة. ومن صنائعها الكبار في البسيط «العود قد ترنم»، وهي صنعة لا توجد بفاس إلا عند بعض المعلمين الكبار...»⁽³⁾.

6) نوبة الرصد :

يقول التادلي: «كثيرا ما يقع الخلط بينه وبين الحصار»⁽⁴⁾، ونحسب أن الخلط ناتج - أحيانا - عن تشابه النسيج اللحني في بعض صنعات النوبتين بسبب ارتكاز الطبعين على درجتي القرار (ري) والمسيطر (لا)، لولا أن الرصد ذو طبيعة خماسية تغيب فيه الدرجة الثالثة (فا)، وأن الدرجة السادسة من سلم الحصار تعترضها عند نزول اللحن علامة الخفض (سى بيمول).

1) أغاني السقا، ص: 79.

2) عبد العزيز ابن عبد الجليل: مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، مط. النجاح الجديدة، ط. 2000 الدار البيضاء، ص: 103.

3) كتاب السقا، ص: 79.

4) المصدر نفسه، ص: 80.

طبع الرصد



طبع الحصار



7) نوبة غربية الحسين:

تضم هذه النوبة - إلى جانب طبع غربية الحسين - كلا من طبع الغربية المحررة والصيكة، وقد مثل التادلي للغربية المحررة بصنعة موسعة أولها:

يَا غَيْرِيَّ عَلَّمَ الْقَلْبَ الْغَرَارَ وَنَفُورًا عَلَّمَ الظَّبْيَ النَّفَارَ

وواقع الممارسة اليوم يقيم هذه الصنعة على طبع الصيكة، وليس على الغربية المحررة⁽¹⁾.

8) نوبة الحجاز الكبير:

ذكر التادلي أنه لا يوجد هذا الطبع عند المشاركة، وأن بعضهم يزعم أنه هو الزيدان. ورفعا للالتباس فإن هذا الطبع مستعمل في الجزائر تحت اسم الزيدان، وهي تسمية تذكر بأحد الطبوع الأصول الذي يتفرع عنه طبع الحجاز الكبير.

1) كناش الحايك، المصدر السابق، ص: 192.

9) نوبة الحجاز المشرقي:

يقول التادلي نقلا عن الحايك: الحجاز المشرقي فرع من المزموم، مركب من حمدان والحسين، وبينه وبين المحررة مناسبة كانقلاب الرمل⁽¹⁾.

وقد تنبه ابن جلون إلى أن الطبع فرع من الزيدان لا من المزموم، وأن الأمر التبس على الحايك بين هذا الطبع وبين المشرقي الصغير الذي هو فرع من المزموم⁽²⁾.

10) نوبة عراق العجم:

نقل التادلي عن الحايك أن هذا الطبع خارج عن الشجرة، واختلف فيه هل هو من الأصول الأربعة أو الفروع⁽³⁾.

ولا وجه للصواب في هذا الكلام، فعراق العجم من صميم شجرة الطبع؛ وقد أشار التادلي إلى تصديرة بسيطة النوبة، وهي عنده توشيح أوله: حَفِظَ اللهُ لَيْلَنَا وَرَعَى. ويجب التنبيه هنا إلى أمرين:

- الأول: أن تصديرة البسيط في سائر نسخ الحايك من الطويل، وهي ذاتها تصديرة بسيطة نوبة رمل المائة الشهيرة:

صَلُّوا يَا عِبَادَ دَائِمٍ عَلَى أَشْرَفِ الْوَرَى

- ثانيا: أن التوشيح المذكور مبتور. وأوله في نسخ الحايك:

رَبِّ لَيْلٍ ظَفِرْتُ بِالْبَدْرِ وَنُجُومُ السَّمَاءِ لَمْ تَدُرْ

1) أغاني السقا، ص: 83.

2) كناش الحايك، ص: 28.

3) أغاني السقا، ص: 83.

ولعل هذا البتر أن يكون من أعمال لجنة الوزير الجامعي، ودليل ذلك وجود أبياته - كما هي عند التادلي - في مجموع «من وحي الرباب» الذي أنجزه الحاج عبد الكريم الرايس⁽¹⁾ وصورته فيه:

رَبِّ لَيْلٍ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ وَنَجُومُ السَّمَاءِ لَمْ تَدْرِ
حَفِظَ اللَّهُ لَيْلَنَا وَرَعَى
أَيُّ شَمْلٍ لَنَا قَدْ اجْتَمَعَا
غَفَلَ الدَّهْرُ وَالرَّقِيبُ مَعَا
لَيْتَ نَهَرَ النَّهَارِ لَمْ يَجْرِ حَكَمَ اللَّهُ عَلَى الْفَجْرِ⁽²⁾

11) نوبة العشاق:

يقول التادلي عن طبع العشاق: كثيرا ما يستعمل فيه أهل الأندلس الأزجال. وقد راجعت تحقيق ابن جلون للحايك، ومجموع الحاج عبد الكريم الرايس، فوجدت في الأول اثنين وعشرين زجلا نصفها في ميزان البطايحي، ووجدت في الثاني ستة عشر زجلا، عشرة منها في البطايحي أيضا.

وقد ساق التادلي سبع صناعات من ميزان البسيط على غير ترتيبها في مجموع الرايس.

ويضاف إلى هذا انقطاع العمل اليوم بزجل أوله⁽³⁾.

الصُّبْحُ قَدْ بَانَ وَصَافِحَ الْبَانَ
الصُّبْحُ بَادِي بِالْيُمْنِ بَادِي

وهو طويل.

(1) مجموع «من وحي الرباب» جمع وتنسيق الحاج عبد الكريم الرايس. هو ذاته مختصر الحايك الذي أنجزته لجنة الوزير الجامعي.

(2) المرجع نفسه، ص: 307.

(3) أغاني السقا، ص: 87.

مكونات النوبة:

تقوم النوبة في موسيقى «الألة» على خمسة أقسام يدعى الواحد منها «ميزاناً». ويقوم الميزان على مكونين أساسيين: المكون الغنائي، والمكون الآلي.

1) المكون الغنائي: نوعان

- الأول يتمثل في المقطوعات الشعرية المغناة على طبع الموسيقى الأندلسية، وتدرج هذه المقطوعات تحت ثلاثة أنماط من النظم هي:

أ- الشعر: يراد به ما كان على البحور العروضية الخمسة عشر، وغالبه عند التادلي بيتان من الطويل أو من الخفيف أو من غيرهما، ويسمى «شغلاً». ومنه صنعة من بسيط العشاق أولها (بسيط).

قُمْ يَا خَلِيلِي إِلَى اللَّذَاتِ وَالطَّرَبِ لَا صَبْرَ لِي عَنْ بَنَاتِ الْكَرْمِ وَالْعِنَبِ⁽¹⁾

ب- الزجل: هو عند التادلي - ما كان من المخمسات والمربعات، وجملة غير موزون، بل ملحون⁽²⁾، وقد أسماه: عروبي، أو عذراوي.

وقد مثل المؤلف للزجل بصنعتين، مطلع أولهما:

أَيَا مُنَادٍ بِالْحَمَى هَيَّجْتُمُونِي هَيَّامَا

ومطلع الثانية⁽³⁾

وَنَشْكُرُ ذَا الْمَقَامِ نَعَمَ الْكَرِيمُ
يَتُوبُ عَلَيْنَا إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمُ

1) أغاني السقا، ص: 23.

2) من اللحن بمعنى كسر القاعدة النحوية.

3) أغاني السقا، ص: 23. والصنعة من قدام نوبة العشاق.

كما مثل للعدراوي بصنعتين تستعمل أولاهما من الصبوحى في نوبة العشاق مطلعها :

فَاحِ الْوَرْدِ وَالسُّوسَانَ مَابَيْنَ الْغُصَّانِ وَرَشُّ النَّدَا الرَّيْحَانَ

فَقُمْ يَا نَدِيمَ عَجَلَانَ تَرَى الصُّبْحَ بَانَ⁽¹⁾

و تستعمل الثانية في درج المائة، أولها⁽²⁾

غَدْرُ طَاسُتِي يَا سَاقِي وَأَمَلَاهَا نَغْنَمَ عُشِيَّتِي نَتَسَلَّأ⁽³⁾

ج- الموشح: ثالث أنماط النظم في الميزان، لم يرد في المخطوط تعريفه. ولعل ذلك من أثر البياض في الصفحة، وقد مثل له التادلي بصنعة أولها:

إِنْ شِئْتِ أَنْ تَقْرَبِ قَرَبَ الْوِصَالِ

هِمْ فِي الْهَوَى الْمَحْبُوبِ وَلَا تُبَالِ⁽⁴⁾

- الصنعة:

وتندرج المنظومة المغناة - مهما كان نمط نظمها شعرا أو زجلا أو توشيحاً - تحت اسم «الصنعة»، غير أن التادلي يشترط أن تكون كثيرة الأدوار،

(1) أغاني السقا، ص: 23.

(2) يقابل لفظ «العدراوي» اليوم مصطلح «البرولة». وهي مقطوعة نظمت بلهجة عامة المغرب كنظم الشعر المعروف بالملحون. وقد تسربت إلى ديوان «الآلة» الأندلسية عن طريق الزاوية، لتصبح رابع أنماط النظم في أشعار «الآلة».

(3) أغاني السقا، ص: 32. والبيت - في مستعملات اليوم - أحد أبيات برولة أولها:

اصفرت العشي ما أبدع حسن أبهاها اكسات الرياض بحالاً

انظر: كناش الحايك، المصدر السابق، ص: 93.

(4) المصدر نفسه، ص: 23.

فيقول: إن الشعر - كان شغلا أو غيره كالزجل - إذا كثرت أدواره يسمى عندهم «صنعة». وهو يمثل لذلك بصنعة من بحر الخفيف واردة حسب قوله في نوبتي الاستهلال والحجاز الكبير أولها⁽¹⁾.

مَنْ رَسُولِي إِلَيْكَ يَا نُورَ عَيْنِي الْهَوَى حَالَ بَيْنَ صَبْرِي وَبَيْنِي

وقد ذكر أن عدد أدوار البيت فيها نحو ستين كان يحفظها كلها في زمن الشباب. وقد راجعت نسخ الحايك فوجدت الصنعة في بسيط الاستهلال دون نوبة الحجاز الكبير. أما عدد أدوار البيت فهو 46 في نسخة الرقيواق الطنجي⁽²⁾ و54 في النسخة التي حققها الحاج إدريس ابن جلون⁽³⁾.

- النوع الثاني من المكوّن الغنائي هو ما يطلق عليه «الإنشاد». ويراد به بيتان من الشعر العروضي الموزون يؤديهما مغنٌ منفرد يُختار من بين أجود المنشدين على نغمات حرة الإيقاع لا يقيدتها وزن معين.

والإنشادات نوعان، إنشادات الطبوع، وإنشادات النوبات. وفيما تأتي إنشادات النوبات قائمة على مختلف البحور الخليلية، فإن سائر إنشادات الطبوع لا تخرج عن بحر واحد هو الطويل، فضلا عن ملامستها لموضوع واحد هو الإشادة بالطبوع التي تشاد عليها النوبات، والتعريف بطبيعتها. ومن ثم فإن قفلات جملها اللحنية تركز على الدرجات الأساسية للطبوع الموسيقية.

ولكل طبع من طبوع النوبات الإحدى عشرة - بنوعها الأصلية والملحقة - إنشاد خاص، عمل التادلي على ذكره عند تقديم النوبة. وسندرج الإنشادات التي أوردتها التادلي في كتابه ضمن ملاحق التحقيق.

(1) أغاني السقا، ص: 24.

(2) نسخة ورثة الرقيواق الطنجي، ص: 61.

(3) كناش الحايك، المرجع السابق، ص: 125.

ونعود إلى إنشاد النوبة لنضيف أنه يغلب عليه مصطلح «البيتين»، وجمعه «بيتينات». ويراد بهذا المصطلح غناء بيت واحد أو بيتين من الشعر الفصيح الموزون.

ويبدو أنه كان لكل نوبة إنشادها، ثم ضاع جل هذه الإنشادات. ويوافينا التادلي بنموذج واحد هو إنشاد حمدان، فيذكر أنه ينشد غالباً في نوبة الأصبهان. وأوله: (طويل)

فياربّ بالخلّ الحبيب محمّد⁽¹⁾

- المكون الآلي:

نريد بالمكوّن الآلي المعزوفات الآلية الساذجة الخالية من القول؛ وهي ما أسماه التادلي «التواشي». والتوشية عبارة عن معزوفة موزونة خفيفة الحركة يُمَهَّدُ بها - في العادة - لغناء صناعات الميزان. وفي هذا يقول التادلي: «إن كل طبع أراد المعلم⁽²⁾ أن يستعمله للناس لا بد أن يقدمه تواشي بلا شعر، بل بضرب الماعون⁽³⁾ فقط⁽⁴⁾».

ويعتبر عزف التواشي مجالاً لتفاضل أرباب الصناعة، فيها «يتفاضل المعلمون، فالماهر من عنده ثلاث تواشي فأكثر، كل توشية يطول زمانها بسماع الأوتار فقط، ثم يردفها أخرى في نمط آخر»⁽⁵⁾.

1) أغاني السقا، ص: 31.

2) ينطق هذا اللفظ بين العامة «لَمَعَلَم». ويراد به الماهر في الصناعة.

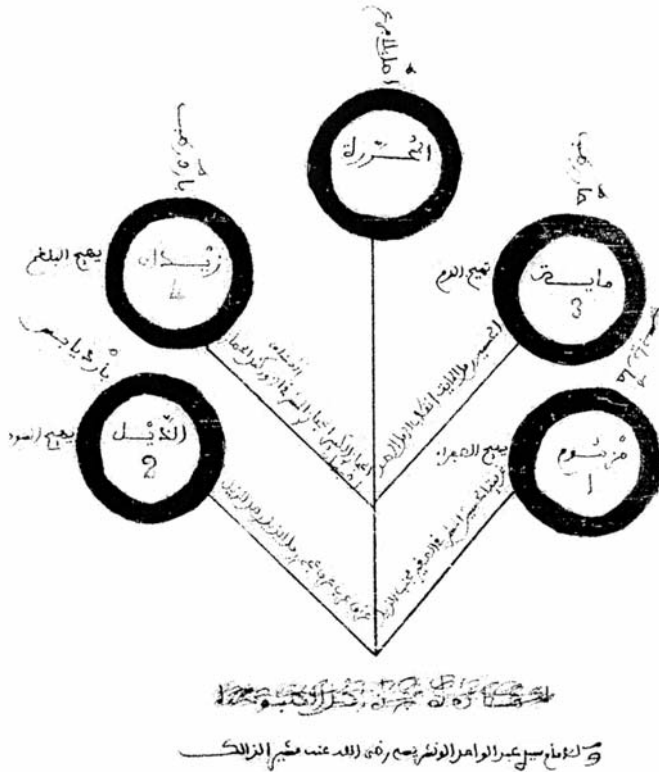
3) يراد بهذا اللفظ الآلات الموسيقية كالعود والطر.

4) أغاني السقا، ص: 84.

5) المصدر نفسه.

ويحدد التادلي وظيفة التواشي فيقول: «كل ذلك مقدمات وإعلامات بالطبع الذي يستعمل قبل الشروع فيه (أي في غناء الصنعات) كبراعة الاستهلال في علم البيان التي تخبر أول التأليف بمقصوده»⁽¹⁾.

ولقد كان من عادة أصحاب الفن أن يراوحوها بين التواشي وغناء الإنشادات الفردية، فيبدأ بعمل التواشي، ثم يختم بالإنشاد، أو يقدم غناء الإنشاد على عمل التواشي، كل ذلك قبل أن يشرع الجوق بكامله في «العمل مع القول» أي في أداء الصنعات عزفا وغناء⁽²⁾.



رسم لشجرة الطبوع من مخطوطة المكتبة الوطنية رقم 3285 د

(1) أغاني السقا، ص 84.

(2) المصدر نفسه.

الباب الثالث : الطبوع وعلاقتها بالطبائع

تحدث التادلي عن «النغم» في أكثر من موضع، وقد نقل عن كتاب «المصباح» تعريفه فقال: «النغمة مركبة من كلام وسكون»⁽¹⁾ كما نقل عن الزرقاني على المواهب في بحث إعجاز القرآن أن النغمة والصوت عرض قائم بالجوهر الذي هو الهواء، وأن النغمة نوع من الصوت⁽²⁾.

ويحيلنا الحديث عن النغم إلى التطرق لموضوع «الطبوع» الموسيقية.

مفهوم الطبع عند التادلي:

يستعمل التادلي مصطلح «الطبع» فيما يدل على ثلاثة مفاهيم:

- **المفهوم الأول:** يعني «المقطوعة الغنائية»، وهو ما يقابل مصطلح «الصوت» في كتاب الأغاني للأصبهاني. وقد مثل لذلك بمزامير داود عليه السلام التي يقال إنها اثنان وسبعون مزمارة⁽³⁾.

- **المفهوم الثاني:** هو ما يقابل مصطلح «المقام» في المعجم الموسيقي الشرقي، وهو الترتيب النغمي الذي يحدد طبيعة تركيب السلم الموسيقي. وقد استخدم المؤلف هذا المفهوم عند استعراضه لتعدد الطبوع المستعملة في ألوان الموسيقى المغربية كغناء جباله، وطرب الملحون⁽⁴⁾، أو استعراضه أسماء المقامات المشرقية التي لم تناسب شجرة طبوع الموسيقى الأندلسية على نحو ما سنبينه لاحقاً، وكذا عند بيان طبوع النوبات الإحدى عشرة.

(1) أغاني السقا، ص: 14 - 15.

(2) المصدر نفسه، ص: 15.

(3) المصدر نفسه، ص: 16 و 42.

(4) المصدر نفسه، ص: 17.

- **المفهوم الثالث:** بمعنى النوبة، وفيه يقول عن النوبات: ولما كان بعض الطبوع المذكورة قليل الأشعار والأشغال.... ضموا بعضها لبعض⁽¹⁾، وهو هنا يشير إلى النوبات التي ضاعت أشعارها ولم يبق منها غير صناعات قليلة، فضمت هذه الصناعات إلى نوبات أخرى⁽²⁾.

ويزيد في تكريس هذا المفهوم عند التادلي تعريفه للنوبة بالطبع. من ذلك قوله في أول «الباب الرابع في النوبة الأولى»: «وهي طبع الحسين، ورمل المائة، وانقلاب الرمل، وحمدان»⁽³⁾.

ومضمون هذا الكلام أن النوبة الأولى هي مجموع الصناعات التي تغنى على الطبوع الأربعة المذكورة.

ونخلص بعد التصنيف الذي ذكرناه لمفاهيم مصطلح «الطبع» عند التادلي إلى ضرورة أن يتحرى القارئ في فهم سياق النص حتى يأمن من الوقوع في أي التباس أو تأويل من شأنهما أن يسيئا إلى فهم معناه.

والطبوع عند التادلي بفهومها النغمي كثيرة ومتنوعة، تختلف باختلاف الأقاليم والأجناس، وهو يستعرض بعض أنواعها في الباب الثاني من كتابه⁽⁴⁾ فيذكر:

- طبوع بلاد الجبل في الشمال الغربي من البلاد - وهي عماد أغاني جباله «السائدة في هذه المنطقة، وينوه بها التادلي فيقول: هي معادن الموسيقى والطرب.

(1) أغاني السقا، ص: 24.

(2) المصدر نفسه، ص: 24 - 25.

(3) المصدر نفسه، ص: 29.

(4) المصدر نفسه، الباب الثاني، ص: 17 - 18.

- طبوع أهل «لڭريحة». وهم شيوخ طرب الملحون.
 - طبوع أهل طنبور العسكر. ويراد بذلك جوق الخمسة والخمسين.
 - طبوع الطوائف الدينية كطائفة عيساوة التابعة لطريقة الشيخ محمد بن الهادي بن عيسى دفين مكناس. أو كالتوائفة الصادقية.
 - طبوع أهل سوس في منطقة سوس بالمغرب. ويراد بها الطبوع المنضوية في منظومة المقام الخماسي. وشبيهه بطبوع أهل سوس ما أسماه «طبوع السودان» ويريد بهم طوائف گناوة، ذات الأصول الزنجية المنحدرة مما وراء نهري النيجر والسنغال.
 - طبوع أهل الطبل والغيط. وهم فرق الطبالين والغياطين التي اشتهرت بفاس على عهد المؤلف. ويستعرض التادلي أسماء الطبوع عند هذه الفرق فتأتي وكأنما هي عناوين لبرنامج موسيقي يتشكل من سلسلة من المعزوفات على الغيطات، تحمل أسماء تركية نعتقد أنها تعكس بعضا من وجوه تأثير الموسيقى العثمانية في بعض أصناف الموسيقى الشعبية بالمغرب - والدولة العثمانية يومئذ على خط الحدود المغربية الجزائرية - والتي نعتقد أنها تسربت إليها بواسطة آلة الغيطة النفخية. وأسماء هذه الطبوع هي رأس النوبة - بُشراف - خلط - رواني - اسماحيل (لعلها إسماعيل)، تركي - تركي مغلوق - تركي بالزوائد - حربي⁽¹⁾.
- والواقع أنه كان لاستيلاء الدولة العثمانية في القرن السادس عشر على تونس والجزائر ما ساعد على تسرب بعض خصوصيات الموسيقى التركية إلى المغرب والتي كان من بين ظواهرها ما نقلناه - أنفا - عن إبراهيم التادلي.

(1) انقطع استعمال هذه المصطلحات في أوساط مستعملي الغيطة اليوم.

وقد استمر التأثير العثماني في مجال الموسيقى قائما بالمغرب حتى بعد احتلال الجزائر عام 1830/1246 من طرف الجيوش الفرنسية وإبعاد الديات عنها، وذلك بسبب نزوح فلول من الجزائريين إلى المغرب وإقطاعهم مناطق لإيوائهم من لدن الدولة الحاكمة.

ولقد كان من مظاهر التأثير المشرقي - أيضا - تسرب مجموعة من المقامات العربية المشرقية إلى الأوساط الفنية بالمغرب، وهي مقامات نعتها التادلي بأنها «غير مشهورة»، وأنها «كلها أو جلها أسماء عجمية لا تحقيق عندنا بضبطها ولا بألحانها، بل هي مجهولة الاسم والمسمى»⁽¹⁾.

ومثل هذا الكلام جاء على لسان محمد بن الحسين الحايك في كناشه الموضوع عام 1214هـ/1800م عندما قال في صدد هذه المقامات: «إنها لم تناسب مجموع النوبات الأندلسية»⁽²⁾، وعلة ذلك تباين التركيب النغمي في سلم الطبوع المغربية الأندلسية مع نظائرها في سلم المقامات المشرقية التي تحتضن في ثناياها أرباع النغمات.

أما المقامات المعنية هنا فهي: الحركة - الرهاوي - الجناوي - دوبيت - الغريب - السراج - المسروق - الراسات - الصيكة - البنجكة - الدوكة - العراق - الكردانية (وتسمى الماهور) أبو سليق - زيرفكند - الصبا - المحسنة - الركب - البياتي - النيرز - الشهناز - أوج السيكة - أوج العراق - الزنكلة - عشيران العجم.

وهذه المقامات هي التي عنها التادلي بـ «طبوع أهل مصر والشام، والحرمين»⁽³⁾.

(1) أغاني السقا، الباب الثاني، ص: 18.

(2) كناش الحايك، المرجع السابق. المقدمة.

(3) أغاني السقا، ص: 17.

ويتابع التادلي سرد أصناف الطبوع فيذكر «طبوع أهل الروم»، وهو هنا يقصد السلم الكبير والسلم الصغير Gammes majeures et mineures.

طبوع الموسيقى الأندلسية

ويختتم هذا السرد باستعراض أسماء طبوع الموسيقى الأندلسية، وهي التي وصفها «بالمشهور» فيذكر أنها أربعة وعشرون طبعا يصنفها في مجموعتين: أصول وفروع.

أما الأصول فهي عنده أربعة: الذيل، والزيدان، والمائة، والمزموم. وهي بعدد الطبائع الأربع، والأخلاق الأربعة، والعناصر الأربعة، والفصول الأربعة. وفيما يلي رسم بياني بذلك:

الطبوع الأصول	الطبائع	الاخلاط	العناصر	الفصول
الذيل	البيوسة	السوداء	التراب	الخريف
الزيدان	البرودة	البلغم	الماء	الشتاء
المائة	الرطوبة	الدم	الهواء	الربيع
المزموم	الحرارة	الصفراء	النار	الصيف

ويتفرع عن الأصول الأربعة تسعة عشر طبعا اختلف أرباب الفن في ترتيبها، فذهبوا في ذلك مذهبين متباينين على نحو ما يتجلى في الجدول الموالي:

الطبوع الفروع	الأصل في المذهب الأول	الأصل في المذهب الثاني
رمل الذيل	الذيل	الذيل
رصد الذيل	الذيل	الذيل
مُجَنَّبُ الذيل	الذيل	المزموم
استهلال الذيل	الذيل	المزموم
عرق عجم	الذيل	الذيل
عرق عرب	الذيل	الذيل
الحجاز المشرقي	الذيل	الزيدان
الحُصار	الزيدان	الزيدان
أصبهان	الزيدان	الزيدان
الحجاز الكبير	الزيدان	الزيدان
العشاق	الزيدان	الزيدان
الزَوْرَكَنْدُ	الزيدان	الزيدان
الحسين	الماية	الماية
الرصد	الماية	الماية
رمل الماية	الماية	الماية
انقلاب الرمل	الماية	الماية
المشرقي الصغير	المزموم	المزموم
غربية الحسين	المزموم	المزموم
حَمْدان	المزموم	المزموم
		الغربية المحررة

وتجدر الإشارة إلى أن التادلي أمسك عن ذكر طبع «الغريبة المحررة» في هذا الباب، وبذلك خالف سائر منظري الموسيقى الأندلسية الذين اعتبروه خامس الطبوع الأصول، وإن يكن قد أثبت ذكره في لوحة المذهب الثاني لترتيب الطبوع، على أنه سيستدرك هذا النقص فيما بعد ليؤكد أنه أصل بدون فرع⁽¹⁾.

وقد أورد التادلي منظومة الفقيه عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت 955هـ/1549م) التي تشكل أقدم وثيقة ألمّت ببيان طبوع الموسيقى الأندلسية. والمؤلف - بصنيعه هذا - يحذو حذو من سبقه من المنظرين بدءاً بمحمد البوعصامي⁽²⁾، ومروراً بمحمد بن الحسين الحايك⁽³⁾، ومحمد بن العربي الدلائي⁽⁴⁾.

ويأتي نص هذه المنظومة في اثني عشر بيتاً تلم بذكر سبعة عشر طبعاً. وهو أقرب إلى النص الذي أورده الحايك في مجموعته، باستثناء اختلافات جزئية بعضها راجع إلى تصحيف النساخ. ومن هنا نرجح أن يكون التادلي قد نقل المنظومة عن الحايك - وليس عن البوعصامي - مثلما نقل عنه ثلاثة أبيات أخرى مهد لها بقوله: «وزاد بعضهم»⁽⁵⁾، بينما نسبها الحايك للإمام الوجدي. وتضم هذه الأبيات أسماء ستة طبوع إذا أضيفت إلى التي في منظومة الونشريسي ارتفع عدد الطبوع إلى أربعة وعشرين من بينها طبع الغريبة المحررة.

1) أغاني السقا، الباب العاشر، ص: 82.

2) إيقاد الشموع. المصدر السابق، ص: 33.

3) كناش الحايك. في المقدمة.

4) فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار.

5) أغاني السقا، ص: 21 - 22.

الطبوع والطبائع

ولا مناص هنا من الوقوف قليلا عند مسألتين عني بهما منظرو الموسيقى الأندلسية بالمغرب منذ القرن العاشر هـ، واعتبروهما من أساسيات التنظير لطبوع هذه الموسيقى حتى غدا النظر فيهما بمثابة ضربة لأزب لا يكاد يشذ عنه باحث. ونريد بذلك علاقة الطبوع بالطبائع، ونسبتها إلى وأضعيها.

1) والواقع أن النظر في مسألة علاقة الطبوع بالطبائع موغل في القدم. وهو يعكس نظرية الإيتوس التي أسس لها فلاسفة اليونان منذ أن حصر فيثاغورس في القرن السادس ق م عناصر الكون في أربعة هي: الأرض، والنار، والهواء، والماء، ثم أفضى تمازج كيفيات هذه العناصر إلى نشوء الأركان الأربعة.

وقد ترددت أصداء النظرية في مباحث الفلاسفة المسلمين كالكندي والفارابي وإخوان الصفا الذين أسموا العناصر الأربعة بالإسطقسات، واعتنوا ببيان خصوصياتها وفوائدها، ورأوا أن تمازجها ينشر في البدن مواد أربعة هي: المُرّة الصفراء التي تنشأ عن الحرارة واليبس، والبَلغم الذي ينشأ عن البرد والرطوبة، والدم الذي ينشأ عن الحرارة والرطوبة، والمُرّة السوداء التي تنشأ عن البرد واليبس، وأسماها هذه المواد بالأخلاق.

وقد انتقلت هذه النظريات إلى مؤلفين متعددين كمحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت 985)⁽¹⁾، ثم انتهت إلى مؤلفات المنظرين المغاربة بدءاً بعبد الواحد الونشريسي في منظومته الرجزية حول الطبوع وعلاقتها بالطبائع⁽²⁾، ومرورا بعبد الرحمن الفاسي (ت 1096هـ)، ومحمد البوعصامي (ت حوالي 1150هـ)، وأحمد بن العربي أحضري (ت أواخر ق 13)، ومحمد بن العربي الدلائي (ت 1285)، وسليمان الحوات (ت 1238).

1) كتاب بستان العارفين. باب في صفة طبائع الإنسان. ص: 174 - 175.

2) أولها: طَبَائِعُ مَا فِي عَالَمِ الْكَوْنِ أَرْبَعٌ فَفِي مَثَلِهَا اضْرِبْ لِلطُّبُوعِ مَجْمَلًا

وقد جاء التادلي في «كتاب السقا» ليسير على نهج هؤلاء، فنقل عن الصنبري قوله: علم الطبيعة هو الأصل. ومن أول زوجين خلقهما الله تعالى طبيعة الحرارة والبرودة، فزوجت الحرارة بالبرودة، فتولد من الحرارة اليبوسة، ومن البرودة الرطوبة، فكانت أربع طبائع عليها أساس علم الطبيعة⁽¹⁾.

وفي ضوء هذا التقسيم يصنف التادلي الطبوع الأربعة الأصول في مجموعات أربع بحسب نوع تأثيرها في النفوس⁽²⁾ على النحو التالي:

- طبع الذيل والطبوع المتفرعة عنه: تهيج المرة السوداء.

- طبع الزيدان والطبوع المتفرعة عنه: تهيج البلغم.

- طبع الماية والطبوع المتفرعة عنه: تهيج الدم.

- طبع المزموم والطبوع المتفرعة عنه: تهيج المرة الصفراء.

ولا علاقة لهذا التصنيف الذي يُعتمد فيه نوع الأثر النفسي بالتصنيف الذي يربط الطبوع بما يلائمها من الوجهة المقامية والنعمية.

2) ومنتقل إلى المسألة الثانية، فنسجل ولع منطري الموسيقى الأندلسية في مباحثهم بتَقْصِي مبتكري الطبوع الموسيقية، فيذكرون أسماءهم ومواطنهم. وقد سار التادلي في كتابه على هذا النهج، فأعاد ما ذكره من قبله البوعصامي، والحايك، وأحزري، والدلائي، وصاحب المجموع 144⁽³⁾.

وفيما يلي جرد بأسماء الأشخاص الذين نسب إليهم التادلي استنباط الطبوع واستخراجها مرتبة حسب النوبات الإحدى عشرة:

(1) أغاني السقا، ص: 8. عن كتاب الرحمة في الطب والحكمة للصنبري. مط الصاوي. مصر دت.

(2) المصدر نفسه، ص: 18 - 19.

(3) مجموع مجهول المؤلف في ملك الأستاذ محمد داود. وقد انتهى صاحبه من جمعه عام 1202هـ. وقد حققه الأستاذ مالك بنونة ونسبه لمحمد بن الحسين الحايك. منش. أكاديمية المملكة المغربية-سلسلة التراث 1999.

1- نوبة رمل الماية:

- طبع رمل الماية: جابر بن مهريس الفارسي، وهو عند الحايك والدلائي وصاحب المجموع 144: ابن مهران.
- طبع الحسين: حسين بن أمية، ويضيف الحايك أنه من العجم.
- طبع انقلاب الرمل: عبد الرزاق الفيلسوفي بقرطبة، وهو عند صاحب المجموع 144: أمية بن المنتقد.
- طبع حمدان: مجهول، وهو عند الحايك والدلائي: سنان بن عتاد.

2- نوبة أصبهان :

- طبع أصبهان: جابر بن أصعد الأصبهاني.
- طبع الزوركند: عبد الرزاق بجزيرة الأندلس.

3- نوبة الماية :

- طبع الماية: أمية بن المنتقد. وقيل امرأة اسمها مائة. وأضاف صاحب المجموع 144 أنه من بني مالك.

4- نوبة رصد الذيل :

- طبع رصد الذيل: محمد بن الحارث ويضيف الحايك؛ الخزاعي.

5- نوبة الاستهلال :

- طبع الاستهلال: الحاج علال بفاس أيام السلطان محمد بن الشيخ. وهو عند الحايك: الحاج علال البطلة الفاسي.

وينفرد الدلائي بنسبته إلى عهد الأمير عبد الحق المريني فيما تجمع باقي المصادر على نسبته إلى عهد محمد الشيخ السعدي.

- طبع عراق العرب : صيكة بن تميم العراقي. وعند الحايك : سيكة.

6- نوبة الرصد :

- طبع الرصد : محمد بن الحارث. ويضيف الدلائي : الخزاعي صاحب هارون الرشيد. وعند الحايك : محمد بن الحارث الغزالي صاحب هارون الرشيد.

- طبع الحصار: عنان بن فورك باليمن. وعند الحايك: عنان بن جورك.

- طبع الزيدان : هبة الله بن معاذ الحبشي.

- طبع المزموم : رجل من العرب يسمى شير بن عتاد من أرض سوس. وهو عند الحايك والدلائي: سنان بن عتاد رجل من المغرب.

7- نوبة غريبة الحسين : غريب الفارسي، وقيل جارية اسمها الغريبة، ويضيف الدلائي أن هذه الجارية لأحد ملوك بغداد اسمه الحسين.

- طبع الغريبة المحررة : جارية تحمل نفس الاسم. وعند الحايك: إحدى حوارى الحسين بن الغواص الموسيقي، قيل إنها أخت غريبة الحسين.

8- نوبة الصيكة :

- طبع الصيكة : صيكة بن تميم العراقي.

9- نوبة الحجاز الكبير :

- طبع الحجاز الكبير : حجاز بن طارق من اليمن، وعند الدلائي أنه حجاز بن طريف اليمني، ويضيف البوعصامي أن حجازا كان نازلا ببلاد سنان إحدى مدائن العراق.

- طبع المشرقي الكبير: مجهول. وعند الحايك: زيد بن المنتقد اليمني. أما أحضري فقد ذكر- نقلا عن شخص يدعى يوسف بن عمر بن علاء الدين التونسي - أن زيدا استخرج هذا الطبع في وليمة كانت للأمير عبد الوهاب الدمشقي ملك دمشق الشام.

- طبع محنب الذيل: هذيل رجل من الأندلس. وهو عند الحايك: زيد بن المنتقد اليمني.

10- نوبة الحجاز المشرقي :

- رجل مجهول من الأندلس. وعند الدلائي: عبد الرزاق القرطبي.

11- نوبة عراق العجم :

- طبع عراق العجم : صيكة بن تميم العراقي.

12- نوبة العشاق :

- طبع العشاق: رجل من الإفرنج يقال له قدجر بن دبحير. أما عند الحايك والدلائي فهو العشاق بن غرغر ملك الفرنج. اسمه عبد البر، ولقبه العشاق.

- طبع الذيل: زيد بن المنتقد من اليمن.

- طبع رمل الذيل : عبد الرزاق الفيلسوفي بقرطبة.

وباستثناء الحاج علاء البطلة الفاسي الذي تجمع غالبية المصادر على صحة هويته كفنان موسيقي ينتمي إلى حاشية السلطان محمد الشيخ السعدي (ت 1063هـ)، فإن باقي الأسماء الواردة في الجرد السابق مجهولة يشق، بل يستحيل الاهتداء إلى تحديد هوية أصحابها.

ويضاف إلى هذا أن كثيرا من الأخبار المروية حول واضعي الطبوع تتسم بالغرابة التي تجعلها أقرب إلى الخرافات والأساطير، وأنها تنطوي على أقوال متضاربة، وتحمل أسماء لمواقع لا مكان لها على خريطة الواقع.

وقد سبق لي التنبيه إلى أنه لا داعي إلى تحمل عناء الانسياق وراء البحث عما يؤكد مدى سلامة هذه الأقوال، وذلك لأن الطبوع المستخدمة في ألحان الموسيقى الأندلسية لا تعدو أن تشكل في بنائها وتركيبها خلاصة ما أسفر عنه التلاقح الذي تم على أرض الجزيرة الإيبيرية بين معارف نظرية وممارسات عملية مختلفة المشارب، والذي تعانقت فيه خصائص المقام العربي القديم مع خصائص الأجناس اليونانية والإغريقية والإفريقية⁽¹⁾.

ومثلما ذهب القدماء إلى تبني نظرية ارتباط الطبوع بالطبائع، فكذلك ذهبوا إلى القول بأنه كان لكل طبع ساعة معينة من ساعات اليوم، «وأنهم كانوا يستعملون لكل نوبة أشعارا مناسبة لا تتكرر في باقي النوبات»⁽²⁾، يقول التادلي في هذا الصدد: «إن كل ساعة من ساعات اليوم واللييلة - وهي أربعة وعشرون - لها طبع من الموسيقى يوافقها ويناسبها في الطبيعة»⁽³⁾ وقد أفضى هذا إلى ما يمكن أن نعتبره «وحدة موضوعية» في أشعار النوبة، تناسبها وحدة الطبع فيها. غير أنه نتيجة تفلص عدد النوبات من أربعة وعشرين إلى إحدى عشرة من جهة، وتوجه المتأخرين إلى إدماج طبوع النوبات الضائعة بصناعاتها النادرة في النوبات الباقية من جهة أخرى، فقد تفككت وحدة الغرض الشعري في جل النوبات، وانحسر - جراء ذلك - عدد النوبات التي حافظت - إلى حد ما - على وحدة الغرض الشعري.

1) عبد العزيز ابن عبد الجليل: الموسيقى الأندلسية المغربية - فنون الأداء سلسلة عالم المعرفة، العدد 129،

محرم 1409هـ - سبتمبر 1988م الكويت، ص: 65 - 66.

2) كناش الحايك، تحقيق ابن جلون، ص: 9.

3) أغاني السقا، ص: 35.

وقد أشار التادلي إلى ثلاث نوبات تستعمل أشعارها في أوقات معينة من اليوم:

النوبة الأولى : المائة. يقول التادلي نقلا عن الحايك : «لها من الأزمنة أول اليوم لأنها تجلب النوم لمستمعها»، وهو يعقب على كلام الحايك فيضيف: «والظاهر أنه أراد بأول اليوم أول الليل كَبَعْدَ العشاء، ولعل هذا كان في زمانه وقبله. وأما اليوم فالغالب استعمالها بعد العصر في العشي»⁽¹⁾.

والواقع أن هذه النوبة تحوي 94 صنعة من بينها ما يربو على خمسين «تشكل لوحدها ديوانا حافلا بتمجيد العشية، وهي تقبل على الكون بشمسها الذهبية، فتكسو الثمار ألوانا من الزبرجد، وتغطي الحقول بوشاح من الجلنار، فتنتطق الأصوات معلنة أن قد تردى وجه الشمس بحمرة الشفق إذ مالت نحو المغيب وآذنت بالتواري عن العيون، وعولت على الفراق»⁽²⁾.

وقد أورد التادلي من هذه النوبة ثلاث صنعات :

الأولى برولة (عذراوي) في درج النوبة مطلعها:

غَدَّرْ طَاسُتِي يَاسَاقِي وَأَمْلَاهَا نَغَنَّمُ عُشِّيَّتِي نَتَسَالًا

الثانية توشيح من انصراف قدام النوبة أوله :

نَمَسُ العِشِي قَدِ غَرَّبَتْ وَأَسْتَعْرَبْتُ عَيْنِي مِنَ الفُرْقَا

الثالثة توشيح من نفس الميزان أوله:

يَا شَمَسَ العِشِيَهُ أَمْهَلْ لَا تَغِبْ بِاللَّهِ رَفَقًا⁽³⁾

1) أغاني السقا، ص: 32.

2) عبد العزيز ابن عبد الحليل، المرجع السابق ص: 187 - 188.

3) أغاني السقا، ص: 32.

النوبة الثانية : رصد الذيل. وصنعاتها تحكي معاناة العاشق، «وقد اتخذ من الليل الطويل ملاذهُ يقضيه ساهراً في انتظار أن يوافيه الحبيب بطلعته، فإن هو فعل بات ليلته على طرب يتغنى بما حملت إليه من سعادة اللقاء، ويسألها أن تطول، حتى إذا بزغ الصبح بنوره أنحى عليه باللوم وحمّله سوءات الفراق، ثم ناشده بالله أن يتوب عن الذنب الذي اقترفه»⁽¹⁾. تقول إحدى صنعاته (مجزو الرجز)

يَا لَيْلُ طُلُّ أَوْلَا تَطُلُّ لِأَبَدِّ لِي أَنْ أَسْهَرَكَ

وتقول أخرى :

أَحْسَنْتَ يَا لَيْلُ فِي تَأْلُفِنَا بِإِلَهِ يَا لَيْلُ وَرَدِّ وَرِدِ
أَسَأْتَ يَا لَيْلُ فِي تَفَرُّقِنَا بِإِلَهِ يَا لَيْلُ تُبُّ وَلَا تَعُدِّ

والتادلي إذ يدرك دور طبع رصد الذيل، فهو يسوق في كتابه المقولة المأثورة: «إذا طال الليل عليك برصد الذيل»⁽²⁾.

النوبة الثالثة : العشاق. يقول التادلي عن طبع الذيل الذي ألحق بهذه النوبة: له من الأوقات جوف الليل⁽³⁾. ومنه في كناش الحايك صنعة أولها:

لَا وَفَرَعٍ كَدَجَى اللَّيْلِ غَسَقُ وَجَبِينِي ضَوْؤُهُ ضَوْؤُ الْفَلَقِ

وقد أورد التادلي في كتابه صنعة من هذا الطبع في بسيط النوبة مطلعها :

شُقَّ جَيْبُ اللَّيْلِ عَن نَحْرِ الصَّبَاحِ أَيُّهَا السَّاقُونَ⁽⁴⁾

(1) عبد العزيز ابن عبد الجليل، المرجع السابق ص: 190.

(2) أغاني السقا، ص: 33.

(3) المصدر نفسه، ص: 85.

(4) المصدر نفسه، ص: 87.

الباب الرابع: الأوزان والإيقاعات

لم يخصص التادلي لموضوع الإيقاع فصلا مستقلا بذاته، ومن ثم كان عليّ أن أتصفح أبواب الكتاب وفصوله كلها لألم شتات ما تفرق فيها من معلومات تتصل بهذا الموضوع، ثم لأعيد صياغتها بما يقيم أودّه ويقدم للقارئ صورة واضحة ومكتملة عنه.

ولابد - في البدء - من القول بأن التادلي يقرر أن الموسيقى علم مركب من حركة وسكون⁽¹⁾، وأن حركة هذا العلم قائمة على نسبة معينة معلومة هي ميزانها، وبها يحصل الطرب⁽²⁾. ولبيان أهمية الحركة والسكون في بناء العمل الموسيقي فقد عقد فصلا في بيان قدر هاتين الظاهرتين اللتين هما - حسب رأيه - أصل الموسيقى⁽³⁾. ومما جاء فيه أن العالم كله علويا كان أو سفليا لا ينقطع عن الحركة والسكون، وكذلك الموسيقى في مظاهر ممارستها من عزف، وغناء، ورقص⁽⁴⁾.

وقد رأينا - قبل - كيف قرر التادلي أن علم الموسيقى يبحث في أمرين ثانيهما «علم الإيقاع»، وهو ما تعلق بالأزمة⁽⁵⁾، وأنه يعرف بأحوال النقرات الحادثة باليد، وكذا بأحوال الموسيقى من حيث الكم وعدد النغمات من ثنائي وثلاثي وغيرهما⁽⁶⁾.

1) أغاني السقا، ص: 64.

2) المصدر نفسه، ص: 65.

3) المصدر نفسه، ص: 52.

4) المصدر نفسه، ص: 64.

5) المصدر نفسه، ص: 13.

6) المصدر نفسه، ص: 65.

وفي محاولة للتعريف بالإيقاع فهو ينقل مقولة للطبيب اليوناني جالينوس جاء فيها أن المراد به «نقر آلات الموسيقى»، كنقر العود بالأصابع، فإنه إن كانت بميزان الموسيقى المعروف كانت نسبة هندسية تدخل في باب الطرح من علم الحساب، لأن نقر العود ونحوه من باب طرح الزمان بنقرات مخصصة مستوية منها السريع والثقيل...⁽¹⁾.

وتتحكم كميات النقرات وتوالي حركاتها وسكوناتها في تشكيل الإيقاعات الموسيقية وتحديد أنماطها. ولا تخرج هذه الأنماط في الغناء العربي عن ثمانية هي ما أسماه التادلي «قوانين الغناء»⁽²⁾، وهي عند المنظرين القدامى كالكندي وإخوان الصفا: الثقيل الأول، وخفيفه، والثقيل الثاني، وخفيفه، والرمل، وخفيفه، والهزج، وخفيفه.

ومن أجل مقارنة الصورة التي رسمها التادلي للإيقاعات التي ذكرها فسنبالها بما ورد في كتاب «الكافي» لابن زَيْلَة:

1) الثقيل الأول: يقول التادلي: من تسع نقرات: ثلاث متواليات، فسكون، فخمس مطوية. الأول ثم قال: وهو ما زاد على الخفيف الثاني نقرتين. أما عند ابن زَيْلَة فالإيقاع ثماني وصورته الأصلية:



ولا وجه للمقابلة مع ما ذكره التادلي.

1) أغاني السقا، ص: 44 - 45.

2) المصدر نفسه، ص: 74.

2) **الثقيل الثاني**: يقول التادلي: من إحدى عشرة نقرة... ثم يقول: وهو ما زاد على ذلك بقدر ثلاث نقرات.

وهو عند ابن زيلة سباعي. يقول: فإن تخيلت الدور سبع نقرات كان الثقيل الثاني. وصورته الأصلية.



ولا وجه للمقابلة مع ما ذكره التادلي.

3) الخفيف المطلق:

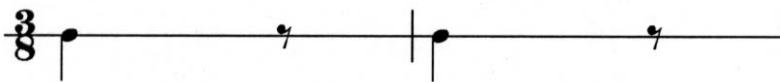
المراد به الخفيف الأول أو ما أسماه التادلي «العمود الأول» وهو عنده «ما ساوى زمنه زمن النقرة الواقعة قبله وبعده».

أما عند ابن زيلة فخفيف الثقيل الأول رباعي، ثلاث نقرات، وزمان نقرة. وصورته.

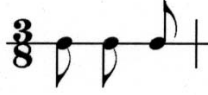


4) الخفيف الثاني:

هو عند التادلي ما طال زمن... الثاني ولعل صورته كالاتي:



أما ابن زيلة فهو عنده ثلاث نقرات في زمان واحد، وصورته الأصلية.



وقد يضعف الإيقاع فيصبح سداسيا كآتي:



ونقف هنا قليلا لنسجل أن التادلي - وهو يتحدث عن الأوزان الثمانية في الموسيقى العربية، أو ما أسماه «قوانين الغناء» - يمتح من المصادر المشرقية القديمة، ومن بينها مؤلفات لا نشك في أنه اطلع عليها كالرسالة الفتحية لعبد الحميد اللاذقي، غير أن نقولاته من هذه المصادر جاءت مبتورة، وذلك ما يفسر إمساكه عن التعريف بأوزان الرمل، وخفيفه، والهزج، وخفيفه، مثلما جاءت ناقصة كما يبدو في تعريفه للثقل الثاني.

والواقع أن الإيقاعات شكلت - وما فتئت تشكل - معضلة قل أن يتفق المنظرون حولها، وقد أشار إلى ذلك الحسين بن زيلة المتوفى عام 440هـ، فقال في عتاب واضح للمؤلفين الموسيقيين: تذاكر المتقدمون والمتأخرون في أمر الإيقاعات وعددها، فخلطوا تخليطا عظيما، وأظنهم لم يقفوا على الأمر الحق فيها، وكل واحد ممن ادعى علم الموسيقى سلك في قسمة الإيقاع عليها مسلكا مخالفا لمسلك الآخر، وغير مُؤدِّ إلى وضوح كُنْه الأمر فيها، وإلى ما يجد الطباع دالة عليها وشاهدة بصحتها، والاستعمال مطابقا لها، وكتبهم تنطق بصحة ما حكيناه عنهم، وتدل على بعدهم من الحقيقة، وذهاب كُنْه الأمر عليهم»⁽¹⁾.

1 ابن زيلة: الكافي في الموسيقى، تحقيق زكريا يوسف، دار القلم. القاهرة 1964، ص: 47-48.

وقد عرض التادلي لذكر القواعد الأربعة الأول فقال :

- الثقل الأول : من تسع نقرات، ثلاث متوالية، وواحدة كالسكون، فخمسة مطوية الأول. وهو ما زاد على الخفيف الثاني بقدر نقرتين⁽¹⁾.

- الثقل الثاني: من إحدى عشرة نقرة.⁽²⁾ وهو ما زاد على ذلك بقدر ثلاث نقرات.

- الخفيف المطلق: ما ساوى زمنه زمن النقرة الواقعة قبله وبعده. وقد أسماه التادلي «العمود الأول»⁽³⁾، وعليه متفاوت النبض⁽⁴⁾.

- الخفيف الثاني: ما طال زمن السكون فيه على النقرة بزمان نقرة. وقد أسماه التادلي العمود الثاني⁽⁵⁾. وعليه فهو متفاوت النبض⁽⁶⁾.

وأما ما زاد على ذلك فغير مستلذ.

ومهما يكن، فإن هذه الأوزان وما يتصل بها من اصطلاحات كالثقل والرمل والهزج، والخفيفين، والعمود تبقى غريبة عن معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية، ولا تمت بأية صلة لواقع الممارسة الفنية بالمغرب. ومن ثم فلا مندوحة عن مساءلة رسالة التادلي، مرة أخرى، لمعرفة موازين موسيقى «الآلة» وطرق ضبط إيقاعاتها.

يتحدد الإيقاع في الموسيقى الأندلسية من خلال موازين معينة يخضع كل منها لنسبة زمانية معلومة⁽⁷⁾.

1) أغاني السقا، ص 74.

2) المصدر نفسه.

3) المصدر نفسه، ص: 72. يلتقي التادلي في هذه التسمية مع إخوان الصفا.

4) المصدر نفسه.

5) المصدر نفسه. يلتقي التادلي في هذه التسمية مع إخوان الصفا.

6) المصدر نفسه، ص 72.

7) «الموازين» هنا جمع ميزان. ونريد بها أصناف الإيقاعات التي تضبط حركة الصناعات المتعاقبة، وذلك في مقابل «الميزان» التي تعني أقسام النوبة.

وأساس الميزان - عند التادلي - هو الدور. والدور - عندهم - عدد النقرات بالكف ونحوه⁽¹⁾. وهو عبارة عن تعاقب جملة من النقرات علي نحو يختلف من ميزان لآخر.

ويتشكل اللحن الموسيقي من جملة من الأدوار يقل عددها أحياناً، ويكثر أخرى، فتصبح معياراً للمنشدين والعازفين يساعدهم على ضبط الميزان ويهديهم إلى مواقع القوة والضعف في الألحان.

والمراد بالنقرات «الأصوات التي تقع في الأزمنة»⁽²⁾، وتكون ساذجة خالية عن النغمة كصوت الرعد والبرق⁽³⁾، وبذلك فهي تختلف عن النقرات التي تكون منغومة كنقرات أوتار العود وصوت الإنسان⁽⁴⁾.

وتتخذ النقرات في موسيقى «الآلة» أشكالاً متعددة تختلف كماً وكيفاً. وقد أورد التادلي منها الآتي:

- الزنج : «تحريك الطار باليد اليسرى ليظهر صوت صفحات الصفر الصغرى في جوانبه»⁽⁵⁾.

- الندفة: النقرة القوية تضرب في وسط الطار.

- الدفة: النقرة الخافتة في حاشية الطار. وهو في ذلك يقول: النقرة «إن كانت في طار ونحوه سميت ندفة»⁽⁶⁾.

- الفاصلة: الزمان الفارغ في الدور. ويستخرج بتحريك الطار لإسماع صوت صنوجه.

(1) أغاني السقا، ص: 24.

(2) المصدر نفسه، ص: 15.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه، ص: 67.

(6) المصدر نفسه، ص: 66.

ويتعين إيفاء الأدوار حقها، فلا ينقص منها نقرة ولا يتزيد فيها. وقد «كان الحايك يضع في كتابه على كل شغل أو زجل أو توشيح عدد ما فيه من الأدوار بالغبار⁽¹⁾ خوف الزيادة والنقص منه، فترى الموسيقيين إذا تنازعوا في عدد أدوار شغل - مثلا - ترافعوا لذلك الكتاب حكما بينهم»⁽²⁾.

ويعتمد التادلي - في تحليله لموازين الموسيقى الأندلسية - طريقة خاصة، فهو يمتح من المعجم العروضي، ويعتمد في تشخيص نقراتها على التفعيلة بأجزائها: السبب، والوتد، والفاصلة؛ وهي طريقة نهجها منظرو الموسيقى العربية الأوائل منذ الكندي في مباحثهم حينما اتخذوا هذه الأجزاء بمثابة الوحدات الزمانية الأساسية التي تقوم عليها البنية الإيقاعية للحن الموسيقي، مثلما اتخذها أصحاب علم العروض بمثابة الوحدات الأساسية التي تركز عليها تفاعلات الأبيات الشعرية⁽³⁾.

ويبدو أن هذا التقليد نابع من قناعة لدى أرباب الفن بوجود علاقة وظيفية بين صناعة العروض في الشعر وصناعة الإيقاع في الموسيقى، وهي قناعة حملت السيوطي قديما على القول بأن أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع، إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسمه بالحروف المسموعة⁽⁴⁾، وقد تنبّه الكندي إلى هذه العلاقة فابتدع لتسمية طرفيها مصطلحين هما: النسب الزمانية للدلالة على الإيقاع اللحني، والأقوال العددية في الدلالة على الشعر.

(1) مصطلح مغربي يراد به الترقيم. بالأرقام العربية.

(2) أغاني السقا، ص: 24.

(3) عبد العزيز ابن عبد الحليل، المرجع السابق ص: 208 - 209.

(4) السيوطي جلال الدين: المزهري في علوم اللغة وأنواعها. شرح وتصحيح جماعة. جزء 2، ط. 2. دار إحياء الكتب العربية، ص: 470.

يقول الكندي في ذلك: النسب الزمانية، أعني الإيقاع، كما يقول: «فأما تكميل الموسيقى ففهي موضع التأليف في قول عددي متناسب نقي من الأعراس المفسدة للقول العددي، وبأزمان متساوية الأركان، متشابهة النسب التي من عادة الناس أن يسموها إيقاعاً»⁽¹⁾.

ومن أجل ضبط الإيقاع في موسيقى «الآلة» تستخدم وسيلتان هما:

1- التوسيد : هو التوقيع والضرب براحة اليد اليمنى على راحة اليد اليسرى، أو على الفخذ. ومنه تصفيق الصوفية بالأيدي ضربة إثر ضربة متساوية الزمان⁽²⁾.

2- النقر على الطار : ويكون ذلك بحيث يمسك الطار باليد اليسرى، ويضرب عليه باليمنى. ولأهمية هذه الآلة في الجوق الأندلسي يقول التادلي: «كان صاحب الميزان في القديم هو صاحب الطار، فهو حافظه، ومن عداه من أصحاب الآلات تابع له»⁽³⁾، وضابط الإيقاع هو رئيس الموسيقى، وآلته لجامها وأساسها⁽⁴⁾.

والتادلي إذ يتبنى هذا النهج في تحليل موازين «الآلة» فهو ينحو منحى الحايك، فيتخذ المصطلحات العروضية عناصر لبناء الأدوار الإيقاعية. وفي هذا يقول: الصناعة التي في الغناء مؤلفة من سبب ووتد وفاصلة كالعروض⁽⁵⁾.

(1) مؤلفات الكندي الموسيقية : رسالة في حُجْر صناعة التأليف. تحقيق زكريا يوسف. بغداد 1962، ص: 64-65.

(2) أغاني السقا، ص: 66.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، ص: 59.

(5) المصدر نفسه، ص: 71.

ويتحول إلى شرح هذه العناصر التي يُتَوَطَّنُ بها على نسبة الإيقاع في الموسيقى فيضيف قائلا :

- السبب هنا نقرة يليها سكون، وهكذا أجزاء النبض.
- والوتد سكون بعد اثنتين (أي نقرتان يليهما سكون).
- والفاصلة بعد ثلاث (أي ثلاث نقرات بعدها سكون)⁽¹⁾.

وفي جهة أخرى من كتابه يزيد :

- الفاصلة الصغرى - وهي ذاتها الفاصلة السابق ذكرها - أربعة أحرف (أي ثلاثة أحرف متحركة وحرف ساكن، فهي أربعة).
- الفاصلة الكبرى خمسة أحرف. (أي أربعة أحرف متحركة وحرف ساكن، فهي خمسة)⁽²⁾.

وفي ضوء هذا التصنيف يأتي تعريف التادلي لميزان البسيط فيقول:

والبسيط «أول نوبة الموسيقى»⁽³⁾ أي أول موازين النوبة الخمسة: البسيط، والقائم ونصف، والبطا يحيي، والدرج، والقدام. وقد تحدث عنه في خمسة مواضع من كتابه هي كالآتي :

1- البسيط نقراته بنحو أصبع على الأرض أو على الطار، أو على الكف: أربع أبدا، ثلاثها الأولى متوالية على نسبة واحدة، والرابعة متراخية شيئا ما عن الثلاثة: وهكذا البسيط كله من أوله إلى آخره⁽⁴⁾.

1) أغاني السقا، ص 71.

2) المصدر نفسه.

3) المصدر نفسه، ص: 67.

4) المصدر نفسه، ص: 24.

2- ميزان البسيط، أول نوبة الموسيقى، وميزانه أربع ندفات: ثلاث متواليات، والرابعة متراخية يسيرا عنها، ويقابله الفاصلة الصغرى^(*) في علم العروض⁽¹⁾.

3- وقد يجعل البسيط مركبا من ست نقرات باعتبار نقر الطار بأصبع اليمنى، وتحريكه باليسرى أخرى.... فالنقرة الأخيرة لما كانت متراخية صارت فاصلة بالنسبة للنقرتين قبلها. فالأربع قبلها كسبيين^(**)، فهما أربعة أحرف، والفاصلة الصغرى أربعة أحرف⁽²⁾، والكبرى خمسة، فصارت النقرة الثالثة في البسيط كفاصلة صغرى. لكن أشهرها ثلاثة وسبعة وثمانية وتسعة. والسبعة لصممها أشهر لقول المنية: وَشَاعَتْ لِلصَّمَمِ⁽³⁾.

4- يوافينا التادلي - هنا - بتعريف الحايك لميزان البسيط، فيقول «البسيط مبني على ست نقرات كأزمنة الأسباب من^(*) السبب الخفيف عند العروضيين: تظهر من الست نقرتان ندفا^(**)، وتظهر^(***) نقرتان زنجا، وتظهر نقرة ندفا، وتظهر^(****) أخرى فاصلة. فهذه دائرة كاملة في البسيط، فيجب أن يكون

(*) الفاصلة الصغرى: ثلاثة أحرف متحركة يتلوها حرف ساكن مثل عَلِمَا.

(1) أغاني السقا، ص: 67.

(**) السبب: حركة وسكون مثل قُدْ

(2) بمقتضى كلام التادلي هنا يحتمل أن يكون ميزان البسيط سداسيا قوامه سببان، فنح، ففاصلة صغرى، فنح. تدوينه كالآتي:



(3) المصدر نفسه ص، 67.

(*) الأصل عند الحايك: أزمنة ب. وهو السبب الخفيف.

(**) الأصل عند الحايك: دفا.

(***) الأصل عند الحايك: تضر.

(****) الأصل عند الحايك: وتضر.

مطابقا للغناء مقابلا له، دفا بدف، وزنجا بزنج، وندفا بندف، وفاصلة بفاصلة، فإن تخالف شيء من ذلك فهو الفاسد، لا يسلكه إلا فاسدُ المزاج خارج عن المعتاد»⁽¹⁾.

5- يخلص التادلي إلى صياغة تعريفه لميزان البسيط فيقول : فستّ نقرات في البسيط يقال لها «دور»، وستة أخرى تليها دور ثان. وهكذا حتى تنقضي الصنعة كلها في بيت واحد، ولو كان مجزوا أو منهو كا⁽²⁾؛ إلا أن تلك الست تارة تكون في الثقيل كأول البسيط، وتارة في الخفيف كآخر البسيط عند انصرافه قرب فراغهم. وهي ست مطلقا كانت في الثقيل أو في الخفيف، إلا أن زمن الدور الثقيل أطول من الخفيف كربع دقيقة للخفيف، ونصف دقيقة للثقيل.

ومثل هذه الأدوار أدوار ضرب الطاسات أو الطبلات ونحوها (من) أصحاب الحضرات كالفاسمين والعيساويين، فكل دور منها لا يخلو أن يكون ثلاثيا أو سداسيا أو غيرهما على نسبة معلومة أبدا كانت في الثقيل كأول الحضرة أو في الخفيف كآخرها، وتلك النسبة المعلومة المتساوية حصل طرب النفس⁽³⁾.

وقبل تشخيص ميزان البسيط في ضوء هذه التعريفات تتبدى أمامنا جملة من الملاحظات نثبتها فيما يلي :

• يأتي تعريف التادلي للبسيط في الفقرتين الأوليين مخالفا لما هو عليه في كناش الحايك وغيره من المصادر المكتوبة في الموضوع. ومن ثم يصعب علينا اعتمادهما في صياغة تعريف سليم لهذا الميزان.

(1) أغاني السقا، ص: 67 - 68.

(2) إذا افترضنا سقوط تفعيلة كاملة من شطري بيت من بحر الرجز بحيث تصبح تفعيلاته أربعة بدلا من ستة فإن أدوار الميزان تظل كاملة ولا يعترها أي نقص.

(3) المصدر نفسه، ص: 68 - 69.

• يستدرك التادلي في الفقرة الثالثة النقص الحاصل في الفقرتين الأوليين عندما حصر نقرات البسيط في أربعة أبدا فقال: وقد يجعل البسيط مركبا من ست نقرات، وذلك باعتبار إضافة نقرتين أو لاهما هي نقر الطار بأصبع اليد اليمنى، والثانية تحريكه باليد اليسرى لإسماع صوت صنوجه، وهو ما يعرف بالزنج.

وقد حاول التادلي توضيح ما يترتب عن هذه الإضافة، فجاء بكلام مستفيض، غير أنه لا يخلو من اللبس والغموض، مما يشق معه الوصول إلى فهم دقيق لما يعنيه.

• تصرف التادلي في نص الحايك بشيء من الاختصار. وقد أدى ذلك إلى حذف عبارات ومصطلحات لا غنى عنها في صون النسق الطبيعي للنص. وبالإضافة إلى ذلك فإن النص حافل بالأخطاء من قبل كتابة كلمة الدف بدل الندف، وكلمة الإضمار بدل الإظهار. ونحن ننزه التادلي عن الوقوع في هذه الأخطاء مثلما لا نجد أي مبرر لسلوكه الاختصار في نقل عبارة الحايك. ومن هنا نعتقد أن ما أصابها من اختصار وتحريف - معا - إنما هو من تصحيف النساخ.

• يؤكد النص الخامس أن البسيط قائم على ست نقرات يقال لها «دور».

• لا تتجاوز النصوص الأربعة الأولى وصف ميزان البسيط في حالة واحدة هي الموسع، ومن ثم فهي لا تفيدنا في معرفة صورة الميزان في حالة اهتزاز حركته في القنطرة، أو احتدام سرعته عند الانصراف.

• يتفرد النص الخامس بالإشارة إلى تغير حركة النقرات في الدور، فهي ثقيلة بطيئة في أول الميزان، خفيفة سريعة في آخره عند انصرافه، وسواء كان الإيقاع بطيئا أو حثيثا فإن الدور يحتفظ بنقراته الست، غير أن زمانه في حالة البطء أطول منه في حالة السرعة، فهو كنصف دقيقة في الأولى، وربع دقيقة في

الثانية. ويضرب لهذا التنوع مثالا بالحضرة عند طائفة القاسميين وأتباع الطريقة العيساوية، فهي في بدايتها ثلاثية الإيقاع لثقل حركتها، ثم تتحول في النهاية إلى إيقاع سداسي خفيف الحركة.

تبقى الإشارة إلى أن الآلة المعتمدة في تشخيص ميزان «البيسط» عند التادلي والحايك هي «الطار» دون غيرها. أما الدربوكة فلم يكن لها موقع في جوق «الآلة» على عهدهما.

ونخلص - بعد هذا - إلى تشخيص ميزان «البيسط» على الطار معتمدين في ذلك على مكوناته الإيقاعية كما جاء تحديدها عند كل من التادلي والحايك. ونريد بهذه المكونات النقرات الست التي هي من جنس زمان «ب»، وهو السبب الخفيف عند العروضيين، ويقوم على حرفين محرك وساكن، مثاله تَن. وهو ذاته الذي ذكره الكندي قديما، ومثل له بلفظي نَمَ و كَمَ، ثم قال: هو نقرة وإمساك⁽¹⁾. ويقابل زمان «ب» عند التادلي والحايك في التدوين الموسيقي السوداء⁽²⁾.

وفي ضوء ما سبق يتكون البيسط «الموسع» عند الحايك والتادلي على النحو التالي:

- 1- إظهار نقرة على وسط الطار (ندف = دم).
- 2- إظهار نقرة على وسط الطار (ندف = دم).
- 3- إضمار نقرة بقرع جانب الطار على معصم اليد اليسرى (زنج = تك).

(1) من مؤلفات الكندي الموسيقية. كتاب المصوتات، المصدر السابق، ص: 81.

(2) وظف الحايك الحروف الأبجدية الأربعة الأولى (أ - ب - ج - د) في تقييم المدى الزمني للنقرات، فجعل حرف (أ) بمثابة ذات السن، وحرف (ب) بمثابة السوداء، وحرف (ج) بمثابة السوداء المنقوطة، وحرف (د) بمثابة البيضاء.

4- إضمار نقرة بقرع جانب الطار على معصم اليد اليسرى (زنج = تك).

5- إظهار نقرة على وسط الطار (ندف = دم).

6- إضمار فاصلة بتحريك الصنوج باليد اليسرى (فاصلة).



وقد تغير ميزان البسيط مع مرور الأيام ليصبح في واقعه اليوم كالآتي:



هذا ما حواه كتاب السقا بخصوص ميزان البسيط. أما الموازين الباقية - وهي القائم ونصف، والبطا يحي، والقدام - فلم يرد بشأنها أي شيء فيه.

الباب الخامس : الآلات الموسيقية

يرى التادلي أن الالتذاذ بسماع الموسيقى موقوف كماله على آلاتها، والآلات - عنده - كثيرة، تتعدد أسماؤها وتتنوع أشكالها بتنوع الأزمنة واختلاف الأمكنة⁽¹⁾.

وقد انطلق الناس في صناعتها - قديما - من محاكاة الطيور البرية في الرياض، أو القياس على حركة المياه في المصاب وفي النواعير والدواليب، أو محاكاة الهواء في مجاريه. وهو يستدل على ذلك بكون أكثر ألحان الصين

(1) أغاني السقا، ص: 72.

صادرة عن آلات مصطنعة أسماها نقلا عن كتابي «الاستدراك» و«الأسرار اليونانية» ذوات الشعب المثمنة⁽¹⁾.

أما أهل الهند فالآلاتهم عبارة عن أواني محوطة تملأ بالماء على نسب متفاوتة ويطرق عليها⁽²⁾.

وأما الروم فالآلاتهم من نحاس أو خشب، وبمصاحبتهما كان إنشاد الأناجيل في الكنائس⁽³⁾.

ويحفل كتاب التادلي بفقرات يتوارد فيها ذكر الآلات الموسيقية، يسعفنا بعضها بما يدل على وجود تصور واضح وشبه مكتمل في ذهنه لتقسيم الآلات إلى أصناف مما يصطلح عليه اليوم «أسرة الآلات». وهو - على هامش حديثه عن الصوت الساذج - يوافقنا بما يفيد أن اللحن المطرب يصدر عن الفم أو من آلة وترية أو شعرية أو معدنية⁽⁴⁾، وفيما يراد بالوترية الآلات ذوات الوتر كالعود والرباب والكمنجة، وبالمعدنية بعض آلات النقر كالصنوج النحاسية، فإن ما أسماه «الشعرية» يبقى في حاجة إلى تحديد مدلولها اللغوي، وإن يكن سياق التصنيف يقتضي اعتبارها من آلات النفخ. ولعل لهذه التسمية صلة بالشعيرة، وهي أنبوبة رفيعة ذات لسان يدخلها الزامر في فمه عند استعمال آلات النفخ ذات الثقب (انظر ابن سينا: الشفا. جوامع علم الموسيقى ص 143).

سلك التادلي في تصنيف الآلات الموسيقية نهجين اثنين.

(1) أغاني السقا، ص: 46. نقلا عن تذكرة الأنطاكي تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1427/2هـ - 2006، ج 3، ص 488.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، ص: 76.

أولهما: هو الذي ينطلق من وجهة نظر الأئمة والفقهاء في مشروعية استخدام الآلات الموسيقية، باعتبار أنها تشكل وسائل ملهية عن جادة السبيل الشرعي القويم. ومن هنا أطلق عليها اسم ابتكره الفقهاء هو «الملاهي».

ويختلف تصنيف الملاهي باختلاف أحكام الفقهاء وآرائهم، مثلما تتحكم فيه درجات مواقف هؤلاء من الآلات ما بين تشدد وتخفيف وتوسط بينهما. وهكذا يتخذ التصنيف ثلاثة مسارات:

• **المسار الأول** : إطلاق تسمية «الملاهي» على سائر مكونات أسرة الآلات الموسيقية بأنواعها الوترية والهوائية والنقرية. ويمثل هنا المسار أكثر المواقف الفقهية تشدداً بجنوحه في الغالب إلى تحريم استخدامها.

• **المسار الثاني** : إطلاق تسمية «الملاهي» على الآلات الوترية والمزامير الهوائية دون آلات النقر. ويعني هذا تصنيف الآلات الموسيقية في مجموعتين:

أ- الملاهي، وتندرج ضمنها الآلات الوترية والآلات الهوائية.

ب- آلات النقر.

• **المسار الثالث** : إطلاق تسمية «الملاهي» على الآلات الوترية، دون غيرها. وبمقتضى ذلك يصبح تصنيف الآلات أقرب إلى نظيره في الاصطلاح العلمي:

أ- الملاهي : الآلات الوترية.

ب- المزامير : سائر آلات النفخ.

ج- آلات النقر.

على أن تصنيف الآلات من الوجهة الفقهية قلما عني بالنظر في جوانبها ومواصفاتها التقنية، ولكنه - بالمقابل - يعنى - إلى حد الإفراط وفي غالب

الأحيان - ببسط آراء الأئمة والفقهاء في استخدامها، واستعراض مواقفهم المتباينة آنأ والمؤتلفة آنأ آخر حول جواز استخدامها أو كراهته، أو حرمةه.

ثاني النهجين: من وجهة نظر موسيقية بحتة. وهو في هذا يركب النهج الكلاسيكي فيقسم الآلات بحسب تركيبها، ووظيفتها في أداء الآثار الموسيقية، وموقعها من منظومة المجموعات الآلية.

وفي هذا التصنيف يُنظر - أيضا - إلى الآلات باعتبارها أدوات لحدوث آثار معينة في نفوس المستمعين، وبذلك يُتجاوز الوقوف عند استعراض أنواعها وأوصافها.

وفي سياق هذا النهج يصنف التادلي الآلات من حيث كمها وطبيعة الأصوات الصادرة عنها في قسمين هما :

1- آلات تصدر عنها أصوات متصلة، وهي آلات النفخ كالمزمار والغيطة.

2- آلات تصدر عنها أصوات منفصلة يقع السكون بين نقراتها، وهي صنفان :

الأول : ذوات الأوتار كالعود والقانون.

والثاني : آلات النقر كالطبول⁽¹⁾.

ويكاد التادلي أن يتفرد من بين منظري الموسيقى المغربية في العصر الحديث بالإشارة إلى أسرة الآلات الموسيقية وما يتفرع عنها من آلات وترية وهوائية ونقرية.

(1) أغاني السقا، ص : 70 - 71. نقلا عن كتاب الزهرة لداود الأنطاكي. المبحث الرابع من الباب الرابع.

وفي ضوء هذا التصنيف سنحاول استعراض الآلات التي ورد ذكرها في كتاب السقا، مع التنبيه إلى أن القسم الثاني من الكتاب والذي يختص بالنظر في حكم الفقهاء في مسألة الغناء وسماعه وضرب الآلات هو أيضا مما يمكن استثماره لمعرفة أسماء الآلات وبيان أوصافها.

1- الآلات الوترية

هي - عند التادلي - آلات الطرب. وواضح من هذه التسمية أن القصد إلى الآلات الوترية دون الهوائية والنقرية، إذ هي الأقدر على تحريك مكامن الطرب في المستمع.

وقد عقد التادلي فصلا خاصا بها تحت عنوان : «فصل في أحسن آلات الطرب»، أتى فيه على ذكر أربع آلات وترية مرتبة بحسب أفضليتها هي العود، ثم الكمنجة، ثم الرباب، ثم القانون⁽¹⁾.

والتادلي إذ لا يُبين عن وجه تفاضل هذه الآلات، ولا عن مجال استخدامها فإن سياق الكلام في الكتاب يقتضي أن يكون القصد إلى أهمية موقع كل منها في الجوق التقليدي لموسيقى «الآلة».

العود :

هو أول آلات الطرب وأقدمها استخداما في جوق الآلة الأندلسية، حتى لقد قال محمد بن الطيب العلمي فيه : ما قدر أحد من الأمم السابقة أن ينشئ في الملاهي أرفع مقاما من العود. وكل ما سواه فهو قاصر عن لحاقه، والحاذق فيه يقدم على الحاذق في غيره⁽²⁾.

(1) أغاني السقا، ص: 76.

(2) العلمي محمد بن الطيب: الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب، ط. حجرية خ الجامع الكبير بمكناس، ص: 178.

يقول عنه التادلي : كانت العرب تسميه الكيران، والمزهر، والبربط⁽¹⁾.

والعود ألد الآلات⁽²⁾. وقد حدد المؤلف مقاييس هذه الآلة فجعل طولها مثل عرضها مرة ونصف مرة، وعمقها كنصف عرضها، وعنقها كربع طولها⁽³⁾. وهذه المقاييس هي ذاتها التي حددها إخوان الصفا قديما في رسالتهم حول الموسيقى⁽⁴⁾.

أما ألواح العود فتصنع في سمك الورقة من خشب خفيف، وأما الوجه فيكون رقيقا من خشب صلب خفيف.

والعود - عند التادلي - مركب من أربعة أوتار في الأكثر، وهي تضاعف أحيانا عند بعض الناس فتصبح ثمانية⁽⁵⁾. والأوتار الأربعة هي :

1- وتر البم، ويسمى الذيل.

2- وتر المثلث، ويسمى المائة.

3- وتر الزير، ويسمى الحسين.

4- وتر المثني، ويسمى الرمل.

تسوية أوتار العود :

تفصل بين الوتر وتاليه في اتجاه الحدة مسافة قدرها التادلي في ثلث درجته الصوتية، وللحصول على ذلك تلف الأوتار الأربعة بطاقات (لفات) من الحرير

1) عن اختصار التذكرة للتادلي.

2) أغاني السقا، ص: 72.

3) المصدر نفسه، ص: 72 - 73.

4) إخوان الصفا، الرسالة الخامسة من القسم الرياضي في الموسيقى ج 2 ط بيروت 1957.

5) أغاني السقا، ص 72.

(الإبريسم)، فكلما ارتفع عددها في الوتر زاد غلظة، وكلما قلَّ مال الوتر إلى الحدة. وهكذا:

- يُلَفُّ وتر الزير ب 27 طاقة، فيكون أكثر أوتار العود حدة.

- يُلَفُّ وتر المثنى بـ 36 طاقة هي حصيلة إضافة طاقات الزير إلى ثلثها (9+27)، فيليه في الغلظة.

- ويُلَفُّ المثلث بـ 48 طاقة هي حصيلة إضافة طاقات المثنى إلى ثلثها (12+36)، فيليه في الغلظة.

- ويُلَفُّ وتر البم بـ 64 طاقة هي حصيلة إضافة طاقات المثلث إلى ثلثها (16+48)، فيليه في الغلظة، وبذلك يكون أغلظ أوتار العود⁽¹⁾.

وتمد الأوتار الأربعة بحيث تجعل رؤوسها على العنق من جهة الملاوي (المفاتيح)، وتربط أطرافها في المشط (الفرس). الرسم (أ).

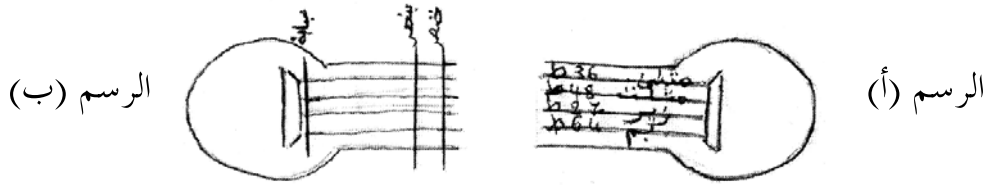
ولابد - هنا - من الإشارة إلى أن التادلي قد تفرد دون غيره من منظري موسيقى الآلة بمغرب العصر الحديث ببيان المسافات الصوتية عن طريق لف الأوتار بخيوط من الحرير على نسب معلومة. والواقع أن هذه الطريقة من التقاليد الضاربة في القدم. فقد ذكر الكندي أنها كانت معتمدة في زمانه، غير أن استخدام الحرير - وهو ما أسماه الإبريسم - كان مقصوراً على الوترين الحادين، وهما الزير والمثنى. أما البم والمثلث فكانا يصنعان رأساً من الأمعاء⁽²⁾، وقد تجدد ذكر هذه الطريقة في رسائل إخوان الصفا.

1) أغاني السقا، ص: 73.

2) مؤلفات الكندي الموسيقية. الرسالة الكبرى في التأليف أو الكتاب الأعظم في التأليف. المصدر السابق، ص: 123 - 125.

وينتقل التادلي إلى موضوع دساتين العود، فيذكر أن أرباب الصناعة يقسمون الوتر طولاً أربعة أقسام، ويشدون رباطاً على ثلاثة أرباعه مما يلي العنق لبيان موقع وضع الإصبع، وهذا دستان الخنصر؛ فإذا أرادوا تحديد دستان السبابة قسموا الوتر تسعة أقسام وشدوا الخيط على التسع مما يلي العنق، وإن أرادوا دستان البنصر قسموا ما بين دستان السبابة والمشط أتساعاً متساوية وشدوا على التسع مما يلي المشط. الرسم (ب).

ويكاد التادلي في بيانه لدساتين العود أن ينقل بالحرف ما أورده إخوان الصفا في رسالتهم لولا عزوفه عن ذكر دستان الوسطى، وهو مما يختص به العود المشرقي.



الكمنجة:

أحل التادلي الكمنجة المرتبة الثانية من بين أحسن آلات الطرب بعد آلة العود⁽¹⁾، غير أنه لم يذكر في وصفها شيئاً.

وقد نوّه بأحد مطربي مدينة فاس على عهده لتفوقه في العزف على هذه الآلة هو الشريف الغالي الجمل⁽²⁾. وفي ذلك ما يدل على شيوع استخدام هذه

1) أغاني السقا، ص: 76.

2) المصدر نفسه، ص: 77.

الآلة ضمن أجواق موسيقى «الآلة» فيما بعد منتصف القرن الثالث عشر هـ / التاسع عشر م.

الرباب:

ثلاثة أحسن آلات الطرب عند التادلي⁽¹⁾. أما محمد بن الطيب العلمي فقد أحله المرتبة الثانية في جوق «الآلة» بعد العود⁽²⁾. وكان من المحسنين في العزف عليه - على عهد التادلي - شيخه سيدي رشيد الجمل⁽³⁾ والفقيه المشارك محمد الرطل الرباطي⁽⁴⁾.

القانون:

ذكر التادلي آلة القانون فأحلها المرتبة الرابعة من بين أحسن آلات الطرب⁽⁵⁾، وقبله ذكرها محمد بن الطيب العلمي في «الأنيس المطرب» فأسمائها «السنطير» برواية شيخه في الموسيقى محمد البوعصامي.

وقد أتى التادلي على وصف القانون بكثير من الاقتضاب فذكر أن أوتاره من النحاس، فإن ذلك يوجب الحدة⁽⁶⁾، كما أشار إلى عدد هذه الأوتار فجعلها نحو سبعين، يسويها العازف بحلقات في أصابعه⁽⁷⁾.

ويدل تنويه التادلي بضارب القانون الحاج قاسم بنعسل الرباطي على شيوع استخدام هذه الآلة على عهده في أجواق «الموسيقى الغرناطية» التي

(1) أغاني السقا، ص: 76.

(2) الأنيس المطرب، ص: 178.

(3) أغاني السقا، ص: 77.

(4) عن اختصار التذكرة الأنطاكية للتادلي.

(5) أغاني السقا، ص: 76.

(6) المصدر نفسه، ص: 72.

(7) المصدر نفسه، ص: 77.

كان سوقها يومئذ نافذا بعدوة الرباط محط الموريسكيين النازحين من الجزيرة الإيبيرية. وهذا واقع تؤكدُه مشاهدة سجلها المؤرخ الرباطي محمد الضعيف المتوفى عام 1233هـ - عندما قال: «في ليلة الأحد صفر عام 1226 بعث السلطان المولى سليمان في طلب الحاج أحمد بن الطيب بناني الرباطي، فطلع عليه لأنه يعرف ضرب السنطير - وهو التسمية الأخرى للقانون - مع الآلة، فبات يضرب السنطير مع العود والرباب⁽¹⁾».

2- آلات النفخ

تختص أجواق الموسيقى الأندلسية المغربية بظاهرة فنية هي خلوها من الآلات الهوائية بسائر أنواعها. ويشذ عن هذا التقليد الجوق التابع لرحاب القصر الملكي المعروف باسم «جوق الخمسة والخمسين» الذي يقوم بأكمله على آلات النفخ النحاسية، وهو ما أسماه التادلي أهل طنبور العسكر.

وبعيدا عن أجواء موسيقى «الآلة» يوافينا التادلي بأسماء خمس آلات هوائية هي:

- الغيطة، وقد أورد ذكرها في سياق التمثيل للآلات التي تصدر عنها أصوات متصلة⁽²⁾.

- المزمار العراقي، وقد ذكر أنه يضرب به مع الأوتار، ويعرفه ابن حجر الهيثمي فيقول: «آلة كاملة وافية بجميع النغمات، ويراد به الشبابة والزمار واليراع، وليس المراد منه كل قصب⁽³⁾».

(1) الضعيف الرباطي محمد: تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة) تحقيق وتعليق أحمد العماري - دار المأثورات. ط. 1461 / 1986، ص: 370.

(2) أغاني السقا، ص: 71.

(3) ابن حجر الهيثمي: كف الرعاع عن آلات اللهو والسماع، تحقيق محمد عبد القادر عطا - بيروت، ص 277-281.

- اليراع وهو الزمارة، ويقال لها الشبابة⁽¹⁾.
- البوق : هو النفير⁽²⁾.
- الشبابة : الزمارة⁽³⁾.

3- آلات النقر

تتعدد آلات النقر الإيقاعية الواردة في كتاب السقا، ومنها:

- الطر، أو الطار، عرف بأسماء أخرى منها الرق، والغربال. وأكثرها شيوعا الدف، جمع دفوف ودفاف، ويسميه عامة المغرب دراجا⁽⁴⁾. وفي هذه التسمية ما يقابل مصطلح «التدراج» المتداول بين أرباب الصنعة، والذي يعني تحويل النقرة الموسعة إلى نقرات صغيرة يساوي مجموعها زمان تلك النقرة. ويستعمل غالبا في مصاحبة إنشاد بعض الصنعات لشغل الأدوار الموسعة. والطر آلة نقر عبارة عن دائرة من خشب خفيف، مغشاة بالجلد من وجه واحد. وعلى امتداد دائرة الآلة تُثبت صنوجٌ صغيرة هي عبارة عن حلق من نحاس تسمى الجلاجل، والصلاصل والصراصر، والجرس، وظيفتها زيادة الإطراب عند تحريكها. وقد تكون دون صنوج فتكون أقل إطرابا⁽⁵⁾. ويسمى الدف بالصفائح «المزنج».

وقد أشار التادلي - عرضا - إلى وجود نوعين من الدفوف أحدهما «دف العرب»، وهو المدور بوجه واحد⁽⁶⁾، والثاني «دف العجم»، وهو الذي محيط

(1) أغاني السقا، ص 111.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص: 117.

(4) الشهاب الخفاجي: نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض، دار سعادات مط عثمانية 1312.

(5) أغاني السقا، انظر الصفحات 104 - 106 - 109 - 111 - 116.

(6) انظر إكمال المعلم للقاضي عياض.

دائرتَه أكبر من دف العرب، وفي ذلك ما يشبه آلة النقر المستعملة في مصاحبة رقصات الفادو البرتغالية والفلامنكو الإسبانية.

ويكون الدف مستديرا، فإن كان مُرَكَّنًا، أي قائما على زوايا فهو المزهَرُ.

وللدف دور رئيس في جوق «الآلة» الأندلسية، أشرنا إليه عند كلامنا عن الأوزان، فهو لجام الموسيقى وأساسها⁽¹⁾، وصاحبه في القديم كان هو الرئيس الذي ينفق الشعر أولا ونغمته⁽²⁾.

وتقضي العادة عند استخدام الطر أن يمسك من ثقب في دائرته باليد اليسرى. ويتم هذا على طريقتين :

- الأولى بواسطة نقره بسبابة اليمنى أو بأطراف أصابعها معقودة آنا على الحاشية وآنا في وسطه.

- الثانية بواسطة تحريك الآلة باليد اليسرى لإسماع صوت الجلاجل النحاسية.

وقد أتى التادلي على ذكر آلات نقرية أخرى مما يستعمل في بعض أنماط الموسيقى الشعبية، ومنها:

- الهندقة⁽³⁾ آلة نقر عبارة عن صفيحتين معدنيتين تمسكان بأصابع اليدين، فيصفق بهما. وهذه الآلة مما تختص به فرق كناوة الزنجية الأصل، وقد تستعمل لدى الطائفة العيساوية.

(1) اختصار تذكرة الأنطاكي، المرجع السابق.

(2) المصدر نفسه.

(3) أغاني السقا، ص: 66.

- الطاسات أو الطبليات: من آلات النقر التي تختص بها طوائف القاسميين وعيساوة عند الحضرة⁽¹⁾.
- الطبل: يتكرر ذكر الطبول في كتاب التادلي، وهي من الآلات التي تصدر عنها الأصوات المنفصلة⁽²⁾.
- الصفاقتان. قطعتان من نحاس أصفر، تضرب بإحدهما على الأخرى⁽³⁾.
- الكوبة: طبل طويل ضيق الوسط، ويعرف عند المغاربة باسم أگوال⁽⁴⁾، عبارة عن آلة اسطوانية الشكل طرفها الأعلى مغشى بالجلد، وهو - عند التادلي - مما يستخدمه الهدويون أصحاب سيدي هدي.
- الكبر: هو الكوبة أيضا⁽⁵⁾.
- الغربال : من أسماء الطر. وقال بعضهم هو البندير⁽⁶⁾.

لقد أمسك التادلي عن بيان وضع مجموعة العازفين في جوق «الآلة» الأندلسية، غير أنه أكد على أهمية الدور الذي كان لصاحب الطار في هذه المجموعة، فذكر أنه كان في القديم هو الرئيس الذي ينفق الشعر ونغمته. ويعني هذا أن صاحب هذه الآلة هو «النَّفَّاقُ» الذي ينسق بين صنعات الميزان، وهو وحده الذي له السبق إلى التخلص من صنعة إلى أخرى، يختار لـ «نَفَقَتِهِ»

1) يراد بالحضرة آخر مراحل الرقصة عند الطائفة حيث تحتد الحركة ويصطبغ الرقص.

2) أغاني السقا، ص: 71.

3) المصدر نفسه، ص: 126.

4) المصدر نفسه، ص: 125.

5) المصدر نفسه، ص: 111.

6) المصدر نفسه.

الموقع المناسب من الصنعة السابقة، فأنا يخلص من وسط دورها الإيقاعي الأخير، وطورا يخلص قبل نقرته الأخيرة، فينتقل إلى الصنعة الموالية متلفظا بمطلع شعرها⁽¹⁾.

ومن الجدير هنا الإشارة إلى عدم ورود ذكر الدربكة في كتاب التادلي. والظاهر أن هذه الآلة لم تكن على عهد المؤلف متداولة الاستعمال في أداء ميازين الموسيقى الأندلسية بالمغرب، وإن كنا لا نستبعد تداولها في بعض أنماط الموسيقى الشعبية، تحت تأثير تقاليد الموسيقى التركية التي تسربت إلى المغرب على عهد الشرفاء السعديين.

ونختم هذا الباب بالإشارة إلى أن التادلي عرج على ذكر آلة ليس لها أي حضور في أجواق الموسيقى العربية، بله المغربية. ويتعلق ذلك بآلة «الأرغن» الهوائية.

يقول التادلي في وصف هذه الآلة: آلة ذات ثلاثة زقاق كبار متراكبة، من جلد الجاموس، فوق الزق الأوسط زق كبير آخر، وفوقه أنابيب لها ثقب على نسب معلومة تصدر أصواتا طيبة⁽²⁾.

ويبدو أن الأرغن الذي وصفه التادلي متوسط الحجم، إذا ما علمنا أن أرغن كنيسة السيدة مريم بباريس يحوي ما لا يقل عن اثني عشر زقا، يصدر الهواء عنها ليمرّ في أنابيب تصدر عنها النغمات.

(1) ابن عبد الحليل عبد العزيز: معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية. منش معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. الرباط 1992، ص: 93.

(2) التادلي: أغاني السقا. ص 28، ويبدو أن هذه الفقرة منقولة بتصريف من كتاب «مفاتيح العلوم» للخورازمي. الفصل الأول: الباب السابع - المقالة الثانية.

بجسم الله الرحمن الرحيم وعلو الله على سيدنا محمد وآله



الحمد لله الخ المهرب العشاق! بسماع غريبة كجبع العشتاق! وخص بنبعة افنا الاذان! وتفضل عليها بنعمة الاحسان! والى السلام على سيدنا محمد خير اهل عراق العرب وعراق العجم! الخ اعطيت صوت داود الرخيل كان احسن الناس صوتا في الحديث والغدير! وعلو الله الخ رعد رايسيو ومهم فجارم تاخر او تقدم، وتبعه فيقول العبد المذنب الخالي ابراهيم بن محمد التادك الربالي لما تعاليت زمه الشباب فراء، علوم الرياضة بفراش علم الحساب وبعض الهندسة والهيئة والتعديل والتوفيت وكان من اركانها علم الموسيقى تشوقت بعضه اليه اذ لا تكمل ملهية الفس، الاباركانه كالمداد لا يكمل الاباركانه الاربعة الماء، والعقبى والزاج والعلك بل انثار الامام الغزالي رضي الله عنه في الاحياء، ان ان العالم ينبغي له ان يكون جامع العلوم فتنس لانها متعلونة وبعضها متوقف على بعض بل فالوا العلوم كلها وان كثر

شء

الصفحة الأولى من كتاب أغاني السقا ومغاني الموسيقى لإبراهيم التادلي،

مخطوطة المكتبة الوطنية بالرباط رقم 109 د.

القسم الثاني :

مواقف الفقهاء والمتصوفة

من السماع

تمهيد

يندرج النظر في السماع في صميم الفقه الإسلامي. فقد دأب شيوخ الفقه - منذ البدايات الأولى لتصنيف العلوم - على جمع المسائل والنوازل في أبواب مستقلة شكلت فروعاً للفقه الإسلامي، من قبيل باب البيع للمسائل المتعلقة بالبيع، وباب السماع لما اختص بالنظر في الظواهر والمسائل المرتبطة بالغناء وأدواته وممارسته.

وقد تنبه الدارسون إلى طبيعة نظر الفقهاء في هذه الأبواب، فذكروا أنها كانت تتجه إلى بسط الجزئيات دون المبادئ العامة، وأنها اهتمت بذكر فروع الفقه دون أصوله. وتبدو مواقف الفقهاء في أحيان كثيرة متضاربة متباينة، وذلك لأسباب كان أهمها:

- الخلاف بين مدرسة الحديث - ومركزها المدينة - ومدرسة الرأي - ومركزها العراق. وفيما كان مالك وأتباعه شديدي التمسك بالحديث حين يفتقدون النص القرآني، كان أبو حنيفة وأشياعه يتهيبون الحديث ولا يرون ضيراً في الاجتهاد والقول بالرأي.

- ثم لما حلّ العصر العباسي حصل تضخم في الفقه الإسلامي بفعل ما تسرب إلى المجتمع الإسلامي من تقاليد وعادات جديدة نتيجة لالتحاق أمم غير عربية بالإسلام، فكان من اللازم النظر إلى هذه التقاليد من منظور القواعد العامة للإسلام، مع إنكار بعضها وإقرار بعضها وتناول بعضها الآخر بالتعديل.

- وعلى الرغم من تضائل الفوارق بين مدرسة النقل ومدرسة الرأي بفضل رحلات شيوخ المذاهب إلى الأمصار فقد تضاعف الاختلاف بين الفقهاء وازداد حدة، وذلك لأسباب متعددة منها:

1. اختلافهم في تفسير الألفاظ الواردة في الكتاب أو في الحديث. من ذلك - مثلاً - الاختلاف في تفسير كلمة «الخلق» من الآية الكريمة: ﴿يَزِيدُ فِيهِ الْخَلْقَ مَا يَشَاءُ﴾⁽¹⁾ فقد ذهب بعض المفسرين من المتساهلين في أمر السماع إلى أن المراد هو الصوت الحسن. ومن ذلك أيضاً قول بعض المتشددین في قراءة القرآن بالألحان بأن المراد بلفظ «التغني» في الحديث «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» هو الاستغناء بالقرآن عن غيره، وأن الحديث: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» مقلوب إذ المراد: زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ.

2. اختلاف صيغ الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد. ومثال ذلك اختلاف «حديث الجاريتين» عند عائشة رضي الله عنها ما بين نص فيه: «تَتَغَنَّيَانِ بِمَا تَقَاوَلْتِ بِهِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ»، وآخر فيه: «تَتَغَنَّيَانِ بِدُفٍّ»، وثالث فيه: «وَلَيْسَتَا بِمُغَنَّيَتَيْنِ».

3. إعمال القياس عند بعض الفقهاء دون آخرين في استنباط الأحكام. من ذلك استنتاج الحكم بإباحة استعمال آلتی المزهر - وهو الطرّ المغشى بالجلد من طرفیه - والكبّر - وهو المعروف عند المغاربة باسم «أكوال» - قياساً على جواز استخدام الدف في الأعراس عند سائر الفقهاء.

اهتم العلماء والفقهاء المسلمون عبر العصور بالنظر في مسألة السماع، وقد ألف بعضهم كتباً ورسائل جاءت مفعمة بالآيات والأحاديث التي لها صلة

(1) سورة فاطر، الآية 1.

بهذا الموضوع، كما حفلت بأرائهم، فجاءت متضاربة يذهب البعض منها إلى الإباحة المطلقة آنا، والمشروطة طورا، ويوغل بعضها الآخر في المنع لدرجة التحريم، بينما تقف أخرى وسطا بين الطرفين النقيضين. وقديما قال صاحب المباحث الأصلية أبو العباس بن البنا السرقسطي (مجزو الرجز)

وَلِلْأَنَامِ فِي السَّمَاعِ خَوْضٌ لَكِنْ لِهَذَا الْحِزْبِ فِيهِ رَوْضٌ
قَالَ الْعِرَاقِيُّونَ بِالتَّحْرِيمِ قَالَ الْحِجَازِيُّونَ بِالتَّسْلِيمِ

قال ابن الجوزي في هذا الصدد: وقد تكلم الناس في الغناء فأطالوا، فمنهم من حرمه، ومنهم من أباحه من غير كراهة، ومنهم من كرهه مع الإباحة⁽¹⁾.

وقد سار التادلي على نهج هؤلاء، فعقد فصولا مطولة شغلت من كتابه ربه بدءاً من صفحة 98 إلى صفحة 130، عرض فيها لبيان حكم الدين في السماع، وبسط آراء أئمة المذاهب الفقهية وجلة الفقهاء ممن يعتد بهم بين جمهور علماء الإسلام في تعاطيه، وبذلك جاء كتابه حافلا بما يدعم أحكام هؤلاء وآراءهم سواء منها المؤيد للسماع أو المعارض المتحفظ.

عقد التادلي فصلا مطولا موضوعه «حكم الغناء وسماعه»، ذكر أن الناس فيه فرقتان:

1. فرقة خففت فيه فأباحته وأجازته، وعلى رأس هؤلاء بعض المتصوفة.
2. فرقة شددت فيه، فقضت بحرمة أو كراهته وهم بعض الفقهاء⁽²⁾.

(1) تلييس إبليس، إدارة الطباعة المنيرية، تصوير دار الفكر، ط2، ص: 223.

(2) أغاني السقا، ص 92-106.

وتكاد آراء فقهاء المالكية تستوعب جل ما أورده التادلي وهو يستعرض آراء الفرقتين، وقد أتبع ذلك بفصول ثلاثة استعرض فيها - تباعا - حكم السماع على مذهب الشافعية⁽¹⁾ ثم مذهب الحنابلة، ثم مذهب الحنفية⁽²⁾.

وفيما يلي سنحاول - بكثير من التركيز والإيجاز - عرض وجوه الرأي في موضوع السماع من خلال ما فصل فيه التادلي الكلام بإسهاب وإطناب لم يخلوا على امتداد فصول الكتاب من مأخذ مردها إلى التكرار، وكثرة الاستطرادات، وتدفق المعلومات في غير تنسيق، ومن هنا نجد أنفسنا في حاجة إلى أن نعاود قراءة الكتاب لتجميع ما تفرق في صفحاته من معلومات تتصل بالموضوع.

1- القول بالتخفيف:

دأب العلماء منذ القديم على تصنيف علم الموسيقى ضمن العلوم الرياضية، مثلما دأبوا على اعتبار العلوم بسائر أنواعها متكاملة بعضها يسند البعض. ومن ثم فالعلم - كما قال أبو علي الحسن اليوسي - «نباع وبعضه للبعض تباع»، والعلوم «وإن كثرت شيء واحد، وإنما تمايزت بالموضوعات كعلوم العربية الاثني عشر».

وإذا كان أمر العلوم على هذا النحو فلا مبرر لأن يكون علم الموسيقى موضع تحريم أو تحليل، اللهم إلا أن يُحوّل عن مقاصده الأولى، ذلك أن «جميع الوسائل تعتبر بمقاصدها: فمن تعلم علما ليتوصل به إلى محرم أو مكروه حُرّم أو كُره، أو إلى واجب أو مندوب أو مباح وجب أو نُدب أو أُبيح، إذ الحكم على الشيء فرع تصوّره، وإنما الأعمال بالنيات»⁽³⁾.

(1) أغاني السقا، ص: 125-127.

(2) المصدر نفسه، ص: 127.

(3) المصدر نفسه، ص: 7 من فهرست اليوسي.

وما زال الغناء موضع جدل بين الفقهاء حتى كرهه بعضهم وجعلوه من فوادح الشهادة ومبطلاتها، غير أنه قد تصحبه نية صالحة تجعله في حيز المباح، بل المندوب، كنية ترويح النفس إذا كلت من تعب شغل، كمطالعة كتب، وفرح بإدراك مسألة صعبة من العلوم⁽¹⁾.

والظاهر التفصيل فيه بين أحوال الناس، فإنها فيه مختلفة، فقد يباح لمن يحسن سماعه وغناؤه كمن يعينه على التفكير في مخلوقاته تعالى، وعلى تذكر نعيم الآخرة، كما هو حال القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت 182هـ) صاحب كتاب «الخراج» الذي كان ربما حضر مجلس الرشيد، وفيه الغناء، فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر به نعيم الآخرة، وقد يُنهي عنه من لا يحسنه⁽²⁾.

ونجد تأويل هذا الكلام فيما أورده الإمام الغزالي إذ قال: فأما التشبيب - وهو بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء - فهذا فيه نظر. والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن، وعلى المستمع أن لا يُنزله على امرأة معينة، فإن نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريتها، فإن نزله على أجنبية فهو العاصي بالتنزيل وإحالة التفكير فيه... فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه، سواء كان اللفظ مناسباً له أو لم يكن، إذ ما من لفظ إلا ويمكن تنزيله على معان بطريقة الاستعارة، فالذي يغلب على قلبه حبُّ الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلاً ظلمة الكفر، وبنضارة الخد نور الإيمان، وبذكر الوصال لقاء الله تعالى، وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة المردودين، وبذكر الرقيب المشوِّش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتِها المشوشة لدوام الأُنس بالله تعالى...⁽³⁾.

1) أغاني السقا، ص: 35.

2) المصدر نفسه، ص 93 و98.

3) الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب السماع، الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحته، ج 2 ص 244.

وفي سياق استجلاء مواقف الفقهاء والمتصوفة ممن خففوا في الغناء وسماعه، يقتبس التادلي من مقدمة كناش الحايك الفصل الأول في جواز السماع واستحكامه، فيستمد منه ما يؤكد تساهل هؤلاء. من ذلك رد أبي سالم على شخص قال له: كيف تنكر السماع وكان الجُنيدُ والسَّرِيّ وذو النون وغيرهم يسمعون؟ فقال: كيف أنكروه وقد أجازوه وسمعه من هو خير مني؟!⁽¹⁾.

ومن ذلك قولُ أبي طالب المكي في «قوت القلوب» إن أنكرنا السماع أنكرنا سبعين صديقا من هذه الأمة⁽²⁾، وإفتاءُ أبي بكر ابن العربي المعافري في «عارضه الأهودي» بأن الغناء ليس بحرام⁽³⁾ وقول عطاء بن أبي رباح (ت 115هـ): لا بأس بقراءة القرآن بالألحان⁽⁴⁾، واستضافةُ الشيخ الصالح الحسن الزبيدي أبا الحسن الصغير الزرويلي (ت 719هـ) بزوايته في تونس وعمل الغناء له⁽⁵⁾.

وممن خفف في السماع -عند التادلي- بعض الصوفية⁽⁶⁾ فلقد اتخذوا من الغناء وسماعه مواقف أميل إلى التساهل، وكانوا لا يجدون حرجا في إحياء الليالي مع أهل الموسيقى وهم ينشدون ويضربون بين أيديهم على آلات الطرب، ويجعلون من زواياهم شبه أندية يحج إليها المزمومون من أرباب السماع، فيتناشدون نوبات «الآلة» في صباح عيد المولد النبوي من كل سنة، وفي أوقات معلومة من أيام الأسبوع، فهذا الجُنيدُ، وخاله السَّرِيّ، وذو النون المصري،

1) أغاني السقا، ص 233.

2) أبو طالب المكي: قوت القلوب، تحقيق د. عصام إبراهيم الكيالي، ج 2 ص 101.

3) أغاني السقا، ص: 104. انظر: ابن العربي المعافري: عارضة الأهودي في شرح صحيح الترمذي. كتاب البيوع كراهية بيع المغنية. دار إحياء التراث العربي. بيروت ط1-1415هـ - 1995م ج 5 ص 282.

4) المصدر نفسه، ص: 102.

5) المصدر نفسه.

6) المصدر نفسه، ص: 98.

ونظراؤهم من رجال التصوف كانوا يسمعون السماع فلا ينكرونه، وإذا دُعوا لعرس أو ختان فيهما طرب لم يستنكفوا منه⁽¹⁾. وهذا الجنيد - نفسه - يقول: السماع على ثلاثة أنواع، للعوام والزهاد والعارفين، فأما العوام فحرام عليهم لبقاء أنفسهم، وأما الزهاد فمباح لهم لحصول مجاهدتهم، وأما أصحابنا (أي العارفون) فيستحب لهم⁽²⁾.

وفي هذا المعنى يقول صاحب المباحث الأصلية

وَإِنَّمَا أُبِيحَ لِلزُّهَّادِ وَنَدَّبَهُ إِلَى الشُّيُوخِ بَادٍ
وَهُوَ عَلَى الْعَوَامِّ كَالْحَرَامِ عِنْدَ الشُّيُوخِ الْجِلَّةِ الْأَعْلَامِ

وكان الفقهاء - وحتى المتشددون منهم - لا يجدون ضيرا في أن يمارس المتصوفة السماع حتى قال الشيخ زروق (ت 899هـ): إنه من رخص الصوفية⁽³⁾، وقال ابن العربي الحاتمي (ت 638هـ): صاحب الحال معذور⁽⁴⁾، ويذهب الشيخ زروق في شرحه للوغليسيّة إلى القول بأن «ما وقع لبعض المباركين من سماع آلات الطرب محمول على أنهم فيه أصحاب حال، وصاحب الحال له حكم المجنون، يسلم له، ولا يقتدى به. وإنما الفرق بين صاحب الحال وبين المجنون أن صاحب الحال ذهب عقله بمعنى رباني، فوجب تعظيمه لذلك، والمجنون ذهب عقله بأمر شيطاني فيترك في حيز العدم، وقد يكون صاحب الحال ثابت الذهن قائما بالمحجة، لكنه فانٍ فيقتدى به فيما وافق الشرع»⁽⁵⁾.

1) أغاني السقا، ص: 104.

2) المصدر نفسه، ص: 123.

3) المصدر نفسه، ص: 113. انظر كذلك الشيخ زروق: النصيحة الكافية، ص: 62.

4) المصدر نفسه، ص: 113.

5) المصدر نفسه، ص: 114. انظر كذلك شرح الرسالة الوغليسية. خ ج ك م رقم 438 ص 266-267.

وينقل الزرقاني عن بعض الصوفية قولهم بجواز سماع بعض آلات اللهو المحرمة عند الفقهاء لسماعه منها ذكر الله دون اللهو. فالجواز قاصر على من هو بتلك الصفة⁽¹⁾.

ويحدد الشيخ زروق مقاصد السماع عند الصوفية فيقول: ما سمع من سماع الأشياخ إلا لأحد أمرين: الأول: إصلاحاً للمريدين حتى يلقن لهم ما يريد من الحق في قوالب الباطل، فإن النفس لا تطيق الحق على وجهه مع بقاء الهوى فيه. والثاني: رفقا بأبدانهم لئلا تهتك من حرارة الحب⁽²⁾.

وقد سئل السيوطي عن رأيه في السماع فقال: حرّمه من يرجع في الأمور الشرعية إليه-وهو هنا يريد الفقهاء وأئمة المذاهب- وأباحه من ليس لنا أن نعترض عليه (أي المتصوفة)، وإنما هو أمر مبهم، وصاحبه على خطر، فمن عرف طريق من أباحه، وإلا فطريق من حرّمه أسلم⁽³⁾.

وقد كان ابن حزم الأندلسي من أبرز من ذهب إلى جواز الغناء وإباحة استخدام الآلات الموسيقية حتى قال فيه الدميري من منظومته: (رجز)

فَقَدْ أُبِيحَتْ عِنْدَهُ الْأُوتَارُ وَالْعُودُ وَالطُّنْبُورُ وَالْمِزْمَارُ⁽⁴⁾

ولابن حزم ضمن رسائله الشهيرة «رسالة في الغناء الملهي، أمباح هو أم محظور؟ فنَدَّ فيها أقوال المانعين وقارعها بالحجة⁽⁵⁾.

(1) أغاني السقا، ص: 129 نقلا عن شرح مختصر الشيخ خليل- فصل السهو دار الفكر. بيروت.

(2) المصدر نفسه، ص: 113. انظر الشيخ زروق: النصيحة الكافية ص: 62.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، ص: 118-119.

(5) رسائل ابن حزم. تحقيق د. إحسان عباس. ط1، المؤسسة العربية للنشر ص: 430-439.

وقد كان الإمام الغزالي - أيضا - من بين من جنح إلى التساهل في أمر الغناء، قال: الغناء إن قُصد به ترويحُ القلب على الطاعة فهو طاعة، أو على المعصية فهو معصية، أو لم يُقصد به شيء فلهُوَ مَعْفُوٌّ عنه⁽¹⁾.

ويستفاد من هذا القول أن الأصل في السماع الإباحة، إلا إذا انطوت نية ممارسته على معصية فيصبح - حينئذ - معصية.

ومثل هذا الاستثناء وارد عند الإمام الغزالي إذا طرأ أحد العوارض التي تجعل السماع حراما. ومن هذه العوارض خشية الفتنة من سماع صوت الأُمَرَدِ «فلا يصلي خلفه الأشفاعَ لأنه يلتذ بصوته»⁽²⁾.

ومثل هذا التساهل يستشف من أقاويل وأخبار استقاها التادلي من مصادره، فجاءت - في ذات الوقت - لتكشف عن بعض جوانب الموسيقى الأدبية والجمالية، ولتدل على ما بلغه بعضهم من سمو في تذوق هذا الفن كثيرا ما عزَّ إدراكه على المتأدبين من الفقهاء.

ونسوق - فيما يلي - بعض ما أورده التادلي من نقولات مع اقتراح عناوين مناسبة لها:

- **الملاذ الأربع** : الملاذ التي عليها مدار الحياة أربعة هي المأكل، والملبس، والنكاح، والسماع. وإذا كان المأكل ضروريا لقيام الأبدان، وكان الملبس من مستلزمات حفظها من الحر والبرد، وكان النكاح من شروط وجود النوع الإنساني، فإن السماع غذاء للأرواح، وله تعلق بالنفس التي هي أشرف جزء في بنية الإنسان.

1) أغاني السقا، ص: 125-126.

2) المصدر نفسه، ص: 112.

وفيما يعتبر المأكل والنكاح من تعلقات البهيمية حتى عدّ ما زاد عن توليد النوع وإقامة الجسم فضولا وبطرا، فإن السماع أقل الملاذ الأربع مدعاة إلى تعب الجسم وطلباً للجهل بل هو أجلب للدعة والسكون، ولذلك كان أدخل في المزاج، وأقوى الملاذ تأثيراً في النفس؛ على أن هذا التأثير لا يتأتى عن عزف الآلات الموسيقية إلا بقدر محدود، ولكنه يتأتى عن طريق الألحان، ثم عن طريق الأشعار وأغراضها فخراً، أو وصفاً، أو غير ذلك⁽¹⁾.

أدب السماع:

يجب على صاحب صناعة السماع إذا أراد بسط قوم، أو معرفة مرض، أو رفع تشاجر، أو دفع همّ، أن يتحرى المناسب في مجلسه، فإن أعجزته كثرة الجمع ألف من ذلك نسبا صالحه، فإن عَجَزَ قصد مناسبة رئيس ذلك الجمع الحاضر وطالع الوقت، فإنه يبلغ الغرض، ومتى وقع السماع ولم يصادف الغرض فات المطلوب إما من حيث الآلة، أو اللحن، أو الضارب، أو الطالع، أو شغل قلب السامع بِمُهْمٍ⁽²⁾.

- أستاذ يلقن علم الموسيقى وعلم القراءات:

نقل التادلي من كتاب «الروض الهمتون في أخبار مكناسة الزيتون» لابن غازي المكناسي (ت 919هـ) خبراً طريفاً مفاده أن أحد علماء المغرب على عهد بني مرين هو أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري المتوفى عام 682هـ كان يجمع في حلقاته العلمية بين تدريس علم القراءات وتلقين صناعة السماع، وهو في هذا الصدد يقول: إن الشيخ الإمام الغماري كان أستاذاً في علم الموسيقى

1) كتاب السقا، ص: 46-47 عن كتاب «النزهة» لداود الأنطاكي بتصرف. انظر تذكرة الأنطاكي، ج 3 ص 306-308.

2) المصدر نفسه، ص: 47. انظر تذكرة الأنطاكي ج 3، المرجع السابق.

وعلم القراءات، فيعلم أصحاب هذا الفن، وأصحاب هذا الفن، فكان يؤخذ عنه العلمان معا⁽¹⁾.

– الإفتاء بعد السماع:

قدم إبراهيم بن سعد الزهري (العراق) سنة أربع وثمانين ومائة، فأكرمه الرشيد وأظهر برّه، وسئل عن الغناء فأفتى بتحليله، وأتاه بعض أصحاب الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري⁽²⁾، فسمعه يتغنى، فقال: لقد كنت حريصا على أن أسمع منك، فأما الآن فلا سمعتُ منك حديثا أبدا. قال: إذن لا أفقدُ إلا شخصك. عليّ وعليّ إن حدثتُ ببغداد حديثا ما أقمْتُ حتى أغني قبلة، وشاعت هذه الحكاية ببغداد، فبلغت الرشيد، فدعا به، فسأله عن حديث المخزومية التي قطعها النبي ﷺ في سرقة الحلبي، فدعا بعود، فقال الرشيد: أعود المحمّر؟ قال لا، ولكن عود الطرب، فتبسّم، ففهمها إبراهيم بن سعد فقال: لعله بلغك يا أمير المؤمنين حديث السفية الذي آذاني بالأمس وألجأني إلى أن حلفت؟ قال: نعم. ودعا الرشيد بعود، فغناه:

يَا أُمَّ طَلْحَةَ إِنْ الْبَيْنَ قَدْ أَفِدَا قَلَّ الثَّوَاءَ لِأَنَّ كَانِ الرَّحِيلُ غَدَا

فقال الرشيد: من كان من فقهاءكم يكره السماع؟ فقال: من ربط الله على قلبه.

– شواهد من تساهل الفقهاء في السماع:

– ابن المعتب يسمع غناء وهو في طريقه إلى المسجد: نقل التادلي عن القاضي عياض خبر أحمد بن معتب بن أبي الأزهر⁽³⁾ المتوفى عام 276هـ –

(1) أغاني السقا، ص: 99-100. انظر: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، لابن غازي المكناسي. تحقيق:

عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط 1993. ص: 55.

(2) المقصود هنا ابن شهاب الزهري المحدث المتوفى عام 124هـ/741م.

(3) المصدر نفسه، ص: 104-105.

وهو أحد الثقات في رواية الحديث - فقال: مرّ في طريقه إلى مسجد السبت بدار فيها غناء، ففرع الباب، وخرج إليه صاحب الدار فاستأذنه في الدخول، فاستحى صاحب الدار واعتذر، فقال: لا بُدَّ، فدخل صاحب الدار قبله، وغيب ما كان بين أيديهم من شراب، ثم أذن له، فدخل، وسلّم، فقال: من المتكلم؟ فقالوا: هذا، فقال: سألتك بالله إلا ما أعدت ما سمعتُ منك. فقال مغنيهم: (بسيط)

العَفْوُ أولى لمن كانت له القدر لا سيِّمًا عن مُقرِّ ليس ينتصر
أقرَّ بالذنب إجلالاً لسيِّده فقام بين يديه وهو يعتذر

فبكى وحن وأن، وردده مرارا، وانتحب، وقال: تاب الله عليكم، وخرج.. وصار أحمد إلى مسجد السبت⁽¹⁾.

- عن عكرمة بن عبد الله المتوفى عام 105هـ أنه قال: لما ختن عبد الله بن عباس بنيه أرسلت دعوة له إلى اللعابين، فلعبوا، فأعطاهم ابن عباس أربعة دراهم.

- ودعا عبد الله بن جعفر معاوية بن أبي سفيان يوما لطعام فلما نشر بين يديه انطلق مغن يحرك أوتار عوده ويغني، فأعجب غناؤه معاوية، وطرب له. وأمسك عن الطعام، وجعل يضرب برجله الأرض طربا، ثم قال: لا بأس بحكمة الألعان⁽²⁾. قال ذلك ثلاث مرات.

(1) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج 4 ص 354-355 نشر وزارة الأوقاف المغربية، فضالة - المحمدية 1390-1970م.

(2) في رواية أخرى: لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الغناء.

- قال أبو سعيد بن مسلم لأبي دأب، قد أخذت من كل شيء بطرف، غير شيء واحد، فلا أدري ما صنعت فيه، فقال: لعلك تريد الغناء، قلت: أجل، قال: أما أنك لو شهدتني وأنا أترنم بشعر كثيرٍ عزّةٍ حيث يقول: (طويل)

وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامٌ أُخْرَى وَجَلَّتْ

لاسترحت تكتك، قال: قلت أتقول لي هذا؟ قال: إي والله، وللمهدي أمير المؤمنين كنت أقوله!⁽¹⁾.

2- القول بالتشديد:

ذهب جل فقهاء المالكية إلى القول بالتشدد في السماع. وتتفاوت درجات هذا التشدد تبعاً لنوع الممارسة الفنية من غناء ساذج أو غناء مصاحب بالعزف على الآلات، كما تختلف باختلاف مقاصد استعمال السماع، ومناسباته، وصنوف الآلات المستخدمة فيه.

أ- الغناء :

اعتبر فقهاء المالكية الغناء إن تكرر ولو بغير آلة من فوادح الشهادة لما فيه من إخلال بالمروءة، وفي هذا يقول الإمام مالك في المدونة: ترد شهادة المغني والمغنية إذا عرفا بذلك بسبب العيب.

وهم يرون أنه «متى حمل الغناء على تعلق بمحرم حرم فعلا وسماعا، تكرر أم لا، بآلة أو بلا آلة، في عرس أو في صنيع كولادة وعقد نكاح، ومتى لم يحمل على محرم جاز بعُرس وصنيع بآلة وغيرها، سماعا وفعلا، تكرر أم لا. أما بغير عرس أو صنيع فيمنع إن تكرر بآلة وغيرها، فعلا وسماعا. وإن لم يتكرر كره سماعا. واختلف فيه عند الفعل».

(1) كتاب السقا، ص 92.

ولعل من أكثر الآراء تشددا في موضوع الغناء ما ذهب إليه محمد بن أحمد ابن عرفة الدسوقي في حاشيته على شرح مختصر الشيخ خليل للدردير إذ قال: «إذا لم يكن الغناء بكلام قبيح ولا حمل عليه كتعلق بامرأة، ولا بآلة كعود وقانون يكره، فإن تخلف شرط من الشروط الثلاثة حرم سماعه وفعله ولو في عرس»⁽¹⁾. وهكذا أفتى الدسوقي بكراهية الغناء حتى مع توافر الشروط الثلاثة.

وإذا كان الغناء الساذج عند ابن العربي في «عارضة الأحوزي» ليس بحرام - فإنه عند الإمام الغزالي في «الإحياء» وابن الحاج في «المدخل»، والمقدسي في «حل الرموز» - أربعة أقسام:

1. حرام محض لأكثر الناس من الشباب إن كان في الإنشاد تشبيب، ويحمل على هذا القسم قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾.
2. مكروه لمن يتخذه على سبيل اللهو.
3. مباح لمن لا حظَّ له من التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور إذ يتذكر به غائبا أو ميتا فيستروح به سمعه.
4. مندوب لمن غلب عليه حب الله، وحرك السماع فيه الصفات المحمودة⁽²⁾.

وقد لخص الشيخ زروق القول في حكم السماع فقال: إنه لا نص فيه من الشارع، وإن الذي تقتضيه قواعد الشريعة تقسيمه لما ذكره المقدسي في «حل الرموز»: الحرمة، والإباحة والندبة⁽³⁾.

(1) أغاني السقا، ص: 108-109.

(2) المصدر نفسه، ص: 120. انظر الغزالي: إحياء علوم الدين ص: 264.

(3) أحمد زروق: آخر كتاب «شرح النصيحة الكافية» ص 356.

وممن شدد من الفقهاء في موضوع السماع ابن حجر الهيتمي (ت. 973هـ) فقد تصدى في كتابه «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع» للرد على أبي المواهب الشهير بابن زغدون (ت. 882هـ) صاحب كتاب «فرح الأسماع برخص السماع». وقد أغلظ ابن حجر في الرد وبالغ في الجواب، ويكفي عنوان كتابه دليلاً على ذلك⁽¹⁾.

ونستأنس برأي الإمام أحمد بن حنبل في الغناء لنرى ما بين الفريقين من فرق، فنجد أنه اتخذ من الغناء مواقف ثلاثة هي الإباحة، والكرهية، والحرمة.

فأما الإباحة والكرهية ففيما يرجع لسماع القصائد لأنه - عنده - بدعة، ومثل ذلك أيضاً التغيير، وهو إنشاد الأشعار التي فيها ذكر الله تعالى بالألحان، ثم ما كان من قبيل الغزل والنوح، فكل ذلك عنده محظور.

وأما الحرمة ففي الغناء بالآلات إلا ما كان من الشيء الخفيف.

وقد لخص التادلي رأي الشافعية في الغناء اعتماداً على «كتاب الأم» لإمام المذهب وكذا ما جاء في «شرح منهج السالك» للشيخ زكرياء الأنصاري، و«حاشيته» للشيخ البجيرمي، فذكر أنه إن كان ساذجاً كره صنيعه وسماعه، وإن صاحبه آلة حرم، على أن بعضهم يذهب إلى القول بأن التحريم ينسحب على الآلة، ومن ثم فهو ينحصر فيها، في حين يبقى الغناء على الكراهية، كما يذهب إلى استثناء حذاء الإبل، فلا يحرم ولا يكره لما فيه من تنشيط للغير⁽²⁾.

وينطبق الحكم بتحريم الغناء عند الشافعية - حسب المنهج - على الزّفن، وهو الرقص، وذلك في حالة تكسر حركاته وخروجها عن الاستقامة والاعوجاج

1) أغاني السقا، ص: 129.

2) المصدر نفسه، ص: 126.

لما فيه من تشبه بأفعال المخنثين. ومثلما يحرم الإكثار من الغناء، فكذلك يحرم الإكثار من الزفن لما في ذلك من إخلال بالمروءة⁽¹⁾.

ب- تجويد القرآن الكريم:

ويدخل في نطاق الغناء قراءة القرآن بالتلحين، وهو تطريب الصوت بالأنغام كقراءته بطبع الماية أو العشاق أو الرصد ونحوه مما هو من نعمة العجم لا من نعمة العرب⁽²⁾.

أما حكمه فهو - عند المالكية - الكراهة إن لم يخرج عن حد القرآن، وهو المشهور من مذهب الجمهور، إذ القصد من القراءة التدبر والتفهم، أما تقطيع الصوت بالأنغام فهو مما ينافي ذلك ويخل به. وقد تردد في رسالة ابن أبي زيد القيرواني القول بكراهة قراءة القرآن باللحون المُرَجَّعة كترجيع الغناء.

وعلى النقيض من حكم فقهاء المالكية، فقد استحسنت كثير من فقهاء الأمصار قراءة القرآن بالألحان، لأن سماعه بها يزيد غبطة وإيماناً، ويكسب القلب خشية وخشوعاً، وذكر الدسوقي أن الشافعي وابن العربي ذهبا إلى جوازها.

وقد استدل هؤلاء على ذلك بالحديثين النبويين الشريفين «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» و«زينوا القرآن بأصواتكم». وقد تردد صدى الحديث الثاني في رائية أبي محمد الصباغ حين قال:

وإن رسول الله قد قال «زينوا بأصواتكم» أي الكتاب المطهر⁽³⁾.

(1) أغاني السقا، ص: 127.

(2) المصدر نفسه، ص: 110.

(3) المصدر نفسه، ص: 121.

على أن جمهور الفقهاء يردون بأن المراد بالتغني في الحديث الأول الاستغناء، وأن الحديث الثاني مقلوب إذ القصد «زينوا أصواتكم بالقرآن»⁽¹⁾.

ونجمل القول في مسألة قراءة القرآن بألحان الغناء فنستعرض وجوه الرأي فيها نقلا عما ذكره أبو عبد الله محمد القرطبي في كتابه «الجامع لأحكام القرآن»، وهي عنده ستة:

1. الرأي الأول: هو مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه، والإمام الشافعي، وابن المبارك، والنضر بن شميل، وهو أيضا اختيار أبي جعفر الطبري وأبي الحسن ابن بطلال، والقاضي أبي بكر ابن العربي.

فقد أجاز هؤلاء رفع الصوت بالقرآن والتطريب به، وذلك لأنه إذا أحسن الصوت به كان أوقع في النفوس وأسمع في القلوب.

وقد احتجوا بقوله عليه السلام: «زينوا القرآن بأصواتكم» وبقوله أيضا: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» وبقول أبي موسى عليه السلام: «لو كنت أعلم أنك تستمع لقراءتي لحبّرت لك تحبيراً».

2. الرأي الثاني: يناقش القرطبي رأي هؤلاء الفقهاء معارضا، فيقول: وأما ما احتجوا به من الحديث الأول فليس على ظاهره، وإنما هو من باب المقلوب، أي: زينوا أصواتكم بالقرآن... كقولهم: عرضت الحوض على الناقة، وإنما هو: عرضت الناقة على الحوض. ثم يزيد القرطبي قائلا: وإلى هذا المعنى يرجع قوله عليه السلام: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، أي ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن. كذلك تأول عبد الله بن أبي مليكة. ثم يقول معقبا على قول أبي موسى للنبي صلى الله عليه وسلم: معاذ الله أن يتأول على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: إن القرآن يُزيّن

(1) أغاني السقا، ص: 110.

بالأصوات أو بغيرها. فمن تَأَوَّلَ هذا فقد واقع أمرًا عظيمًا: أن يُحَوِّج القرآن إلى من يزينه، وهو النور والضياء والزين الأعلى لمن أَلْبَسَ بِهِجَتَهُ واستنار بضيائه.

3. الرأي الثالث: يذهب سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح في تأويل قول الرسول ﷺ «يتغنى به» بمعنى «يستغني به» من الاستغناء.

4. الرأي الرابع: هو مذهب جماعة من العلماء منهم: الإمام أبو محمد بن حبان البُستي، يرون أن معنى «يتغنى به» يتحزّن به، أي يظهر على قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته، وليس من الغنية، لأنه لو كان من الغنية لقال: يتغاني به، ولم يقل يتغنى به⁽¹⁾.

5. الرأي الخامس: ما تأوله من استدلال بالحديث السابق على الترجيع والتطريب: سئل أبو عاصم النبيل عن تأويل ابن عيينة فقال: لم يصنع ابن عيينة شيئًا. وسئل الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال: نحن أعلم بهذا، ولو أراد النبي صلعم «الاستغناء» لقال: «من لم يستغن» ولكن لما قال: «يَتَغَنَّ» علمنا أنه أراد «التغني». قال الطبري: المعروف عندنا في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع⁽²⁾.

6. الرأي السادس: هو ما جاء من الزيادة في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (مَا أَدَنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ مَا أَدَنَ لِنَبِيِّ حَسَنَ الصَّوْتِ يَتَغَنَّيَ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ). قال الطبري: ولو كان كما قال ابن عيينة لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى.

وقد عقب القرطبي على كلام الطبري بقوله: قوله «يجهر به» لا يخلو أن يكون من قول النبي ﷺ، أو من قول أبي هريرة، أو غيره، فإن كان الأول - وفيه

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 1، 1354-1935. ص 10-11-12-13.

(2) المصدر نفسه، ص 13 و14.

بُعد - فهو دليل على عدم التطريب والترجييع، لأنه لم يقل «يطرب به»، وإنما قال: «يجهر به» أي يُسْمَعُ نفسه ومن يليه، بدليل قوله ﷺ للذي سمعه وقد رفع صوته بالتهليل: «أيها الناس اربّعوا على أنفسكم، فإنكم لستم تدعون أصمّ ولا غائباً». وكذلك إن كان من صحابي أو غيره فلا حجة فيه على ما راموه.

وقد أبان التادلي في تعريفه للتجويد عن طبوع قال إنها من نعمة العجم لا من نعمة العرب، دأب المقرئون على استخدامها في قراءة القرآن بالتحسين، وهي: طبع الماية، وهو من الطبوع الأصول، وطبع الرصد، وهو من فروع الماية، وطبع العشاق، وهو فرع من الزيدان، غير أنه اشترط ألا تخرج هذه الطبوع وأشباهاها في القراءة عن حد القرآن، وإلا دخلت في حكم التحريم.

ومهما يكن فإن المقرئين لا يسمحون بغير استعمال الأنغام العربية، وعلّة ذلك ما جاء على لسان أحد الأعلام المغاربة إذ قال: وإنما تزين قراءته بألحان العرب الذين أنزل (القرآن) بألسنتهم، وذلك أن طبع الموسيقى العجمي لا يتم إلا بَمَدٍّ مَّا لَا يُمَدُّ، وقصر ما لا يُقصر. وعلى خلافه اللحن العربي، ولذلك ورد الإذن به⁽¹⁾.

ج- استخدام الآلات الموسيقية:

تعددت أقوال الفقهاء في استعمال الآلات الموسيقية، وتشعبت آراؤهم، وذهبت أحكامهم فيها مذاهب شتى، حتى بات من العسير لَمَّ شتاتها إلا بعد جهد ومكابرة.

ويكاد جل هؤلاء يجمعون على تسمية سائر الآلات الموسيقية بالملاهي، دون تمييز بينها، فيما ذهب بعضهم إلى تصنيفها في نوعين:

(1) عن محمد المنوني، مجلة دعوة الحق، ع. 2 . س 21. ص 36.

1. الآلات الملهية، وهي العود وجميع ذوات الأوتار.
2. الآلات غير الملهية، وهي التي لا أوتار لها، أو هي ما كان مزعجا كالبوق والدف والزمارة⁽¹⁾.

وسنحاول - من خلال هذا التصنيف - الوقوف على أهم ما ورد في شأن الآلات من أحكام.

1- آلات النقر:

تندرج تحت هذا النوع آلات متعددة كالطار، والكبر، والطبول، والكوبة، والمزهر.

وقد ذهب فقهاء المالكية إلى إباحة استعمال آلات النقر في الأعراس دون غيرها، وورد في مختصر الشيخ خليل في هذا الصدد ما محصّله أن الطبل بالغربال - وهو الدف المعروف في المغرب بالطار أو البندير - جائز الاستعمال في العرس لقوله ﷺ: «أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف»⁽²⁾، ولا فرق في ذلك أن يكون حفل العرس خاصا بالنساء أو بالرجال على المشهور.

وظاهر هذا الحكم أن استعمال الطر جائز ولو كانت فيه صنوج نحاسية. بل ولو مدت على غشائه الجلدي أوتار، طالما أن استخدامه يتم بواسطة القرع⁽³⁾، بل لقد ثبت أن أصحاب الإمامين الشافعي وابن حنبل كانوا يستحبون ضربه في الأملاك⁽⁴⁾ لما فيه من إعلان السرور وإظهار له⁽⁵⁾.

(1) أغاني السقا، ص: 111 و 116.

(2) المصدر نفسه، ص: 106.

(3) المصدر نفسه، ص: 106-107.

(4) يراد بالأملاك عقد القران.

(5) المصدر نفسه، ص: 126-127.

ولعل أقوى ما ورد من الأحاديث النبوية في شأن استعمال الدف «حديث الجاريتين» الذي استدل به بعض الصوفية على إباحة الغناء وسماعه بآلة وبغير آلة⁽¹⁾، ونص الحديث كما هو في صحيح البخاري ومسلم كآتي: «عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى، تغنيان بدفين، ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه، فانتهرهما، وكشف رسول الله ﷺ عن وجهه وقال: «دَعَمَها يا أبا بكر، فإنها أيام عيد». وقد جاء الحديث برواية أخرى أخرجها البخاري في مواضع عدة من صحيحه، ونصه فيها كآتي: قالت عائشة: «دخل علي رسول الله ﷺ، وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعث⁽²⁾ فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر، فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند النبي ﷺ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دعهما. فلما غفل غمزتهما فخرَجتا».

وإذا كان الاتفاق قائما - إلى حد - حول جواز استعمال الطار (الدف) في العرس، مع جنوح بعض الآراء نحو الكراهة، فإن الاختلاف يبقى قائما حول قياس آلتين أخريين عليه هما المزهر - وهو الطر المغشى من جهتين -، وآلة الكبر - وهو المعروف في المغرب بأگوال -، مثلما يبقى الخلاف قائما حول قياس الأفراح العادية على العرس، وإن يكن الراجح القبول بذلك.

أما ما سوى الدف من الآلات المطربة كالطنبور⁽³⁾، والعود، والرباب، والصنجات النحاسية، والمزمار، وزمارة الراعي، والكوبة - وهي ما يعرف في المغرب باسم أگوال - فإن ضربها والاستماع إليها حرام باتفاق سائر المذاهب سواء استعملت لحزن أو لسرور⁽⁴⁾.

(1) أغاني السقا، ص: 128-129.

(2) بُعث: وقعة كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة النبوية إلى المدينة بنحو ثلاث سنوات. انظر فتح الباري

بشرح صحيح البخاري للعسقلاني. ج 3 ص 115.

(3) يراد بالطنبور البُرُق، وهو متداول في تركيا والعراق.

(4) المصدر نفسه، ص: 126.

وفي هذا يقول التادلي ما حاصله: إن الآلات المذكورة حرام في الأعراس وفي غير الأعراس. وهو المشهور في مذاهب الشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل، ولم أر من صرّح بخلاف ذلك عند المالكية.

وعلة الحرمة شدة الإطراب المؤدية إلى الاستكثار، ويؤيدها الحديث الوارد في «المدخل» لابن الحاج «الغناء يُنبِت النفاق في القلب كما يُنبِتُ الماء البقل».

وقد عارض ابن العربي في «عارضه الأحوذى بشرح الترمذي» القول بحرمة هذه الآلات، معتبرا أنها تدخل في قول أبي بكر الصديق: «مزمار الشيطان»⁽¹⁾، وقد رأينا النبي ﷺ واجهه بقوله: دعهم فإنه يوم عيد، ثم أضاف: إذا اتصل بالغناء صوت العود أو الطنبور فإنه لا يؤثر في حله، فإنها كلها آلات تتعلق بها قلوب الضعفاء، وللنفس عليها استراحة، وطرح لثقل الجد الذي لا تحمله كل نفس، فإن تعلقت به نفس فقد سمح الشرع لها فيه⁽²⁾.

ولا بأس أن نرجع - هنا - على خبر يتعلق بالإمام مالك، نَحْفَظُ على صحته، غير أننا نسوقه لوروده في أكثر من مصدر، ومن هذه المصادر «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، فقد جاء فيه أن الخليفة هارون الرشيد سأل ندماؤه في أحد مجالسه: من كان من فقهاءكم يكره السماع؟ فأجابه إبراهيم بن سعد الزهري - وهو من رجال الحديث الموثوق بهم - : من ربط الله على قلبه، قال الرشيد: فهل بلغك عن مالك في هذا شيء؟ قال: لا والله، إلا أن أبي أخبرني أنهم اجتمعوا في مدعاة كانت في بني يربوع، وهم يومئذ جلّة، ومالك أقلهم في فقهه وقدره، ومعهم دفوف ومعازف وعيدان يغنون ويلعبون، ومع مالك دف مربع، وهو يغنيهم: (مجزو الهزج)

1) إشارة إلى حديث الجاريتين، وقوله عند رؤيتهما: «أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ» انظر الصحيحين.

2) أغاني السقا، ص: 115. انظر عارضة الأحوذى لابن العربي 281/5-282.

سَلِّمِي أَزْمَعْتُ بَيْنَا وَأَيْنَ لِقَاؤُهَا أَيْنَا
فقد مالت لِأَتْرَابٍ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا
تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا⁽¹⁾

ولعل مما يرجح صحة هذا الخبر ما ذكره القرطبي في العُتبية عن الإمام مالك أنه أباح ما خفّ من الآلات كالدف والكبر.

ونحن إذ نسوق هذا الخبر عن الإمام مالك مؤكدين تحفظنا على صحته، فذلك لما عرف من تحامل بعض القدماء عليه حتى نعتوه بما يجمل قدره عنه. ولعل الخطيب البغدادي (ت 463 هـ/1071م) - وهو مصدر ابن القيسراني في «كتاب السماع» - أن يكون قد نقل هذا الخبر من مظان معروف أصحابها بانتسابهم إلى التشيع، ومن هؤلاء أبو الفرج الأصبهاني (ت. 356هـ) الذي يقول في كتابه: أخبرني الحسن بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سمعت إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد، وقد سأله عمّن بالمدينة يكره الغناء، فقال: من قنعه الله بخزيه، مالك بن أنس. ثم حلف له أنه سمع مالكا يبغي:

سَلِّمِي أَزْمَعْتُ بَيْنَا فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيْنَا

في عرس رجل من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة⁽²⁾.

ونحن نربأ بإبراهيم الزهري - وهو من شهد له أئمة الحديث بأنه «إمام مجتهد مشهور عدل بارز وثقة مأمون - أن ينعت كاره السماع باسم «من ربط

(1) ابن القيسراني أبو الفضل المقدسي: كتاب السماع، تحقيق أبو الوفاء المراغي، القاهرة، 1415-1994، ص: 65-66.

(2) الأصبهاني أبو الفرج: كتاب الأغاني، دار الكتب المصرية، ج 2 ص 238.

الله على قلبه»، بله أن ينعت الإمام مالكا بما نقله الأصبهاني في كتابه، مثلما نستبعد أن يكون الإمام مالك قد تساهل - إلى حد الإفراط - في شأن الغناء، وإلا لَتَنَاقَلَ أصحابُه تساهلَه ولاعتمدوه في إثبات إباحته السماع، لا سيما وهو القائل برد الجارية إذا بيعت على أنها مغنية، وهو أيضا الذي سئل عمن يصنع السماع في المدينة، فأجاب: لا يفعله فيها إلا الفساق. ومن هنا فغير بعيد أن تكون الرواية المنسوبة إلى الزهري مما اختلقه المتحاملون على الإمام مالك والراغبون في النيل منه في وقت كانت مسألة القول بخلق القرآن على وشك أن تنطلق من معاقلها. وقد شكك ابن عدي في سند الرواية المنقولة عن الخطيب البغدادي⁽¹⁾.

2- ذوات الأوتار والمزامير:

ذوات الأوتار عند الفقهاء هي العود، والرباب، والطنبور. أما المزامير فهي سائر آلات النفخ كالبوق والمزمار والزمارة، ويطلق على هذه الآلات طورا اسم «الملاهي»، وطورا «المعازف».

والظاهر عند الفقهاء حرمة الغناء إذا رافقته آلة وترية أو نفخية، وقد أطلق محمد بن عبد الحكم أن سماع العود جرحه ومكروه، وأن التحريم ينسحب عليه في حال ما إذا قارنه شرب خمر أو بعث عليه⁽²⁾.

وظاهر ذلك أن العود لا يحرم إذا كان في صنيع لا شرب فيه، وذلك على خلاف ما عند المالكية من الحرمة حتى في الأعراس.

1) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال. تحقيق د. سهيل زكار. دار الفكر - بيروت. ط 1488، ج 3

ص 411-412

2) أغاني السقا، ص 108.

أما عند الشافعية فسائر الآلات المطربة كالطنبور والصنوج والمزمار والكوبة حرام من الصغائر⁽¹⁾.

والحاصل عند التادلي - أن في المعازف - (الوترات والمزامير) ثلاثة أقوال:

الأول: الحرمة المطلقة، وهو أرجح الأقوال.

الثاني: الجواز في النكاح، وخص بعضهم الجواز بما لا أوتار فيه.

الثالث: الحرمة في غير النكاح اتفاقاً⁽²⁾.

ولقد رأى بعض الفقهاء أن الرجل إذا سرق بوقاً أو عوداً أو نحوهما من الملاهي الممنوعة قُومَ ثمن الآلة المسروقة مكسورة، لا يستثنى من ذلك سوى الكَبِيرِ والدَّفِّ فإنهما يُقَوِّمان صحيحين. وفي هذا الحكم ما يدل على تشدد الفقهاء في الآلات الموسيقية، وهو تشدد بلغ أقصى درجاته لكونه أسقط الحدَّ على السارق من جهة، واقتصر على الحكم بتعويض المادة الخام التي تصنع منها الآلة المسروقة كالخشب من جهة أخرى.

موقف التادلي الفقيه من السماع:

يبدو التادلي من خلال نقولاته عن كناش الحايك والعقد الفريد متأرجحاً بين النزوع إلى التساهل في أمر السماع، وبين العدول عنه واتخاذ الحيطة سداً للذريعة.

- أما تساهله فيبدو في اقتباسه من الكتابين المذكورين جملة من الأقاويل والأبيات الشعرية التي نحسب أنه كان يتصيداً عن قصد للتدليل على جواز الغناء واستعمال الآلات الموسيقية بما فيها ما أسماه الفقهاء بالملاهي.

1) أغاني السقا، ص: 126-127.

2) المصدر نفسه، ص: 109-110.

ونكتفي - هنا - بنموذج واحد مما أورده التادلي في كتابه، وهو يتمثل في بيتين اجتزأهما من منظومة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الجبار الفكيكي (920هـ) أحد علماء عهد بني وطاس. والمنظومة بعنوان «روضة السلوان»، قام بشرحها ابن أخ الناظم محمد بن عبد الجبار (ت 1579/986) في كتاب أسماه «الفريد في تقييد الشريد وتوصيد البريد» موضوعها في الصيد. ومطلعها: (طويل)

يَلُومُونَنِي فِي الصَّيْدِ وَالصَّيْدُ جَامِعٌ لِأَشْيَاءَ لِلْإِنْسَانِ فِيهَا مَنَافِعُ

أما البيتان المعنيان فهما:

فَمَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ الرَّبِيعُ بِزَهْرِهِ وَلَا الْعُودَ حِينَ تَعْتَرِيهِ الْأَصَابِعُ
فَذَلِكَ مَفْسُودُ الْمَزَاجِ طَبِيعَةً⁽¹⁾ وَلَا شَكَّ فِيهِ لِلْحَمَارِ طَبَائِعُ

ويكاد المعنى الذي ينطوي عليه البيتان أن يكون صدى لحكمة نطق بها قديما الفيلسوف اليوناني سقراط عندما قال: إن الذين لا يهتزون لزهور الربيع، ولا يطرَبون لسماع العود هم بذلك مختلو المزاج، وفي حاجة إلى العلاج.

ويقترَب من معنى البيتين -أيضا- ما أورده التادلي على لسان الشهروردي: مُنْكَرُ السَّمَاعِ إِمَّا جَاهِلٌ بِالسُّنَنِ وَالْآثَارِ، أَوْ مُفْتَرٍ بِمَا حَرَّفَهُ مِنْ أَحْوَالِ الْأَخْيَارِ، وَإِمَّا جَامِدُ الطَّبَعِ الَّذِي لَا ذَوْقَ لَهُ، فَيَصِيرُ عَلَى الْإِنْكَارِ⁽²⁾.

- وأما العُدول والحِيطة فمِنْشَأُهُمَا عِنْدَ التَادِلِيِّ قَوْلَ الشَّيْخِ زُرُوقِ فِي «الرَّسَالَةِ» وَفِي «القَوَاعِدِ»: أَكْثَرُ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ مَشَائِخِ الْمَتَأَخِّرِينَ عَلَى مَنَعِهِ

1) في تحقيق الكتاب للدكتور عبد الهادي التازي: فذلك مُخْتَلِّ الْمَزَاجِ حَقِيقَةٌ ص 128.

2) أغاني السقا، ص: 123. انظر عوارف المعارف على هامش الجزء الخامس من «الإحياء للغزالي»، ص 103.

لفساد الزمان، حتى قال ابن العربي: السماع في هذا الزمان لا يقول به مسلم، ولا يُقتدى بشيخ يعمل به⁽¹⁾.

ونكاد نجزم بأن التادلي انتهى إلى الحسم في موضوع السماع ممارسة واستماعا حينما خلص إلى النتيجة التالية، وهي أن الحكم في مسألة السماع مرتبط بالطبع والشرع: فهو من حيث الطبع محبوب للنفس إجماعا، فاستلزم ذلك مدحه، وعُد من خالفه بمثابة من فيه بعض طبائع الحمار، وهو من حيث الشرع قد تعتريه الأحكام الشرعية الخمسة إلا الوجوب، وهي الحرمة، والكراهة، والندب، والحل.

وحيث أنه لا عبرة بالطبع مع الشرع لقول الرسول ﷺ: «لا يُؤمن أحدكم حتى يكون هوأه تبعاً لما جئتُ به»، وحيث إن السماع اختلف فيه شرعا، فإن من باب الحيطة ترك سائر أنواعه ندبا، عملا بقاعدة ترك المشبهات، ومن باب الورع، كما في الحديث الشريف: «الحلالُ بين والحرامُ بين، وبينهما أمور متشابهات». وفي هذا يقول صاحب «المرشد المعين»⁽²⁾ «يترك ما شبه باهتمام»، ويقول صاحب الجوهرة.

وذو احتياط في أمور الدين مَنْ فَرَّ مِنْ شَكِّ إِلَى يَقِينٍ⁽³⁾. (رجز)

فإذا ترك السماع جعل سماع القرآن وذكر الله تعالى وسرد حكايات الصالحين بديلا عنه.

هكذا - إذن - يخلص التادلي إلى قرار يستريح له، فيقول: «لا أظن أحدا يعجبه السماع ويرتاح له اليوم مثلي، إلا أني تركته لله منذ أزمان لما وقفت على

(1) أغاني السقا، ص: 123-124.

(2) يريد عبد الواحد بن عاشر (المتوفى في عام 1040).

(3) المصدر نفسه، ص: 124-125.

خلاف العلماء فيه»⁽¹⁾. والتادلي - وهو يعلن هذا القرار - يتبنى ما ذهب إليه صاحب «النصيحة» إذ قال: «الصواب في هذا الزمان تركه لما فيه من الفساد، إذ أهله اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، أو ما قاله الحسن بن سالم: «لا أنكر السماع، وإنما أنكر ما أحدث فيه».

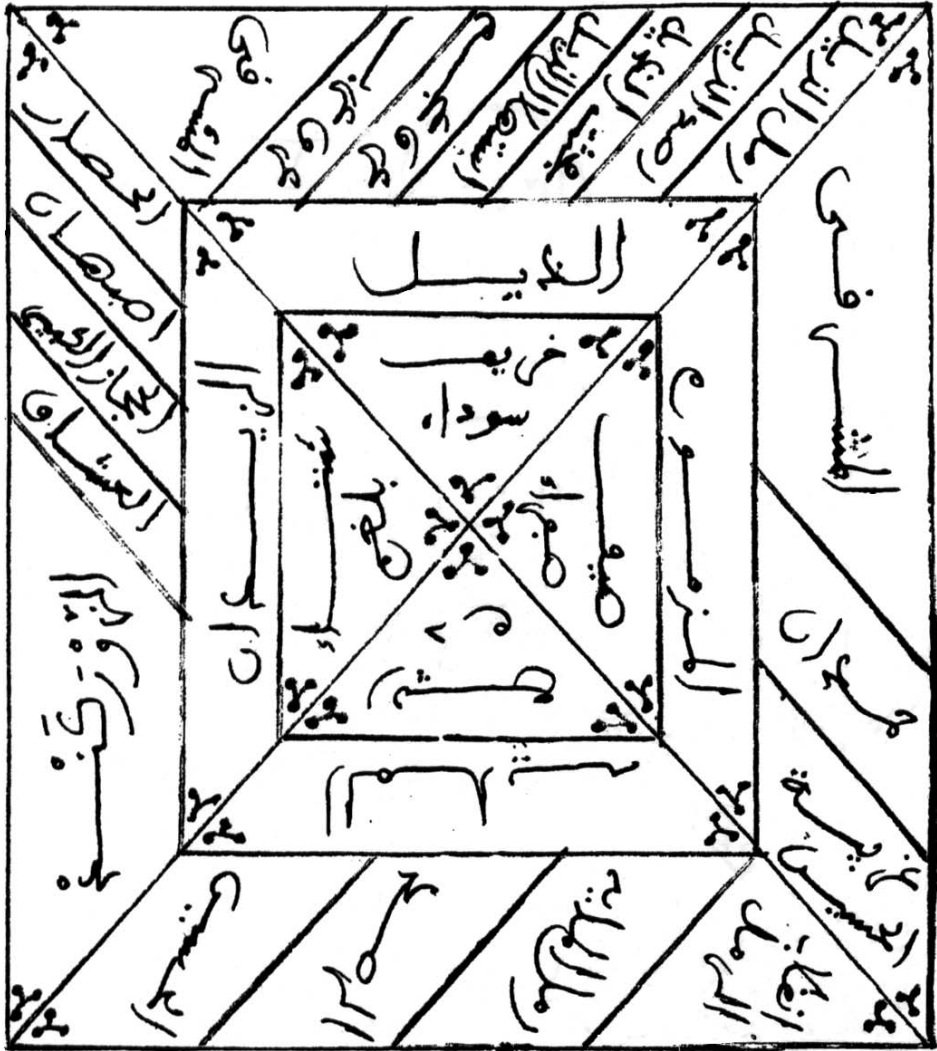
وإن لنا - بعد هذا أن نقول: إن التادلي - وهو يقرر ترك السماع - لم ينطلق من الاقتناع بأن ممارسته أو سماعه حرام في الشرع، وإنما فعل ذلك من باب التقية والبعد عن الشبهة، وفصل القول عنده أن السماع إذا نظر إليه من جهة تأثيره في القلوب لم يجوز أن يحكم فيه بإباحة ولا تحريم، وأن أعدل الأقوال وأولاها بالصواب القول باختلاف حكمه باختلاف الأشخاص، فما ورد من حرمة محمول على ما فيه تهيج شيطاني، وما ورد من إباحته محمول على ما فيه من تهيج رباني لما تقرر في أصول الفقه أن «العمل بالمتعارضين - ولو من وجه - أولى من إلغاء أحدهما بترجيح الآخر»⁽²⁾.

(1) أغاني السقا.

(2) المصدر نفسه، ص: 124-130. انظر شرح الحلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلى على متن جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي ج 2. ص 378 - المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم
 وكل التمد على سير وموكانا حمدوه والحمد لله

الحمد لله الذي جعل العلم وسماحة غير بينة لجميع المشتاقين، وغصرت نعمته الغنم بالذات فهو تفضل
 عليها بنعمته اللانهاية من الصلوة والسلام على سيدنا محمد سيرا أهل عرفها العرب وعمها العجم
 الذي أعلی صوتها وود الهجيم بل كان أحسن الناس صوتا في الحرب والفتح، وعلى إله الذي
 رعدوا بسببهم كعبد وتذخر وقدمه بعد فيقول العبد المنزلة الخالي منها أهدى بر محمد
 التمد بالهدى لما تعالكت في الشيب فراهة علم الرياسة بفراة علم الحساب وبعض
 الهندسة والهيئة والتعريف والتوفيق وكان علمها علم الموسيقا تشرفت بنفسه
 لميزانها تعلم مدهية النسب البلب كان علمها كالمزاد كالمزاد كالمزاد كالمزاد كالمزاد كالمزاد
 والخارج والعلك بل إنسان الأمل الغزاة أرضه عنده الأعباء التي من العالم ينبغي له أن يكون
 جدمع العلوم شتى كأنها متعلمة وبعضها متوفى على بعضها بقول العلوم كلها وأن
 لميتت مع واحد وإنما كانت بل موضوعات علوم العربية اللانسة علم مع علوم الحساب
 والهندسة بل إنها كانت بها أحسنها أحسن معلوم أو موجود ثم أمتازت علوم العربية
 عن غيرها بل موضوعها الخاطيء وموضوع الحساب العلم المنقطع على العود وموضوع
 الهندسة العلم المنقطع الخ والذاري عن الماء والعلی النبوي في العلم عند انفعال العلم بنساع
 وبعضه البعض بنساع بل كمنه زمان وصوتها التمييز من العابد الغناء ثم كان العلم
 عن من طبع الغناء عند الذاري من صرور موهو وعربية ورمال المديحة وما يستعمل في كل طبع
 منها وذلك بل بالبر أو ما ينساع لطب العلم يعلمه جمعها وصفتها في ذلك وأغالبهم في هذا
 مكان لذلك إذا جاء الغلب الخيم سيعبر الخ سيبيل المعكبر الصالح طاب الذمير أنفعا
 الصمير أو البعذر أو الخ تلامذ أو من يزار بل بالمدخل حتى أحسنه من يدينه وإنه صغير
 وكان يجب العلم جارا ونجده ثم له عندنا يجمع له تليين وعجبه جزنا الام الفلظ السبر صالح
 الخجما واهل الموسقا اصحاب العود والرهاب وغوهم جلا ندم تمام في الفيب واخ ام



والذييل ومنوعه يصحج للسوداء والذبيان ومنوعه يصحج للبغمة والمايوم وعصا
 يصحج للدم والمنوعه ومنوعه الصمراء وبعضهم نزلها بالكور رسم لها شجرة

شجرة الطبوع من مخطوطة ورثة الرغاي

تحقيق المتن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

1* الحمد لله الذي أطرب العشاق، بسماع غريبة طبع العشاق⁽¹⁾، وخص بنعمة الغنا الآذان، وتفضل عليها⁽¹⁾ بنغمة الألحان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيد أهل عراق العرب وعراق العجم⁽²⁾ الذي أُعْطِيَ صوتَ داوودَ الرخيم، بل كان أحسن الناس صوتا في الحديث⁽³⁾ والقديم، وعلى آله الذين⁽⁴⁾ رصدوا بسيوْفهم كفار من تأخر أو تقدم، وبعْدُ فيقول⁽⁵⁾ العبد المذنب الخاطي إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي: لما تعاطيت زمن الشباب قراءة علوم الرياضة⁽⁶⁾ فقرأت علم الحساب وبعض الهندسة والهيئة والتعديل والتوقيت، وكان من أركانها علم الموسيقى تشوفت نفسي إليه إذ لا تكمل ماهية الشيء إلا بأركانه كالمداد لا يكمل إلا بأركانه الأربعة، الماء والعفص^(**) والزاج والعلك. بل أشار الإمام الغزالي رضي الله عنه⁽²⁾ في الإحياء إلى أن العالم ينبغي له أن يكون جامعا لعلوم شتى لأنها متعاونة وبعضها متوقف على بعض⁽³⁾، بل قالوا⁽⁷⁾: العلوم كلها وإن

* تشير الأرقام في الطرة إلى أرقام الصفحات في المخطوط 109د.

1) في النسخ الخمس الأخرى، المشتاق بدل «العشاق»، وأرى أن كلمة العشاق أنسب وأصوب، ففي العبارة مطابقة بلاغية هي اشتراك معنيين في اللفظ الواحد هو «العشاق» فالأول جمع عاشق، والثاني اسم طبع من طبوع موسيقى الآلة الأربعة والعشرين.

** العفص: من أنواع شجر البلوط.

2) الغزالي أبو حامد محمد الطوسي، ولد بطوس عام 450هـ—1059م. درس في نيسابور، ثم اتصل بنظام الملك السلجوقي، وعلم في المدرسة النظامية ببغداد، ومن آثاره: إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال، ومقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة. وقد توفي عام 505هـ—1111م. انظر وفيات الأعيان جزء 1 ص 463، طبقات الشافعية ج 4 ص 101، شذرات الذهب ج 4 ص 10، الزركلي: الأعلام. دار العلم للملايين ج 7 صفحة 22-23.

3) الغزالي: إحياء علوم الدين. ج 1 ص 52.

2 كثر شيء واحد، وإنما تمايزت بالموضوعات كعلوم العربية الاثني عشر⁽¹⁾ مع علوم الحساب والهندسة⁽⁸⁾، فإنها شيء واحد لأنها باحثة عن معلوم أو موجود. ثم⁽⁹⁾ امتازت علوم العربية عن غيرها بأن موضوعها الكلام العربي، وموضوع⁽¹⁰⁾ الحساب الكم⁽¹¹⁾ المنفصل كالعدد، وموضوع⁽¹²⁾ الهندسة الكم⁽¹³⁾ المتصل كالخط، ولذا روى عن الإمام أبي علي اليوسي⁽²⁾ رضي الله عنه أنه⁽⁴⁾ قال: العلم نَبَّاعٌ وبعضه للبعض نَبَّاعٌ.

بل كنت زمان وصولي حدّ التمييز مولعاً بالغناء، ثم لما ناهزت البلوغ عرفت طبوع الغناء، عند الذكّارين من رصد ومزوم ومائة ورملة المائة وما يستعمل في كل طبع منها، وذلك بالرباط أولاً قبل سفري لطلب العلم بفاس، فصرت أحاور مهرته في ذلك وأغالبهم فيه⁽⁵⁾، فكان لذلك إذا جاء القطب الكبير سيدي عمر بن المكي بن سيدي المعطى ابن الصالح (ت 1284) صاحب «الذخيرة» نفعا الله بهم من أبي الجعد من أرض تادلا ونزل بدارنا بالرباط دعاني حتى أجلسني بين يديه وأنا صغير، وكان يحب الطرب جدا، وبمجرد نزوله عندنا يحضر له تلميذه، ومحبه جدنا للأم القاضي السيد صالح الحكماوي أهل الموسقا من⁽¹⁶⁾ أصحاب العود والرباب ونحوهم، فإنه من تمام قرى الضيف وإكرامه.

1 علوم العربية عند علماء اللغة اثنا عشر، وقد جمعها الشيخ أجنوي رحمه الله فقال: (رجز)

وَرَبَّ الْعُلُومِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ	كَمَا أَنْتَ فِي عِلْمِهِمْ مَقَرَّرًا
نَحْوًا أَسْوَلًا وَبَيَانًا. وَلُغَةً	نُطْقًا. وَتَوْجِيدًا. حَدِيثًا. فَسَّرَهُ
فِقْهًا. تَصَوُّفًا. كَذَا التَّجْوِيدُ	وَبِالْحِسَابِ مَا لَهَا مَزِيدُ

ويندرج في النحو علم التصريف، وفي البيان علم المعاني، وفي اللغة علم الكلام، أما النطق فيراد به المنطق، وأما كلمة «فسره» فيراد بها علم التفسير.

2 اليوسي: أبو علي الحسن بن مسعود، محقق بالعلوم العقلية والنقلية، استقر بزواية الدلائيين ينشر العلم، ثم نقل إلى فاس، فأقبل عليه الطلاب من كل صوب، عاد إلى موطنه الأول بقبيلة آيت يوسي، وانقطع فيه للتدريس والتأليف، وهو أديب وشاعر. له ديوان شعر وله مؤلفات عدة منها: الفهرسة، والمحاضرات، وزهر الأكم في الأمثال والحكم، وقد توفي عام 1102هـ، الاستقصاء ج 4 ص 51، شجرة النور ص 328.

ثم لما سافرت لفاس شمريت عن^(١٧) ساعد الجد جهدي في تحصيله من أربابه فكنت إذا فرغت من قراءة العلوم الشرعية ودخلت شهور العواشر^(*) واستراحة الطلبة من القراءة أتجد لتحصيل علوم الفلسفة كالحساب والهيئة 3 والموسيقى ليلا ونهارا حتى لا يُقْصِي لي زمان في البطالة. ولما حصلت منها ما شاء الله، وألفت في كل منها رسالة أحببت أن أتممها برسالة خاصة بالموسيقى أذكر فيها ما استفدناه^(١٨)، من أسياننا فيه أو من بعض كتبه ﴿لِيَذْكََاكَ الذِّينَ آمَنُوا إِيْمَانًا﴾^(١).

وجعلتها مشتملة على أبواب^(١٩) ومقدمة وخاتمة، وسميتها أغاني السقا^(٢٠) ومغاني^(٢١) الموسيقى أو الارتقا إلى علوم الموسيقى. والله يجعلها خالصة لوجهه الكريم آمين.

المقدمة: في ذكر تفسير العلوم وذكر بعض كتب الموسيقى

اعلم أن العلم غذاء الروح، فهو محبوب لها طبعاً كما هو محبوب لها^(٢٢) شرعاً. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢). وإذا كان مقصود طالبه زيادة الإيمان ومعرفة الله تعالى تضاعفت محبته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا نُفِيتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ ذَاكَّتْهُمْ إِيْمَانًا﴾^(٣) وورد اللهم زدني فيك تحيراً. وأشار له سلطان العاشقين السيد عمر بن الفارض (ت 632هـ) بقوله: زدني بفرط الحب فيك تحيراً^(٢٣) الخ. والعلوم - وإن كثرت في الدلالة على الله تعالى - شيء واحد، ولكنها اختلفت وتميزت بالموضوعات كما مر إلى غير نهاية، كما يشير له قوله تعالى

* لفظ عامي يعني العطلة.

1) سورة الفتح، الآية 4.

2) سورة طه، الآية 114.

3) سورة الأنفال، الآية 2.

في سورة الإسراء، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾ فلا تُحدِّد العلوم بألف ولا بمائة ألف ألف^(٢٤)، ولا بأكثر، ولا بأقل. (متقارب)

4 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهٗ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

إلا أن بعضهم اقتصر في مبلغ علمه على علم واحد، وهو الغالب، وبعضهم زاد عليه كالمولى عصام الدين أحمد بن مصطفى زاده، (ت 967هـ) ^(٢٥) ألف في العلوم تأليفا جمع^(٢٦) فيه نحو خمسمائة علم، كما أشار له في ترجمة موضوعات العلوم من حرف الميم مع الواو من «كشف الظنون»⁽²⁾. وتعرض في أول «كشف الظنون» إلى بعض تقسيمات العلوم. وذكر شمس الدين محمد بن إبراهيم السنجاري⁽³⁾ (المتوفى 749هـ) في كتابه «إرشاد»^(٢٧) القاصد⁽⁴⁾ إلى أسنى^(٢٨) المقاصد» بعض أنواع العلوم، وجملة ما فيه ستون علما منها عشرة أصلية سبعة نظرية وهي المنطق والإلهي والطبيعي والرياضي بأقسامه، وثلاثة عملية وهي: السياسة والأخلاق وتديبير المنزل. وكذلك أطال أبو علي اليوسي (ت 1102هـ) أول فهرسة أشياخه في تقسيم العلوم.

1) سورة الإسراء. 85.

2) حاجي خليفة: كشف الظنون، مج 2. 1362/1943. ص 1906.

3) السنجاري: محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المصري الأصل المعروف بابن الأكفاني، برع في الحكمة والعلوم الرياضية والروحانيات ومعرفة الجواهر والعقاقير. فرتب بالمارستان. له كتاب «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في معرفة الجواهر» عرف فيه بستين علما من بينها علم الموسيقى، وله: اللباب في الحساب - غنية اللبيب عند غيبة الطبيب - كشف الرين في أحوال العين - وقاية العين بشرح تجريد كشف الرين - نخب الذخائر في أحوال الجواهر - ترجمه: كشف الظنون رقم 8651 ج 5 ص 338 ، الوافي بالوفيات ج 2 ص 26. الزركلي ج 5 ص 299.

4) السنجاري: إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد. مخطوط بالخزانة الحسينية. رقم 1408. الورقة 1 والورقة 3 بتصريف. تقديم وتعليق يان يوست ويتكام. دار ترلوخت للطباعة والنشر بمدينة ليدن المحروسة 1989، ص 21.

وقال العُضدُ⁽¹⁾ في خطبة كتابه «المواقف» مع شرحه للسيد⁽²⁾: (والعلوم متشعبة متكثرة والإحاطة بحملتها متعسرة أو متعذرة، فلذلك افترق أهل العلم بين منقول ومعقول وافترق حالهم ورجالهم) ((في الترقى إلى مراتب العلوم)) (إلى أن قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في درجاتهم: إنها^(٢٩) خمسمائة درجة، ما بين الدرجتين خمسمائة عام.. والمراد تصوير الكثرة لا الحصر في تلك العدة. وقال بعضهم في حديث «اِخْتَلَفُ أُمَّتِي رَحْمَةً» اِخْتِلَافَ هِمَمِهِمْ 5 في العلوم كما اختلفت^(٣٠) همم أصحاب الحرف. فكل من الاختلافين رحمة فبعضهم عالم بالفقه وبعضهم بالنحو وبعضهم بالمنطق، وبعضهم دَبَّاحٌ، وبعضهم جزار، وهكذا)⁽³⁾.

وحاصله أن لكل شيء وجودات أربعة: وجودا^(٣١) في البنان، ووجودا^(٣١) في اللسان، ووجودا^(٣١) في الأذهان، ووجودا^(٣١) في الأعيان. وهذا الرابع هو الوجود الحقيقي قطعاً. والعلوم المتعلقة به الإلهي والطبيعي والرياضي كما في أول «كشف الظنون»⁽⁴⁾.

وقال اليوسي أول «فهرسته» ما حاصله: «قال بعض أئمتنا: العلوم ثلاثة، علم الفقه للأديان، وعلم الطب للأبدان، وعلم التصوف للجنان، وما سواه فضول

1) العُضدُ. هو الإيجي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد أبو الفضل الشيرازي ولد بعد عام 680 بإيج، وكانت أكثر إقامته بالسلطانية حيث تولى مهمة قضاء القضاة. له تصانيف عدة منها: كتاب المواقف (في علم الكلام)، والرسالة العضدية والعقائد العضدية، ومختصر ابن الحاجب في أصول الفقه. توفي مسجوناً عام 756هـ - بغية الوعاة ص 296 - الدرر الكامنة ج 2 ص 322 - طبقات السبكي ج 2 ص 108 - الزركلي ج 3 ص 295.

2) القصد هنا إلى السيد الشريف الجرجاني المتوفى عام 740هـ شارح «المواقف» لعضد الدين الإيجي.

3) العُضدُ الإيجي: كتاب المواقف بشرح الشريف الجرجاني. خطبة الكتاب، مطبعة السعادة - مصر 1325، ج 1. ص 25-26. والعبارة جامعة بين نص الإيجي (...))، وشرح الشريف الجرجاني (...))، وإضافات التادلي [...].

4) كشف الظنون: مج 1. ص 14.

أو هذيان^(٣٢) قلت: وهذا إن أريد به المقاصد وأن الوسيلة بالنسبة للمقصد في الفضل صحيح، وإلا فكل علم كان^(٣٣) مقصداً لغرض صحيح، أو ووسيلة إليه، فهو^(٣٤) علم نافع ولا يخرج عنه إلا نادر مما يطلق عليه اسم علم. نعم هي متفاوتة في الشرف بحسب موضوعاتها وغاياتها. ولا بد أن نشير إلى أقسامها فنقول: اشتهر أن العلوم إما عقلية أو نقلية، وقد يقال إما إسلامية أو فلسفية، والفلسفية إما مقبولة في الشرع أو مردودة، والمقبولة مأخوذة أو متروكة، ثم الفلسفية أيضاً إما مقصودة لذاتها أو لغيرها:

6 - الأول الفلسفة الأولى المقصود منها تكميل النفس إما نظري أو عملي^(٣٥) والنظري مجرد عن المادة مطلقاً، وهو العلم الإلهي كالتوحيد، أو عن المادة في الذهن^(٣٦) فقط وهو العلم الرياضي أو مقيد بالمادة، وهو العلم الطبيعي كالطب والسحر إلا أن الطب مقبول في الشرع والسحر مردود فيه. والعملي^(٣٧) كسياسة النفس، وهي التصوف.

7 - والثاني - وهو المقصود لغيره - إما للذهن كالمنطق، أو اللسان كالأدب والنحو. فجاء الشرع بما يغني عن الفلسفي العملي بعلوم الشرع كالفقه، فأسقط المتأخرون من الفلسفي هذا القسم وهو العملي استغناء عنه بالشرعي، واقتصروا على الباقي كالإلهي والرياضي والطبيعي والمنطق. وأنواع الرياضي أربعة: الهندسة، والحساب، والهيئة، وعلم الأصوات والنغمات، وهذا الرابع يقال له علم النغم وعلم الموسيقى. وإذا أضيف الطبيعي للرياضي سمي الفلسفة الثانية، وإذا أضيفت الهندسة والحساب والهيئة إلى المنطق سميت التعاليم، وكأنها تلقن^(٣٨) للصبيان أولاً ليتعملوها فيرتاضوا^(٣٩) ويتأدبوا بها كما تراض الدابة، إذ يكفي فيها محض العقل ولا تحتاج لشرع أو عادة. فهذه علوم الأقدمين على الإجمال، أخذ أهل الشرع منها على العموم ما عمت منفعتها كالإلهي والمنطق والحساب والطب والهيئة، وكثير منها متروك إما لعدم الحاجة إليه أو لقصور الهمم عنه. فإن^(٤٠) أريد بالعلوم الشرعية ماله إعانة في الشرع كانت^(٤١) العلوم المتداولة

كلها شرعية، ولا نلتفت إلى من يحرم علم الفلسفة والمنطق مثلا، فإن جميع الوسائل تعتبر بمقاصدها. فمن تعلم علما ليتوصل^(٤٢) به إلى محرم أو مكروه حرم أو كره، أو إلى واجب أو مندوب أو مباح وجب، أو ندب أو أبيض، حتى إن علم السحر من تعلمه ليؤذي به معصوما حرم، أو ليميز بينه وبين المعجزة أو الكرامة حتى يحكم بقتل الساحر وتعظيم ذي المعجزة والكرامة جاز أو وجب، إذ الحكم على الشيء فرع تصوره. وإنَّما الأعمالُ بالنيَّات، والعلم بالشيء من حيث ذاته خير من جهله. ولذا شاع عند الناس: تَعَلَّمَ الأشياءَ أفضل من جهلها. انتهى باختصار وإيضاح من فهرسة اليوسي رضي الله تعالى^(٤٣) عنه⁽¹⁾.

وقال في الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم من كتاب العلم من «الإحياء» للغزالي (ت 505هـ) رضي الله تعالى^(٤٣) عنه: «الوظيفة»^(٤٤) الخامسة أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة إلا وينظر فيه نظرا يطالع^(٤٥) به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه [واستوفاه وتطرف من البقية⁽²⁾]. فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض⁽³⁾ الخ. هـ، ولا سيما إن احتاج إلى^(٤٦) قراءة كتب الكلام لأثمته أو مطالعتها التي غالبها في الرد على الفلاسفة والمعتزلة الذين قرأوا الفلسفة حتى أوقعتهم في العقائد الفاسدة، «كالمواقف» للعُضد⁽⁴⁾ و«المقصد» للسعد⁽⁵⁾ و«الطوالع»

1) اليوسي: الفهرسة. ص 58-60 بتصرف.

2) الكلمات بين معقوفين حشو في «عا» «وعب». وهي من صميم النص كما في كتاب «الإحياء للغزالي».

ج 1 الباب الخامس. ص 52.

3) اليوسي. المصدر نفسه: ص 58-60.

4) الإيجي عضد الدين: المواقف. انظر فصل تعريف العلم المطلق ص 61-85 وفصل أقسام العلم ص 86-122. المكتبة الوطنية- الرباط، رقم A 40 2035 .

5) سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى عام 791هـ، صاحب كتاب «مقصد الطالبين في علم أصول الدين».

للبيضاوي⁽¹⁾، فإن لم^(٤٧) يتضلع^(٤٨) بعلوم الفلسفة حتى يكون مثلهم أو يقاربهم لم يقدر على الرد عليهم.

ولذا احتاج علماؤنا رضي الله تعالى^(٤٩) عنهم إلى تقسيم العلوم وتمييزها بتمييز^(٥٠) موضوعاتها، وقد قال أول كتاب الرحمة في الطب والحكمة: علم الطبيعة هو الأصل، ومن أول زوجين خلقهما الله تعالى طبيعة الحرارة والبرودة، فزوجت الحرارة بالبرودة، فتولد من الحرارة اليبوسة، ومن البرودة الرطوبة، فكانت أربع طبائع عليها أساس علوم الطبيعة كعلوم الطب⁽²⁾.

وقال في حرف الطاء من تذكرة الأنطاكي⁽³⁾: العلم إن كان موضوعه^(٥١) روحا في روح فالسحر، أو جسدا^(٥٢) في جسد فالكمياء، أو روحا في جسد فالطلسم^(٥٣) هـ. ⁽⁴⁾ وقال في فصل أصناف العلوم الواقعة في العمران من مقدمة ابن خلدون⁽⁵⁾ ما حاصله: العلوم صنفان طبيعي كالعلوم الحكمية الفلسفية،

1) القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي المتوفى عام 685هـ. ويلتقي كلام التادلي هنا بما قيل عن المرتبة الثالثة من مراتب حكم الشرع في علم العقائد. ويختص بعلم الكلام. وموضوعها ما يتعرض فيه لمذاهب الضالين وتقرير شبههم، وتشكيكاتهم وردها، ومناظراتهم، وإبطال دعاويهم، ككتب فخرالدين الرازي، وطوابع البيضاوي، ومواقف العضد. ويقرب من ذلك مقاصد السعد. ومن العلماء الذين تعرضوا لهؤلاء محمد ابن عرفة الورغمي في كتابه «المختصر الشامل» - البداية والنهاية ج 13 ص 309 - بغية الوعاة ص 286 طبقات السبكي ج 5 ص 59. الزركلي ج 4 ص 110.

2) الصنبري الهندي: كتاب الرحمة في الطب والحكمة طبعة حجرية بخزانة الجامع الكبير بمكناس، رقم 84367. د ت. ص 2-3. وتتوفر الخزانات المغربية على نسخ متعددة من الكتاب ورد في بعضها نسبه إلى جلال الدين السيوطي

3) الأنطاكي. داود بن عمر الأنطاكي. كان طبيبا وصيدليا، ولد بالشام، وتوفي سنة 1600/1008م بمكة، له: تذكرة أولي الأبواب والجامع للعجب العجاب، وله كتاب النزهة - خلاصة الأثر ج 2 ص 140-149 - الزركلي ج 2 ص 333.

4) الأنطاكي: التذكرة، ج 2. ص 448.

5) ابن خلدون. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي. ولد في تونس غرة رمضان عام 732هـ - 1332م، حفظ القرآن طفلا. أخذ عن والده، قضى أغلب حياته في تونس والمغرب، واشتغل بالتدريس فيهما وفي مصر. تولى القضاء آخر حياته في مصر. وكان طموحا إلى مناصب الدولة، غير أنه لم يفلح في ذلك، ويعتبر مؤسس علم الاجتماع قبل أوغست كونت بقرون عديدة. توفي في القاهرة عام 808هـ/ 1406م - الضوء اللامع ج 4 ص 145 - نفح الطيب ج 4 ص 414 - الزركلي ج 3 ص 330.

9 ونقلي كالعلوم الشرعية هـ. (1) وقال العلامة ابن هيدور (2)، أول شرحه لتلخيص ابن البناء في الحساب ما حاصله: علم العدد هو العلم الأول من العلم الأوسط من العلوم القديمة لأن مراتب العلوم على كثرتها ثلاثة طبيعي وإلهي ورياضي، لأنها إما موجودة بالحواس الخمس كالسمع والبصر **فالتطبيعي كالتب**، أو موجودة بالعقل فالإلهي كالتوحيد، ولا (3) تفتقر في وجودها لمادة، أو يدرك بالعقل وبالحواس كالأشكال الهندسية فالرياضي، وهو العلم الأوسط. وأصوله أربعة أولها الحساب، ثم الهندسة، ثم الهيئة، ثم الموسيقى (4). ومن فروع الموسيقى. علم الآلات كالعود وعلم الرقص وعلم الغنج. سميت بالرياضي لرياضتها النفس وهي الروح إذا علمتها فتستعد بها لإدراك (5) الحقائق بالبرهان فتفهم به العلم الأعلى وهو الإلهي، والأسفل وهو الطبيعي وبالأوسط لتوسطها بين الإلهي الذي لا يتمثل بمادة إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (5) سبحانه وتعالى، وبين الطبيعي الذي لا يوجد إلا بمادة كالحرارة والبرودة لأنها عرض لا توجد إلا في جوهر (6).

(1) ابن خلدون: المقدمة، المكتبة التجارية. مصر. ص 435.

(2) ابن هيدور: أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد التادلي، إمام الفرائض والحساب، كان رائق الخط، كثير التقييد، له مشاركة في فنون شتى. توفي سنة 816هـ.

(3) في باقي النسخ: (أولاً). والصواب ما جاء في النسخة المعتمدة، فالواو حرف عطف تفيد أن العلوم الإلهية كالتوحيد لا تفتقر في وجودها للمادة.

(4) ح: أثبت الناسخ على طرة العبارة المتعلقة ببيان فروع الموسيقى (ص 559) فقرة نقلها عن كتاب الأنيس المطرب لمحمد بن الطيب العلمي نصها كالتالي: ومن عجائب أمر الغناء أنه تنتعش به جميع الأرواح الأدمية وغيرها حتى الحيوانات غير الناطقة، فمن ذلك نزول الهزار على العود، ووقوفه على حافة المياه، وشربه مما فيها، ولو أنها بين الجالسين، هذا والمعنى لا يغير عليه الضرب، فإذا غير عليه الترجمة التي كان فيها طار إلى مكانه. وشهرة الإبل بمثل هذا تغني عن ذكرها.

وقد ذيل الناسخ نفس الصفحة من مخطوطته بثلاثة أبيات من شعر كشاجم. وهي من مجزوء الكامل هي:

إِنْ كُنْتَ تُنَكِّرُ أَنْ فِي الْـ	الْأَلْحَانِ فَايْدَةً وَنَفَعًا
فَانظُرْ إِلَى الْإِبِلِ الَّتِي	لَا شَكَّ أَنْظَرُ مِنْكَ طَبَعًا
تُصْغِي لِأَصْوَاتِ الْحَدِّ	أَوْ فَتَقَطِّعَ الْمَلَوَاتِ قَطْعًا

(5) سورة الشورى، الآية 11.

(6) ابن هيدور: التمهيد في تلخيص أعمال الحساب لابن البناء، الورقة رقم 6.

وحاصله أن العلوم - وإن كثرت - ثلاثة أقسام: علم لا يفتقر معلومه إلى مادة البتة لا ذهنًا ولا خارجًا، وهو الإلهي، وعلم لا يفتقر لها ذهنًا وخارجًا وهو الطبيعي، وعلم^(٥٥) لا يفتقر إليها ذهنًا ويفتقر إليها خارجًا وهو الرياضي. وأقدم الرياضي طبعا الحساب كتقدم الواحد على الاثنين، والاثنين على الثلاثة، وهكذا، لأن العدد إن عُدَّ عُدْمَ المعدود، ولا عكس، كالحَيوان، فإنه أقدم من الإنسان قَدَمًا طبيعيًا. متى عُدَّ حيوان عُدْمَ إنسان، ولا عكس، وكذا يقال في كل أعم وأخص، فمتى وجدت الهندسة كقولك فيها: هذا مربع وجد معها الحساب، وهو أربعة، فلا يمكن معرفة مربع بدون معرفة الأربعة، ولا عكس، فتوجد الأربعة عقلا بدون مربع. ثم الهندسة أقدم من الهيئة كعلم التنجيم، لأن موضوع الهيئة حركات^(٥٦) الأفلاك، ولا حركة إلا بعد سكون، فهما اثنان، والاثنان عدد. ولأن حركات^(٥٧) الأفلاك والنجوم^(٥٨) لها ألحان ونغمات من علم الموسقا بل قيل إن الموسقا مستنبط من حركات الأفلاك والنجوم. ألا ترى أن^(٥٩) حركة الدولاب الذي يسقى به في السانية المعروف في الرباط^(٦٠) بالطونس^(٦١) فإن فيها في^(٦٢) بعض الأحيان نغمات لذيذة تصغي لها الروح وترتاح لها وهي من أجرام خشينة^(٦٣) ولا نسبة فيها، فكيف بأجرام الأفلاك التي هي في غاية الصفا ولا تركيب فيها، بل هي شفاقة يرى من باطنها كما يرى من ظاهرها حتى نرى ونحن بالأرض كواكب الفلك الثامن، وغلظ كل فلك خمسمائة عام.

فلحركات الأفلاك نسبة هندسية التي هي ميزان الموسقا الذي هو روح الموسقا وبه حصل الطرب للروح لأن ائتلاف اللحون ومشاكلتها^(٦٤) إنما هو باتفاق أعداد الأصوات في نسبة^(٦٥) خاصة كما يأتي.

فتحصل أن علم الحساب أقدم عقلا من علم الموسقا أيضا، كما أن العلم الإلهي أقدم من الطبيعي والرياضي. فإن الواحد ليس بعدد على الصحيح عند أهل الحساب، بل هو أصل العدد. فكل عدد وجد وجد فيه الواحد. ولا عكس.

فأول الأعداد هو اثنان فأكثر، فهو سبحانه الأول بلا بداية كما أنه الآخر بلا نهاية
 ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾⁽¹⁾ ولذا قيل : (مجزوء الوافر)

تَأْمَلُ صُورَةَ الْعَدَدِ فَمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ هُدًى
 كَمَا الْأَعْدَادُ (وَ) إِنْ كَثُرَتْ فَمَرْجِعُهَا إِلَى الْأَحَدِ⁽²⁾
 كَذَلِكَ الْخَلْقُ مَرْجِعُهُمْ لِرَبِّ وَاحِدٍ صَمَدٍ^(٦٦)

فالأعداد كلها مفتقرة للواحد كالأربعة فهي مركبة من واحد أربع مرات
 ولا^(٦٧) يفتقر الواحد إليها⁽³⁾. كذلك الخلق كلهم مفتقرون لكرمه تعالى ﴿وَاللَّهُ
 الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾⁽⁴⁾. إلا أن علم الموسيقى لما كان صاحبه يحفظ^(٦٨) الشعر
 ويحفظه غالبا صار له جهتان^(٦٩) إحداهما من جهة النغمة الساذجة^(٧٠) ونقر الآلة
 كالعود، وبها يعد من علم^(٧١) الفلسفة، وثانيتها^(٧٢) من جهة الشعر، وبها يعد
 من علم الأدب. وقد قسموه اثني عشر قسما منها علم الشعر.

وأما الكتب المؤلفة في الموسيقى فكثيرة، وأصلها من كتب الفرس واليونان
 والروم فإن علم^(٧٣) الموسيقى لما كان من العلوم القديمة لا جرم كان تابعا للدول
 القديمة. فأقدمها دولة الفرس، والعرب، ثم دولة اليونان، ثم دولة الروم، ثم دولة
 الإسلام. فكانت ملوك الفرس معتنية بالموسقا، ثم ألفت علماءؤها فيه كتباً. ثم
 تغلب اليونان على^(٧٤) الفرس، فاستولوا على علوم الفرس وكتبهم، ثم تغلب الروم
 على اليونان فاستولوا على علوم اليونان وكتبهم، ومن الروم دخلت الإسلام
 12 زمن المامون العباسي وغيره كما هو مبين في كتب التاريخ كابن خلدون،

1) سورة الحديد، الآية 3.

2) حذف الواو أنسب لحفظ الوزن. ولعل الصواب هو: كذا الأعداد....

3) يعني المؤلف بكلامه أن الأعداد كلها تنفقر إلى الواحد. أما الواحد فلا يفتقر إلى غيره من الأعداد لأنه أصلها.

4) سورة محمد، الآية 38.

ف عند ذلك توسع المسلمون في علم الموسيقى وألفوا فيه^(٧٥) أيضا ووشحوها^(٧٦) بالأشعار العربية التي هي زينة الموسيقى. وقد ألف المسلمون فيه تأليف كالحافظ المرادي^(١)^(٧٧) له فيه كتب عديدة، و«غاية المطلوب في فن الأنغام والضروب» لشمس الدين الحنبلي^(٢)، توفي سنة سبع مائة وتسعة وخمسين، و«الأغاني» للقاضي أبي الفرج الأصبهاني^(٣) فقد قيل إنه بقي في تأليفه نحو خمسين سنة

١) الحافظ المرادي. عبد القادر بن المولى جمال الدين غيبي الحافظ المرادي. ولد سنة 754هـ. درس علوم العربية وهو ابن عشر، مال إلى العلم الطبيعي فدرس الموسيقى. حفظ القرآن، وكان يحسن تجويده، كان عارفا بأنواع الخط، كان يؤدي سائر الضروب والأنغام، عارفا بالمقامات وجميع الآلات ذات الوتر خاصة العود، صنع ثلاثين نوبة للسلطان ابن أويس في شهر رمضان 779هـ، وقد لازم الشيخ أويس الجلايري، وابنه السلطان حسين وأحاه أحمد. وبعد انقراض دولة الجلايرية مال إلى شاه تيمورلنك، ثم فر منه متنكرا في زي الصوفية، ثم أعاده تيمورلنك بعدما سمعه يقرأ القرآن. وقد لازم ابنه حتى وفاته سنة 838هـ. له عدة مؤلفات في الموسيقى منها: كنز الألحان، وزبدة الأدوار في شرح رسالة الأدوار للأرموي. وأهم مصنفااته «مقاصد الألحان» بالفارسية، ما عدا المقدمة والخاتمة فهما بالعربية، وقد نسب له صاحب «كشف الظنون» (ج 1 ص 537) وصاحب هداية العارفين (ج 1 ص 597) كتاب «كنز الألحان». والصواب أنه لابنه عبد العزيز. وقد جاء في كشف الظنون «ابن عيني» بالعين المهملة والنون بدلا من العين المنقوطة والباء. وليس في المصادر التي ترجمت للمرادي سوى رواية واحدة هي ابن غيبي. ترجمته في بغية الوعاة ص 39 الشذرات ج 7 ص 209 الأعلام ج 6 ص 342.

٢) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عيسى بن حسن بن كرم البغدادي الحنبلي، يتصل نسبه بمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. ولد بالقاهرة سنة 681هـ بعد قدوم والده إليها إثر احتلال هولاء لكو ببغداد، فدرس علوم العربية والدين، كما درس الموسيقى على شيوخها بالقاهرة. وأخذ على نفسه ألا يمر صوت مما ذكره الأصبهاني في «كتاب الأغاني» إلا ويجيء به على وجهه. ترجم له ابن الصائغ في «الدرر الكامنة» (ج 4 ص 245) والصفدي في «الوافي بالوفيات» ج 4 ص 305. و«العمرى في مسالك الأبصار» ج 10 ص 530 مط. دار الكتب بالقاهرة 2005/1426. وقد صنف كتابا بعنوان «غاية المطلوب في علم الأنغام والضروب» يذكر الحاج هاشم الرجب (الموسيقيون والمغنون خلال الفترة المظلمة من 656هـ إلى 1322هـ ص: 49) أنه لا يزال مخطوطا. وتوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية بسويسرا، بينما نص الدكتور فارمر «مصادر الموسيقى العربية»، ترجمة حسين نصار، دار مصر للطباعة ص 92 على ضياعه.

٣) الأصبهاني أبو الفرج علي بن الحسين. يرجع نسبه لبني أمية، ولد عام 284هـ ببغداد نشأ، من أعيان الأدباء والعارفين بأيام الناس والأنساب والسير، له مصنفاات جليلة أشهرها كتاب الأغاني في أكثر من عشرين جزءا جمع المائة صوت الشهيرة على عهد الخليفة هارون الرشيد. وقد توفي عام 356هـ. ترجمه وفيات الأعيان ج 1 ص 334، يتيمة الدهر ج 2 ص 278، تاريخ بغداد ج 11 ص 398.

وهو موشح بأشعار العرب، فيعد^(٧٨) دواوين في الشعر ودواوين في الأدب والمحاضرات حتى كان بعض الملوك إذا سافر استغنى به عن حمل خزائن من الكتب. و«الفتحية» في الموسيقى لمحمد بن عبد الحميد^(٧٩) اللاذقي^(١). و«كتاب الموسيقى الكبير» و«الصغير» للسرخسي^(٢)، توفي سنة مائتين وستة وثمانين، و«كتاب الموسيقى» لابن سينا^(٣). إلا أن كتب الأقدمين في الموسيقى عارية عن اصطلاحه وقانونه اليوم بالمغرب كعام اثنين وثلاثمائة وألف وقبله بكثير، بل حدث فيه اليوم عندنا^(٨٠) اصطلاحات وأسماء لقواعد لا توجد في كتبهم. ولعلها حدثت زمان نفاق سوق الموسيقى بالأندلس خصوصا غرناطة، فهي المعدودة للموسيقا وآلاته من بين بلاد الأندلس، ومنه وصلت لفاس ونحوها من بلاد المغرب الأقصى كتطوان والعدوتين. وعلى اصطلاح فاس والعدوتين

13

1) اللاذقي: محمد بن عبد الحميد. عاصر السلطان العثماني بايزيد بن محمد الفاتح، وألف له «الرسالة الفتحية»، وله أيضا، «زين الألحان في علم التأليف والأوزان»، وتوفي في حدود سنة 900هـ/1495. ترجمه كشف الظنون 1236، الشذرات 26/8. الزركلي ج 6 ص 187.

2) السرخسي. أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان بن الطبيب السرخسي، ولد بخراسان بحوالي 220هـ. ورحل إلى بغداد وهو فتى، فاتصل بالفيلسوف العربي الكندي، فكان من أعظم تلامذته، تفنن في علوم كثيرة، وبرع في علم الموسيقى، فألف فيها مصنفات منها: المدخل إلى علم الموسيقى، وكتاب الموسيقى الكبير، وكتاب الموسيقى الصغير، وكتاب اللهو والملاهي في الغناء والمغنين والمنادمة والمجالسة وأنواع الأخبار والملح، وكتاب الدلالة على أسرار الغناء، وكتاب القيان. وتعتبر سائر كتبه في الموسيقى مفقودة، لم يبق منها سوى نصوص مبثوثة بين صفحات كتاب «كمال أدب الغناء» للحسن الكاتب، وهي نصوص -على ندرتها- تنم عن معرفة واسعة بالعلوم الرياضية واللغوية، وتوفي السرخسي سنة 286 مقتولا في السجن. ترجمه الفهرست 261/1، معجم الأدباء 158/1، الزركلي 205/1.

3) ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله، الفيلسوف الشهير، كان شديد العناية بعلم اليونان وخاصة إقليدس، له مصنفات جليلة القدر منها: القانون، الشفاء، والنجاة، ومدخل إلى صناعة الموسيقى، ورسالة في النفس. ويعتبر كتابه «القانون» أشمل ما وضعه المسلمون في الطب، ومن ثم كان معتمدا مدارس الطب في البلاد العربية، مثلما كانت ترجمته اللاتينية معتمدا مدارس الطب في أوروبا قرونا عديدة. توفي 1037/428 ترجمه وفيات الأعيان 152/2، لسان الميزان 291/2.

ألف الفقيه الحايك^(٨١) الفاسي^(١)، كتابه في الموسيقى، وهو أحسن ما رأيت في كتبه، إلا أنه قليل الوجود بفاس إذ صار اليوم حرفة للمعاش لا علما يقرأ فاقتصر فيه أهل حرفته على تحصيله في الصدور واللسان، وكُلهم أو جلُّهم عوامٌ. فلذا عدم هذا الفن وعُدت كتبه.

ولعل أصل الموسيقى بالأندلس الذي وصل^(٨٢) لفاس والرباط اليوم من الموسيقى عند الفرس كالبرامكة، كما يدل له^(٨٣) قصة^(٨٤) زُرّياب^(٢) تلميذ إسحاق الموصلي مُعني الرشيد الذي فاق شيخه في الموسيقى والصوت الحسن، فغار منه حتى هم بقتله، ففر منه من العراق للأندلس. فهو الذي أدخل صنعته كما هي الآن للأندلس، ويدل له أن من طبوع الموسيقى طبع الأصبهان، وهو من بلاد الفرس إذ هي كانت دار عساكرهم، وأن رمل الماية واضعه جابر بن مهريس الفارسي

1) الحايك. محمد بن الحسين الأندلسي التطواني الفاسي، عاش في القرن الثالث عشر، وعاصر السلطان محمد بن عبد الله وخلفه المولى سليمان. اشتهر بكناشه الذي ضمنه المستعملات الغنائية الشعرية لموسيقى الآلة، وقد انتهى من جمعه عام 1214هـ على عهد المولى سليمان. ويعتبر كناشه هذا مرجعا لحفاظ ميازين الموسيقى الأندلسية.

2) زرياب: علي بن نافع المغني البغدادي الشهير بلقب زرياب. ولد حوالي 160هـ/777م. لازم إسحاق الموصلي، وتلمذ عليه، ثم حدث بينهما ما أغضب إسحاق، فخيره بين الرحيل بعيدا عن بغداد وبين أن يمكث بها غير مرغوب فيه، فاختر الرحيل، وتوجه غربا صوب تونس، فنزل بالقيروان، وقضى بها فترة مقربا من حاكمها زيادة الله الأغلبي، ثم رحل من جديد موليا وجهه نحو سبتة، فمكث بها زمنا، ثم وجه خطابا إلى الخليفة الأموي في قرطبة يستأذنه في دخول الأندلس، فأذن له، غير أن الموت عاجل الخليفة، فاستقبله خلفه عبد الرحمن الأوسط.

تناقل المؤرخون أخبار زرياب، ومن هؤلاء الحميدي، والتيفاشي، وابن خلدون، والمقري، وقد ذكروا أنه فتح بقرطبة معهدا لتعليم الموسيقى، وكانت له طريقة خاصة أتى المقري في «نفع الطيب» ببيان مراحلها، وقد نعته ابن خلدون بأنه أورث بالأندلس في صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف، وطما منها بحر زاخر، وقد وضع زرياب الأسس الأولى لنظام النوبة الأندلسية، وكانت له ابتكارات فنية من بينها إقرار طريقة خاصة لتعليم الموسيقى، واستبدال مضراب العود الخشبي بآخر من قوادم النسر، وإضافة وتر خامس إلى أوتار العود الأربعة، وقد توفي عام 852/238م. ترجمه نفع الطيب 749/2، تاج العروس 286/1.

كما يأتي، وليس أصلها من الموسيقى التي عند الروم اليوم، فإني وزنتها بها فلم تتزن أصلا. ولا حلاوة في التي للروم كالحلاوة التي عندنا اليوم. ولذا نجد بعض النصارى اليوم إذا سمع الموسيقى التي عندنا اهتزّ لها طربا وأصغى بكليته لها^(٨٥)، وأخذته قلبا وقالبا، وكذلك ألحان الموسيقى بالمغرب عند المسلمين اليوم مخالفة للموسقا بمصر والاسكندرية وتونس والجزائر وتلمسان لأن طبوع الموسيقى لا تنحصر كما يأتي، وقد اندرست اليوم بالمغرب ولم يبق منها إلا قليل بفاس ثم بمكناس ثم بالرباط ثم بتطوان^(٨٦)، بل كادت تعدم بالرباط.

الهوامش والتصويبات

- ١) عا- عب- حب: عليهما.
- ٢) حا: سيد أهل العرب. حب: والصلاة والسلام على سيد أهل عراق العرب، والصواب ما في 109 د.
- ٣) حا: الحادث. وفي غا: الحدث.
- ٤) عا: في النسخة الذي، والصواب ما أثبتناه-عب: آله وأصحابه.
- ٥) حب: يقول.
- ٦) غا - عج: علم الرياضة.
- ٧) عب-عج: اقول.
- ٨) حا: مع علوم الهندسة.
- ٩) حا: وامتازت.
- ١٠) غا - حب: وموضع. والصواب ما أثبتناه.
- ١١) غا-حب: الكلم. والصواب ما أثبتناه.
- ١٢) حب: وموضع. والصواب ما أثبتناه.
- ١٣) غا - حب: الكلم والصواب ما أثبتناه.
- ١٤) حا: عنه قال.
- ١٥) عا : فيه.
- ١٦) حا: حرف الجر (من) محذوف.
- ١٧) حا: على، والصواب ما أثبتناه.
- ١٨) حب: استفدته وفي غا استفدناه.
- ١٩) حا: عشرة أبواب، وهذا خطأ. والصواب: عدد الأبواب في الكتاب أربعة عشر.
- ٢٠) حا: السقي.
- ٢١) عج: معاني بعين مهملة.
- ٢٢) حب-حا-عب: محبوب شرعا، وتكرار الإسناد أصوب.

- (٢٣) عج: تَحْيَرٌ .
- (٢٤) عج: أَلْفُ أَلْفٍ .
- (٢٥) الصواب: أَلْفٌ كَمَا هُوَ فِي النسخ الأخرى .
- (٢٦) فِي النسخ أجمع، وَهُوَ خَطأٌ صوابه مَا أُثبتناه .
- (٢٧) الصواب: إرشاد كما فِي النسخ الأخرى .
- (٢٨) الصواب: أَسْنَى كَمَا فِي حَب وَعج .
- (٢٩) غا - عج: إِنْه. خَطأٌ .
- (٣٠) غا - عج: اختلف، وَهُوَ خَطأٌ .
- (٣١) فِي سائر النسخ: وَجود بالضم. وَهُوَ خَطأٌ
- (٣٢) حا: هديان، والصواب مَا أُثبتناه .
- (٣٣) حَب كَانَ مقصدا وَهُوَ الصواب .
- (٣٤) الصواب: فَهُوَ، كَمَا فِي عب .
- (٣٥) عج: علمى والصواب مَا أُثبتناه .
- (٣٦) عج: الدهن بدال مهملة والصواب مَا أُثبتناه .
- (٣٧) عج: والعلمي، والصواب مَا أُثبتناه .
- (٣٨) فِي سائر النسخ تلقى، والصواب مَا أُثبتناه .
- (٣٩) عا: فيرتضوا، والصواب مَا أُثبتناه .
- (٤٠) حَب: فإِذَا .
- (٤١) حَب: سقطت كلمة كانت. غا : لكانت .
- (٤٢) حَب: لتوصل، خَطأٌ والصواب مَا فِي عا .
- (٤٣) سقطت هذه الكلمة فِي النسخ الأخرى .
- (٤٤) غا - حَب: الوضيفة بحرف الضاد وَهُوَ خَطأٌ .
- (٤٥) حا: يطاع ولا معنى له .
- (٤٦) غا- حا- عب- عج احتاج قراءة والصواب مَا أُثبتناه
- (٤٧) حَب- عب- عج: فَإِنَّ من لم .

- (٤٨) حا: يتطلع، وهو خطأ.
- (٤٩) كلمة ناقصة في النسخ الأخرى.
- (٥٠) حا: كلمة ساقطة.
- (٥١) في النسخة: أركان موضوعة، والصواب ما أثبتناه كما في باقي النسخ.
- (٥٢) الصواب: جسدا كما في حب-عب-عج.
- (٥٣) غا - حب-عج-حا: فالطلسمات.
- (٥٤) حا: فتسعد بها الإدراك، وفيه تحريف للنص.
- (٥٥) في عا: وعلما، وهو خطأ، إذ المعطوف على المرفوع مرفوع.
- (٥٦) حب: حركة.
- (٥٧) حب: حركة.
- (٥٨) حا: والنجم.
- (٥٩) حا-عب: إلى، وهو أصوب.
- (٦٠) عج: بالرباط.
- (٦١) حب: الصونس وهو خطأ.
- (٦٢) حب: فيها بعض الأحيان.
- (٦٣) غا : خشنة. حا: خشينه.
- (٦٤) حب: ومشاركتها وهو خطأ.
- (٦٥) عج: نفسه، وهو خطأ.
- (٦٦) في البيتين الثاني والثالث تحريف أدخل بالوزن و صورته كالاتي:
- | | |
|---------------------|-------------------------|
| مرجعها إلى الأحد | كما أن الأعداد وإن كثرت |
| مرجعهم لرب واحد صمد | كذا الخلق كلهم |
- (٦٧) سقطت كلمة «يفتقر» في غا-عا-حب-عج.
- (٦٨) في عا «فقط» مع وضع كلمة (كذا) فوقها، والصواب. يعرف كما في عب، أو يعلم كما في عج.
- (٦٩) الصواب: جهتان إحداهما.. كما في عب.
- (٧٠) عب: السادجة بدال مهملة، وهو خطأ.

- (٧١) في سائر النسخ: علوم.
- (٧٢) في سائر النسخ: وثانيهما، والصواب ما أثبتناه.
- (٧٣) سقطت كلمة «علم» من النسخ الباقية.
- (٧٤) عا «علم» خطأً.
- (٧٥) غا-حب: فيها، وهو خطأً.
- (٧٦) غا-عج: ووشحوا، وهو خطأً.
- (٧٧) الصواب: المراغي كما في حا-عب.
- (٧٨) حا: فعنده، وهو تصحيف.
- (٧٩) في سائر النسخ: عبد المجيد والصواب ما أثبتناه.
- (٨٠) زیدت كلمة «عندنا» في عا-عب-حا.
- (٨١) أجمعت النسخ على تسميته، «أحيك» وسيعود فيما بعد لكتابة الاسم الحيك ثم الحايك.
- (٨٢) الصواب: أصل، كما في باقي نسخ الكتاب.
- (٨٣) سقطت كلمة «له» في حا.
- (٨٤) في حا: قضية، والصواب ما أثبتناه.
- (٨٥) سقطت هذه الكلمة في عا.
- (٨٦) تفرد نسخة حب بزيادة، "ثم بتطوان".

الباب الأول في حقيقة علم الموسيقى

وهو علم يبحث فيه عن أحوال نغم الأصوات وأزمانها وأوزانها. وعرفه صاحب "الفتحية" بقوله علم رياضي يبحث فيه عن أحوال النغم من حيث الاتفاق والتنافر وأحوال الأزمنة المتخللة بين النقرات من حيث الوزن وعدمه⁽¹⁾ لتَحْصُلَ معرفة كيفية تاليف اللحن على ما أشار له ابن سينا في الشفا. وعرفه أبو نصر الفارابي التركي⁽²⁾ بأنه صوت واحد لَابَثٌ في زمان هـ فيقدر الصوت كأنه جسم محسوس⁽¹⁾ موجود في جسم وإن كان الصوت عرضا كالزمان، إلا أن الزمان قد يكون محسوسا لطوله وقد يكون غير محسوس لقصره كالروابع والخوامس إلى العواشر إلى ما لا نهاية له كما تقرر في علوم النسبة الستينية. ففي الحديث «هَلْ زَالَتْ الشَّمْسُ» قال لا نعم. والقوم قدروا أن أقل المرتبة المحسوسة في الزمان هو ما يقع بين حرفين متحركين ملفوظين على سبيل الاعتدال⁽²⁾، إلا أن الصوت اللابث في الزمان لا يسمى نغمة⁽³⁾ وفي "المصباح" نَعَم نغما من باب ضَرَبَ ونَفَعَ تكلم بكلام خفي وسكت. والنغمة حسن الصوت هـ. فالنغمة مركبة من كلام وسكوت⁽⁴⁾. وقال الزرقاني على "المواهب" في بحث إعجاز القرآن من

15

1) يعرف ابن زَيْلَةَ علم الموسيقى على نحو يقارب ما أتى به التادلي فيقول: "علم الموسيقى يشتمل على مبحثين: أحدهما البحث عن أحوال النغم من حيث تأتلف وتتنافر، والثاني البحث عن مقادير الأزمنة المتخللة بين النغم"، انظر ابن زيلة الحسين: الكافي في الموسيقى. ص 17.

2) الفارابي: أبو نصر محمد بن طرخان. من أصل تركي، ولد في فاراب، ورحل إلى بغداد. تعلم الفلسفة على مَتَّى بن يونس، ثم نرح إلى حران ليكمل دراسته على يد يوحنا بن غيلان. أتقن علوم الفلسفة، وبرع في الموسيقى. وكان بارع الضرب على العود، جالس سيف الدولة، وقد ألف في الموسيقى كتبا عدة منها: كتاب الموسيقى الكبير، وكتاب إحصاء الإيقاع. وتوفي حوالي 950/339. وفيات الأعيان 76/2، طبقات الأطباء 134/2، الزركلي 20/7.

3) نقلا عن "كشف الظنون" مج. 2، ص 1902.

4) الفيومي شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير". مخ الخزانة الحسنية رقم 692 ج2، باب النون والغين.

المقصد الرابع: واللحون جمع لحن واحد ألحان^(٣): الأغاني والنغمات التي تزين بها الأصوات وتوزن بضروب الموسيقى هـ. (١) والنغمة والصوت عرض قائم بالجوهر الذي هو الهواء^(٢)، والنغمة نوع من الصوت. فاقتضى كلام بعضهم أن علم الموسيقى إنما يبحث عن الأزمنة التي تكون نقراتها^(٤) منغمة فقط، وبعضهم إنما^(٥) يبحث عن الأزمنة التي تكون نقراتها^(٤) منغمة أو ساذجة^(٦). والمراد بالنقرات الأصوات التي تقع في الأزمنة. وتلك الأصوات الواقعة في الأزمنة تارة تكون^(٧) منغمة كنقرات أوتار عود الموسيقى وأصوات الإنسان المنغمة، وتارة تكون ساذجة خالية عن النغمة كصوت الرعد وصوت البارود وصوت الحمار. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٣)، فتحصل أن علم الموسيقى باحث عن أمرين: الأول أحوال النغم من طول وقصر^(٨) وعلو وانخفاض ونحو ذلك، الثاني الأزمنة. فالأول يسمى علم التأليف، والثاني علم الإيقاع. وعرفه بعضهم بقوله: علم باحث عن أنغام مختلفة الخفة^(٩) والثقل مرتبة ترتيباً متناسباً. وهذه الحدود صادقة بالأصوات الخالية عن الألفاظ كنقرات العود والرباب والطار وحدها، وبالمشتملة على الألفاظ كالشعر كان موزوناً أو ملحوناً. فإذا

1) الزرقاني: شرح على المواهب اللدنية للقسطلاني، دار الكتب العلمية - بيروت. تحق. محمد عبد العزيز، ج 6 ص 448.

2) العرض عند المناطقة كل شيء لا يدوم، لأنه قابل للزوال والتغير. وهو يدخل في مفهوم الجزئيات أو الكائنات الفردية والصفات الطارئة كاللون والحجم والشكل، وهو يفتقر إلى غيره ليقوم به كالنغمة التي تحتاج إلى الهواء لتقوم به. وقد أسماه الكندي "الهيولي"، وأقسام العرض تسعة هي: الكم، الكيف، الأين، الملك، الإضافة، ال متى، الوضع، الفعل، الانفعال.

وأما الجوهر فهو ما يقوم بذاته، ويدل على حقيقة الشيء مما يدخل في مفهوم الكليات الثابتة كالنواميس والمبادئ، وقد مثل له المؤلف بالهواء، فهو جوهر، أي ذات قائم بنفسه. والجوهر عند أرسطو اجتماع ثلاث علل يقوم عليها النظام الكوني أو الكائن الطبيعي، وهي: الحركة، والغاية، والصورية وقد أسماه الكندي "الصورة".

3) سورة لقمان، الآية 19.

16 أريد حد الموسيقى المشتملة على الشعر قيل فيها^(١) أنغام مختلفة متناسبة مقرونة بألفاظ منظومة أو قرنت بألفاظ دالة على معان محركة للنفس تحريكا ملذا فخرج عنه ما يترنم به الخطباء والقراء فلا يكون نغمة بل لحنا.

الباب الثاني في موضوعه

تقدم^(١١) أن العلوم^(١٢) إن قطع النظر عن موضوعها كانت شيئا واحدا، وإنما اختلفت بالموضوعات كالحرف. وموضوع الموسيقى الأصوات إن أريد العموم، أو الأنغام الموزونة بالأزمان كالعدد وبالأشعار كالطويل إن أريد الخصوص. ثم انقسم موضوع الموسيقى إلى أقسام كثيرة بحسب اختلاف أقاليم المعمور من الأرض، فلكل^(١٣) جيل من الناس طبوع يعرفونها^(١٤). قال الشيخ الحيك^(١٥): وتنتهي إلى ثلاثمائة وستة وستين كما وقفنا عليه في غير ما من تأليف ا.هـ^(١٦). وقد يكون من هذه الطبوع مزامير سيدنا داود عليه السلام^(١٧). وقد قيل: إنها اثنان وسبعون ألفا، أشار لها بحديث لَقَدْ أُوتِيَ مَزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ دَاوُدَ. وعليها^(١٨) وضع صاحب القانون، ففيه من الأوتار نحو سبعين^(١٩) لا يشبه واحد منها الآخر. والظاهر أن هذه الطبوع كاللغات، وقد قيل إن اللغات التي كان يتكلم بها آدم عليه السلام سبعمائة، وقيل أكثر من ذلك وبقيت متفرقة في ذريته إلى يوم القيامة، فمنها ما هو باق إلى اليوم كالعربية والفارسية والتركية والعبرانية والرومية، ومنها ما اندرس إما كلا أو بعضا، كما أشير له بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٢٠) وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٢١) كذلك

* يريد الشيخ محمد بن الحسين الحايك.

(1) الحايك. محمد بن الحسين: المقدمة، الفصل الثالث في أصله وأحكامه. انظر تحقيق الحاج إدريس ابن جلون.

(2) سورة البقرة، الآية 31.

(3) سورة الرحمن، الآيتان: 2-3.

هذه الطبوع لا نهاية لها. وهي متفرقة في ذرية آدم إلى يوم القيامة. وقد يمكن دخولها في قوله تعالى ﴿وَإِخْتَلَفَ الْأَلْسِنَةُ كَاللُّغَاتِ، فَهِيَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ﴾⁽²⁾، بل قيل في بلاد الجبل نواحي مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله تعالى⁽¹⁸⁾ عنه التي هي من معادن⁽¹⁹⁾ الموسيقى والطرب إلى الآن⁽²⁰⁾ دون غيرها من البوادي: يخرج كل عام فيها طبع لم يسمع مثله قبله، كما أخبرت بذلك، فيتنعم به أهل الكنبري⁽³⁾،⁽²¹⁾ عندهم، وفي ذلك تنافسهم. وللروم طبوع أخرى⁽⁴⁾، ولأهل الكريحا⁽⁵⁾ طبوع أخرى مسماة بأسماء، وللنساء أهل المسامع طبوع أخرى [مسماة⁽²²⁾ بأسماء]⁽⁶⁾، ولأهل الطبل والغيط طبوع⁽⁷⁾ تسعة⁽²³⁾ أولها راس النوبة، ثم بشارف، ثم خلط، ثم

1) سورة الروم، الآية 22.

2) يقول إخوان الصفا: لكل أمة من الناس ألحان في الغناء وأصوات لا تشبه بعضها بعضا، ولا يُحصي عددها كثرة إلا الله تعالى الذي خلقهم وصورهم وطبعهم على اختلاف أخلاقهم وألسنتهم وألوانهم... وإنك إذا ما تأملت وجدت لكل أمة من الناس ألحانا ونغمات يستلذونها ويفرحون بها، لا يستلذها غيرهم ولا يفرح بها سواهم (الرسائل: ص 196).

3) الكنبري: آلة موسيقية من ذوات الأوتار، وهي ثلاثة أنواع متفاوتة الحجم ودرجة الصوت، فأصغرها وأحدها صوتا السويدي، وأكبرها حجما وأغلظها صوتا الهجوج، ويتوسطهما حجما وحدة الفرخ، والكنبري بأنواعه عبارة عن صندوق مصنوع من جذع الشجر على هيئة نصف إحاصة مفرغة، يُعْطَى وجهها بقطعة من الجلد، وتوصل بعضا طويلة تُمدد عليها أوتارٌ ثلاثة من المصران.

4) يريد بطبوع الروم كلا من المقام الصغير والمقام الكبير وملحقاتهما التي تتحكم في سلالم الموسيقى الأوربية.

5) الكريحا: اسم من أسماء الشعر الملحون، ويطلق أيضا على غناء الملحون، فيقال للمنشد: "شيخ الكريحا" مقابل "شيخ السحبية" فيما يدل على ناظم الشعر الملحون. وطبوع الملحون كثيرة جعلها مستمد من شجرة طبع "الآلة" الأندلسية.

6) يريد بالنساء أهل المسامع المجموعات الغنائية النسائية التي كانت منتشرة في بعض المدن كفاس وتطوان.

7) الطبوع التسعة الواردة في النص هي من المقامات المشرقية التي كانت فرق الطبالين والغياطين بفاس تستخدمها حتى بدايات القرن العشرين، وقد انقطع تداولها، وهي من ملامح تأثير الموسيقى التركية التي تسربت إلى بعض الأوساط الفنية بالمغرب في مواكبة الاحتلال العثماني للجزائر.

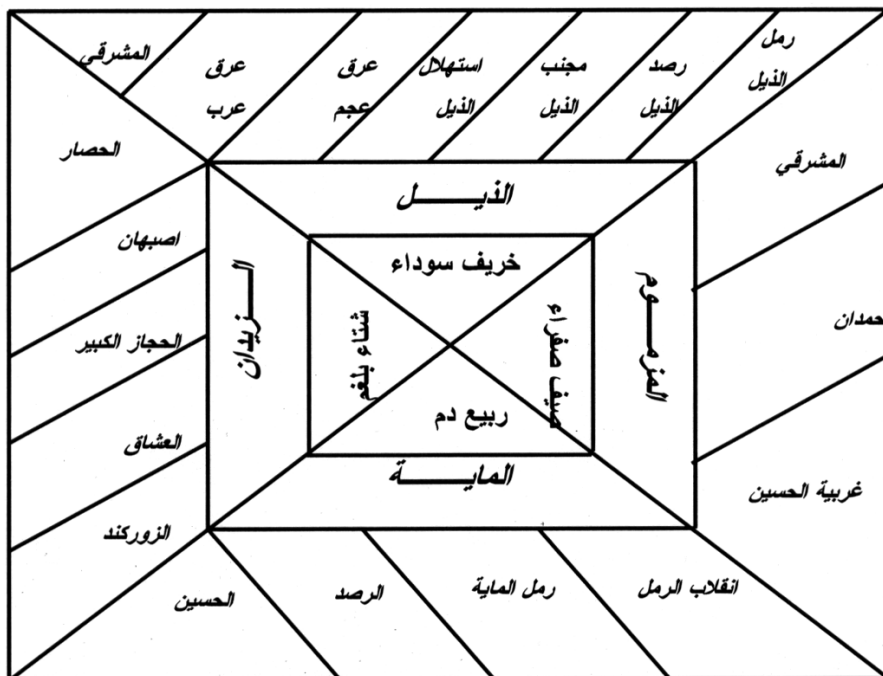
رواني، ثم اسماحيل، ثم تركي، ثم تركي مغلوق، ثم تركي بالزوائد، ثم حربي. ولأهل طنبور العسكر طبوع أخرى معروفة عندهم⁽¹⁾، وللطوائف كطائفة عيساوة وطائفة القاسميين طبوع معروفة عندهم⁽²⁾. ولأهل الجزائر بتطوان⁽³⁾ وأهل تونس طبوع أخرى⁽⁴⁾. ولأهل مصر طبوع أخرى، ولأهل الشام طبوع، ولأهل الحرمين الشريفين طبوع⁽⁵⁾. ولأهل السودان طبوع، ولأهل سوس بالمغرب الأقصى طبوع⁽⁶⁾. وعليه فلا نهاية لطبوع النغمات والألحان.

18

إلا أن الطبوع اليوم عند أهل الموسيقى بالأوتار قسمان: مشهورة، وغير مشهورة. فمن غير المشهورة⁽⁷⁾. الجركة، ثم الرهاوي، ثم الجناوي، ثم دونيت، ثم الغريب، ثم السراج، ثم المسروق. ثم الراسات، ثم الدوكة، ثم الصيكة، ثم الجركة^(٢٤) ثم البنجكة، ثم العراق، ثم الكردانية - ويسمى الماهور - ثم أبو سليق، ثم زير كفند، ثم الصبا، ثم المحسنة، ثم الركب، ثم البياتي، ثم النيرز، ثم الشهناز، ثم أوج الصيكة، ثم أوج العراق، ثم الزنكلة، ثم عشيران العجم. وكل هذه أو جلها أسماء عجمية لا تحقيق عندنا بضبطها ولا بألحانها

- 1) أهل طنبور العسكر هم الفرق الموسيقية التابعة للحاشية الملكية. وقد عرفوا بحقوق الخمسة والخمسين.
- 2) طبوع الطوائف مزيج من طبوع "الآلة" وغيرها.
- 3) في ذلك إشارة إلى الجاليات الجزائرية التي أنزلها ملوك الدولة العلوية بمدينة تطوان على إثر غزو الجيوش الفرنسية للجزائر سنة 1830م، وطبوع هؤلاء تنتمي لما يعرف بالموسيقى الغرناطية.
- 4) يريد بها طبوع موسيقى المؤلف.
- 5) تتحكم في موسيقى هذه المناطق مقامات الموسيقى العربية الشرقية.
- 6) تتحكم في غناء أهل السودان وأهل سوس بالجنوب المغربي منظومة من السلالم تدرج فيما يسمى "المقام الخماسي".
- 7) يريد التادلي بغير المشهورة المقامات الشرقية التي تسربت إلى الأوساط الفنية بالمغرب مع المد العثماني نحو غرب الشمال الإفريقي. وقد جاءت أغلب أسماء هذه المقامات في نسخ الكتاب الخمس محرفة عن أصلها، لذا آثرت أن أكتبها كما وردت في نسخة ورثة الرقيواق الطنجي لكنناش الحايك حتى تكون أقرب إلى الصورة التي خطها الحايك في كتابه.

بل هي (٢٥) مجهولة الاسم والمسمى لاندراسها، وكانت معروفة في القديم^(١). والمشهورة^(٢٦) أربعة^(٢٧) وعشرون منها أصول، وهي أربعة: الذيل، ثم الزيدان، ثم الماية، ثم المزموم، على عدد الطبائع الأربع^(٢٨) وهي الحرارة والبرودة واليوسة والرطوبة، وعدد الأخلاط الأربعة وهي السوداء والبلغم والدم والصفراء، وعدد العناصر الأربع وهي الماء والهواء والنار والتراب، وعدد الفصول الأربعة^(٢٩) الربيع والصيف والخريف والشتاء. ومنها فروع عنها، وهي عشرون. لكنهم اختلفوا في فروع الأصول، فبعضهم جعل فروع الذيل سبعة، وهي: رمل الذيل، ورصد الذيل، ومجنب الذيل، واستهلال الذيل، وعرق عجم، وعرق عرب، والمشرقي، وجعل فروع الزيدان خمسة وهي: الحصار، وأصبهان، والحجاز الكبير، والعشاق، والكبير، والعشاق، والزور كند، وجعل فروع الماية أربعة وهي: الحسين والرصد

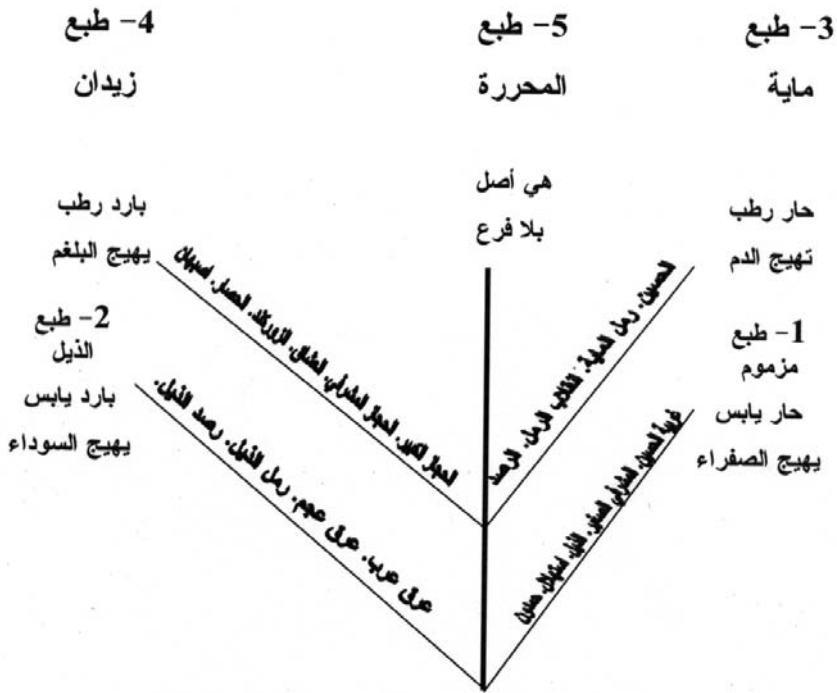


20

1، لا صحة لهذا الكلام، فهذه المقامات ما تزال قيد الاستعمال في البلاد العربية الشرقية.

ورمل الماية وانقلاب الرمل وجعل فروع المزموم ثلاثة وهي: المشرقي وحمدان وغربية الحسين، ورسم لها جدولاً هكذا⁽¹⁾

فالذيل وفروعه تهيج⁽³⁰⁾ السوداء، والزيدان وفروعه تهيج⁽³¹⁾ البلغم، والماية وفروعها تهيج الدم، والمزموم وفروعه [تهيج]⁽³²⁾ الصفراء. وبعضهم خالف في ذلك ورسم لها شجرة هكذا.



21

وهذه شجرة أصل الطبوع

1) عب: في طرة الصفحة رقم 15 من هذه النسخة كتب الناسخ ثلاثة أبيات من منظومة رجزية لابن سينا حول الطبائع الأربع وعلاقتها بالعناصر الأربعة، يغلب أن يكون قد نقلها عن كتاب الأنيس المطرب لمحمد العلمي المذكور آنفا (ص 185) ونصها:

والبردُ في الشَّرَابِ ثَمَّ المَاءِ
واللَّيْنُ بَيْنَ المَاءِ والسَّحَابِ
وَأَتَّخَفَتْ كِي لا تُرَى مُضَايِدُهُ

الحَرِّ فِي النَّارِ وَفِي الهَوَاءِ
وَالْيَبْسُ بَيْنَ المَاءِ وَالتَّسْرَابِ
إِخْتَلَفَتْ كِي لا تَكُونُ وَاحِدُهُ

ولإمام سيدي عبد الواحد الونشريسي⁽¹⁾ رضي الله عنه مشيراً لذلك :
(طويل)

طَبَّائِعُ مَا فِي عَالَمِ الْكُونِ أَرْبَعٌ^(٣٣) فَبَيْنَ مَا فِي عَالَمِ الْكُونِ أَرْبَعٌ^(٣٣)
فَأَوْلُهَا السَّوْدَاءُ وَالْأَرْضُ طَبَّعُهَا فَأَوْلُهَا السَّوْدَاءُ وَالْأَرْضُ طَبَّعُهَا
وَبَلَّغَهُ طَبَّعُ الْمَاءِ رَطْبٌ وَبَارِدٌ وَبَلَّغَهُ طَبَّعُ الْمَاءِ رَطْبٌ وَبَارِدٌ
وَصَفْرَاءُ طَبَّعُ^(٣٥) النَّارِ يُحْرِقُ حَرَّهُ^(*) وَصَفْرَاءُ طَبَّعُ النَّارِ يُحْرِقُ حَرَّهُ^(*)
فَنَعْمَةٌ صَوْتِ الذَّيْلِ ثُمَّ فُرُوعُهُ فَنَعْمَةٌ صَوْتِ الذَّيْلِ ثُمَّ فُرُوعُهُ
عِرَاقٌ وَرَمْلُ الذَّيْلِ فَاصَّغَ لِلْحِنِّهِ عِرَاقٌ وَرَمْلُ الذَّيْلِ فَاصَّغَ لِلْحِنِّهِ
وَلِلْبَلْغَمِ الزَّيْدَانُ ثُمَّ اصْبِهَانُهُ وَلِلْبَلْغَمِ الزَّيْدَانُ ثُمَّ اصْبِهَانُهُ
وَعَشَّاقُهُ قَدْ فَاقَ وَاخْتَصَّ بِالْغِنَا وَعَشَّاقُهُ قَدْ فَاقَ وَاخْتَصَّ بِالْغِنَا
وَمَايَةُ حُسْنٍ حَرَّكَتْ لِذَوِي الدَّمَا وَمَايَةُ حُسْنٍ حَرَّكَتْ لِذَوِي الدَّمَا
وَصَفْرَاءُ لِلْمَزْمُومِ فَانْسَبْ فُرُوعَهُ وَصَفْرَاءُ لِلْمَزْمُومِ فَانْسَبْ فُرُوعَهُ
وَزِدْ لَهُ مِنْ طَبَّعٍ غَرِيبٍ مُحَرَّرٍ وَزِدْ لَهُ مِنْ طَبَّعٍ غَرِيبٍ مُحَرَّرٍ
وَصَلِّ وَسَلِّمْ فِي ابْتِدَائِكَ أَوَّلًا وَصَلِّ وَسَلِّمْ فِي ابْتِدَائِكَ أَوَّلًا

22

(1) الونشريسي: عبد الواحد بن أحمد الونشريسي، ثم الفاسي، والده هو صاحب "المعيار المعرب" مارس عبد الواحد الفتيا والقضاء والتعليم بفاس على عهد بني وطاس. ترجمه صاحب "سلوة الأنفاس"، مات قتيلا عام 955هـ، والدولة الوطاسية تحتضر. له أرجوزة في أحد عشر بيتا اعتمدها محمد البوعصامي، ومحمد الحايك، والدلائي وسليمان الحوات في ضبط شجرة الطبوع، وتوجد نسخة منها خطية بالخزانة الحسينية في مجموع رقمه 650. انظر إيقاد الشموع للبعصامي مجموع 14 رقم 11333 ز. خ ح ص 224.

وزاد بعضهم⁽¹⁾

وَزِدْ طَبَعَ الْإِسْتَهْلَالَ وَالْمَشْرِقِي مَعَا
وَلَا تَنْسَ^(٣٩) فِي أَنْسِ الصَّبَاحِ مُجَنَّبًا
وَطَبَعَ عِرَاقَ الْعُجْمِ لِلذَّيْلِ فَانْجَلَا
وَحَمْدَانَ لِلْمَزْمُومِ لَاتَكَ مُهْمَلًا
كَذَلِكَ انْقِلَابُ الرَّمْلِ مِنْ طَبَعِ مَائَةٍ
يُهَيِّجُ أَشْوَاقَ النَّصَابِ فِي الْمَلَا

ولكل من هذه الأربعة والعشرين موازين^(٤١) خمسة، وهي بسيط، وبطايحي، والدرج، وقايم ونصف - ويسمى في عرف الموسيقى قَيْمُنْصُ - ثمَّ القدام. ومجموع هذه الخمسة يقال لها نوبة. وفي عرفهم "نُوبٌ". فبعضهم يرتب^(٤١) النوبة كما ذكر، وهو الغالب عند مهرتهم في الليالي الكبار كليلة النبيته^(٤٢) في العرس الكبير، والغالب استعمالهم في تلك الليلة نوبة رمل المائة، وبعضهم يرتبها كيف تيسر له أو كيف طلبت منه. وقد تفرق في المتنزهات^(٤٣) فيجعلون ميزانا منها في الصباح، ثم الذي يليه^(٤٤) عند الضحى، ثم الذي يليه عند الزوال إلى المغرب^(٤٥)، وقد يقتصر على بعضها بحسب مشتبهات السامعين ومقترحاتهم فيقال للمعلم: أطلب منك قُدَامَ رمل المائة أو بسيط الاستهلال ونحو ذلك.

وكل ميزان من الموازين الخمسة،^(٤٦) مشتمل على أشعار وأزجال وتوشیحات.

- فالشعر ما كان من أوزان البحور الخمسة عشر عند العروضيين، وغالبه بيتان عندهم إما من الطويل أو من الخفيف أو غير ذلك. يسمى شغلا.

1) تذهب بعض نسخ الحايك، وكذا المجموع الموضوع باقتراح من الأمير العلوي المولى عبد السلام بن السلطان محمد الثالث والذي كان الفراغ منه غرة رمضان عام 1202 إلى أن هذه الأبيات من وضع الإمام الوجدي، وهو عند الباحثة المرحوم محمد المنوني محمد بن علي الوجدي ثم الفاسي الملقب بالعماد (توفي سنة 1033 هـ).

- والزجل كالتوشيح ما كان كالمخمسات والمربعات. وغالبه غير موزون بل ملحون ويسمى عروبي أو [غروب] (٤٧) وعذراوي (1).

فمن الشغل قوله من بحر البسيط.

قُمْ يَا خَلِيلِي إِلَى اللَّذَاتِ وَالطَّرَبِ لَا صَبْرَ لِي عَن بَنَاتِ الْكَرْمِ وَالْعِنَبِ (2)
يُستعمل في بسيط العشاق:

- ومن التوشيح نحو قوله:

إِنْ شِئْتِ أَنْ تَقْرُبِ قُرْبِ الْوَصَالِ
هَمْ فِي هَوَى الْمُحِبُّوبِ وَلَا تَبَالِي (3)

ومن الزجل قوله:

أَبَا مُنَادِي بِالْحَمَى هَيَّجْتُمُونِي هَيَّامَا (4)

وقوله:

وَنَشْكُرُ فِي ذَا الْمَقَامِ نَعْمَ الْكَرِيمِ يَتُوبُ عَلَيْنَا إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)

(1) في هذه الفقرة خلط بين تعريفات التوشيح والزجل والعذراوي، لعله ناتج عن تصحيف النساخ، أو عن سقوط بعض أجزاء الفقرة، ويدل على ذلك ما كتب في طرة ص 23، وهو يشكل استدراكا لبعض ما سقط من الفقرة.

(2) الصنعة من بيتين. وهي تصدرة بسيط نوبة العشاق: وهي من بحر الطويل.

(3) توشيح مدون في طرة الصفحة 23 من المخطوط "عا".

(4) توجد هذه الصنعة في نسخة ورثة الرقبواق الطنجي بقدام الاستهلال، كما توجد عند بنمنصور في قدام الماية.

(5) توشيح من انصراف قدام العشاق: بنمنصور ص 86.

ومن العذراوي ما يستعمل من الصبوحى^(٤٨) في العشاق:

فَاحِ الْوَرْدُ وَالسُّوسَانَ مَا بَيْنَ الْغُصَّانِ
وَرَشَّ النَّدَا الرَّيْحَانَ فَقُمْ يَا نَدِيمُ^(٤٩) عَجَلَانَ
تَرَى الصُّبْحَ بَانَ...

وهو طويل من نحو ثلاث ورقات⁽¹⁾.

24

إلا أن الشعر كان شغلا أو غيره كالزجل، إذا كثرت أدوارُه سُمِّيَ عندهم "صنعة"، وفي عرف عوامهم "صنع" مثلُ

مَنْ رَسُولِي إِلَيْكَ يَا نُورَ عَيْنِي

تستعمل في الاستهلال وفي الحجازي الكبير^(٥٠) فيها من الأدوار نحو ستين دورا⁽²⁾، كنت أحفظها كلها زمن الشباب. والدور عندهم عدد^(٥١) النقرات بالكف ونحوه - ويسمى بالميزان - مثل البسيط، نقراته بنحو أصبع على الأرض أو على الطار أو على الكف أربع أبدا، ثلاث منها - وهي الأولى - متوالية على نسبة واحدة، والرابعة متراخية شيئا ما عن الثلاثة^(٥٢). وهكذا البسيط كله من أوله إلى آخره كما ياتي. ولذا يضع الفقيه الحيك رحمه الله في كتابه في الموسيقى على كل شغل أو زجل أو توشيح عدد ما فيه من الأدوار بالغباري^(٥٣) خوف الزيادة والنقص منه، فترى الموسيقين إذا تنازعوا في عدد أدوار شغل مثلا ترفعوا لذلك الكتاب حكماً بينهم^(٥٤).

(1) لا وجود لهذه الصنعة في كناش الحايك.

(2) صنعة ثنائية من بحر الخفيف في بسيط الاستهلال (بمنصور). ولا وجود لها في نوبة الحجاز الكبير عند الحايك. ويحتوي البيت عند ابن جلون على 54 دورا (ص 125)، وفي نسخة الرقيواق الطنجي 46 دورا

(ص 61).

ولما كان بعض الطبوع المذكورة قليل الأشعار^(٥٥) [والأشغال] إما لكونه كان كذلك وضع أو لقلة الهمم^(٥٦) في حفظ ما فيه حتى لم يبق فيه إلا القليل ضموا بعضها لبعض حيث تقاربت نغمتها وتناسبت، وسمّوا الجميع اليوم باسم طبع واحد كالعشاق، فإنه^(٥٧) أضيف له الذيل ورمل الذيل فهي ثلاثة سميت كلها باسم العشاق، ومثل الصيكة أضيفت لعرق عرب في قوله : (كامل)

25 يَا غَادِيًّا نَحْوَ الْحَبِيبِ عَسَاكََا أَقْرَا السَّلَامَ إِذَا وَصَلْتَ هُنَاكََا^(١)

وهو شعر طويل من الكامل، وهو صنعة من عرق عرب وآخرها فيه نغمات من الصيكة. (وفي بعض الأشعار اجتمع نغمات من عرق عرب ونغمات من المائة ونغمات من الصيكة)⁽²⁾. ومثل الاستهلال أضيف له عرق عرب لقربه منه. ومثل طبع الحسين أضيف لرمل المائة وانقلاب الرمل وحمدان حتى صارت الأربعة والعشرون طبعاً إلى أحد عشر طبعاً في حدود ألف ومائتين وما قاربها^(٥٨) إلى زماننا هذا عام^(٥٩) ألف وثلاثمائة واثنين، لكن بفاس. وأما الرباط ونحوها من الأمصار الصغار^(٦٠) فقد ذهبت كلها ولم يبق منها بالرباط إلا نزرٌ يسير. قال الشيخ الحيك رحمه الله : ولما كانت الطبوع أربعة وعشرين جرت عادة أهل زماننا يستعملون^(٦١) إحدى عشرة^(٦٢) نوبة ويضيفون إلى كل نوبة^(٦٣) ما يناسب نغمتها هـ.

الباب الثالث في الواضع

لا يبعد أن يكون واضع الموسيقى آدم عليه السلام، كما قيل: إن الحرف والصنائع كلها واضعها آدم عليه السلام. فقد قيل: إنه أول من حرث وأول

1) الصنعة ثنائية في بحر الكامل في قدام الحجاز الكبير، ويقتضي كلام التادلي وجودها في نوبة الاستهلال على نغمة هي مزيج من عراق العرب والصيكة.

2) العبارة التي بين هلالين غير واردة في نسخة غا.

26 من غزل⁽¹⁾ حواء رضي الله عنهما، كما أنه واضع اللغات كلها لقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽²⁾ أو واضعها إدريس عليه السلام، فإنه عند الفلاسفة والحكماء يُسمى المعلم الأول وهرمس المثلث، إذ علوم الفلسفة كلها أصلها الوحي على الأنبياء، إذ الإنسان عاجز عن إدراك أصولها أولاً. فقد قيل إنه أول^(٦٤) من أقرأ الكورة في علم التوقيت، ومن لازمه الهندسة والحساب والهيئة وغيرها، وأن الأشكال الستة عشر في علم الرمل نزل بها الأمين^(٦٥) جبريل عليه السلام، وكان من معجزاته وعلمه لطمطم الهندي أحد الملوك فآمن به بسببه. أو واضعه داود^(٦٦) بن إيشا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فإن قومه غلب عليهم الطرب والموسيقا حتى من لم يعرفه منهم^(٦٧) لا يُعبأ به. فَبُعِثَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٦٨) لهم، ومعجزته حسن صوته ونغمته كما ذكروه^(٦٩) في بحث المعجزات من كتب التوحيد والسير. وإن عادة الله سبحانه في عباده أن يرسل لكل أمة منهم رسولا معجزته مما غلب عليهم: فموسى عليه السلام كان قومه مهرة في السحر فجاء بما غلبه، وهو معجزة العصا. وغلب على قوم عيسى عليه السلام الطب فجاءهم بما غلبه وهو إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله. وغلب على العرب الفصاحة والكهانة والشجاعة والكرم فجاءهم سيدنا محمد ﷺ بما بهر^(٧٠) العقول في ذلك. قال في الهمزية : (خفيف)

تُّ مِنَ الْوَحْيِ مَا لَهَنَّ أَنْمَحَاءُ الْخ
دَ فَقَامَتْ تَغَارُ مِنْهَا الظَّاءُ
نَّ فَهَلَا تَاتِي بِهِ^(٧١) الْبُلْغَاءُ الْخ
ولم يدانوه في علمٍ ولا كَرَمٍ⁽³⁾

فَمَحَتْ آيَةَ الْكِهَانَةِ آيَا
فَارْضُهُ أَفْصَحَ أَمْرِي نَطَقَ الضَّاءُ
أَعْجَزَ الْإِنْسَ آيَةً مِنْهُ وَالْجَاءُ
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ

27

1) لغة في غازل.

2) سورة البقرة، الآية 31.

3) هذا البيت من البردة.

ولا يلزم من كون الموسيقى منهيًا عنها^(٧٢) في شرعنا أن يكون كذلك في شرع غيرنا كلباس الذهب والحرير والتمثيل، نهى عليها في شرعنا وأبيحت لغيرنا كسيدنا سليمان عليه السلام. لكن الواضع هنا قسمان عام وخاص. والمقصود هنا^(٧٣) بيان العام^(٧٤)، إلا أن المشهور أن واضع الموسيقى^(٧٥) العام أحد حكماء اليونان. قال في ترجمة علم الموسيقى من حرف الميم مع الواو من "كشف الظنون"^(١): قد اتفق الجمهور على أن واضع هذا الفن أولاً فيثاغورس^(٢) من تلامذة سليمان عليه السلام، وكان رأى في المنام ثلاثة أيام متوالية أن شخصاً يقول له: قم واذهب إلى ساحل البحر الفلاني^(٧٦)، وحصل هناك علماً غريباً. فذهب من غد كل ليلة من الليالي إليه فلم ير أحداً فيه، وعلم أنها رؤيا ليست مما يؤخذ جدًّا، فانعكس، وكان هناك جمع من الحدادين يضربون بالمطارق على التناسب، فتأمل، ثم رجع، وقصد أنواع^(٧٧) مناسبات بين الأصوات^(٣). ولما حصل له ما قصده بتفكير كثير وفيض إلهامي صنع آلة وشد عليها إبريسما وأنشد شعراً في التوحيد وترغيب الخلق في أمور الآخرة فاعرض بذلك كثير من الخلائق عن الدنيا، وصارت تلك الآلة معجزة^(٧٨) بين الحكماء. وبعد مدة قليلة صار حكيمًا محققًا بالغًا في الرياضة بصفاء جوهره، واصلاً إلى مأوى الأرواح وسعة السماوات^(٧٩). وكان يقول: إني أسمع نغمات شهية وألحانات بهية من

1) حاجي خليفة: كشف الظنون مج 2. ص 1902-1903.

2) فيثاغورس Pythagorase (568-494 ق.م) تعلم في صغره الأدب واللغة والموسيقى، زار مصر وابل والشام بنى مدرسة للتعليم، ثم رحل إلى إيطاليا هرباً من الاستبداد، لم يؤلف فيثاغورس أي كتاب، ولكن أفكاره انتشرت، وأشهرها: أوجه الوجود، ونظرية العدد، وصورة العالم، وينسب إليه اكتشاف السلم الموسيقي وضبط الأوتار بالنسب العودية.

3) جاءت هذه العبارة في مقدمة مجموع "في فن الموسيقى - سفان المألوف التونسي" للحاج علي بن عبد ربه الفداوي (كان حياً سنة 1886/1303) على النحو التالي: وفصل أنواعاً متناسبات من الأصوات. تحقيق د. أ. محمد الأسعد قريعة، نشر في مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغربية للطباعة والنشر والإشهار الشرقية، تونس. 2009/1430. ع 41. ص 92.

الحركات الفلكية، وتمكنت^(٨٠) تلك النغمات^(٨١) في خيالي وضميري، فوضع قواعد هذا العلم وأضاف بعده الحكماء مخترعاتهم إلى ما وضعه^(٨٢) (1) إلى أن انتهت النوبة إلى أرسططاليس⁽²⁾، فتفكر^(٨٣) في ذلك فوضع الأرغنون⁽³⁾ (٨٤)، وهو آلة لليونانيين تعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس يضم^(٨٥) بعضها

1) ترددت أصداء القول بارتباط الألحان الموسيقية بحركات الأفلاك والنجوم في كتابات قدماء الفلاسفة من أهل التعاليم كفيثاغورس، ثم في كتب بعض الإسلاميين كالفيلسوف العربي أبي يعقوب الكندي، (رسالة في أجزاء خبرية في الموسيقى، المقالة الثانية، الفصل الأول)، ضمن كتاب "مؤلفات الكندي الموسيقية. ص 100-103، وإخوان الصفا: (الرسائل، ج 2 ص 186-208).

وقد رفض ابن سينا هذا المنحى، واعتبره "لا علمياً" (الشفاء. مج 1. الفن الثالث. جوامع علم الموسيقى. ص4)، كما رفضه من قبله الفارابي: فعارض ما ذهب إليه فيثاغورس وأمثاله، معتمداً منهجاً عقلياً دقيقاً يرى أن الأفلاك والكواكب لا يمكن أن تحدث لها بحركاتها أصوات، وإنما هي الممارسة الموسيقية التي أفضت إلى بلوغ الاكتمال بفضل تراكم الخبرة الفنية القائمة على طبيعة التجربة التاريخية. ويعني هذا أن الألحان والترنيمات نشأت قليلاً قليلاً، وفي زمان بعد زمان، وفي قوم بعد قوم حتى تزايدت (الموسيقى الكبير، تحق. غطاس عبد الملك خشبة. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة. ص 71). وقد سار السنجاري على سنن ابن سينا والفارابي فقال: أما ما يقال إن سبب أنفعال النفس عن الألحان تذكّرها عالمها الأول للمناسبات التي بين هذه الألحان وبين حركات الأفلاك فيشبه أن يكون رمزاً. فإن الأفلاك لا اصطكاكاً بينها ولا قرع، فلا صوت لها. (إرشاد القاصد - فصل القول في علم الموسيقى ص 63. وهكذا فإن اكتمال الموسيقى من شأنه أن يلغي تلك المزاعم الميتافيزيقية التي تجعل من فكرة نشوئها حدثاً معجزاً لا يمكن فهمه إلا بإرجاعه إلى الأنبياء والحكماء.

2) أرسطو: أسماه العرب أرسططاليس، فيلسوف إغريقي، نشأ في البلاط المقدوني لأن والده كان طبيب البلاط، صحب فيليس والد الأسكندر، والتحق بالأكاديمية، ولازم معهد أفلاطون مدة عقدين طالبا ثم مدرسا، وبعد وفاة أفلاطون التحق ببلاط فيليس فأوكل إليه تعليم الأسكندر. وتفرغ للتعليم بمدرسته، فكان يلقي دروسه على طلابه في حوارات وهم يتمشون في رواق طويل، فعرف هو وأتباعه بالمشائين، وعرفت فلسفته بالفلسفة المشائية. ضاع جل إنتاجه الفكري، وجمع ما تبقى منه في المجموعة الأرسططاليسية وهي عبارة عن أبحاث في المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة والأخلاق والسياسة والخطابة والشعر، وقد توفي عام 322 ق.م.

3) التبس الأمر على حاجي خليفة صاحب "كشف الظنون"، فخلط بين الأرغنون الذي هو إحدى الآلات الموسيقية الهوائية، وبين مجموعة المؤلفات المنسوبة إلى أرسطو في المنطق والمعروفة بنفس الاسم Opyavoo. والسائد المعروف أن أرسطو لم يصنع آلة الأرغنون.

إلى بعض، ويركب^(٨٦) على رأس الزق الأوسط زق كبير آخر ثم يركب على هذه الزقاق^(٨٧) أنابيب لها ثقب على نسب معلومة يخرج^(٨٨) منها أصوات طيبة مطربة على حسب استعمال المستعمل^(١). وكان غرضهم من استخراج قواعد هذا الفن^(٨٩) تأنيس الأرواح إلى عالم القدس، لا مجرد اللهو والطرب، فإن النفس قد يظهر فيها باستماع واسطة حسن التأليف وتناسب النغمات بسطة فتذكر مصاحبة النفوس العالية^(٩٠) ومجاورة العالم العلوي وتسمع^(٩١) هذا النداء، وهو: ارجعي^(٩٢) أيتها النفس الغريقة في الأجسام وفجور الطبع إلى العقول الروحانية والأماكن القدسية ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٢). ومن رجال هذا الفن من صار له يد طولى كعبد المومن^(٣) وخواجة عبد القادر بن غيبي الحافظ

1) نقل التادلي ما ذكره في وصف آلة الأرغانون من كتاب "مفاتيح العلوم" للحوارزمي (ت 850/236) مع تغييرات طفيفة في النص، وهو في المصدر المذكور كآلاتي: الأرغانون: آلة لليونانيين والروم، تُعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس، يُضم بعضها إلى بعض، ويركب على رأس الزق الأوسط زق كبير، ثم يركب على هذا الزق أنابيب صفر، لها ثقب على نسب معلومة، يخرج منها أصوات طيبة مطربة مشجية على ما يريد المستعمل". انظر مفاتيح العلوم للحوارزمي محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف، الفصل الأول من الباب السابع من المقالة الثانية. والفقرة بأكملها ابتداء من قوله، "قد اتفق الجمهور" إلى "والأماكن القدسية" نقلها حاجي خليفة على الأرجح من الجزء الثاني، من كتاب "أبجد العلوم" للحنوجي مع اختلافات جزئية. انظر الحنوجي أبو الطيب صديق بن حسن الحسيني. أبجد العلوم ج2. الهند بهوبال مطبعة الصديقي 1878/1296 ص 658-659.

2) سورة القمر، الآية 55.

3) يريد الأرموي صفى الدين عبد المومن بن يوسف ولد سنة 613هـ/1216م، ودخل بغداد صبيا، فأقبل على الدرس والتحصيل حتى بلغ مرتبة عالية في اللغة والإنشاء والتاريخ. ثم اشتغل بتجويد الخط، فبلغ فيه الغاية، ثم اشتغل بعلم الموسيقى فكانت قابليته فيه أعظم من الخط. وقد تحول الأرموي بعد سقوط بغداد سنة 656هـ/1258م لخدمة هولاكو، فكان مغنيه الخاص. وتوفي سجيناً عام 693هـ/1294م، وهو أكبر علماء الموسيقى منذ عصر ابن سينا وتلميذه ابن زيلة، ألف في الموسيقى كتباً جلها في الموسيقى، وأشهرها: الأدوار، والرسالة الشرفية. وقد دشن لفترة جديدة في التنظير الموسيقي العربي عرفت عند المختصين باسم المدرسة المنهجية. ترجمته في كشف الظنون ص 116 معجم سر كيس رقم 1300، فوات الوفايات 39/1، الأدب السلطانية ص 267.

29 المرآغي^(٩٣) له فيه كتب عديدة هـ^(٩٤) وقوله: "من تلامذة سليمان"^(١) **يحتمل** مباشرة، فيكون من الأولياء الكبار كالصحابة رضي الله عنهم، أو بواسطة أو وسائط. وعلى كل حال فكان من الأولياء، فخصه الله تعالى بهذا العلم كرامة له^(٩٥) ككرامات الأولياء كما يدل له قوله واصلا إلى مأوى الأرواح إلخ.

وفي "الكنز المدفون والفلك المشحون" للسيوطي^(٢) رحمه الله : المجمع على استحقاقهم اسم الحكمة عند اليونانيين خمسة: تبر فليس، ثم فيثاغورس، ثم سقراط ثم أفلاطون ثم أرسططاليس. هـ^(٣) والواضع الخاص كواضع الطبوع الأربعة والعشرين المذكورة، وتقدّم أنها صارت إحدى عشرة^(٩٦) نوبة. ورتبها على أبواب، ونبين فيها واضعها الخاص فنقول:

1) يريد هنا فيثاغورس.

2) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير، مؤرخ وأديب، له نحو ستمائة مصنف، لقب بابن الكتب، من مؤلفاته: الأذكار في ما عقده الشعراء من الأذكار - الأشباه والنظائر - الجامع الصغير - جمع الجوامع، توفي سنة 911هـ / 1505م. ترجمه البدر الطالع 328/1، الضوء اللامع 65/4.

3) السيوطي: الكنز المدفون، خ. ح رقم 788 ص 51 بتصرف.

الهوامش والتصويبات

- ١) سقطت كلمة "محسوس" في حا.
- ٢) حا: الاستدلال، وهو تصحيف.
- ٣) حا: الألحان.
- ٤) غا-حب-عج: نقاراتها، والصواب نقراتها.
- ٥) غا-حب-عج: انه - وهو خطأ.
- ٦) عب: سادجة بدال مهملة، وهو خطأ.
- ٧) عا: زيادة كلمة "تكون".
- ٨) حا: أو قصر.
- ٩) عج: سقطت فيه كلمة "الخفة".
- ١٠) حا-عب: فيه.
- ١١) سقطت كلمة "تقدم" في حا.
- ١٢) عا: المعلوم، والصواب ما أثبتناه.
- ١٣) حا: فكل، وهو تحريف.
- ١٤) غا-عج: من الإنسان طبوع يعرفها، والصواب ما أثبتناه.
- ١٥) حا: الصلاة والسلام.
- ١٦) حا: وعليه.
- ١٧) عب: السبعين.
- ١٨) زيدت كلمة "تعالى" في عا.
- ١٩) عا-حج: سقط حرف "من".
- ٢٠) عا: إليها لأن، وهو تحريف.
- ٢١) الكندي. بالبدال بدل الرء، خطأ.
- ٢٢) عا: ومسمأة، والواو حشو. والكلمتان بين معقوفين من زيادة النسخ.
- ٢٣) سقطت كلمة تسعة في عا-حا-عج-غا.

- (٢٤) هذا الطبع مكرر الذكر.
- (٢٥) زيد الضمير في عا-عب-حا-حب.
- (٢٦) عا: المشهورة كما في الحايك.
- (٢٧) غا-حا : أربع. الصواب ما أثبتناه كما في الحايك.
- (٢٨) عب: الأربعة، والصواب ما أثبتناه.
- (٢٩) عا-عب-عج-حب: الأربع. والصواب ما أثبتناه كما في حا.
- (٣٠) الصواب: تهيج.
- (٣١) عا: تهيج.
- (٣٢) الكلمة بين معقوفين من زيادة عا.
- (٣٣) عج: في الكون كله أربع.
- (٣٤) حب: والبرد، وهو خطأ يخل بالوزن.
- (٣٥) غا-عا-عج: حر، وهو خطأ صوابه ما في عا-عب: طبع.
- (٣٦) عج: خذه، وهو خطأ.
- (٣٧) عا: زوكند وهو خطأ صوابه ما أثبتناه.
- (٣٨) حب: برصد رمل: وهو خطأ.
- (٣٩) نقلا عن كناش الحايك، وهذا هو الصواب. وفي غا: والاثنين.
- (٤٠) في باقي النسخ موازن وهو خطأ.
- (٤١) حب: رتب.
- (٤٢) عا: النيئة.
- (٤٣) في سائر النسخ: المنتزهات وهو خطأ شائع.
- (٤٤) عج: الذيلية، وهو تصحيف.
- (٤٥) في باقي النسخ: الغروب.
- (٤٦) نسخة عا: الخمسة وهو الأصح.
- (٤٧) الكلمة بين معقوفين زائدة
- (٤٨) في عا: الصبوح، وهو خطأ.

- (٤٩) حا: نديمي.
- (٥٠) عب: زيادة عبارة: وفي عرق عجم.
- (٥١) عج: عند. وهو تصحيف.
- (٥٢) عا-عب: الثالثة، وهو خطأ.
- (٥٣) في سائر النسخ: الغبار. والشائع ما أثبتناه.
- (٥٤) حب: حكم: وهذا خطأ.
- (٥٥) حا: الأشغلة، وهو خطأ. والكلمة بين معقوفين من زيادة عا.
- (٥٦) عا: الهم، ولا معنى له.
- (٥٧) عا: سقطت كلمة "فإنه".
- (٥٨) حا: قاربهما، وهو خطأ.
- (٥٩) عا: سقطت من النسخة كلمة "عام".
- (٦٠) حا: الأمصار الصغار.
- (٦١) عج: أن يستعملوا.
- (٦٢) في سائر النسخ: أحد عشر. والصواب ما أثبتناه.
- (٦٣) عا: نوب، وهو خطأ صوابه ما أثبتناه.
- (٦٤) عج: كلمة سقطت "من" في النسخة.
- (٦٥) عا- الأمر، خطأ. والصواب ما أثبتناه. والكلمة سقطت في حا.
- (٦٦) في سائر النسخ: داوود، والصواب بواو واحدة.
- (٦٧) حا: كلمة "منهم" مكررة.
- (٦٨) حا: سقطت عبارة "عليه السلام".
- (٦٩) عج: ذكره، والصواب ما أثبتناه.
- (٧٠) عج: يبهر.
- (٧١) عا: بها، والصواب "به" كما في النسخ الباقية
- (٧٢) حا- عب: عنه، وهو خطأ.
- (٧٣) عا: هنا.

- (٧٤) عا: العام. وهو الصحيح.
- (٧٥) عا: سقطت كلمة "الموسيقى".
- (٧٦) حا: سقطت كلمة "الفلاني".
- (٧٧) عا: أنواع.
- (٧٨) حا: عب: معززة، وسياق الجملة يحتمل المعنيين، وهي التي في كشف الظنون.
- (٧٩) حا: السماء.
- (٨٠) حب: تمكث والصواب تمثلت.
- (٨١) هو الصواب كما في النسخ الأخرى.
- (٨٢) عبارة "إلى ما وضعه" زائدة في نسخة حا.
- (٨٣) عا: بتفكر، خطأ والصواب ما في النسخ الأخرى.
- (٨٤) عا: الارغوني، خطأ والصواب ما في النسخ الأخرى كما أثبتناه.
- (٨٥) عا: يوضع.
- (٨٦) حا: وركب، خطأ. والصواب ما أثبتناه.
- (٨٧) الصواب: في هذا الزق.
- (٨٨) عج: فخرج، خطأ. صوابه ما أثبتناه.
- (٨٩) حا: أسقطت عبارة "هذا الفن".
- (٩٠) حا: العلية.
- (٩١) عج: سقطت الواو في وسمع.
- (٩٢) عا-حب-عج: ارجع خطأ صوابه ما أثبتناه.
- (٩٣) عا-حا-المداعي وهو خطأ صوابه في النسخ الأخرى ما أثبتناه.
- (٩٤) حا: زيادة كلمة "باختصار".
- (٩٥) كلمة "له" من زيادة حا.
- (٩٦) في عا: إحدى عشر. وفي غا: أحد وعشر.

الباب الرابع في النوبة الأولى

وهي طبع الحسين ورمل الماية وانقلاب الرمل وحمدان. أما طبع^(١) الحسين فالمستخرج له [حسين بن أمية]^(٢) رجل عجمي يقال له حسين بن أمية وقيل الذي استنبطه كان سلطانا أعجميا اسمه حسين.

والغالب عليه أن يكون فرعاً من الماية كما مر، وقد يستعمل هذا الطبع في جميع الأوقات. ونغمته^(٣) ألد النغمات، وألحانه أطيب الألحان، وله مزية على سائر الطبوع^(٤). ومما قيل في مدحه. (طويل)

أَيَا مَنْ حَكَى دَاوُدَ صَوْتَا، وَيُوسُفَا جَمَالًا وَلَقَمَانَ الْحَكِيمَ بِحِكْمَتِهِ
سَلَبْتَ حَجَايَ بِالْحُسَيْنِ وَزِدْتَنِي بِتَرْجِيْعِهِ شَوْفًا إِلَى حُسْنِ نَعْمَتِهِ^(٢) 30

وأما رمل الماية فالمستخرج له جابر بن مهريس الفارسي^(٤). وقيل رجل ربيب الماية فلذا سمي رمل الماية. وهو فرع من الماية. ومما قيل في مدحه: (طويل)

أَلَا غَنَّيَ يَا مُنْشَدِي رَمْلَ مَائِيَةِ وَأَطْرَبُ عُقُولَ الْعَاشِقِينَ^(٣) ذَوِي الْفَضْلِ
وَدَعَّ عَنْكَ شَرْبَ الرَّاحِ وَاصْغَ لِلْحَنِهِ فَنَعْمَتُهُ^(٥) تَحْكِي السُّلَافَةَ^(٦) فِي الْعَقْلِ

1) هذه الفقرة منقولة بأكملها عن كناش الحايك، انظر تحقيق ابن جلون ص 16.

2) يستعمل البيتان "إنشادا" لطبع الحسين، وهما من الطويل على غرار سائر إنشادات الطبوع.

3) تجمع نسخ كناش الحايك على إثبات كلمة "الجالسين" في هذا البيت. وفيما أقرت مخطوطتا الخزانة الحسينية (ح-حب) هذه الكلمة نفسها، جاءت مخطوطات الخزانة العامة (عأ-عب-عج) بكلمة بديلة لها هي "العاشقين".

ولرمل الماية نفقة صغيرة وكبيرة⁽¹⁾، فالصغيرة هي التي يعرفها المتوسطون في هذا العلم وتصديرته^(٧) في البسيط: (محتث)

عَرُوسُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِفْتَاحُ بَابِ الْفَلَاحِ⁽²⁾

وهي أول صنعة أخذتها من شيخ الصناعة في هذا الفن الحاج حدُّ ابن جَلُّون الفاسي، كان رجلا كبير السن أشيب، له صوت رقيق كصوت الشبابة كالحسين، كان^(٨) ماهرا في الموسقا وموازينها، وكان لا يستعمل إلاّ ضرب العود دون غيره من آلات الموسيqa. والكبيرة لا يعرفها إلا المهرة منهم. وكنت أحفظ بسيطه وحده فيها اثنتين^(٩) وثلاثين صنعة تصديرتها: ^(١٠) صلوا "يا عباد"، أخذتها عن الشريف سيدي رشيد من ذرية القطب الكبير سيدي علي الجمل صاحب الزاوية المشهورة بفاس شيخ مولاي العربي الدرقاوي رحمه الله^(١١).
31 وانقلاب الرمل استخرجه عبد الرزاق الفيلسوفي بقرطبة في الأندلس. وأما حمدان فقال الشيخ الحايك لم نقف على الذي استخرجه.

الباب الخامس في النوبة الثانية

وهي^(١٢) طبع الأصبهان والزور كند، وهو فرع الزيدان. سمي بهذا الاسم لكثرة جريانه على السنة^(١٣) أهل الأصبهان. استخرجه جابر بن أصعد الأصبهاني.

1) يراد بالنفقة مجموع المستعمالات الآلية والغنائية المنتمية إلى طبع واحد يشكل أساسا لوحدها، وقد تكثر هذه المستعمالات فتشكل نفقة كبيرة، وقد يقل عددها فتشكل نفقة صغيرة، ومن هنا يمكننا اعتبار الصنعات المنتمية إلى الطبوع التي تفككت نوباتها بمثابة نفقات صغيرة مدمجة في النوبات الإحدى عشرة، وقد عمد بعض الفنانين إلى إعادة بناء بعض هذه الصنائع مستقلة بذاتها، وذلك على نحو ما صنع المرحوم مولاي أحمد الوكيل الذي سجل للإذاعة الوطنية في حصة خاصة ست صنعات تنتمي كلها إلى طبع الحسين.

2) هذه الصنعة من بحر المحتث وهي تصدرة النفقة الصغيرة لطبع رمل الماية.

وقد قيل إن ملائكة الرحمن^(١٤) و حور [العين]^(١٥) الجنان يسبحون بهذه النغمة. ونغمته حادة عالية رقيقة حلوة^(١). وأفادني بعض^(٢) بفاس أن حلق باب الجنة إذا حركت كانت نغمتها من أصبهان ومما يستعمل منه في أبسيط^(١٦).

الْفَلَكَ فِيكَ يَدُورُ وَيُضِيءُ^(١٧) وَيَلْمَعُ^(٣)

صنعة كبيرة من صنائعه، أخذتها عن رجل من أهل تطوان من مهرة الموسيقيين. وفي أصبهان ينشد طبع حمدان غالبا في بيتين وهما:

فَيَا رَبِّ بِالْخِلِّ^(١٨) الْحَبِيبِ مُحَمَّدِ الْبَيْتِينَ^(٤).

وأما الزور كند فهو فرع من الزيدان، وهو اسم عجمي^(١٩) استخرجه رجل اسمه عبد الرزاق بجزيرة الأندلس، وصنائعه قلائل، فلذا أضيف لغيره وهو أصبهان^(٥).

1) الكلام بدءاً من "سمي بهذا الاسم" إلى "حلوة" منقول عن المخطوط مجهول المؤلف الذي وضع عام 1202هـ باقتراح من الأمير المولى عبد السلام بن السلطان محمد بن عبد الله. ص 160.

2) تبدو الجملة ناقصة، وقد تكتمل بمثل أن يقال: بعض الناس.

3) توشيح متدارك للششتري.

4) طويل وهو غير متداول اليوم.

5) أثبت ناسخ المخطوطة (عب) على الطرة (ص 25) إنشادين ذكر أنهما "مما يستعمل في الأصبهان. الأول كالآتي:

بَطْبَعِ اصْبِهَانَ أَنْشِدَنْ يَا مُؤَنِّسِي وَرَوْحُ نُفُوسِ الْعَائِثِينَ مِنَ الْغَرَامِ
وَنَاوِلُهُمْ كَأْسَ الْعُقَارِ فَإِنَّهُ يُدَاوِي الضَّنَا وَيَشْفِي مِنَ الْهَرَمِ

وفي عجز البيت الثاني إحلال بالوزن لعله يستقيم بمثل أن يقال: "يُدَاوِي الضَّنَا حَقًّا وَيَشْفِي مِنَ الْهَرَمِ، ولم أقف على هذا الإنشاد في نسخ الحايك.

أما الإنشاد الثاني فهو وارد في سائر نسخ الحايك وغيرها ونصه:

أَيَا مَنْ إِذَا تَرَنَّمْتَ هَمَّتْ صَبَابَةٌ وَهَيَّجَ وَجْدِي وَاشْتَبَاقِي وَلَوْعَتِي
لَقَدْ هَلَّتْنِي بِالْأَصْبِهَانِ الَّذِي بِهِ شَدَّتْ حُورُ الْعَيْنِ فِي الْجِنَانِ وَرَنَّتْ

في صدر البيت الأول تحريف، وصوابه: أَيَا مَنْ إِذَا مَارَنَ هَمَّتْ صَبَابَةٌ

وفي عجز البيت الثاني أيضا تحريف، وصوابه، شَدَّتْ حُورُ عَيْنِ فِي الْجِنَانِ وَرَنَّتْ.

الباب السادس في النوبة الثالثة

وهي طبع الماية وهي أحد أصول النغم الأربع. ينسب إلى وتر المثلث^(٢٠) المسمى بالماية في العود الموسيقى، كما نسب الحسين إلى أحد أوتاره الأربعة، والذيل إلى أحد أوتاره أيضا ويقوي طبع الماية إذا سمعه الإنسان خلط الدم، ويزيد قوته وتأثيراته. استخرجه أمية بن المنتقد فسمى باسمه. وقيل امرأة اسمها ماية فسمى باسمها. وبعضهم يشرك معها رصد الذيل. ولها من الأزمنة أول اليوم لأنها تجلب النوم لمستمعها. وأهل صناعة الوتر يسمونها البحر، أشار لها^(٢١) الشيخ الحايك رحمه الله. والظاهر أنه أراد باول اليوم أول^(٢٢) الليل كبعد العشاء. ولعل هذا كان في زمانه وما قبله، وأما اليوم فالغالب استعمالها بعد العصر في العشي^(٢٣) ولذا يقولون في العشي من العذراوي المشهور عندهم في الدرج:

غَدَّرَ طَاسَتِي يَاسَاقِي وَأَمْلَاهَا نَغْنَمُ عُشَيْتِي نَتَسَلًا^(١)

ويقولون في انصراف قدامه خفيفا:

شَمَسَ الْعَشِي قَدْ غَرَبَتْ وَأَسْتَعْرَبْتُ عَيْنِي^(٢٤) مِنَ الْفَرْقَا
حَتَّى الطُّيُورُ قَدْ غَرَدَتْ وَاتْرَنَمَتْ مِثْلِي عَلَى الْوَرْقَا^(٢)

إلى قوله:

يَا شَمَسَ الْعَشِيَّ أَمِهْلُ لَا تَغِبْ^(٢٥) بِاللَّهِ رَفَقَا^(٣)

ومما يستعمل منها إنشادا:

إِذَا أَصْفَرَّتِ الشَّمْسُ وَحَانَ فِرَاقُهَا فَكُنْ مَنْشِدًا لِلْمَايَةِ^(٢٦) يَا أَحَا الطَّرْبُ
وَبَادِرُ بِإِحْسَانٍ^(٢٧) الْكُؤُوسِ وَنَزَهْنُ^(٢٨) عُيُونِكَ فِي ثُوبِ الْأَصِيلِ الْمَذْهَبِ

(1) البيت من برولة في درج الماية، انظر ابن جلون ص 93. بنمنصور 379.

(2) الصنعة توشيح خماسي الأبيات.

(3) الصنعة توشيح خماسي الأبيات.

الباب السابع في النوبة الرابعة

وهذا^(٢٩) رصد الذيل^(٣٠) فرع من الذيل. استنبطه محمد بن الحارث وهو الذي استنبط طبع الرصد. وبعضهم يشرك^(٣١) هذه النوبة مع المائة، والصواب إفرادها^(١). ومما ينشد فيه:

إِذَا كُنْتَ ذَا عَشْقٍ وَوَجِدٍ وَرَقَّةٍ فبرصد الذيل^(٣٢) كُنْ لِي^(٣٣) يَا أُخِي مُنْشِدًا^(٢)
فَنَعْمَتُهُ تُحْيِي^(٣٤) النَّفُوسَ وَتَشْتَفِي لَدَيْهِ الْقُلُوبُ وَالصُّدُورُ مِنَ الصَّادِ^(٣٥)

ويقال: "إِذَا طَالَ اللَّيْلُ، عَلَيْكَ بِرِصْدِ الذَّيْلِ. يُصَدَّرُ بِسَيْطِهِ بِتَوْشِيحٍ، وَهُوَ:

عُجٌّ بِالْحِمَا، وَأَنْزَلَ بِخَيْرِ وَادٍ سَلَّمْ عَلَى أَجَلٍ^(٣٦) خَيْرِ هَادٍ^(٣)

وأعظم صنائع^(٣٧) بسيطه.

إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِيسَ مَا صَنَعُوا
غَدًا تَجَازَى النَّفُوسُ مَا صَنَعَتْ وَيَحْصُدُ^(٣٨) الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا^(٤)

إلا أن العمل اليوم وقبله بفاس على ترتيب آخر غير الذي علي ترتيب الحايك^(٣٩) في كتابه، فإن ترتيبه بفاس اليوم: عُجٌّ بِالْحِمَا أَوْلَا، ثُمَّ يَا أُخِي قُمْ تَرَى الْخَ وَبَعْدَهُ، إِنْ أَحْسَنُوا الْخَ، ثُمَّ نَكْتَبُ كِتَابَ، ثُمَّ أَنَا بِالْأَفْرَاحِ، ثُمَّ مَالَتْ

(1) وجهُ ذهاب البعض إلى إشراك طبعي رصد الذيل والمائة أنهما يقومان معا على نغمة الذيل (ضو)، وأن خصائصهما النغمية متشابهة، ويعتقد الحاج إدريس ابن جلون أن طبع المائة إنما سمي بهذا الاسم بسبب نسبة إخراجها واستنباطه لامرأة تدعى مائة..

(2) في عجز البيت إخلال بالوزن، وهو يستقيم بأن يقال: {عَلَيْكَ بِرِصْدِ الذَّيْلِ كُنْ بِهِ مُنْشِدًا}.

(3) توشيح موزون على مجزوء الرجز.

(4) هذه الصنعة في بحر المنسرح، وهي من موسع بسيط رصد الذيل وعدد الأدوار في بيتها ثلاثون دورا من

الشَّمْسُ^(٤٠)، ثم أَلَا يَا عَشِيًّا^(٤١)، ثم من يَقْوُ^(٤٢) يَقُولُ لَكَ مَنْ هُوَ فِي عَشَقِكَ مُعَذَّبٌ^(٤٣)، ثم قُمْ يَا حَبِيبِي، ثم شَمَلِي اجْتَمَعَ الخ، ثم لَكِنَّ^(٤٤) مَنْ هُوَ عَاقِلٌ، ثم أَوْقَدَتْ^(٤٥) فِي قَلْبِي^(٤٦) هَوَاكَ، ثم أَلَا يَارْقِيبُ^(٤٧)^(١).

ولما جئت للرباط لم نجد فيه، فلما سمعه مني شيخ الصنعة صاحبنا الفقيه الأجل السيد محمد الرطل الرباطي^(٢)، وكان لا أعلم منه بالموسيقا بالرباط، وكان يلازمي كثيرا في علم التعديل زمننا طويلا، فإذا ببعض الأيام صرت أترنم ببعض صنائع رصد الذيل، فتعجب وقال لي: يا فقيه أنت تحسن هذا العلم، وهذه^(٤٨) نعمة رصد الذيل؟ (فقلت له: نعم وأحسن أكثر من هذا. ثم أخذ يلح عَلَيَّ في تعلم رصد الذيل)^(٣) لفقده بالرباط، فصرت أعلمه منه ما تيسر هو والشريف سيدي المكي الفكيكي (الرباطي، وكانت نغمته في الموسيقا رخيمة^(٤٩) حسنة كأخيه صاحبنا السيد محمد الفكيكي)^(٤) الفاسي، وكانت له حانوت بسوق الحناء بفاس، وكان يحسن ضرب العود كشيخنا الفقيه السيد محمد الصبان الفاسي، كان يحسن ضرب العود (غاية لكنه كان من أحسن الناس^(٥٠) صوتا. وكان لا يذهب لأحد، بل يضرب العود)^(٥) مع بعض خواصه لا غير، وكان غالب أوقاته بحانوته بفاس تلاوة القرآن. وهو من تلامذة شيخنا الشريف سيدي [محمد]^(٥١) رشيد الجمل الفاسي، فغالب ما عنده من صنائع الموسيقا تلقاه من سيدي رشيد المذكور. وكان مولعا بتعلم الصنائع

1) بسطت القول في هذا الموضوع في الباب الثاني من الدراسة، فانظره.

2) في طرة الورقة رقم 172 من نسخة (حب) أثبت الناسخ موجز ترجمة الفقيه محمد الرطل الرباطي جاء فيها: السيد محمد الرطل كان درقاويا أخذ عن تلامذة مولاي العربي، وتلاقى مع ولده مولاي الطيب، وكانت حرفته تفسير الكتب، حانوته قرب المسجد الأعظم مجتمع الطلبة والأدباء، فكان يحترف بتلك الحرفة وكان يتقن آلة الطرب خصوصا الرباب. وولده هو الرطل الحجام الذي توفي أوائل هذه المائة، وحفيده هو الرطيل الموجود الآن، وهو حجام أيضا، وينتسب للشيخ سيدي أحمد التيجاني، وكان جده المذكور يميل كثيرا للصوفية في سائر أحواله مع (كلمة غامضة).

* (العبارات بين هلالين غير واردة في نسخة غا.

الكبار والموسيقا التي لا توجد إلا عند مهرة المعلمين الكبار مثل: «مَنْ رَسُولِي إِلَيْكَ يَا نُورَ عَيْنِي» تستعمل في طبع الحجاز الكبير⁽¹⁾. وكنت أحفظ فيها نحو ستين دورا. ومثل هَبَّتْ سَحْرًا فِي الْحِجَازِ الْكَبِيرِ أَيْضًا⁽²⁾، كان بعض المعلمين بالرباط مثل السيد محمد الرطل والعربي بوجندار رحمهما الله قد سهر⁽³⁾ جل ليلة في تعلمها مني، لكن صعبت⁽⁴⁾ عليهما لكثرة أدوارها وموازينها وتلحيناتها، فلم يدركا منها حتى دخولها⁽³⁾ وكنت⁽⁴⁾ أشغلها⁽⁵⁾ بذلك حتى لا يشتغلا⁽⁶⁾ بغيبة ونحوها من المحرمات.

35

والغناء وإن كان مكروها ومن فوادح الشهادة⁽⁷⁾ لكن قد تصحبه نية صالحة تجعله في حيز المباح بل المندوب كنيّة ترويح النفس إذا كلت من تعب شغل كمطالعة كتب وفرح بإدراك مسألة صعبة من العلوم. كما حُكِيَ أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ إِذَا أَدْرَكَ مَسْأَلَةً صَعِبَةً لَهَا شَغْفٌ قَامَ يَرْقُصُ فَرِحًا بِإِدْرَاكِهَا كَمَا تَجِدُ [بَعْضَ النَّاسِ]⁽⁸⁾ أَهْلَ الْحَرْفِ كَالْحَاكَةِ⁽⁹⁾ وَالْخِرَازِينَ إِذَا أَحَسَّ⁽¹⁰⁾ بِمَلِّ نَفْسِهِ مِنْ حِرْفَتِهِ رَوَّحَهَا بِبَعْضِ الْغِنَاءِ، بَلْ جَعَلَ فِي "الْإِحْيَاءِ" اللَّعْبَ مَعَ صَبِيانٍ وَنَحْوَهُمْ مِنَ الْعِبَادَاتِ إِنْ نَوَى بِهِ التَّقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ⁽⁴⁾، وَالْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ، وَلَا سِيْمَا فِي الْأَوْقَاتِ الْمَوْافِقَةِ لِطَبَائِعِ الْإِنْسَانِ. فَإِنَّ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ - وَهِيَ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ - لَهَا طَبْعٌ مِنَ الْمَوْافِقَةِ وَيُنَاسِبُهَا فِي الطَّبِيعَةِ. فَإِنَّهُ يَقْوَى نَشَاطُ الْإِنْسَانِ وَتَهْيِجُ⁽¹¹⁾ بِهِ طَبِيعَةَ⁽¹²⁾ الدَّمِ وَنَحْوَهَا كَالْبَلْغَمِ وَالسُّودَاءِ، فَيَحْصُلُ بِهَا قَابِلِيَةٌ لِلْإِنْسَانِ وَسُرُورٌ وَفَرَحٌ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ سَبَبًا لَشَفَاءِ⁽¹³⁾ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ. فَلِذَا ذَكَرَ الْأَطْبَاءُ الْمَوْافِقَةَ

1، سبق القول بأنها غير موجودة بهذا الميزان اليوم.

2 من كبريات صناعات بسيط الحجاز الكبير، وهي توشيح عجز أبياته الخمسة هزج.

3 أدوار مطلع الصنعة واحد وثلاثون دورا.

4 الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين ج 1 ص 117.

في ترجمة مفرح⁽¹⁾ (٦٤). كما نُقل في ترجمة هارون الرشيد من مروج الذهب للمسعودي⁽²⁾ من السفر الرابع أنه أحضر^(٦٥) يوماً أصحاب الموسقا كالموصلي ونحوه، ومعهم عبد، فحرّك أصحاب طربه آلات الموسقا وأصوات الغنا، فلم يحصل للرشيد طرب ونشاط وخصوصاً^(٦٦) إذا كان متفكراً^(٦٧) في هم من أمر إماراته^(٦٨) حتى غناه ذلك العبد، وأظنه لم يحضر إلا ذلك^(٦٩) الوقت، فحصل له طرب عظيم حتى أوجب غيرة أصحاب الموسقا الذين بمجلسه. فلما^(٧٠) علم العبد فرح السلطان ونشاطه بغنائه^(٧١) ذكر للرشيد حكاية عجيبة وقعت للعبد فازداد الرشيد بها [طرباً]^(٧٢) فرحا على فرح، بل قال له: أنت في حكايتك أعجب من صوتك، وأمر له بصلة جزيلة⁽³⁾، مع أن الطرب هو من أركان مجالس الملوك كالروائح الطيبة^(٧٤) ونحوها مما^(٧٥) تستلذه الحواس الخمس كالصوت الحسن من الإنسان ومن نقرات العود والرباب ونحوهما لحاسة السمع^(٧٦) والبيوت الحسنة المربعة كالصلات^(٧٧) والسرايات^(٧٨) العجيبة والأنوار والأزهار المختلفة الألوان، تحضر^(٧٩) في الصينيات من الصفر ونحوه في مجالس الطرب لحاسة البصر كما هو عادة أهل فاس في الأفراح الكبيرة وغيرها، يحضرون بين يدي^(٨٠) أصحاب الموسقا أنواع الأزهار والأنوار، بل لهم سوق مخصوص وحوانيت مخصوصة لذلك لا تبيع إلا الأزهار والأنوار من أي صنف منها مطروز في صينيات^(٨١) من القصب^(٨٢) بأشكال عجيبة و^(٨٣) توضع قُدَامَ المغنين.

1) الأنطاكي: التذكرة ج 1 ص 300-301.

2) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين المعتزلي الشامي، مؤرخ ورحالة، جمع علما ومعلومات جمة خلال رحلاته الطويلة التي غطت تقريبا جميع أنحاء آسيا وقسما من شرق إفريقيا. له "أخبار الزمان" في ثلاثين مجلدا لم يسلم منها من الضياع غير مجلد واحد، وله "مروج الذهب"، لقبه ابن خلدون، إمام المؤرخين توفي عام 345-957. ترجمه فوات الوفايات 45/2، لسان الميزان 224/4، طبقات الشافعية 307/2.

3) المسعودي: مروج الذهب، دار الأندلس للطباعة والنشر- بيروت 1906/1385، ج 33 ص 362، والقصة برواية إبراهيم الموصلي. أما العبد المغني فاسمه فيها مسكين المدني. د.ت. ج. 1 ص 136.

وأما البيوت ومواضع المتنزهات فلم يدرك أحد أهل اصطنبول في زماننا اليوم وما قبله بكثير في صناعة ترصيف البنيان في السريات ونحوها حتى فاقوا الروم في ذلك.

وقد أنزلني السلطان عبد الحميد⁽¹⁾ أصلحه الله بيت لصق بيته في داره،
فما رأيت أعجب منه خصوصا في تزويق الحيطان بالذهب وفرش^(٨٤) الحرير 37
 حتى طلبت الخروج منه لغيره، فأنزلني في أعجب منه بما لا يكيف والروائح
 الطيبة من العنبر والعود والطر ونحوها لحاسة الشم، والفرش الحسان كزرابي
 الأتراك التي تقرب من بساط كسرى العجيب الذي غنمه^(٨٥) الصحابة رضي
 الله عنهم وأرسلوه للمدينة المنورة كما هو مذكور في فتوحات سعد بن أبي
 وقاص المتوفى سنة 55هـ^(٨٦) رضي الله تعالى^(٨٧) عنه لمدائن كسرى والقادسية
 ونحوها من بلاد الفرس، وكان منسوجا بالذهب وأنواع الياقوت، طوله ستون
 ذراعا^(٨٨) في مثلها، وزهره^(٨٩) حبات^(٩٠) الذهب والفضة، وثمره الجواهر، وورقه
 من الحرير على قضبان الذهب، كانت الأكاسرة تبسطه في فصل الشتاء^(٩١)
 عند فقدان الرياحين، يشربون عليه، فقسمه عمر بن الخطاب^(٩٢) رضي الله عنه
 على الناس وأصاب علي رضي الله عنه قطعة منه باعها بعشرين ألفا، ولم تكن
 بأجودهاهـ، وكل ذلك لحاسة اللمس. وأنواع الأطعمة والأشربة لحاسة الذوق
 كالأتاي خصوصا إذا كان على هيئة ما تستعمله المغاربة كفاس والرباط من
 الصينيات^(٩٣) والبابورات العجيبة والجامات^(٩٤) الغريبة^(٩٥)، فإنني لم⁽²⁾ أر من أهل

(1) هو السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، رقي عرش الدولة العثمانية عام 1876، وفي عهده تم إقراره دستور جديد يعتبر الإسلام دين دولة، ويطلق حرية الصحافة، ويقدم تمثيلا شعبيا عبر مجلسين أحدهما للنواب، والثاني للشيخو الأعيان، وكان عبد الحميد يعاني من مضايقات المعارضة السياسية ومطالب الدول الكبرى، وفي عهده بدأ نجم الدولة العثمانية في الأفول.

(2) تفردت نسخة عج في صفحة 22 بوضع عبارة محل كلمة "الجامات" هي: "وربما هنا الأباريق والكؤوس" ونعتقد أن العبارة من زيادة الناسخ.

38 البلاد المشهورة بالحضر وزينة الدنيا وتنميقها كأهل إصطنبول ثم الشام ثم مصر ثم الحرمين الشريفين ثم تونس من يحسن ترتيب أواني أشربة الأتاي مثل المغاربة، لأن أصل مادته من تزويق أهل الأندلس التي لم يوجد في الدنيا مثل طربهم وحضرهم حتى صورت الدنيا كلها^(٩٦) بصورة طاووس أحسن الطيور، ثم صورت الأندلس بذنبه الذي قالوا إنه أحسن شيء في الطاووس. وكان تزويقهم وتنميقهم لدنياهم من أسباب^(٩٧) استيلاء العدو على بلادهم وكان ذلك كما^(٩٨) قال القاضي عياض^(١) في الشفا رضي الله عنه، في حق الأكاسرة: ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم^(٢) هـ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا^(٩٩) مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٣) فقد كان أهل الأندلس لكثرة طربهم ومنتزهااتهم لا يفرقون بين^(١٠٠) جمعة وغيرها من الأيام حتى أحدث لهم السلطان المريني العلم^(١٠١) الأزرق الموجود اليوم في الرباط وفاس وغيرها ولم يفرقوا بين شعبان ورمضان حتى أحدث لهم البوقات كالنفير والمدافع^(٤). وأما الأطعمة المختلفة^(١٠٢) الألوان والأشكال والأذواق فأهل محرابها^(٥) الترك خصوصا أهل اصطنبول^(١٠٣) أصلحهم الله، فلا يضاهيهم في الدنيا فيها أحد، حتى سمعت في نوع من الطعام يعرف

1) القاضي عياض. موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ولد سنة 476، إمام أهل الحديث في الفقه، ولي القضاء في سبتة. له مصنفات كثيرة منها: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المدارك في معرفة أعلام مذهب مالك، وشرح صحيح مسلم، ومشارك الأنوار (في الحديث). ومما يدل على علو مكانته ما قيل عنه: لولا عياض ما ذكر المغرب. توفي في مراكش عام 544هـ. ترجمه الزركلي 99/5، وفيات الأعيان، قضاة الأندلس ص 101.

2) عياض: "الشفا"، دار الكتب العلمية لبنان - بيروت 1979/1399. ج 1. فصل: عدله وأمانته، وعفته وصدق لهجته، ص 136، والعبارة في الشفا هكذا: قال ابن خالويه: ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم.

3) سورة الروم، الآية 7.

4) المقصود هنا هو السلطان أبو عنان. انظر "الاستقصا" للناصر ط. دار الكتاب - الدار البيضاء 1954 ج 3 ص 206.

5) أهل محرابها، مثل يضرب لمن اشتهر في أمر واختص به دون غيره.

بالمحشي بالمغرب مثل^(١٠٤) الدجاج المحشي، والبَصْطَلُ المَحْشِيَةُ أنهم جعلوا منه^(١٠٥) نحو سبعين صنفا من المحشي ويستعملونه حتى^(١٠٦) في الخضر كالقرع السلاوي يُزال ما في وسطه من الزريعة ويجعل بدله أنواع من المحشيات.

39 وأما أنواع الحلاوي فحدث عن^(١٠٧) البحر ولا حرج. وقد عمت أطعمتهم ممالك الإسلام بالمشرق كمصر والاسكندرية والحرمين الشريفين والهند، وكل ذلك بمخالطة ولاية الترك واستيلائهم على بلاد مملكتهم.

وقد استدعاني بعض أسياننا بمكة المشرفة لوليمة عرس بعض أولاده فدخلت سرايا طويلة جدا مربعة وقد صفت^(١٠٨) من جميع جهاتها الأربع بطباسيل من النحاس لم نقدر على عدّها^(١٠٩) لكثرتها، وقد تقرب من نحو مائتين طبسيلا ليس في بعضها ما يُشبه الآخر من ملاذ الأُطعمة والحلاوي، فجلسنا في وسط البيت كل فرقة استقبلت طائفة من الطباسيل، ثم قمنا. وكنت ظننت أن ذلك من ترتيب وضع موائد أهل الهند إذ صاحب الوليمة هندي، وغالب من حضر^(١١٠) معنا من^(١١١) أهل الهند. ويقرب من هذا جدا^(١١٢) أُطعمة أهل الحرمين الشريفين خصوصا إذا حل بهم ضيف يضعون بين يديه مائدة كبيرة جدا من نحاس ونحوه حاوية نحو عشرين لونا من الطعام، وهم في ذلك في زيادة إلى الآن. وأما أغنياؤهم فغالب ما كلهم كذلك.

40 وقد استدعاني بعض ولاية الأسكندرية عند الغروب بمرضان وقد أحضر بعض العلماء، فصار يحضر في ذلك الوقت نحو ثلاثين نوعا من الأُطعمة ليس أحدها يشبه^(١١٣) الآخر، لكنّ واحدا بعد واحد.^(١١٤) وكذلك استدعاني بعض كبراء مصر ففعل كذلك، وكذلك استدعاني بعض ولاية الشام ففعل كذلك، لكن أحضرها جُملةً في مائدة واحدة. وكذلك لما كنت نازلا عند السلطان عبد الحميد وفقه الله كان يرسل لي^(١١٥) في كل يوم مائتين كبيرتين، كل مائدة^(١١٦) مشتملة على ضروب من الأُطعمة والحلاوي من طعامه الذي يأكل منه أصلحه

الله، واحدة بُكرَةً، وأخرى بعد العصر، مع أنه يَخْرُجُ من مطبخه^(١١٧) كل يوم نحو ألف مائدة وخمسمائة كذلك كما أخبرت بذلك منها لبيته، ومنها لبعض خواصه الساكنين معه في بلده. وكل ذلك من البدع التي ألفوها ولا يقدر على قطعها. وكان يرسل مع ذلك إليّ مرة بعد المرة^(١١٨) بعض وزرائه الكبار من خاصة خاصته وأهل سره الذين لا يذهبون لأحد أبداً، ويرسل بعض خصيانه الذين يقربون^(١١٩) طعامه وشرابه يجلسون معي ويقولون لي: إن السلطان مسرور بقدمك إليه، حتى قال لي بعض خواصه: إن السلطان لا يقدر أن يرسلك. فصرت أتخوف حَصْرَهُ لي حتى أكثرت عليه جداً بالمراسلات ليسرحني وأنا أتلو في كل ما رأيته منهم ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(١) فاذا ذكر^(١٢٠) ذلك تارة بلساني وتارة بقلبي عسى أن أخرج من الوعيد. وأما أطعمة أهل المغرب فهي وإن تنوعت [فهي]^(١٢١) لا تصل لعشر^(١٢٢) عُشْر ذلك.

ولأن طبخ الأطعمة من علم الطب المتكفل^(١٢٣) بأنواع الغذاء في الصحة وأنواع الدواء في المرض فإن مرجعهما معا إلى المفردات كلبن والمركبات كلبن وخبز^(١٢٤) أو خبز ولحم في الغذاء^(١٢٥) وزعتر وحده في المفردات للدواء أو هو وغيره في المركبات. وكان^(١٢٦) ذلك يحتاج لقانون طبي كما بينه في ترجمة طبخ من حرف الطاء من "التذكرة"^(٢)، نعم الداهية العظمى لأهل^(١٢٧) المغرب خصوصا أهل فاس والرباط كثرة الملابس والفرش التي لا توجد لأهل المشرق ولا للنصارى، وأمرهم في ازدياد إلى أن يتدارك الله الفقراء بالطفاه الخفية.

وأما سماع أهل المغرب بالموسقا فلم أر حُسن صنيعه إلا بالمغرب^(١٢٨) خصوصا بفاس وتطوان، وكيف لا وذلك بقية^(١٢٩) من بقايا طرب^(١٣٠) الأندلس

1 سورة النحل، الآية 96.

2 الأنطاكي: التذكرة ج 1 ص 220-222.

الذي لم يوجد مثله في الدنيا إلى الآن حتى عند النصارى لعنهم الله، مع أنهم أهل طرب وآلاته^(١٣١) العجيبة. فإني سمعت نغمات أهل إصطنبول وغيره ونغمات النصارى فلم أجد واحدة تقارب ميزان الموسيقى بالمغرب. ولعل أصل وصولها للأندلس من الفرس لا من اليونان، فإن ممالك اليونان التي كانت بها أسواق الطرب^(١٣٢) نافذة^(١٣٣) استولت عليها النصارى ولم يعتنوا بموسقات الفرس التي كانت عند الموصلية وغيره أيام العباسيين حتى تعلمها منهم زرياب تلميذ الموصلية ففاق شيخه فغار من تلميذه، وقد همّ به فهرب زرياب للأندلس^(١) فهو الذي أذاع به موسقات الفرس الواصلة للمغرب منه، على أن بعض طبوع الموسيقى كطبع الاستهلال يقال إن أهل فاس استنبطوه. وهو من الله طبوع الموسيقى. وأما الأصوات التي^(١٣٤) يذكرها القاضي أبو الفرح الأصبهاني في كتابه الأغاني - وهو من نحو عشرين سفرا^(١٣٥) - فلعل المراد بها^(١٣٦) كالمراد بطبوع الموسيقى التي تقدمت كقوله: صوت كذا فهو كقول أهل الموسيقى: طبع الاستهلال، إلا أنها بنغمات العرب، لا بنغمات العجم، ولعلها المراد أيضا بالمزامير في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي موسى الأشعري وكان حسن الصوت: «لقد أوتيت مزاميرا من مزامير آل داود» (وكان المراد بالمزامير الصوت^(١٣٧)) لا آلة الزمر المعروفة.

وإذ انجر الكلام إلى الأصوات والطبوع في السماع، وتحرّى الأوقات المناسبة لطبائع الأوقات وطبائع الناس والأعراف والمذاهب فلنذكر فصولا في السماع فنقول: ^(١٣٨)

(١) تنتهي عند هذا الحد نسخة عج (المخطوط رقم 3796 د) كما أشرت لذلك في المقدمة، وسينحصر اعتمادنا على النسخ الخمس الباقية في تحقيق متن الكتاب.

الهوامش والتصويبات

- ١) حب: طبوع. وهو خطأ.
- ٢) العبارة بين معقوفين في سائر النسخ حشو.
- ٣) عا: ونعمته. والصواب نعمته.
- ٤) حا: مهرسين الفاسي وهو تصحيف.
- ٥) عا: بنعمته، وهو تصحيف.
- ٦) في غا- عا- عج- حب-: السلاية وفي حا: السلامة: وفي كل ذلك تصحيف.
- ٧) الشائع المتداول : تصدرتها كما في حا- حب.
- ٨) عج: وكان.
- ٩) في سائر النسخ: اثنين، وهو خطأ صوابه ما أثبتناه.
- ١٠) غا- عج: تصديرها.
- ١١) غا- عب- حب: رحمه.
- ١٢) حب: وطبع، سقطت كلمة هي. في غا : و"هو".
- ١٣) حب: الألسنة، وهذا خطأ.
- ١٤) عا: الرحمة، خطأ، والصواب ما أثبتناه.
- ١٥) عا: الكلمة بين معقوفين حشو.
- ١٦) حب: بسيط.
- ١٧) عب: ويضي.
- ١٨) حب: بالخلي، وهو خطأ.
- ١٩) حا: اعجمي.
- ٢٠) عا. المثلث، تاؤه الأولى مزدوجة النقطة وهو خطأ.
- ٢١) عا- حب- حا- عب: له، وهو خطأ والصواب ما في عج.
- ٢٢) حب: تنقصها كلمة "أول".
- ٢٣) عب: في العشي، وهو الصواب.

- ٢٤) عب: عيني، وهي رواية غير معروفة.
- ٢٥) عب: لا تغب، وهو الصواب.
- ٢٦) حب-عب: لماية، وهو مخل بالوزن.
- ٢٧) حا-عب-ياحسان.
- ٢٨) غا-عا: ونزّه: خطأً مخل بالوزن، صوابه: ونزّهن كما في عب.
- ٢٩) حا-عج: وهي وفي حب: وهو.
- ٣٠) حا: الدليل.
- ٣١) غا: يشارك. عب: يشرك.
- ٣٢) حا: الدليل.
- ٣٣) حا: حذفت كلمة "لي". عج: مثلي.
- ٣٤) حا: تحكي، وهو تصحيف.
- ٣٥) حا: لديه الصدور والقلوب.
- ٣٦) حا: أهل وهو تصحيف.
- ٣٧) حب-عب عج: صنائع، وهو الصواب.
- ٣٨) حا: يحصى، وهو تصحيف.
- ٣٩) حب-عب-عج: الشيخ الحايك.
- ٤٠) سقطت هذه العبارة في عا.
- ٤١) حا: ياعشيا، وهو خطأً.
- ٤٢) عا-عج: من يقو يقول لك وهو في عشقك، ويبدو الفعل الأول زائدا لا يستقيم البيت إلا بحذفه.
- ٤٣) حا-عج: مغرب، وهو تصحيف.
- ٤٤) الصواب في النسخ الأربعة الأخرى.
- ٤٥) حا: أخذت، وهو خطأً.
- ٤٦) عج: في القلب، وهو خطأً.
- ٤٧) حا-عب: رقيبي.

- (٤٨) حا: وهذا. وهو خطأ.
- (٤٩) حا. رحمة، وهو خطأ.
- (٥٠) حا: سقطت كلمة "الناس".
- (٥١) الكلمة بين معقوفين زائدة.
- (٥٢) عا: شهرا بالشين، وهو تصحيف.
- (٥٣) عا: طبعت عليهم، وهو خطأ. غا: عليهم.
- (٥٤) عا: وكانت، وهو خطأ.
- (٥٥) غا-عا-حا-عج: أشغلهم.
- (٥٦) غا-عا-حا-عج: يشتغلوا.
- (٥٧) حب: الشاهدة، وهو تحريف.
- (٥٨) الكلمتان بين معقوفين زائدتان.
- (٥٩) عا-عج: كالحياكة، والصواب ما أثبتناه / حا: كالخياطة.
- (٦٠) عا: حس، وهو خطأ.
- (٦١) حا: يهيج، وهو خطأ.
- (٦٢) عا-حب: طبيعته. والضمير زائد.
- (٦٣) عا: لسبق، وهو خطأ.
- (٦٤) عا: موج، حا: فرح، وكلاهما خطأ.
- (٦٥) عا: أخص. خطأ.
- (٦٦) حب: وخصوصا بحاء مهملة. وهو تصحيف.
- (٦٧) حب: منفكر، وهو خطأ.
- (٦٨) عا: إمارته، والصواب ما أثبتناه.
- (٦٩) عا: ذلك.
- (٧٠) حا: حتى. وهو خطأ.
- (٧١) عا-حب-حا: بغناه والصواب ما أثبتناه.
- (٧٢) عا: الكلمة بين معقوفين زائدة.

- (٧٣) حب: سقطت كلمة "له".
- (٧٤) عا: كالروم الطيبية، والصواب ما أثبتناه.
- (٧٥) عا: ممن. وهو تصحيف.
- (٧٦) عا: الدمع، وهو تصحيف.
- (٧٧) عب: الصلاة، وهو خطأ، إذ المراد القاعات الكبرى.
- (٧٨) في سائر النسخ السَّرَيَات، والأصوب السرايات، وهو لفظ تركي مفرد "السراي" بمعنى "القصر".
- (٧٩) عا: تحضره، وفيه تصحيف.
- (٨٠) حب: يد.
- (٨١) غا-حب حا-عب: صنيات.
- (٨٢) عج: القصبية وهو خطأ.
- (٨٣) عا: الواو زائدة.
- (٨٤) حب: وفرس، وهو خطأ.
- (٨٥) عا-حب-عب: عنموه، وهو لغة ضعيفة.
- (٨٦) عا: قواص، وهو تحريف.
- (٨٧) عا "تعالى".
- (٨٨) حب: دراعا، وهو تصحيف.
- (٨٩) حب: مثله، وهو خطأ.
- (٩٠) عا: نبات، وهو تصحيف.
- (٩١) عا: الثناء. وهو تصحيف.
- (٩٢) عب: سقطت منه عبارة "رضي الله عنه".
- (٩٣) عا: العينيات: وهو تصحيف.
- (٩٤) عا: الحدات، حبك فراغ، وفي النسخ الأخرى: الجامات وفي غا: بياض.
- (٩٥) عا: المغربية، تصحيف.
- (٩٦) حب: كله وهو خطأ.

- ٩٧) عا-حب: من سبب والصواب ما أثبتناه.
- ٩٨) حب: مما وهو خطأ.
- ٩٩) عا: ظاهر. وهو تحريف.
- ١٠٠) عا-حب-حا: سقطت كلمة "بين".
- ١٠١) عا-حا: العلام: وهو خطأ.
- ١٠٢) عا: سقطت كلمة "المختلفة".
- ١٠٣) حب، الأوان، وهو خطأ.
- ١٠٤) حب-عب: من.
- ١٠٥) عا: منهما وهو خطأ.
- ١٠٦) عا: سقطت كلمة "حتى".
- ١٠٧) عا-حب-حا: على. وهو خطأ.
- ١٠٨) عا-حب-حا-عب: حفت، وهو تصحيف.
- ١٠٩) عا-حا-حب عودها. وهو خطأ.
- ١١٠) غا-عج: أحضر.
- ١١١) عج: سقطت كلمة "من".
- ١١٢) عا: أجل، وهو خطأ.
- ١١٣) عا: يشبهه، والصواب ما أثبتناه.
- ١١٤) غا: واحد بعد واحد.
- ١١٥) عا: سقطت كلمة "لي".
- ١١٦) عب: واحدة.
- ١١٧) عا: طبخه. وهو خطأ.
- ١١٨) حا: المرة. وهو خطأ.
- ١١٩) في سائر النسخ التي تقرب.
- ١٢٠) حا-عب-عج: فأنكر، وهو تصحيف.
- ١٢١) سقطت في عب.

- (١٢٢) عج: إلى عشر.
- (١٢٣) عا: المتكبد، وهو تحريف.
- (١٢٤) حا: وخبر. والصواب ما أثبتناه.
- (١٢٥) عا: الغداء بالبدال المهملة، وهو خطأ.
- (١٢٦) غا-عا-حب: كان. والصواب ما أثبتناه.
- (١٢٧) عا: أن. والصواب ما أثبتناه.
- (١٢٨) عب: إلا به، ومرجع الضمير غير واضح.
- (١٢٩) حب: بقيه. وهو خطأ.
- (١٣٠) عا-حب: اطرب. وهو خطأ.
- (١٣١) حب: وآالة، وهو تحريف.
- (١٣٢) حا: عبارة "التي كانت بها أسواق الطرب" مكررة.
- (١٣٣) عا-حب-حا: نافذة بالبدال المهملة. وهو خطأ.
- (١٣٤) عا: الذي. وهو خطأ.
- (١٣٥) عا-حب: صفرا- وهو تحريف.
- (١٣٦) عا-حب: به، وهو خطأ.
- (١٣٧) عا: سقطت من النسخة الجملة التي بين هلالين.
- (١٣٨) عب: فأقول. والصواب ما أثبتناه. والعبارات التي بين هلالين مما تفردت به نسخة غا.

الفصل الأول

في ترتيب أوقاته على مذهب الحكماء من أهل الموسقا خصوصا الأطباء، فإنهم تكلموا على الموسقا في أبواب من الطب، خصوصا في باب النبض، وهو حركات العروق المتحركة⁽¹⁾. فإنهم قسموها إلى ستين ألفا بل أكثر. قال في المبحث الخامس من الباب الرابع من "نزهة" الأنطاكي رحمه الله ما حاصله: ينقسم النبض فيما حرروه إلى ستين ألفا⁽¹⁾، بل قال الإمام الرازي⁽²⁾ في حواشيه على قانون ابن سينا: لا ينحصر النبض في ذلك هـ⁽³⁾. فإن العروق في الإنسان قسمان: ساكن يسمى الوريد كقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁽⁴⁾ جمعه أوردة كـرغيف⁽²⁾ وأرغفة، ومتحرك يسمى الشريان، جمعه شرايين، وهو محل النبض. وشريان بفتح الشين، وقد تكسر، ففي الرهوني⁽⁵⁾ عند قول المختصر في باب الحج و"جعل البيت عن يساره" ما حاصله حركة النبض في الجهة اليسرى وجهة اليسار⁽³⁾ من القلب هي محل الروح ومنه ينبعث في الشريان الأعظم المسمى بالأبهر إلى جميع الجسد، وشريان بالشين المعجمة في القاموس [الشريان ويكسر]⁽⁴⁾ واحد الشرايين للعروق النابضة هـ⁽⁶⁾. وأجناس حركته ثلاثة: بطيئة وسريعة ومتوسطة كحركات الأفلاك، فتسرع حركته تارة

1) الأنطاكي: النزهة، ص 42.

2) الرازي: الإمام فخر الدين المتوفى عام 1209/606، له جامع العلوم المعروف بالستيني نسبة إلى 60 علما. ترجمه حاجي خليفة في "كشف الظنون". ج 2، ونسب له كتاب "شرح القانون لابن سينا، ولا ذكر عنده للحواشي.

3) انظر النزهة للأنطاكي. ص 42.

4) سورة ق، الآية 16.

5) الرهوني: أبو عبد الله محمد بن أحمد الرهوني الوزاني، رحل إلى فاس لاستكمال دراسته، وتخرج في الفقه على شيوخها، ثم رجع إلى وزان، له عدة مؤلفات منها "حاشية على بناني"، وأخرى على الزرقاني توفي سنة 1230. ترجمه إتحاف أعلام الناس 181/4، شجرة النور ص 378، سلوة الأنفاس 154/1.

6) الرهوني: حاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، دار الفكر بيروت. 1978/1398 ج 2 ص 437.

بسبب أمر مزعج كنبشاط بسماع أو جماع أو عدو وتبطئ أخرى. وهو من علامات الصحة والمرض عند الأطباء. وحركته^(٥) بدفع البخار المحترق عن البدن وجذب^(٦) النسيج البارد له بحركتي البسط والقبض. قال^(١): وأصح شريان يدل^(٧) على المرض شريان الرجل اليسرى لا اعتدالها. لكن اختاروا^(٨) شريان اليد لأنه أظهر^(٩) وأسرع إدراكا^(١٠) فهو أعم فائدة. والأيمان^(١١) أولى، وأولى ما يمسك عند القيام من النوم وزمن الخلو المعتدل بين الشبع^(١٢) والجوع. ولا يجوز بعد حركة النفس كغضب وفرح وحمام وجماع إذا لم تسكن أو بعد حركة البدن كعدو. وشرطه كون اليد مستقيمة، لا عند الكب على الوجه، ولا عند الاستلقاء على الظهر، وألا تحمل شيئا. وتجس اليد اليمنى باليمنى، والسبابة أقوى الأصابع إدراكا، ويجب على الطبيب أن لا يمسك نبض مريض حال دخوله عليه حتى يستقر بالمؤانسة لتحرك النفس والفكر حال رؤيته. وكل نبض عرفه الطبيب زمان الصحة سهل إدراكه زمان^(١٣) المرض، ولذا كان الطبيب الملازم أفضل من^(١٤) الطبيب المتبدل^(١٥). وأقل ما يمكن به معرفة حال البدن تكرار النبض أربع مرات على الأصح، وقيل ست عشرة مرة وقيل لا بد من ستين، وهو باطل. إلا أن إدراك أول الانبساط وآخر الانقباض صعب إلا على الماهر. وقد ادعى جالينوس^(٢)، الطبيب المشهور أنه تمرن على النبض نحو ثلاثين سنة على باب رومية يجس^(١٦) كل داخل وخارج حتى قال^(١٧): إنه أدرك السكون الداخل. ثم قال: وفي النبض طبيعة^(١٨) موسيقية لا يمكن استقصاء الأحكام منه بدونها عند الإيقاع^(٣) هـ والمراد بالإيقاع نقر آلات الموسقا كنقر العود بالأصابع، فإنه إن كان بميزان^(١٩) الموسقا المعروف كانت نسبته

1 المصدر نفسه، ص 44.

2 جالينوس: طبيب يوناني شهير، وقد ظلت مؤلفاته في الطب قيد الدراسة حتى القرن الثالث عشر، كما كانت موضوع الشرح والاختصار أكثر من مرة.

3 الأنطاكي: النزهة، ص: 44.

هندسية تدخل في باب الطرح من علم الحساب لأن نقر العود ونحوه من باب طرح الزمان بنقرات مخصوصة مستوية منها السريع والثقيل كرقاص المكنانة، ومنه سريع كما في المكنانات الصغار، ومنه ثقيل كرقاص المكنانات^(٢٠) الكبار، ومنه ضرب الحداد كالقزدار بالمطارق للحديد ونحوه. ثم قال في المبحث^(٢١) الرابع قبله عقبه: كل صناعة تتعلق باليد فموضوعها الجسم الطبيعي إلا الموسقا فموضوعها^(٢٢) الصوت المشتمل على الألحان المخصوصة. وأجمعوا على أن المخترع لهذا الفن المعلم الثاني وبه يسمى معلما ولعله أراد به أرسططاليس. ثم قال: وهذا الكلام يشبه أنه ليس كذلك لما رأيناه في تراجم فرفور يوس⁽¹⁾ من انه قال للمعلم حين فرغ^(٢٣) من المنطق: (هل أبقيت^(٢٤) شيئا؟ قال: نعم، ما دونته نصف مادة الألفاظ وبقي في النفس نصف لا يدخل الألفاظ^(٢٥)) بل هو مجرى الهواء، وهذا الكلام مادته (نصف مادة الألفاظ، وزيادة لمن تأمل ما وقع في الهندسة والنحو وغيرهما من العلوم، فيكون ما ألفه الفارابي إبداعا إذ هو الذي ألف ورتب الألحان، ووفق الأمراض والأبدان، وحرر النسب الفلكية في النغم والأصوات. وقد كان غناء الناس قبله اختياريا يختارون منه قياسا على نطق الحيوان، فألفه^(٢٦) ما يحاكي به الطير البري عند الصياح في الرياض المتشبكة ذوات المياه الجارية خصوصا العندليب والهزار والمطوق^(٢٧)، ومنهم من يقيس على حركة المياه في المصائب المختلفة والنواعير، والدواليب ومنهم من يحاكي الهواء عند دخوله في منافذ^(٢٨) يصنعونها، ومنه أخذت ذوات الشعب المثمينة على ما رأيتها في "الاستدراك" و"الأسرار اليونانية"⁽²⁾، وأكثر ألحان الصين

1) فارفور يوس الصوري، ولد عام 232 م فيلسوف يوناني تتلمذ على أفلوطين، وقد عكف على تدوين مذهب أستاذه وشرحه في كتاب أسماه "التاسوع" وقد عرف بتهجمه على التوراة بحجة أن بعض أجزاءها مكتوب في أزمنة متأخرة، كما هاجم النصرانية وعلى الأخص ما يتعلق بتأليه المسيح عليه السلام، له شروح كثيرة على كتب أفلاطون وأرسطو وكان له شغف بالمنطق، فألف كتاب إيساغوجي أي مدخل علم المنطق، وتوفي عام 304م.

2) لم أهتد إلى هذين المصدرين.

عليه إلى الآن. وأما الهند فقد لحنوا على طَرَقِ الأواني المجوفة وعايروها^(٢٩) بالماء على أنماط مختلفة، والروم بالنحاس والخشب، وعلى ذلك لُحِنَت الأناجيلُ في الكنائس. واستمرَّ الأمر على ذلك حتى جاء هذا الرجل فاستنبط من هذه المواد ونحوها نسبا وقارب بها الطبائع والحركات^(٣٠) الفلكية واخترع العود المعروف بالسنج^(٣١)، وجعل أوتاره على وزن في الإنسان من القلب إلى الأصابع، واختصر^(٣٢) ذات الشعب حتى ضرب بها وحده. ثم غيّر الناس بعده أنماطاً مختلفة قد فصلناها في "التذكرة" وغيرها^(١).

والذي يخصنا هنا أحكام أصول النبض، فاعلم أن الملاذ التي عليها مدار الوجود أربعة، أفضلها المأكل لعدم قيام البدن بدونه، ويليه السماع لتعلقه بالنفس، وهي^(٣٣) أشرف جزء في بنية الإنسان، فلذا يقال: السماع غذاء الأرواح^(٣٤) كما أن الطعام غذاء الأشباح، ثم يليه النكاح لتعلقه بإيجاد النوع الإنساني، ثم الملبس لحفظ البدن. وليس التبسط فيه من مقاصد^(٣٥) العقلاء، لأن المقصود منه وقاية الحر والبرد كما قال تعالى: ﴿سَرَّابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾^(٢) وأما النكاح والمأكل فكلاهما من تعلقات البهيمية أصالة. فما^(٣٦) زاد عن توليد النوع وإقامة الجسم فضول وبطر. وأما السماع فليستكثر منه من شاء ما شاء لأنه أقل الأربعة حاجة إلى مزيلة جارحة، بل كل ما وافق^(٣٧) الدعة والسكون كان أدخل في المزاج. ثم لا يختلف بالنسبة إلى النفس من حيث الآلات^(٣٨) اختلافا يُعتدُّ به، وإنما الاختلاف من حيث اللحن^(٣٩) والأغاني، فإن كانت في ذكر الشجاعة والحروب ناسبت أهل طالع المريخ، أو في العشق ومحاسن الأغزال ولطف الشمائل ومدح أهل العلوم والآداب^(٤٠) ناسبت أهل الزهرة وعطارد، (أو في الديانات والزهد فالمشثري^(٤١))، أو في الكتابة^(٤٢) والحساب وتديير

1) الأنطاكي: النزهة 1/302-306.

2) سورة النحل، الآية 81.

الممالك فالقمر وعطارد^(*)، أو في السلطنة وعلو الهمة فالشمس، أو في المأكَل والمناكح ونحوها فأهل حضيض السفليات، أو في الرياض والغراس^(٤٣) واستنباط العلوم الدقيقة وطول الفكر فأهل زحل. وعلى هذا يجب على صاحب هذه الصناعة إذا أراد بها بسط قوم أو معرفة مرض أو رفع تشاجر أو دفع هم أن يتحرى المناسب في مجلسه، فإن أعجزته كثرة الجمع أَلَف من ذلك نسبا صالحة، فإن عجز قصد مناسبة رئيس ذلك الجمع الحاضر وطالع الوقت، فإنه يبلغ الغرض. ومتى وقع السماع ولم يصادف الغرض فاتاه المطلوب، إما من حيث الآلة واللحن أو الضارب أو الطالع أو شغل قلب السامع بمهم اهـ.⁽¹⁾ ويعرف الطالع وساعاته^(٤٤) في كل يوم من "روضة الأزهار" وشروحها⁽²⁾، و"المقنع"⁽³⁾ وشروحه، فقد ذكروا الساعات الزمانية لكل يوم وماله من الكواكب السبع

* العبارة بين هلالين غير واردة في نسخة غا.

1، الأنطاكي: النزهة ص 306-308.

2، سجلت ضمن مصادر المؤلف عدة شروح لروضة الأزهار، وهي:

- أزهار الرياض في علم وقت الليل والنهار واقتطاف الأنوار من روضة الأزهار، لعبد الرحمن الجادري.
- بستان الأنوار في حل ألفاظ روضة الأزهار لأبي عبد الله اللخمي.
- شرح روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار لأحمد بن المطرف.
- كنز الأسرار في شرح روضة الأزهار لأحمد الموسوي.
- تفجير الأنهار خلل روضة الأزهار لمحمد بن القاضي بن أبي العافية.
- نزهة الأنظار في روضة الأزهار لأحمد الولالي.

3، هو "المقنع في علم أبي مَقْرَع" للمرغتي، وهو محمد بن سعيد بن محمد السوسني المرغتي، ولد سنة 1007هـ 1598 بسوس، وانتقل إلى مراكش في بدايات تعلمه، فدرس بها على شيوخ العلم، وقد استرجعه أهله إلى سوس لأنهم رأوا أنهم كانوا أولى به من غيرهم، غير أنه عاد إلى مراكش واستوطنها، وكان ينتقل في مدن المغرب لطلب المعرفة، ولع بقراءة كتب السنة والفقه والطب والأدب والتصوف أقرأ في مساجد مراكش، وأجاز بعض العلماء، وممن تتلمذ عليه عالم سوس الحسن اليوسي، اشتهر في علم التوقيت وله فيه منظومات بشروحها، ومن مؤلفاته: المقنع في علم أبي مَقْرَع، وشرحه "الممتع في شرح المقنع" وله منظومة الحيسوب في علم التوقيت بالحيوب، وله أشعار دَوَّنَ المختار السوسني جلها في "المعسول"، وتوفي المرغتي بالطاعون عام 1089هـ 1678. ترجمه الصفوة ص177، الفكر السامي 114/4، الإعلام للمراكشي 319/4، النشر 17/2.

السيارة. وأما الساعات الفلكية - وهي المكانية التي يستعملها الناس اليوم^(٤٥) في المكانات - فتعرف عندهم من الزمانية^(١). وقد تعرض الأنطاكي لبعض ذلك في "تذكرته" في مواضع منها حيث قال في ترجمة طلسماء من حرف الطاء ما حاصله: فصل فيما يخص كل كوكب وبرج من أنواع المولدات والصفات حتى اللغات والصنائع لأن كل حركة أرضية مرتبطة بحركة فلكية. وقد صرحوا مُجمعين بأن زُحل أصل القوة الطبيعية، وأن له الصنائع الحكيمة والعلوم اللطيفة^(٤٦)، ومن الظاهرة الفلاحة، ومن اللغة العبرانية والقبطية، والأعضاء الظاهرة الأذن اليمنى ونحوها، واللباس كل خشن، واللون كل أسود، والمعادن كالرصاص، والحيوان كل قبيح أسود كالخنزير، والبقاع كل مهول كالقبور. وللمشتري الأذن اليسرى واللغة اليونانية وعلوم الديانات، وكل أبيض والرائحة الطيبة كالعنبر، وكل حيوان لطيف وطائر جميل كالطاووس، وكل حجر براق كالياقوت، وللمريخ الأنف الأيمن واللغة الفارسية وكل أحمر وبُيوت النار. وللشمس العين اليمنى نهارة ولغة الإفرنج ودين المجوس والفلسفة^(٤٧) ومجالس الملوك والطيب، وللزهرة الأنف الأيسر ولغة العرب والإسلام والحرير الملون^(٤٨) وصناعة العود والملاهي والنحو والشعر والموسقا وكل طائر مغرّد كالهزار، ولعُطارد الفكر والحساب والزندقة والسحر والكهانة ولغة الترك، وللقمر العينان ولغة المجوس ودين الصابئة والأخبار والطب^(٤٩) - إلى غير ذلك مما زعمته الفلاسفة. وأما أهل السنة رضي الله عنهم فلا يرون ذلك.

1) يرجع في هذا الموضوع إلى ما ذكره المرغتي السوسي في كتابه "المتع في شرح أبي مرقع" الذي شرح فيه منظومته، طبعة حجرية. خ.ج. ك مكناس. المجموع رقم 2542 المزمرة 13 ص 4-8، والمزمرة 14 ص 1 و2. كما ينظر شرح محمد بن محمد بن عبد الله الوردازي لنفس المنظومة على هامش شرح المرغتي المذكور.

2) الأنطاكي: التذكرة، 450/2-451 بتصرف.

ثم قال أيضا في ترجمة علم منازل القمر من حرف العين من "التذكرة":
 إذا^(٤٩) أردت أن تعرف المنزلة الطالعة بالفجر خذ ما^(٥٠) مضى من السنة القبطية⁽¹⁾
 إلخ. ثم ذكر فيها أيضا معرفة طالع الوقت وساعات كل يوم^(٥١) وما يعمل فيها
 فقال ما حاصله: أول يوم خلقه الله تعالى يوم الأحد، أول ساعة فيه للشمس،
 الثانية للزهرة مذمومة، الثالثة لِعُطَارِدِ، الرابعة للقمر لا تَبِعَ فيها ولا تَشْتَرِ^(٥٢)،
 الخامسة لَزُحَلِ، السادسة للمشتري، السابعة للمريخ، الثامنة للشمس، وهي
 محمودة، اعمل فيها ما تريد فإنها تصلح لجميع الحوائج، التاسعة للزهرة،
 وهكذا يوم الاثنين، أول ساعة منه للقمر، الثانية لزحل، الثالثة للمشتري وهكذا
 بَيِّنَ ذلك لكل يوم⁽²⁾ هـ. وقد قال مالك⁽³⁾ رضي الله عنه: الأيام كلها لله. هـ
 قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الصَّوْتِ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ عَرَضٌ مِنَ الْكَيْفِ⁽⁵⁾ قَائِمٌ بِالْهَوَاءِ الَّذِي
 50 بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وَقِيلَ جَوْهَرٌ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ. ثُمَّ الصَّوْتُ قِسْمَانِ لَفْظِ

(1) الأنطاكي: المصدر نفسه، ج 3 ص 542، وتمام الفقرة كالاتي: أشهراً وأياماً، واجمع الجميع، واطرح منها ثمانية أيام، وما بقي بعد ذلك أخرجه ثلاثة عشر لكل منزلة من المنازل.

(2) المرغتي: "المقنع" المصدر نفسه.

(3) الإمام مالك: هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، الحارث بن غيمان، كان مولده -على الأشهر- سنة 93هـ في خلافة سليمان بن عبد الملك، قال عنه ابن وهب: الذي تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه، فكان من أحسن الناس خلقاً لازم علي ابن هرمز، سبع سنين، وأقبل على حفظ الحديث، فكتب بيده مائة ألف حديث، قال عنه ابن عيينة: ما رأيت أحداً أجود أخذاً للعلم من مالك، تصدر للتعليم وهو ابن سبع عشرة سنة، وكانت له حلقة علم في المدينة، وقد أفتى فأبان من حكمة ومعرفة دقيقة بالأحكام، حتى قال فيه الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك لحفظه وإتقانه وصيانته، ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك، روى عنه جماعة من شيوخ الحديث منهم ابن شهاب، وابن جريج، وابن الماجشون، وأبو حنيفة، والأوزاعي. من آثاره: الموطأ، والمدونة، وتوفي عام 179هـ -795م.

(4) سورة إبراهيم، الآية 5.

(5) سبق شرح العرض عند أهل المنطق، وتبين أن الصوت عرض يقوم بالهواء، وهو ينتمي إلى قسم الكيف الذي هو أحد أقسام العرض التسعة.

وساذج^(٥٣). الأول صوت فيه حرف من حروف الهجاء وهو موضوع العلوم العربية الاثني عشر منها مفردات كاللغة والصرف، ومنها مركبات كالنحو والبيان، والثاني صوت لا حرف فيه وهو نوعان مستلذ كنفقات العود^(٥٤) الموسقي، وهو موضوع علم الموسيقى، ومُنكر كصوت الحمير قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(١) ولا تُدركُ حَاسَّةُ السَّمْعِ من الموجودات إلا القسمين المذكورين وهما اللفظ والسادج^(٥٥) كما أشار له في بحث حاسة اللمس من علم التشريح من حرف العين من "تذكرة" الانطاكي رحمه الله حيث قال ما حاصلة: إن مدركات اللمس أكثر المدركات لأن المدرك بالبصر ليس إلا الألوان والأضواء، وبالشم الروائح، وبالسَّمْعِ الحَرْفُ والصوت سواء اختلف باعتبار القارع والمقروع كخشب وحديد وذهب وورصاص^(٥٦) أو اتحد، وبالذوق الطعوم التسعة كالحلاوة والمرارة والحموضة، وباللمس الكيفيات الأربع: الخشونة والنعومة والخفة والليونة^(٥٧)، ونظائرها كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة^(٢).

وكان أبو نصر الفارابي التركي الحكيم المشهور رحمه الله ماهرا في علمي^(٥٨) الصوت الموسقي والعربي، وهو الذي اخترع العود كما مر، وألف 51 في اللغة العربية. وفي حاشية شيخ شيوخنا السيد علي قصارة^(٣) رحمه الله على

1) سورة لقمان، الآية 19.

2) الأنطاكي: المصدر السابق 521/3.

3) قصارة: هو علي بن إدريس بن علي. أبو الحسن. فقيه مالكي مغربي، أخذ عن ابن كيران وحمدون ابن الحاج له حاشية على شرح البناني للسلّم، توفي عام 1849/1259. ترجمه شجرة النور ص 1588، موسوعة أعلام المغرب 2566/7.

شرح بناني على السَّلْم عند قوله: وَبَعْدَ فَالْمَنْطِقُ لِلجَنان" (1) الخ ما حاصله: أن واضع المنطق أرسططاليس (2)، ويقال له المَعْلَم الأكبر لأنه واضع التعاليم المنطقية، وكان ذلك (59) في زمن ذي القرنين الرومي الذي ملك الهنود وبلاد الصين والسند وبلاد خراسان والترك. وهو (60) الذي بنى الأسكندرية، وكان تلميذ أرسططاليس. كان قبل الإسلام بكثير. قيل إنه بذل له (61) خمسمائة ألف دينار ورتب له كل سنة مائة ألف وعشرين ألف دينار. وأول من دون المنطق في الإسلام كما قال الغزالي (ت 505-1111) أبو نصر محمد بن محمد الفارابي (62) التركي الحكيم المشهور، كان أعجوبة الزمان. ارتحل من بلده فاراب إلى بغداد، وكان لا يجارى في علم المنطق وجميع علوم الفلسفة. ذكر ابن خلكان، أنه ورد على سيف الدولة، وكان مجلسه مجلس الفضلاء فدخل عليهم في زي الأتراك، وكان ذلك دأبه، فقال له سيف الدولة: أَعُدْ. قال جئت أنا أم جئت (63) أنت، وتخطى رقاب الناس إلى مجلس سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه منه (64) فقال الأمير لمملوك على رأسه بلسان قلّ من يعرفه: إن الشيخ أساء الأدب وإنني سائله عن أشياء فإن لم يجب فأحدقوا به. فقال له أبو نصر بذلك اللسان: اصبر فإن الأمور بعواقبها. فتعجب الأمير وقال له: أتحسن هذا اللسان؟ قال أحسن أكثر من سبعين لسانا، فعظم عنده، وأخذ يتكلم مع (65) العلماء (66) في كل فن (67) حتى أسكت الكل وبقي يتكلم وحده وهم يكتبون عنه فاخرجهم الأمير وخلا به (68) فقال له: هل لك في أن تأكل؟ قال: لا. قال: أتشرب؟ قال: لا. قال:

1) صدر بيت عجزه "نسبته كالنحو لسان" وهو في بيان ماهية المنطق من منظومة السَّلْم المورنق في علم المنطق لعبد الرحمن بن محمد الأخضرى - مكتبة المعارف - بيروت - لبنان. ط 1420 هـ/2000 ص 34. في كشف الظنون أن اسم المنظومة في الأصل: السلم المورنق في علم المنطق. والأخضري يرتقي نسبه إلى العباس بن مرداس السلمى، وقد انتهى من وضع منظومته أوائل محرم عام 941هـ. وتوفي عام 983هـ.

2) قَصارة: حاشية على شرح بناني على السلم المورنق، طبعة حجرية، خزانة الجامع الكبير، رقم 809 ص 2-4 بتصرف.

أتسمع؟ قال: نعم. فأحضر المغنين وأنواع الملاهي، فما حرك أحد منهم آلة^(٦٩) إلا عابه، فقال له الأمير: أتحسن شيئاً من هذا؟ قال: نعم، ثم أخرج خريطة فيها عيدان ثم^(٧٠) ركبها ولعب بها فضحك كل من في المجلس حتى البواب، ثم حركها ثانياً فبكوا، ثم ثالثاً فناموا، فتركهم^(٧١) نياماً، وخرج. توفي سنة 339هـ فدفن بظاهر دمشق^(٧٢) هـ.

فصل في بيان قدر الحركة والسكون

الذين هما أصل ميزان^(٧٣) الموسيقى

قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾⁽²⁾ قال المفسرون: فيه حذف الواو مع معطوفها. والتقدير وله ما سكن وتحرك. فإن العالم كله علويًا أو سفليًا إما متحرك أو ساكن، فإنه حادث قطعاً. ودليل حدوثه تغيره، وأدلة تغيره كثيرة أقواها وأظهرها الحركة (والسكون، وهما معا في كل إنسان دائماً حتى يموت فيسكن، فمن متحركه أنفاسه^(٧٣)) كالشرايين،^(٧٤) ومن ساكنه الأوردة كما مر. قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾⁽³⁾ فلو تحرك منها ساكن أو سكن منها متحرك لمات الإنسان مكانه. والإنسان العالم الأصغر، وهو^(٧٥) نسخة من العالم الأكبر، فكل ما في الأكبر في الأصغر إجمالاً. والأكبر تفصيل

1) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج2 خ ح رقم 2135 طبعة غير مؤرخة ص 101-102، وقد

وردت هذه القصة في مصادر متعددة مع اختلافات متفاوتة في نصوصها وأحداثها، ومن هذه المصادر:

- كتاب "الوافي بالوفيات" للصفدي، تحقيق. أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى. ط1. بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000 ج 1 ص.102.

- "تنمة صوان الحكمة أو تاريخ الحكماء" للبيهقي "ظهير الدين، تحقيق محمد كرد علي - جليل - لبنان

دار ومكتبة بيبليون 2007 ص 23.

- مجموع في فن الموسيقى - سفايين مالوف تونس "المرجع السابق. ص 116-117.

2) سورة الأنعام، الآية 12.

3) سورة الذاريات، الآية 21.

وشرح للأصغر، فإن أول ما خلق الله تعالى إجماعاً نور سيدنا محمد ﷺ، فهو الفاتح لما أغلق كما قال مولانا عبد السلام بن مشيش⁽¹⁾ رضي الله عنه: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ أَنْشَقَّتِ الْأَسْرَارُ وانفلقَت الأنوار. (خفيف). وفي الهمزية:

أَنْتَ مُصْبِحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصُ — دُرٌّ إِلَّا عَنِّ صَوْنِكَ الْأَضْوَاءُ

ثم اختلف في أول مخلوق بعده^(٧٦) فرجح بعضهم كابن العربي⁽²⁾ الحاتمي في الفتوحات أنه الهواء⁽³⁾ وهو الريح، ورجح بعضهم أنه الماء لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾⁽⁴⁾ وقوله: ﴿وَكَانَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمَاءِ﴾⁽⁵⁾ كما أشار لذلك المسعودي أول "مروج الذهب"⁽⁶⁾، وابن الأثير⁽⁷⁾ أول "الكامل"⁽⁸⁾. ويؤيد الأول ما ذكره^(٧٧) الحكماء والأطباء أن أول ما خلق الله تعالى طبيعة الحرارة، وهي عرض ملازم للجوهر (لزوما عقليا إذ العرض لا يقوم بنفسه بل بغيره وهو الجوهر)^(*)، فهي قائمة بالحرار، والهواء حار رطب كما في

1) ابن مشيش العلمي: عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي الإدريسي الحسني، ناسك و متصوف، اشتهر برسالته "الصلاة المشيشية" شرحها كثيرون، نسب إلى مولده جبل العلم، فقيل العلمي، وقتل شهيدا عام 625 هـ. ترجمته في الإستشفاء لابن زاكور و في الروضة المقصودة لسليمان الحوات.

2) ابن العربي الحاتمي: محمد بن علي الشهير بمحبي الدين. صوفي وفيلسوف من العلماء المشاركين، له الفتوحات المكية، ونصوص الحكم، توفي سنة 638 هـ. ترجمه فوات الوفيات 241/2، جذوة الاقتباس رقم 175، الزركلي 281/6

3) ابن العربي الحاتمي: الفتوحات المكية. دار صادر، بيروت ط. 1424 هـ/2004 ج 1 ص 150-152.

4) سورة الأنبياء، الآية 30.

5) سورة هود، الآية 7.

6) المسعودي. مروج الذهب، 38/1.

7) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني: مؤرخ عالم بالنسب والأدب، له "الكامل" و"أسد الغاية في معرفة الصحابة"، توفي عام 630 هـ—1233. ترجمه وفيات

الأعيان 347/1، مفتاح السعادة 206/1، طبقات السبكي 127/5.

8) ابن الأثير: الكامل، ج 1 خ ح رقم 2303 ص 7.

(*) العبارة بين هلالين غير واردة في نسخة غا.

ترجمة العناصر من "عجائب المخلوقات" للقزويني⁽¹⁾ رحمه الله، وهو أفضل العناصر الأربعة لبقاء البدن بدون غيره منها زمنا يعتد به بخلاف الهواء، فإن الإنسان بل كل حيوان متنفس لا يبقى بلا هواء زمنا طويلا لأن تنفسه في الهواء ضروري إذا انقطع نفسه مات كما أشار له في ترجمة هواء من حرف الهاء من "التذكرة" بقوله: هواء هو^(٧٨) أفضل الأربعة على الإطلاق لبقاء البدن بدون غيره منها زمنا يعتد به بخلافه لتعلقه بإصلاح أشرف أجزائه وهو القلب الذي هو معدن الحرارة الغريزية⁽²⁾ هـ وكثرة الهواء في جوفها جميع العالم كالحوت في الماء كما أشار له في فصل "تقرير المبادئ" من حرف الألف من "التذكرة" أيضا بقوله إن الفلك كالشبكة، والهواء كالماء، والعالم كالأسماء⁽³⁾ هـ والعالم - وهو ما سوى الله تعالى - قسمان: بسائط ومركبات عند الفلاسفة، فالبسائط^(٧٩) - وهي التي لا تركيب فيها كالعالم العلوي - ثلاثة عناصر وأفلاك وكواكب. والمركبات - وهي التي تركيبت من العناصر كالعالم السفلي - ثلاثة أيضا: معدن ونبات وحيوان. والإنسان من الحيوان هو أشرف ما في العالم كله وزبدته لأن أصله نطفة،^(٨٠) وهي من الغذاء. والغذاء^(٨١) مركب من حيوان كلحم، ونبات كخبز، ومعدن كملح، فصار هو العالم الأصغر وما عداه العالم الأكبر المشار لهما بقوله تعالى: ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾⁽⁴⁾ وبقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾⁽⁵⁾ كما بين ذلك في بحث حدوث العالم كقول المرشد: (رجز)

... وَحُدُوثِ الْعَالَمِ مِنْ حَدَثِ الْأَعْرَاضِ مَعَ تَلَازِمِ

(1) القزويني: أبو عبد الله زكرياء بن محمد بن محمود، ولد بقزوين، كان مؤرخا وجغرافيا، ولي القضاء في مدينة واسط، له: خطط مصر، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. توفي عام 682هـ - 1383.

ترجمه كشف الظنون 9/1 الخطط التوفيقية 83/10.

(2) الأنطاكي: التذكرة، 2/320.

(3) المصدر نفسه، ج 2 ص 355.

(4) سورة فصلت، الآية 53.

(5) سورة الذاريات، الآية 20-21.

وقول الجوهرية: (رجز)

فَانظُرْ إِلَىٰ نَفْسِكَ ثُمَّ انْتَقِلْ لِلْعَالَمِ الْعُلُوِيِّ ثُمَّ السُّفْلِيِّ (٨٢) البيتين (1).

ويدل أيضا لكون أول (٨٣) المخلوقات بعد النور المحمدي هو الهواء ما أشار له في الباب الأول في علم الطبيعة من «كتاب الرحمة في الطب والحكمة» بقوله: اعلم أن هذا الباب أهم الأبواب كلها وأعظمها فائدة لطالب هذا العلم، لأن من عرف علم الطبيعة لم ير شيئا من المعادن والنبات والحيوان إلا عرف تركيبه ونفعه فأقول والله أعلم: إن أول ما خلق الله تعالى طبيعة الحرارة، وأصلها من الحركة الكونية التي هي قدرة الله تعالى وعلة العلل في كل (متحرك، ثم خلق الله طبيعة البرودة وأصلها من السكون الكوني الذي هو قدرة الله تعالى وعلة العلل في كل (٨٤) ساكن، فهذان أول زوجين كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (2) ثم تحرك الحار على البارد بسر ما أودع الله تعالى فيهم من الحركة المذكورة فامتزجا فتولد من الحرارة اليبوسة، ومن البرودة الرطوبة، فكانت أربع (٨٥) طبائع مفردات في جسم واحد روحاني، وهو أول مزاج بسيط، ثم صعدت الحرارة بالرطوبة فخلق الله تعالى منها طبيعة

55

1 إبراهيم بن إبراهيم اللقاني: جوهرة التوحيد. والبيت الثاني هو:

تَجِدْ بِهِ صُنْعًا بَدِيعَ الْحُكْمِ لَكِنْ بِهِ قَامَ دَلِيلُ الْعَمَلِ

أنظر. تحفة المرید علی جوهرة التوحيد، لإبراهيم بن محمد البيجوري، المكتبة الوطنية الرباط رقم 1528

E طبعة الباجي الحلبي مصر 1358هـ. ص 24-26.

واللقاني: هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي برهان الدين، شيخ التدريس بالقاهرة، أخذ عن جماعة منهم زين العابدين الصديقي، ومحمد الرملي، والشيخ أحمد الزرقاني، ألف عدة كتب منها "جوهرة التوحيد"، وهو عبارة عن منظومة في التوحيد، كما ألف "بهجة المحافل في التعريف برجال الشمائل"، وقد توفي عام 1041. ترجمه المحبي 6/1، هدية العارفين 30/1، فهرس الفهارس 90/1.

2 سورة الذاريات، الآية 49.

الحياة^(٨٦) والأفلاك العلوية فهبطت البرودة مع اليبوسة إلى أسفل فخلق الله تعالى منها طبيعة الموت والأفلاك السفلية، ثم حرك الفلك الأعلى فأداره دورة ثانية فامتزجت الحرارة بالبرودة، والرطوبة باليبوسة، فتولدت العناصر الأربعة لأنه حصل من مزاج الحرارة مع اليبوسة عنصر النار فهو حار يابس، ومن^(٨٧) مزاج الحرارة مع الرطوبة عنصر الهواء فهو بالذات حار رطب، ومن مزاج البرودة مع الرطوبة عنصر الماء، فهو بارد رطب، ومن مزاج البرودة مع اليبوسة عنصر الأرض، وهو عنصر التراب. فهذا مزاج العناصر، وهو مركب من ازدواج الطبائع مرتين لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(١) فخلق الله تعالى^(٨٨) منها العوالم العلوية وركب منها المعادن، فهو أول المركبات الثلاث، ثم أدار الفلك الأعلى على الأسفل دورة ثالثة، فتولد النبات والحيوان البهيمي، ثم أدار الفلك الأعلى على الفلك^(٨٩) الأسفل دورة رابعة فتولد الإنسان فهو آخر المركبات وأحسنها وأكملها تركيباً، وهو غرضنا من هذا العلم الطبيعي^(٢) هـ. واختصره أيضاً في حرف الغين من "ذيل التذكرة" إلا أن هذا التدريج عند الفلاسفة إن كان منقولاً عن الشرع كالتوراة والإنجيل فمقبول وإن كان عن العقل فهو جائز عقلاً كما يجوز غيره من الممكنات في قول المرشد: (رجز)

يَجُوزُ فِي حَقِّهِ فِعْلُ الْمُمْكِنَاتِ بِأَسْرِهِا وَتَرْكُهَا فِي الْعَدَمَاتِ

وأما أهل السنة وإن جوزوه عقلاً فلا يعتقدونه إلا إن عضده نقل صحيح من الكتاب^(٩٠) أو السنة. والمقصود منه ما اتفق عليه الحكماء أن الهواء أول المخلوقات (مع طبيعة الحرارة والرطوبة، فيؤيد ما اختاره ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه في الفتوحات^(٣) أن الهواء أول المخلوقات)^(٩١) ويوافقه قول

1) سورة الذاريات، الآية 49.

2) الصنبري الهندي : كتاب الرحمة في الطب والحكمة ص 2-3.

3) ابن العربي الحاتمي: الفتوحات المكية ج 1. ص 150-152.

الزرقاني^(٩٢) أول "المواهب" في قوله تعالى ﴿وَكَانَ عَزُّهُ عَلَىٰ مَلَكِ الْمَاءِ﴾^(١):
 57 ما^(٩٣) كان تحته قبل خلق السماوات والأرض **إلا الماء**، والماء على متن الريح
 كما روي عن ابن العباس رضي الله عنهما^(٩٤) (2) والمتن الظهر، والريح الهواء،
 إلا أنه إن كان ساكنا سمي هواء أو متحركا سمي ريحا. والعناصر الأربع إحدى
 الأمور السبعة الطبيعية المشهورة عند الحكماء، وهو من مبادئ علم الطب،
 وعليها مداره. وقيل أكثر من سبعة لكن المشهور أنها سبعة، وهي العناصر، ثم
 المزاج، ثم الخلط، ثم الأعضاء، ثم الأرواح، ثم القوى، ثم الأفعال. ونظمها
 مؤلفه عفا الله عنه في بيت وهو. (رجز)

رُكْنٌ مِّزَاجٌ خَلَطَ الْأَعْضَاءُ رُوحٌ قُوَى فَعَلَّ لَنَا أَجْزَاءُ

فهي أجزاء بدن الإنسان الذي هو موضوع علم الطب. ويأتي قريبا أن
 الطب من العلم الطبيعي، وقد شرح هذه السبعة أول "التذكرة" وأول "النزهة"⁽³⁾
 وغيرهما من كتب الطب، فالعناصر الأربعة^(٩٥) - ويقال لها الأركان الأربعة^(٩٥)
 - ترتيبها بالأفضلية، الهواء ثم الماء، ثم النار ثم التراب، ورمزها (هَمِنَتْ) الهاء
 للهواء، والميم للماء، والنون للنار، والتاء للتراب، وبعضهم يقدم النار على
 الهواء ورمزها (نَهَمَتْ). والعناصر والأخلاق وما بعدها مادية والمزاج صورية،
 والأفعال غائية^(٩٦) كالكرسي الواحد قبل تركيبه بالمسامير^(٩٧) مادية له، وبعد
 تركيبه بالمسامير^(٩٨) صورية إذ بالتركيب تظهر صورة^(٩٩) الكرسي، وقبله لم
 58 تظهر، والجلوس عليه هو الغاية المطلوبة من صنعه، و**كالمداد** مادته أركانه
 الأربعة: العفص^(١٠٠) والزاج^(١٠١) والعلك والماء، ومزجها وخلطها حتى تصير

1) سورة هود، الآية 7.

2) الزرقاني: شرح على المواهب للقسطلاني، 59/1.

3) الأنطاكي: النزهة 36/1.

شيئا واحدا صورتها، والكتابة به غايته، كما بين ذلك "شرح رسالة الوضع"⁽¹⁾ عند قولها: فائدة فالعناصر مادة بدن الإنسان لأنه من نطفة وهي من الغداء^(١٠٢) وهو من المركبات الثلاث وهي من العناصر وهي بسائط لا تركيب فيها كما مر، بل منتهاها خالقها سبحانه بلا واسطة ولا تركيب، بل ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽²⁾ ﴿وَإِنَّ إِلَهَ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾⁽³⁾ واجتماع العناصر في بدن الإنسان مزاجه وصورته المعنوية، وأفعاله من أكل وشرب وقيء وإسهال وقيام وقعود وكلام وغيرها كضرب عود وغناء ونقر طار وتصفيق بيد ورقص برجل هي غاية وجوده في العالم، وهي موضوع الفقه فيتاب عليها أو يُعاقب⁽⁴⁾. وفي المرشد: (رجز)

الْحُكْمُ فِي الشَّرْعِ خِطَابُ رَبِّنَا الْمُفْتَضِي فِعْلَ الْمُكَلَّفِ أَفْطِنَا

ثم تتحرك عليه الأفلاك والكواكب والعناصر بعد وجوده فتطراً عليها أطوار أخرى من صحة ومرض وموت وغيرها مسببة ومفرعة عن تلك الأسباب بلا^(١٠٤) تأثير، لقول الإضاءة:

وَنَفَىٰ تَأْتِيرٍ عَنِ الْأَسْبَابِ يُعَلِّمُ مِنْ بُرْهَانِ هَذَا الْبَابِ

فصارت المركبات والعناصر والأفلاك وغيرها أجدادا وأصولا للإنسان، وصار الإنسان أو غيره من الحوادث موضوعا لعلوم كثيرة باعتبارات: فباعتبار احتياجه للصانع من علم التوحيد لقول المرشد: حَاجَةٌ كُلُّ مُحَدَّثٍ لِلصَّانِعِ، وباعتبار تركيبه من أجزاء حتى ينتهي للجوهر الفرد كالنقطة وما تفرع عليها

(1) العضد: عضد الدين عبد الرحمن الإيجي - رسالة الوضع. المصدر السابق.

(2) سورة آل عمران، الآية 41.

(3) سورة النجم، الآية 42.

(4) السمرقندي: نصر بن محمد: شرح رسالة الوضع، ضمن مجموع خ ح رقم 5820.

من خط وسطح وجسم من علم الهندسة، وباعتبار صوته وغنائه ونقره لآلات الموسيقى ونحوها من علم^(١٠٥) الموسيقى. وتحقيق ذلك راجع للحكيم فإنه للطبي كالأصولي للفقهاء كما يتعلم الفقيه من الأصولي أن فرائض الضوء سبع كذلك الطبيب والموسقى يتعلم من الحكيم أن العناصر أربعة^(١)، والطبيعات سبعة، ونحو ذلك من غير أن يطالب الحكيم ببرهان بل يتلقاه منه تقليدا له. والموسقى كغيره علم وعمل والعلم سابق دائما على العمل كالحساب فإن علمه كمعرفة الجمع والطرح والضرب والقسمة في الصحيح والكسر سابق على عمله^(١٠٦) كجمع التركات وقسمها، وكالطب فإن أبواب علمه مقدمة في كتبه على عمله^(١٠٧) كالنزهة للأنطاكي رحمه الله فإن أبوابها ثمانية ذكر قواعده العلمية^(١٠٨) في الأبواب الخمسة الأول، وجزئياته العملية^(١٠٩) في الأبواب الثلاثة بعده.

ثانيها المزاج وهو اتحاد العناصر في المركب من المزج، وهو الخلط. قال في أول "النزهة"^(٢) ما حاصله: وأما كيفية تمازج العناصر فأمرٌ تعجز الأذهان عن تصوره. وأنا أقول: إن الفاعل المختار سبحانه حيث اخترع البسائط كالعناصر بلا سبق مادة كذلك اخترع^(١١٠) المزاج منها هـ — وقد مر أن المركبات الثلاث مركبة من هذه العناصر الأربعة^(١١١) كما أشار له البيضاوي عند قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾^(٣). وتقدم بيان طبائعها الأربعة وهي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة، فكلها موجودة في بدن الإنسان بل في المركبات الثلاثة^(١١٢). وأول حادث عن العناصر المعدن كالمعدن الذهب والفضة والحديد وغيرها من جميع معادن الدنيا، ثم بعد المعدن النبات لأن محلل المعدن، والمحل قبل الحال، ثم الحيوان، وقوته النبات، ثم الإجماع على أن الإنسان آخر أنواع المركبات إيجادا وأنه أشرفها، وهي أصوله كما مر، فلذا أشبهها، فمنه في المعادن صافٍ

1) العناصر الأربعة هي أولى الأمور السبعة الطبيعات، وسيأتي أن ثانيها هو المزاج.

2) الأنطاكي: النزهة، 1/39-40.

3) سورة نوح، الآية 14.

عديم الضرر كالياقوت والذهب كالأنبياء^(١١٣) عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي الله عنهم، ومنه خبيث كالرصاص والحديد، ومنه مرّ مع نفع كالصبر، وضرر كالدفلى. وفي النبات حلو كالعنب، وحامض كالليمون، وغادر كتوم كالجمل، ومفترس كالأسد، وخبيث كالقرد، إما مع القدرة كالنمر أو مع عجز كالأرنب، أو متملق كالهر، وألوف كالكلب، أو نفور كالطبي. ثم حصروا^(١١٤) الأمزجة باعتبار الطبائع الأربع المذكورة في ثمانية عشر قسما تسعة عقلية وتسعة اصطلاحية فمن العقلية المعتدل بأن تكون الأخلاط متساوية في شخص. واختلف هل هو موجود أم لا، فمنها أربعة مفردة، وهي أن يكون الغالب على الشخص واحدة من الطبائع الأربع كالحرارة. قال في "التذكرة": "وعندي أن المفردات لا وجود لها أصلا لأن الشخص إن غلبت عليه الحرارة فإما مع بيس فصفرواي، أو مع رطوبة فدموي أو غلبته البرودة فإما مع رطوبة فبلغمي، أو ببوسة فسوداوي^(١). والمركبات إن يغلب عليه اثنتان منها غير متضادين لعدم تصوره، ويتفرع عن ذلك^(١١٥) فروع كمزاج أجزاء البدن من عظم ولحم وغيرهما، ومزاج الأمكنة كالأقاليم والبلدان، ومزاج الأزمنة كمزاج الفصول، وأنه تابع للميل والعرض: فكلما زاد الميل زاد الحر، وكلما زاد العرض زاد البرد. وقد تعرّض لمزاج الأمكنة آخر حرف الميم^(١١٦) من الباب الرابع من "التذكرة" فانظره.

61

ثالثها الأخلاط، جمع خلط، قال بناني⁽²⁾ عند قول السلم: خَطَابَةٌ شَعْرٌ: الخَلْطُ في عرف الأطباء جسم رطب سيال يستحيل إليه الغذاء أولا. وأقسامه

1) الأنطاكي: التذكرة. ج 3. ص 467.

2) بناني. أبو عبد الله محمد بن الحسن مسعود البناني الفاسي. علامة محقق، ولد بفاس عام 1720/1133م، تلقى العلم من شيوخ فاس، ثم رحل إلى تطوان فأخذ من مولاي الطيب الوزاني وأحمد الورزازي، ثم سافر إل المشرق للحج، وبعد عودته استقر بفاس حيث أخذ يدرس بجامعة القرويين، وعنه أخذ كثير من العلماء كسليمان الحوات، والشيخ الرهوني، والطيب ابن كيران، وحمدون ابن الحاج، من مؤلفاته، شرح على السلم في المنطق، وحاشية على شرح الزرقاني على مختصر خليل، توفي بفاس عام 1780/1194. ترجمه الفكر السامي 125/4، السلوة ص161، الزركلي 91/6.

أربعة: دم أو بلغم أو سوداء أو صفراء⁽¹⁾. وكلها ذكرها في باب الطهارة^(١١٧) أول المختصر في قوله: وَصَفْرَاءُ وَبَلْغَمٌ وَدَمٌ، إلى قوله: وسوداء⁽²⁾، وأصلها من الغذاء^(١١٨) (وأصل الغذاء)^(١١٩) مزاج العناصر في المركبات الثلاث المتقدمة.

وهضوم⁽³⁾ الغذاء على الصحيح خمسة:

- أولها الفم فإن الطعام^(١٢٠) يُهضم أولاً في الفم بمضغ الأسنان هضمًا يسيرًا.

- ثانيها المعدة لأن الطعام بعد هضمه في الفم يصير للمعدة فتطبخه ثانياً حتى يصير ماءً ثخناً. وفضلته الثفل ينزل للمعدة^(١٢١) وهي الغائط وينجذب^(١٢٢) صافيه إلى الكبد. وقال في ترجمة معدة من حرف الميم من "التذكرة"⁽⁴⁾ (الصحة مبنية على المعدة)^(١٢٣) لأن صحة الأعضاء منوطة بصحة المزاج وهو بالأخلاق، وهو بالغذاء هـ^(١٢٤).

- ثالث الهضوم في الكبد فيطبخ صافيه المتقدم. وفضلته البول، و صافيه يصير أخلاقاً. فالصافي منها صفراء، والراسب سوداء، وما بينهما مناضحة الدم وقاصره البلغم. وأجمعوا على أن البلغم^(١٢٥) كقطع نبي، والدم

62

1) بناني: شرح السلم المرونق للأحضري، المطبعة الكبرى الأميرية مصر. ط 1. 1318، ص 205.

2) انظر متن المختصر من جواهر الإكليل للأزهري. ج 2. ص 9.

3) الهضوم: الأجهزة المساعدة على هضم الطعام، وقد خاض أكثر من باحث في موضوعها، ومن هؤلاء المسعودي في كتابه "مروج الذهب" ط . الأندلس- بيروت ج 2. ص 217. على أنه أسمى "الهضوم" انهضاماً، وجعل للطعام ثلاثة انهضامات هي:

1. المعدة التي تدفع الطعام إلى الكبد.

2. الكبد

3. أعضاء الجسد والعروق والعصب.

4) الأنطياكي: التذكرة 472/3.

كمعتدله، والصفراء كنضيج، والسوداء^(١٢٦) كمحترق^(١٢٧). وتختلف كميات الأخلاط بحسب الماكول: فإن كان نحو اللبن فالأكثر البلغم، والفراريج فالدم، أو العسل فالصفراء، أو البادنجان فالسوداء. وأجمعوا على أن أفضلها الدم، فالبلغم، فالصفراء، فالسوداء. وأجمعوا على أن محل توليد الأخلاط الكبد، ثم مقر الصفراء المرارة، والسوداء الطحال، والدم كل عضو كالبلغم. والدم حار رطب، والصفراء حار يابس، والبلغم بارد رطب، والسوداء بارد يابس، كما مر في بحث المزاج. وأرطب الأعضاء الدم، فالبلغم، وأبردها البلغم فالسوداء، وأيسسها السوداء، فالصفراء.

- رابع الهضوم العروق. وفضلتها الصاعدة إلى فوق إن خولطت بدم فلبن، أو خولطت^(١٢٨) ورقت فريق ودموع، أو غلظت فمخاط.

- خامس الهضوم الأعضاء، وفضلتها العرق والوسخ. قال في أول الباب السادس من "النزهة"^(١): الأمراض كلها من الأخلاط الأربعة هـ.

63

رابعها الأعضاء وهي أجسام جامدة أصلها أخلاط لأن خالص الخلط يجمد ويصلب فيصير أعضاء. وتنقسم أقساما كثيرة، فتنقسم أولا إلى بسيط كالعظم واللحم، ومركب كالأصبع واليد والوجه.

خامسها الروح وهو حادث موجود ولم تعلم مادته لأنه من عالم الأمر في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٢). قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٣).

1) الأنطاكي: النزهة أول الباب السادس.

2) سورة الأعراف، الآية 54.

3) سورة الإسراء، الآية 85.

سادسها القوة، وهي صفة في الجسم يمكنه بها^(١٢٩) الفعل. وأجمعوا على أنها كائنة عن الروح، فالميت لا قوة له ولا قدرة. فالقوى^(١٣٠) مبادئ الأفعال والأفعال غايتها وأنواع القوى في الإنسان كثيرة، قيل تزيد على خمسة آلاف كقوى الحواس الخمس الظاهرة والباطنة كحاسة البصر فإنها قوة تدرك بها النفس المبصرات.

سابعها الأفعال كقيام وقعود وصلاة، وهي مخلوقة لله تعالى قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَحْمِلُونَ﴾^(١) خلافا لقول المعتزلة: العبد يخلق أفعاله. فغاية البدن الأفعال، وهي غاية (القوى)^(١٣١) وهي غاية الأرواح كما بينه في أول الفصل السابع أول "النزهة"^(٢). لكن لا تأثير للقوى عندنا في الأفعال، بل المؤثر فيها هو خالقها سبحانه لا قوة العبد^(١٣٢).

فإذا عرفت ذلك فالعالم العلوي كالأفلاك. والكواكب متحركة دائما، والعالم السفلي منه متحرك دائما كالنفس والنبض المتقدم، ومنه ساكن دائما 64 كالأوردة والخيال، ومنه متحرك تارة وساكن أخرى كبدن [الإنسان]^(١٣٣) الحيوان ومنه الموسقا فإنه مركب من حركة وسكون. وقد حُكي أن بعضهم صعد للعالم العلوي حتى سمع حركات الأفلاك والكواكب ونغماتها فنزل للأرض واستنبت منه الموسقا. ولذا نقل بعضهم أنه نسب للقدماء أنهم يثبتون للفلكيات أصواتا عجيبة ونغمات غريبة^(١٣٤) تتحير من سماعها العقول. وحُكي عن فيثاغوروس أنه عرج بنفسه للعالم العلوي فسمع نغمات الأفلاك والكواكب ثم رجع إلى استعمال^(١٣٥) القوى البدنية ورتب عليها الألحان والنغمات وكمل علم الموسقا هـ لكن إن كان صعوده في النوم فيمكن، أو في اليقظة^(١٣٦) فلم

1) سورة الصافات، الآية 96.

2) الأنطاكي: النزهة، أول الفصل السابع.

يقع إلا للأنبياء معجزة لهم كسيدنا محمد ﷺ ليلة المعراج وسيدنا عيسى عليه السلام لقوله تعالى: ﴿بَلْ دَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾⁽¹⁾، وسيدنا إدريس عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَوَفَعْنَا لَهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾⁽²⁾، وأما لغير الأنبياء فمحال عادة مع أن غلظ الفلك قالوا خمسمائة عام، والفلك التاسع أولها يتحرك قالوا في قدر طرفة عين ألف ألف ذراع، ولا تقدر بنية البشر على رؤية هذه الحركة ولا على سماعها، فإذا تقرر هذا فحركة الأجرام وسكونها منها ما حركتها على نسبة معلومة فقد تُطرب، ومنها ما لا نسبة لها كحركة رجلنا عند المشي.

65

وعمل الموسيقى مركب من حركة وسكون، وحركته على نسبة معلومة هي ميزانه، وبها حصل الطرب قال الشيخ الحايك: قال ابن قنفذ⁽³⁾: النسبة⁽¹³⁷⁾ المؤلفه هي المستعملة في الموسيقى، وهو علم الألحان، أي صناعة الطرب، والصوت، وهو الغناء⁽⁴⁾ هـ فنشير إلى حده.

1) سورة النساء، الآية 157.

2) سورة مريم، الآية 50.

3) ابن قنفذ: أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، أبو العباس القسنطيني، باحث وعالم بالتراجم والحديث والفلك والفرائض، رحل إلى المغرب فأقام به 18 سنة، ألف عدة كتب منها: أنس الفقير وعز الحقيير - سراج الثقات في علم الأوقات - بغية الفارض من الحساب والفرائض - تيسير المطالب في تعديل الكواكب، توفي عام 1407/810.

4) ابن قنفذ: عن كناش الحايك، ص65. ترجمته في الجدوة 154/1، درة الحجال 121/1، الابتهاج ص75، شجرة النور الزكية 250/1.

الهوامش والتصويبات

- (١) عا: سقطت كلمة "المتحركة".
- (٢) عا: سقطت كلمة "كرغيف".
- (٣) عب: والجهة اليسرى - حب: اليسر. وهذا خطأ.
- (٤) كلمة "هو" مزيدة يقتضيها سياق الكلام.
- (٥) غا-حب: وحركته.
- (٦) عا-حا: وجدب بالبدال المهملة. وهو تصحيف.
- (٧) عا: يده، وهو تصحيف.
- (٨) حب: اختار.
- (٩) حا: ما أظهر. وهو خطأ.
- (١٠) عا: اسراع إدراكها، والصواب ما أثبتناه.
- (١١) عب: الأيمن.
- (١٢) غا-عا-حب: الشباع. وهو خطأ.
- (١٣) حب: زمن.
- (١٤) حا: سقط حرف "من".
- (١٥) عا: المبتدل - وهو تصحيف.
- (١٦) عا: يحسن، وهو تصحيف.
- (١٧) حب: قال. والصواب قال أي جالينوس.
- (١٨) عا-حب: طبيعية. وهو خطأ.
- (١٩) عب-حب: سقط حرف الباء.
- (٢٠) عا: المكانة. وهو خطأ.
- (٢١) في سائر النسخ: البحث. وصوابه المبحث.
- (٢٢) عا-عب-حب: فموضوعه. والصواب ما أثبتناه.
- (٢٣) حا: فرع بالعين المهملة. وهو خطأ.

- (٢٤) عا: هلا بقيت. وهو تصحيف.
- (٢٥) حب: الجملة التي بين هلالين ساقطة.
- (٢٦) عا-حا-حب: فألطافه. خطأ والصواب ما في عب.
- (٢٧) في جميع النسخ: والمطوق. ولعلها "المطوقة" أي الحمامة ذات الطوق. وقد سقطت في عب كلمتا "الهزار والمطوق".
- (٢٨) في النسخ: منافد بالبدال المهملة- والصواب ما أثبتناه.
- (٢٩) عب: عابروها. والصواب ما أثبتناه.
- (٣٠) عب: الحركة.
- (٣١) عا: السبح بالباء وفي باقي النسخ: السبح بالياء ولم أعثر عليهما في القاموس ضمن أسماء العود.
- (٣٢) عا: اختر. حب-حا-عب: أقتصر.
- (٣٣) عب: وهو خطأ لأن الضمير يعود على النفس.
- (٣٤) عب-حب: الروح. والأصوب الأرواح.
- (٣٥) حا: مقاعد. وهو تصحيف.
- (٣٦) عا: فمن. وهو خطأ.
- (٣٧) عا: وفق. والصواب ما أثبتناه.
- (٣٨) حا: آلات. وهو خطأ.
- (٣٩) حب: الألحون. وهو تحريف. غا اللحون.
- (٤٠) حا: والأدب.
- (٤١) حب: في المتزري. وهو خطأ.
- (٤٢) حب: بالكتابة.
- (٤٣) حب: العرس بالعين المهملة وهو تصحيف. وفي غا الغرس.
- (٤٤) حا: وساعته.
- (٤٥) حا: سقطت كلمة "اليوم".
- (٤٦) حا: اللطيفية. وهو خطأ. وفي غا: اللطيفية.

- (٤٧) عا: والفلاسفة. والصواب الإفراد.
- (٤٨) عا-حب: المنون. وهو خطأ.
- (٤٩) عا: إنما. وهو خطأ.
- (٥٠) حب: مما. وهو خطأ.
- (٥١) حا: وقت. والصواب "يوم".
- (٥٢) حا: لا تتبع فيها ولا تشتري وكلاهما صحيح.
- (٥٣) في سائر النسخ: سادج بالبدال المهملة. وهو خطأ.
- (٥٤) حب-عب: سقطت كلمة "العود".
- (٥٥) في سائر النسخ: سادج بالبدال المهملة: وهو خطأ.
- (٥٦) عب: اتخذوا. وهو خطأ.
- (٥٧) عا: اليوننة. والصواب ما أثبتناه.
- (٥٨) عا-عب: علمي. والصواب ما أثبتناه.
- (٥٩) عب: وكان ذلك (عبارة مكررة).
- (٦٠) حب: سقطت كلمة "وهو".
- (٦١) عا: سقطت كلمة "له". حا: بدل بالبدال المهملة. وهو خطأ.
- (٦٢) حا: الفرابي، والصواب ما أثبتناه.
- (٦٣) حا: سقطت كلمة "جئت".
- (٦٤) عب: منه.
- (٦٥) عب: من. وهو خطأ.
- (٦٦) عا: السلماء. وهو تصحيف.
- (٦٧) عا: سقطت كلمة "فن".
- (٦٨) عب: خلى. وهو خطأ.
- (٦٩) عب: آلاء، وهو خطأ. حب: الآلة.
- (٧٠) غا-عب: فركبها.

- (٧١) عا: فترك. وهو خطأ.
- (٧٢) عا: سقطت كلمة "ميزان".
- (٧٣) عا: سقطت العبارة التي بين هلالين.
- (٧٤) حا: كالشريان.
- (٧٥) عا: وهي. خطأ.
- (٧٦) عا: سقطت كلمة "بعده".
- (٧٧) حا: ذكر.
- (٧٨) عا: هذا. وهو حشو.
- (٧٩) عا: بالبساط، وهو تحريف.
- (٨٠) عب: سقطت كلمة "وهي".
- (٨١) عا: سقطت كلمة "والغذاء".
- (٨٢) في حا-حب: السفل، وفي عا-عب-عج: السافل. الصواب: السفلي كما في غا.
- (٨٣) حب: الأول، وهو خطأ.
- (٨٤) عا: العبارة التي بين هلالين ساقطة.
- (٨٥) حا-حب: أربعة. وهو خطأ.
- (٨٦) حب: الحيوان. وهو خطأ.
- (٨٧) عا: سقطت واو العطف.
- (٨٨) في باقي النسخ كلمة "تعالى".
- (٨٩) حا: سقطت كلمة "الفلك".
- (٩٠) حا: والسنة.
- (٩١) حا: سقطت العبارة التي بين هلالين.
- (٩٢) عب: سقطت كلمة "الزرقاني".
- (٩٣) حب: وكان. وهو تحريف.
- (٩٤) عب: عنه، والصواب ما أثبتناه.

- ٩٥) الأصح: الأربعة.
- ٩٦) عا-حب: غائية. وهو تصحيف لكلمة غائية من الغاية.
- ٩٧) عب-حب: بالمسامر، والصواب مد الميم.
- ٩٨) حا: كلمة المسامير مكررة.
- ٩٩) عب: قوة. وهو خطأ.
- ١٠٠) عا-حب: العفيص. وهو خطأ.
- ١٠١) لغة في الزجاج.
- ١٠٢) عا-حا: الغداء بالبدال المهملة، وهو خطأ.
- ١٠٣) حا: قال. وفي ذلك تحريف للآية. والصواب: وإنما يقول..
- ١٠٤) عا-حا-حب: فلا. والصواب: بلا. كما في النسخة عب.
- ١٠٥) عا: علوم.
- ١٠٦) عا: علمه. وهو خطأ.
- ١٠٧) عا: على علمه. خطأ.
- ١٠٨) عا: قواعد العلية. حا: العلية. وكلاهما خطأ.
- ١٠٩) عا-حب: العلمية. وهو خطأ.
- ١١٠) عا: اختراع، وهو خطأ.
- ١١١) عا-حب-عب: الأربع- والصواب ما أثبتناه.
- ١١٢) غا-عب: الثلاث. والصواب ما أثبتناه.
- ١١٣) حب: بالأنبياء. وهو تصحيف.
- ١١٤) حب: حصر.
- ١١٥) عا-على.
- ١١٦) غا-حا: الجيم. وهو خطأ.
- ١١٧) عا: الطاهرة، وهو تصحيف.
- ١١٨) عا- حا: الغداء بالبدال المهملة - وهو خطأ.

(١١٩) عب-عا-حب: سقط ما بين هالين.

(١٢٠) حا: سقطت كلمة "الطعام".

(١٢١) حا: إلى.

(١٢٢) عب-حا: ينجذب بالبدال المهملة. وهو خطأ.

(١٢٣) عا: سقط ما بين هالين.

(١٢٤) حا: بالغداء بالبدال المهملة. وهو خطأ.

(١٢٥) حب: سقطت كلمة "أن".

(١٢٦) عب-حب: والصفراء. خطأ صوابه ما أثبتناه.

(١٢٧) عا: كمحتر. وهو خطأ.

(١٢٨) عب-حب-حا: خلطت.

(١٢٩) عا: به. وهو خطأ.

(١٣٠) حب: في القوى. وهو خطأ.

(١٣١) عا: سقط ما بين هالين.

(١٣٢) عب: للعبد.

(١٣٣) عا: ما بين معقوفين حشو.

(١٣٤) عا: غريبة وهو تصحيف.

(١٣٥) عب: استعمل. وهذا خطأ.

(١٣٦) حب: اليقضة بالضاد وهو تصحيف.

(١٣٧) عا: سقطت كلمة "النسبة".

فصل في حد الموسيقى

هو علم يعرف به أحوال النغم بالفم والنقرات باليد وأحوالها من مد الصوت وقصره، وترجييعه وتفخيمه، وترقيقه ورفعته وخفضه، وبُعد النقرات وقربها، وكيفها من شدة وخفة، وكمها. وهو عدد النقرات من ثنائي وثلاثي وغيرهما. ويعرف كمها بالنسبة العددية.

وقال أول "النزهة" ما حاصله^(١): العلوم الرياضية^(٢) أربعة: هندسة وهيئة وحساب وموسقا. وهو علم النغم. وموضوعه الصوت من حيث تركيبه مستلذا مناسبا، ونسب الإيقاع على الآلات كذات الشعب. وهذا العلم خمسة أقسام:

أولها: معرفة النقرات وكيفية تألف الأصوات منها. وهي كالأسباب والأوتاد في العروض.

ثانيها: علم الإيقاع، وهو تنزيل الأصوات والنغمات على الآلات وطرق الضرب.

ثالثها: علم النسبة كمعرفة أن البم^(٣) إذا كان ستين طاقا^(٤) كان المثنى ثمانية وأربعين. ويعرف هذا عندنا بتسوية الأوتار.

رابعها: تفكيك الدائرة.

خامسها: التلحين هـ^(٢).

والنقرة كناية عن الضربة الواحدة، فإن كانت في وتر العود ونحوه سميت نقرة، وإن كانت في طار ونحوه كهندقة سميت ندفة، وقد يُعكس. وصاحب

1) الصواب أن البم أربع وستون طاقا.

2) الأنطياكي: النزهة. ج 1 ص 18-19.

الميزان في القديم هو صاحب الطار، فهو حافظه، ومن عداه من أصحاب الآلات تابع له. فهو صاحب الثقل والخفيف، وإلى حده المذكور أشار سيدي عبد الرحمان بن سيدي عبد القادر الفاسي⁽¹⁾ رضي الله عنهما في ترجمة علم الموسيقى من الأقتوم بقوله: (رجز)

عِلْمٌ بِهِ يُعْرَفُ أَحْوَالُ النَّعْمِ وَمَالَهَا مِنْ بُعْدٍ أَوْ كَيْفٍ وَكَمْ
وَمَا بِهِ يَقَعُ نَفْرَتَانِ أَقْلُهُ يَأْتِي مِنَ الزَّمَانِ⁽²⁾

فأشار بقوله "من الزمان" إلى نقرات الموسيقى من باب طرح الزمان أي⁽⁴⁾ بنقرة بنقرة متساوية كرقاص المكانة. فهذا كطرح الواحد في علم الحساب. وقد قالوا إن الواحد يُعَدُّ الأعداد كلها، فكل عدد يمكن طرحه بواحد كأربعة يُزال منها الواحد أربع مرات، وخمسة خمس مرات، وهكذا. ومنه مطرب مرقص كرقص الصوفية عند شطحاتهم على أرجلهم وتصفيقهم بالأيدي ضربة إثر ضربة متساوية الزمان دائما لا يعرفون غيرها. فإن لم تتساو⁽⁵⁾ الضربات زمانا اختل الميزان واختل مزاج النفس. وربما قعدوا عند اختلال الميزان والمزاج (ومثل ذلك طرح العدد في علم الحساب فإن له طروحا كثيرة⁽⁶⁾)، وأما أكثره من الزمان فلا حد له عقلا. وأما عرفا فمنه الثلاثي كالوتد في علم العروض، ومنها ضرب أصحاب سيدي هدي، ويقال لهم الهدويون، فإن ندْفَهُمْ في أگوال ثلاث

(1) الفاسي. عبد الرحمن بن عبد القادر. أبو زيد. عالم مشارك موسوعي ولد بفاس عام 1040هـ، ونشأ في وسط علمي، نبغ في العلوم العقلية والنقلية فضلا عن علوم اللغة، له موسوعة "الأقتوم في مبادئ العلوم"، وهي منظومة تحدث فيها عن مائة وخمسين علما من بينها علم الموسيقى وعلم طب الألحان، وله أرجوزة نظمها عام 1060هـ بعنوان: "المجموع في علم الموسيقى والطبوع" عدد أبياتها 105، وهو عارف بالنظريات الموسيقية، توفي عام 1096هـ/1684. ترجمته في هدية العارفين 1/550، الأعلام 4/22، النبوغ المغربي 1/285.

(2) الفاسي. عبد الرحمن: الأقتوم في مبادئ العلوم، مخطوط خم و رقم 515.

مرات يشطحون ويطربون عليه⁽¹⁾. ومنه الرباعي كميزان البسيط أول نوبة الموسقا كما مر. فإن ميزانه أربع ندفات: ثلاث متواليات، والرابعة متراخية يسيرا عنها. ويقابله الفاصلة الصغرى في علم العروض. وقد يجعل البسيط مركبا من ست نقرات باعتبار نقر الطار بأصبع^(٧) اليمنى وتحريكه باليسرى أخرى ليظهر صوت صفحات الصفر الصغار في جوانبه، يقال له^(٨) زنج. فالنقرة الآخرة لما كانت متراخية صارت فاصلة بالنسبة للنقرتين قبلها. فالأربع قبلها كسبيين، فهما أربعة أحرف والفاصلة الصغرى أربعة أحرف، والكبرى خمسة أحرف، فصارت النقرة الثالثة في البسيط كفاصلة صغرى. (ومثل ذلك طرح العدد في علم الحساب^(٩)) لكن أشهرها ثلاثة سبعة وثمانية وتسعة. والسبعة لصممها أشهر لقول المُنِيَّة: "وَشَاعَتْ لِلصَّمَمِ". كما أشار لذلك الشيخ الحايك التطواني رحمه الله في كتابه في الموسقا فقال: البسيط مبنى على ست نقرات كأزمنة الأسباب من السبب الخفيف عند العروضيين، تظهر⁽²⁾ من الست نقرتان ندفا، وتظهر⁽²⁾ نقرتان زنجاً، وتظهر نقرة ندفا، وتظهر⁽²⁾ أخرى فاصلة. فهذه دائرة كاملة في البسيط، فيجب أن يكون مطابقاً للغناء مقابلاً له دفا بدف وزنجاً بزنج وندفا بندف وفاصلة بفاصلة، فإن تخالف شيء من ذلك فهو الفساد لا يسلكه إلا فاسد المزاج خارج عن المعتاد هـ⁽³⁾ فعلم النسبة المتقدم، هي معرفة مساواة^(١٠) أوتار العود ونحوه،^(١١) وقريب منه علم تفكيك الدائرة. وأما علم التلحين فهو رد الأشعار إلى نغمة مخصوصة، وقاعدته^(١٢) راجعة إلى العروض في الحقيقة، فإن نغمة الشعر بالفم مطابقة لنغمة العود باليد، ولذا يقولون في العود: إنه كما تقول يقول.

1) ميزان ثلاثي إيقاعه حثيث. وتدوينه :



2) أشرت في الفصل الخاص بالإيقاع إلى مواطن الخلل بالمتن في تحديد مواقع إظهار النقرات وإضمارها.

3) كناش الحايك. المقدمة. انظر تحقيق الحاج إدريس ابن جلون ص 40.

وحاصله أن الموسيقى علم وعمل، فالعلوم الخمسة المتقدمة. والعمل مركب من عمل^(١٣) الفم وعمل اليد، فعمل اليد صوت ساذج^(١٤)، وعمل الفم كلام منظوم، فالغناء من الفم مقابل لنقرات العود أو الطارندفا بندف كقول الخزرجية في التقطيع^(١٥): جزءاً لجزءاً ثنائياً^(١) فست نقرات في البسيط يقال لها دور، وستة أخرى تليها دورتان، وهكذا حتى تنقضي الصنعة كلها في بيت واحد ولو كان مجزواً أو منهوكاً. إلا أن تلك الست تارة تكون في الثقيل كأول البسيط وتارة في الخفيف كآخر البسيط عند انصرافه قرب فراغهم. وهي ست مطلقاً، كانت

1) عجز بيت من القصيدة الخزرجية، والبيت هو:

فَرْتَبُّ إِلَى الْيَازُنِ دَوَائِرَ خَفْشَلِقُ
اللَّاتِ عَدَّ جُزْءًا بِجُزْءٍ تُنَا تُنَا

والقصيدة من نظم ضياء الدين أبي محمد عبد الله المتوفى عام 827هـ/1424م، وهي بعنوان: القصيدة الخزرجية في العروض والقافية مخ.خ.ح. رقم 419، وقد قام بشرحها أكثر من واحد ومنهم:

1. محمد بن أحمد الحسيني الشريفي الغرناطي، مخ. خ ح رقم 644.
 2. أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله لبريس الرباطي، مخ.خ ح رقم 12466.
 3. زكرياء بن محمد الأنصاري الشافعي (فتح رب البرية بشرح القصيدة الخزرجية) مخ خ ح رقم 360.
 4. أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي الغرناطي مخ.خ.ح 11633.
 5. إبراهيم النادلي (القصيدة الشافية البنفسجية على القصيدة الوافية الخزرجية) مخ.خ.ح رقم 12063.
 6. أبو القاسم. الفتوح ابن عيسى بن أحمد الصنهاجي الزموري (الإشارة الجلية في حل رموز الخزرجية) (ت 852) مخ المكتبة الوطنية- الرباط ط ح.ج 2637 A.
- وقد جاء في شرح الصنهاجي شرح البيت فقال ما معناه: إن الدوائر العروضية التي توزن عليها أنواع الشعر خمسة جمعها الناظم في كلمة "خفشلق".

- الدائرة الأولى دائرة المختلف، رمز لها الناظم بحرف الخاء وتضم الطويل والمديد والبسيط.
- والدائرة الثانية دائرة المؤتلف، رمزها حرف الفاء، وتضم الوافر والكامل.
- والثالثة دائرة المشتبه. ويسمى الجمهور بالمحتلب. رمزها حرف الشين، وتضم الهزج والرجز والرمل، فسائر أجزائها سباعية.
- والرابعة دائرة المحتلب، رمزها حرف اللام، وتضم السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمحتسب.
- والخامسة دائرة المتفق، رمزها حرف القاف، وتضم دائرة المتقارب.

ولتقطيع وزن البيت يجعل بإزاء كل جزء من أجزاء التفعيل الخاص بالبحر الموزون جزء من أجزاء البيت مشى مشى إلى آخر البيت، بحيث يقابل الساكن بالساكن، والمتحرك بالمتحرك.

69 في الثقل أو في الخفيف، إلا أن زمن الدور الثقيل أطول من الخفيف كربع دقيقة للخفيف ونصف دقيقة للثقيل. ومثل هذه الأدوار أدوار ضرب الطاسات أو الطبالات ونحوها^(١٦) عند أصحاب الحضرات كالقاسميين والعيساويين، فكل دور منها لا يخلو^(١٧) أن يكون ثلاثيا أو سداسيا أو غيرهما على نسبة معلومة أبدا كانت في الثقيل كأول الحضرة أو في الخفيف كآخرها وبتلك النسبة المعلومة المتساوية حصل طرب النفس، لأن أمر بدن الإنسان كله مركب على نسبة هندسية عرفها من عرفها من مهرة المهندسين وجعلها^(١٨) من جعلها^(١٨) منهم. ونظير تقطيع الزمان وطرحه بهذه النقرات ما حكى أن بعض الموقتين مات وترك ولدا عارفا بالأوقات كأبيه، فَوَلِيَّ غَيْرُهُ فقام الولد وقال: أنا أعرف أوقات الصلاة بلا آلة، فاخبروه بأن جعلوه في موضع مظلم كتحت الأرض وليس معه آلة، فصار يذكر أذكارا وأورادا لعله تلقاها^(١٩) من والده أو غيره، كل ذكر إذ انقضى عرف به قدر ما مضى من الوقت وما بقي. فصار يخبرهم بالأوقات بلا رصد ولا آلة. ومثله ما ذكره المسعودي في "مروج الذهب" في أخبار العباسيين وقد سجنوا جملة من أهل البيت في موضع مظلم تحت الأرض به يتغوطون، ففرقوا جملة من الأوراد والأذكار بينهم بها كانوا يعرفون أوقات الصلاة. بل^(٢٠) يقع هذا اليوم للفاطن من أهل الحرف كخراز أو دباغ إذا قضى طرحته علم بها الأوقات.

70 وإلى حد الموسقا المتقدم أشار الإمام سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رضي الله عنه بقوله في "القانون": علم الموسقا هو الباحث عن النغم وما يعترىها (من الإيقاعات وانتظام اللحون المختلفة وإيجاد الآلات الصالحة، لذلك فموضوعه الصوت) من حيث ذلك، ومنفعته التأثير في النفوس بسطا وقبضا وما ينشأ عن^(٢١) ذلك من الالتذاذ والاهتزاز إلى أقوال وأفعال^(٢١) هـ وإليه

1) اليوسي: القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، تحقيق وشرح وتعليق وفهرسة وتقديم، د. حميد حماني مط. شالة-الرباط، ط1. 1419-1998. ص 154. والعبارة التي بين هلالين، تخلو منها مخطوطة غا.

أشار في البحث الرابع من الباب الرابع من "نزهة" الأنطاكي فقال ما حاصله: الصوت هو الهواء الممتزج بين قارع ومقروع، فإن تجوفاً أكثر، أو صلواً بيس، أو اختلف الطرق فسد [وإلا صحَّ] (٢٢). والألحان تنزِيل ذلك الصوت على النسب المخصوصة، والسماع الإصغاء لذلك. ثم اعلم أن فواصل الألحان تكون بالحركة والانتقال، ويقابل هذه جنس الحركة في النبض. وقد عرفت أنها إما سريعة أو بطيئة. ولا شك أن الإيقاع والألحان إذا دخلا في السمع أو جب سريان الهواء عنهما حركة القلب، وهي توجب (تغيُّر النبض لذلك) (٢٣) تغيراً يفصح عما أخبأته الطبيعة (١). ثم الصوت إما عظيم أو جهور أو ضدهما. ولما كان بالضرورة بين كل حركتين سكون لاستحالة اتصال الحركة ووجب انقسام الأصوات كماً إلى منفصلة ومتصلة. فالمنفصلة يقع السكون بين نقراتها كالأوتار، وهي إما حادة راجعة إلى حزق (٢) (٢٤) الوتر، أو غير حادة. والمتصلة كالمزامير، والمقابل لهذا النبض السريع. وسرعته وصلابته تكون على (٢٥) فرط الحرارة (٣) هـ. فصول المزمارة كالغيطة من المتصل، وصوت الطبل من المنفصل، كضرب العود الموسقي، كما أشار له في الأَقْنوم بقوله: (رجز)

ثُمَّ الْمَفْصَلُ الَّذِي تَنْفَصِلُ مِنْ بَعْضِهِنَّ بِزَمَانٍ أَطْوَلُ
ثُمَّ الْمَفْصَلُ لَهُ قِسْمَانِ فَأَلْمَتَسَاوِي مِنْهُ فِي الْأَزْمَانِ
مَا يَتَوَالِي نَقْرَتَانِ (٢٦) مَرَّتَيْنِ فِيهِ وَذَا الْأَوَّلَ يُسَمَّى دُونَ مَيْنُ

إلا أن الطرب للإنسان تارة يحصل له من سماع الشعر وحده لمناسبة له من ذكر شجاعة أو وعظ أو غيرهما ولو كان الصوت قبيحاً كما (٢٧) كان يحصل للعرب من سماع شعرهم الذي يفهمونه، وتارة تنقبض منه ولو كان الصوت

1) الأنطاكي: النزهة: ج 1. ص 308-309.

2) الحزق في الاصطلاح الموسيقي هو شد الوتر لتمتد طبقتة.

3) الأنطاكي: النزهة: المرجع (ص 309-310) بتصرف.

حسنا كما ذكره المناطقة في بحث الشعر كقول السّلم: "خَطَابَةٌ شَعْرٌ" الخ، وتارة ينسبط أو ينقبض من مجرد الصوت لحسنه أو لقبحه، وتارة من الشعر والصوت معا.

ثم قال عقب ما مر عن "النزهة": وهذه الصناعة التي هي في الغناء مؤلفة من سبب ووتد وفاصلة كالعروض، فالسبب هنا نقرة يليها سكون، وهكذا أجزاء النبض. والوتد سكون بعد اثنتين، والفاصلة بعد ثلاث، وبهذا القدر تتوطن^(٢٨) النفس على نسبة الإيقاع في الموسقا، والطبيب على حال البدن في النبض. وتتنوّع حركات الموسقا كالنبض أنواعا منها أصول، ومنها فروع كثيرة. فالأصول أربعة، والفروع منها اثنا عشر، كعدد البروج، وستة وثلاثون كالوجوه، وتسعون كدرج ربع الدائرة، ومائة وعشرون عدد قطر الدائرة كالقانون فإنه مائة وعشرون، كل أربعة نسبة، والتسعة للعود، وثلاثمائة وستون عدد درج كل دائرة لذات الشعب. ولذا يختلف الإيقاع والآلات كالأزمنة والبلدان. فقد صرح الموصلي وغيره بوجوب حزق^(٢٩) الأوتار شتاء، وضرب نحو القانون فيه لكثرتة، وكون أوتاره من النحاس، فإن ذلك يوجب الحدة، وهي تحرك الحر واليبس، وذلك يوجب الاعتدال، وفي الصيف بالعكس^(١).

وإذا عرفت أنه لا بد بين كل نقرتين من سكون فإن^(٣٠) ساوى زمنه زمن النقرة الواقعة قبله وبعده فهذا النمط هو العمود الأول، ويسمى الخفيف المطلق، وإن طال زمن السكون على زمنها^(٣١) فهذا هو العمود الثاني (والخفيف الثاني). وعلى الأول متواتر^(٣٢) النبض، والثاني متفاوتة^(٣٣). هذا إن كان ما زاده السكون عليها قدر نقرة، فإن كان بقدر ثنتين^(٣٤) فهو الثقيل الأول، أو بقدر ثلاث فالثقيل الثاني، وما زاد على ذلك فغير مستلذ^(٢).

1، الأنطاكي: النزهة: ص 311-312. بتصرف.

2، الأنطاكي: التذكرة ج 3 ص 489/ النزهة: ج 1. ص 312.

ولما كان الالتذاذ بهذا العلم موقوفاً كماله على الآلات، وكانت كثيرة بحسب الأزمنة والأمكنة والأمم، وكان أُلذها^(٣٥) الآن العود المركب من أربعة في الأكثر المضاعف عند بعض الناس إلى ثمانية لشهرته والاتفاق عليه دون غيره أحببنا أن نضرب له مثلاً فنقول. الواجب أن يكون طوله مثل عرضه (مرة ونصفاً، وعمقه كنصف عرضه، وعنقه كربع طوله)^(*). وألواحه^(٣٦) في ثخن الورقة من خشب خفيف، ووجهه أصلب وتمد عليه أربعة أوتار، أغلظها البم بحيث يكون غلظه مثل المثلث^(٣٧) الذي يليه مرة وثلاث، والمثلث إلى المثنى مثله كذلك مرة وثلاث، والمثنى مثل الزير كذلك. وقد ضبطوها بطاقات الحرير فقالوا: يجب أن يكون البم أربعاً وستين طاقة، والمثلث ثمانية وأربعين، والمثنى ستة وثلاثين، والزير سبعة وعشرين، وتجعل رؤوسها من جهة العنق في^(٣٨) ملاوي، والأخرى في مشط، فتساوي أطوالها، ثم يقسم الوتر أربعة أقسام طولاً، ويشد على ثلاثة أرباعه مما يلي العنق، وهذا دستان الخنصر. ثم يقسم^(٣٩) الآخر تسعة، ويشد على تسعة^(٤٠) مما يلي العنق أيضاً^(٤١) وهذا دستان السبابة، ثم يقسم ما تحت دستان السبابة إلى المشط أتساعاً متساوية، ويشد على التسع مما يلي المشط ويسمى هذا دستان البنصر^(١).

والزير^(٤٢) كعنصر النار في الطبع والتأثير، والمثنى كالهواء، والمثلث كالماء، والبم كالتراب. فانطبق على الأخلاط والأمزجة أفراداً وتركيباً. وإنما ضعفوا الأوتار حتى جعلوها^(٤٣) ثمانية لأنها أول مكعب محدود، ولأن التثمين داخل في أشياء كثيرة.

ولكل عدد خواص، ولذا "اختلف ميل طوائف العالم إلى مراتب الأعداد، كما عشقت الصوفية رضي الله عنهم الواحد، فطوت الأشياء فيه، والمجوسُ 74

* (العبرة بين هلالين غير واردة في نسخة غا.

1) المصدر نفسه، ص 489-490، وضع المؤلف هذا الكلام تحت عنوان: "تنبيه". انظر المزهر، ج2 ص 2-3.

الاثنتين: الظلمة والنور، والنصارى الثلاثة، وأهل الطبائع الأربعة، وأهل الأوفاق^(٤٤) الخمسة، وأهل^(٤٥) الهندسة الستة، والحكماء الفلكيون^(٤٦) السبعة، فالذهن من حيث هو يستحسن النسب، حتى إذا برزت إلى الخارج زادت النفس بسطا⁽¹⁾.

"ثم قوانين الغناء لا تخرج عن ثمانية: ثقيل أول: من تسع نقرات، ثلاث^(٤٧) متوالية، وواحدة كالسكون، فخمسة مطوية الأول. وثقيل ثان من إحدى عشرة. انظر تمامه في البحث المذكور. ا.هـ منه باختصار⁽²⁾.

وقال الإمام ابن هيدور رحمه الله أول شرحه لتلخيص ابن البناء في الحساب ما حاصله: علوم الرياضة أربعة أقسام هي الأصول، أولها بالطبع علم الحساب، ثم الهندسة، ثم الهيئة، ثم الموسيقى وهو علم تأليف اللحن. ويقال له علم التأليف، وهو معرفة ماهية النسب وكيفية تأليف المختلف⁽³⁾ ا.هـ.

فصل في بعض منافع الموسيقى

تقدم أنها من غذاء الروح كالعلوم. وتكون دواء أيضا للأشباح لأنها تقوي الحرارة وتهضم الأطعمة، ولذا عدها الأطباء من المفرحات لأنها مثيرة للحرارة الغريزية منعشة للقوى^(٤٨) حاملة للأرواح إلى تبليغ كمالها^(٤٩) الثاني من نطق

1) الأنطاكي المصدر نفسه ص 490. انظر النزهة ج 2 ص 4-5 بتصرف.

2) تمامه من التذكرة كالاتي: ثلاثة متوالية، فواحدة ساكنة، فثقيلة، فأربعة مطوية الأول. وخفيف الثقيل الثاني: من ستة، ثلاثة متوالية، فسكون، ثم ثلاثة. ورمل: من سبعة، ثقيل أول، فمتوالتان، فسكون هكذا إلى آخره، وخفيفه: من ثلاث نقرات متوالية متحركة. وخفيف الخفيف: من نقرتين من بينهما سكون قدر واحدة. وهزج: من نقرة كالسكون، ثم سكون قدر نقرة، ثم بين كل اثنتين سكون. ج 3 ص 490. انظر النزهة ج 2. ص 5.

3) ابن هيدور: التمهيد في تلخيص أعمال الحساب لابن البناء، الورقة رقم 5.

75 وحُدس وحفظ وفهم وفكر ووهم مع تعديل القلب واتباعه. وتناسب السرور كما أشار له أول ترجمة معجون من حرف الميم من "التذكرة"⁽¹⁾. وقال أيضا في ترجمة مُفْرَح ما حاصله: المفْرَح عرفا كل مركب اشتمل على تصفية النفس والقوى والفكر وتقوية آلتها. وما ذلك إلا لأنها جوهر مجرد دراك قبل اشتغاله بتدبير هيكله، ولما تشبث بهذا الهيكل الظلماني لتدبيره^(٥٠) صار كملك في مدينة عليه إصلاحها مع وزيره، فتصرف في الخدمة من أبواب معروفة بالحواس، فهي كالمرآة في الظاهر، لكنها أعم بقبولها سائر المدركات بخلاف المرآة فإنها^(٥١) لا تقبل إلا المبصرات⁽²⁾.

"وجرت عاداتهم أن يقدموا الكلام على حاسة السمع لأنه أفضل الحواس عند المعظم (من المشائين والاشراقيين⁽³⁾)، لأنه أجل الأسباب في اكتساب الفضائل الدينية، ولذا قدمه تعالى في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾⁽⁴⁾ الآية. والواصل من السمع إلى النفس ليس إلا الأصوات، إما بحرف فاللفظ، أو بلا حرف فسادج^(٥٢) واللفظ إما مفيد فهو الكلام منشور^(٥٣) ومنظوم، وكل منهما إما يناسب القوى الغضبية كالشجاعة وسفك الدماء، أو القوى الملكية^(٥٤) كالعلم والزهد، أو القوى الشهوانية كوصف المحاسن والشعور والقُدود، أو القوى الطبيعية، وهي أرذل ما ذكر كنفائس المآكل والمشارب والملابس، كما أن أفضلها الملكية. والمناسب^(٥٥) مما ذكر إذا ورد على النفس اشتد عنده فرحها إذ^(٥٦) حقيقة التفريح بلوغ المآرب وانتفاء المضار^(٥٧) مع كمال الصحة⁽⁵⁾.

1) الأنطاكي: التذكرة. ج 1 ص 289-290.

2) المصدر نفسه، ص 300.

3) سقطت عبارة من المشائين والاشراقيين في جميع النسخ، وقد أطلق هذا الاسم على سقراط وتلامذته لأنه اعتاد أن يلقنهم تعاليمه وهم يمشون إلى جانبه في حديقة مدرسته، وقد أصبح اللفظ اسما لمذهب كان من أشهر أتباعه الإسكندر الأفروديسي.

4) سورة النحل، الآية 78.

5) الأنطاكي. المصدر نفسه ص 301.

76 "والساذج^(٥٨) إما ثقيل تمجه^(٥٩) النفس، سماه المتأخرون الأقرع، إما ليس الهواء الصادر عنه كقرع حجر على حجر جامدين ولو كياقوت، أو خفيف مشتمل على مطرب إما من فم أو آلة وترية أو شعرية أو معدنية. والثاني بأقسامه أشد لذة لرقته فيمَارِجُ الروح في مداخلة العروق، فَتُصَفِّي. وألحق به من الأول ما صدر من النساء اللواتي بلغن الغاية في المداخلة. ولم يرض بعضهم⁽¹⁾، به، بل جعل أصواتهن أعلى مراتب الأول، وكان كلامه هو الأوجه. والظاهر التفصيل وهو: إن اتسع^(٦٠) جرم الآلة أو غلظت أوتارها فَضَلَّتْهَا أصوات النساء المذكورة وإلا فلا. ثم إن نوسب بهذه الأصوات والآلات بين النفوس السامعة بوجه طبي كإيقاع العراق والمائة والعشاق نهارا أو صيفا أو لمحروور لبردها كمل التفريح لا سيما إن ناسب^(٦١) الغناء ما مر من ذكر عشق لعاشق وسخاء لكريم ونحوهما⁽²⁾. ثم تكلم على ملاذ بقية الحواس فانظره⁽³⁾.

فصل في أحسن آلات^(٦٢) الطرب

77 أولها العود كما مر، ثم الكمنجا، ثم الرباب، ثم القانون. قال الشيخ الحايك رحمه الله ما حاصله: يقال إن أول من صنع العود لامك بن وائل بن قابل بن آدم، وبكى به على ولده. وقيل صانعه بطليموس صاحب الموسقا، وهو واضع كتاب اللحون الثمانية. وقيل صنعته الجن لسليمان (حين توفي أبوه داود عليهما السلام ليذكر به صوته الحسن فإنه كانت الطير تقف في

(1) المعني هنا هو ابن سينا.

(2) المصدر نفسه، ص 301.

(3) عب: كتب الناسخ في الطرة ما ياتي: فائدة من الأنيس المطرب: قال: كان داود عليه السلام قبل إفضاء الملك إليه واجتماع بني إسرائيل عليه يحضره ملكهم طالوت إذا غلب عليه خلط كان يعتره، فيوقع له، ويسمع من ألفاظه، فيجد لذلك راحة من ألمه، وصار يصيب الراحة من سماع تلحين المزامير على العيدين والطنابير ونحوها من الدفوف والطبول والصلاصل وما يجري مجراها، وكانت العدة التي تحضر من هذه الطائفة أربعة آلاف نفر في كل ليلة. ذكر ذلك الثعالبي في "موائد الأفراح".

الهواء لسماعه^(٦٣) حين قراءة الزبور^(١) هـ لقلوه تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِجِي مَعَهُ وَالطُّيُورُ﴾^(٢) وآخر المحسنين لضرب العود شيخنا السيد الحاج حد^(٦٤) بنجلون الفاسي شيخ جماعة الموسيقيين بفاس، فإنه كان أجلمهم صوتا وضربا وسنا، ولضرب^(٦٥) الرباب شيخنا الشريف سيدي رشيد الجمل^(٦٦). وهو من تلامذة ابن جلون المذكور^(٦٧)، لكنه كان أحلى^(٦٨) صوتا منه. وله فيه ترنيمات إذا صاح بها تذهل العقول. ثم أخوه سيدي الغالي في الكمنجة^(٦٩)، ثم الشيخ الصبان المتقدم في ضرب العود. ثم لضرب القانون صاحبنا الحاج قاسم بنعسل الرباطي، كان يضرب به مرارا أمامي. وأوتاره نحو سبعين، كان يُسَوِّيه بحلقات في أصابعه، وكان يأخذه حال يهتز برأسه عند ضربه. وقل من يُحسِّنُ ضربه اليوم^(٣).

فصل في سبب حسن استماع الناس للطرب

أجل سماعهم لكلام الله القديم في عالم الذر^(٧٠) المشار إليه^(٧١) بقوله في سورة الأعراف: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٤). وأطال المفسرون وأهل السماع الكلام في تفسيره خصوصا أهل الإشارات فإن كلام الله تعالى لا ألد^(٧٢) ولا أحلى ولا أحسن منه كما نقل في الأخبار في طرب أهل الجنة بسماع صوت سيدنا داود، ثم بسماع صوت سيدنا محمد ﷺ ثم بسماع صوت إسرائيل عليه السلام. قيل وهو أحسن الملائكة صوتا، ثم سماع كلام الله تعالى، كما روي أن موسى عليه السلام لما سمع الكلام القديم صار يغلق أذنيه حتى لا

78

1) كناش الحايك، المرجع السابق ص 39.

2) سورة سبأ، الآية 10.

3) عب: في طرة الصفحة رقم 89 عبارة عن الكمنجة : نصها: ومما قيل في مدح الكمنجة: (مجث)

قُمْ يَا خَلِيلِي وَبَادِرْ
فَلَيْسَ مَنَّ رَاحَ مِنَّا
إِلَى سَمَاعِ كَمَنْجَا
أَوْ غَابَ عَنَّا كَمَنْ جَا

4) سورة الأعراف، الآية 172.

يسمع بشاعة أصوات الخلق. وقد أطل أبو الليث السمرقندي⁽¹⁾ في بيان سماع أهل الجنة لما^(٧٣) ذكر، وكذا الشعراني⁽²⁾ في اختصاره "لتذكرة" القرطبي. ونقل بعضه جسوس⁽³⁾ عند قول الرسالة: وإن الله تعالى قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه فقال ما حاصله: وأما تلذذ أهلها بالسماع فقال الأوزاعي (ت 157) في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهَا دَوْضَةٌ يُحِبُّونَ﴾^(٧٤) إذا أخذ أهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة إلا ورددت. وليس في خلق الله تعالى أحسن صوتا من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سماوات صلاتهم وتسبيحهم^(٧٥) هـ⁽⁵⁾. انظر فصل صناعة الغناء من مقدمة ابن خلدون في السفر الأول منه، فقد أطل فيه في بيان علم الموسقا وآلته⁽⁶⁾ وكذا في ترجمة شارات الملك والسلطان الخاصة به^(٧٦) من مقدمته أيضا⁽⁷⁾، وكذا في ترجمة العلوم العقلية وأصنافها من مقدمته أيضا⁽⁸⁾.

1) السمرقندي. أبو الليث، نصر بن محمد بن أحمد. له شرح الرسالة العضدية في علم الوضع، توفي سنة 373هـ/983م. ترجمه الفوائد البهية ص220، الجواهر المضية 196/2، الزركلي 180/7.

2) الشعراني: هو الشريف الحسيني، عبد الوهاب بن أحمد المصري، من عائلة ملكية بتلمسان. انتقل إلى القاهرة، وبها درس سلك طريق الصوفية، وكون مجلسا للذكر، اهتم بمختلف فنون الثقافة الإسلامية وألف فيها كتباً عدة منها: لطائف المنن والأخلاق وقد توفي عام 973هـ/1565م. ترجمه الشذرات 372/8، الزركلي 180/7.

3) جسوس. محمد بن قاسم بن محمد الفاسي. علامة ومحدث وصوفي، ولد عام 1089هـ، له عدة مصنفات في الفقه والتفسير والحديث منها: شرح الشيخ خليل في تسعة أجزاء، وشرح رسالة القيرواني في أربعة أجزاء، وشرح الشمائل. استشاره السلطان محمد الثالث في مسألة إقرار ضريبة المكس على أسواق فاس وغيرها من المدن بالمغرب، أخذ عنه جماعة من العلماء. توفي عام 1182/1767م. ترجمته في نشر المكان 80/4، الفكر السامي 124/4، شجرة النور ص355، السلوة 330/1.

4) سورة الروم، الآية 15.
5) جسوس: شرح ابن أبي زيد القيرواني، طبعة حجرية، خ. الجامع الكبير - مكناس رقم 818 م. ج 1 الملزمة ص 31 و 2.

6) ابن خلدون: المقدمة. المطبعة التجارية. د.ت. ص 479.

7) المصدر نفسه، ص 257.

8) المصدر نفسه، ص 487.

الباب الثامن في النوبة الخامسة

وهي طبع الاستهلال وعرق عرب. اعلم أن طبوع الموسقا كثيرة، وتنتهي إلى ثلاثمائة وستة وستين كما وقفنا عليها في غير تأليف، قاله الحايك. وطبع الاستهلال خارج عن الشجرة، والغالب عليه أن يكون فرعا من الذيل. وهو من الطبوع المجهولة. ويقال إن الذي استخرجه رجل يسمى بالحاج علال بفاس أيام السلطان أمير المومنين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الشريف الحسيني رحمه الله⁽¹⁾. وأما عراق العرب - ويقال له في لسان العوام عرق عرب - فهو فرع الذيل، أضيف للاستهلال لأنهما معا يفيدان الرطوبة. استخرجه صيكة بن^(٧٧) تميم العراقي، وهو المستخرج لطبع الصيكة، وسميت باسمه. وهذا الطبع فخيم النغمات حلو الألحان، وله تأثيرات في نفوس المستمعين. ومن صنائعه الكبار في البسيط: "العودُ قد ترنم"⁽²⁾، وهي صنعة لا توجد بفاس إلا عند بعض المعلمين الكبار⁽³⁾، ولحسنها وغرابتها وطولها يبخلون بها ولا يعلمونها أحدا، حتى عرفتها وحفظتها بالسماع وأتقنت^(٧٨) ميزانها، فكنت أعلمها لمن طلبها مني بفاس وغيره لأنني لا أتعاطى^(٧٩) صنعة الموسقا فأخاف من يزاحمني فيها، وإنما هي^(٨٠) من جملة العلوم والآيات الدالة عليه تعالى. ومعرفة الأشياء خير من جهلها. وبعضهم يستعمل فيه "مَنْ رَسُولِي إِلَيْكَ يَا نُورَ عَيْنِي"، وهي أيضا من عجائب الموسقا وأغربها وألذها نغمة. ويستعمل في الاستهلال إنشادا. (كامل)

لَمَّا اسْتَهَلَّ هَلَالٌ وَجْهٍ مِّنْ ارْتَضَى فِي الْحُسْنِ سَامِي السُّخْرِوِ الْإِجْلَالِ
هَمْنَا بِهِ طَرِبًا وَلَا عَجَبًا إِذَا مَالَ امْرُؤٌ طَرِبًا بِالْأَسْتَهْلَالِ

1) كناش الحايك. المصدر السابق ص 21.

2) توشيح مقتضب من بسيط الاستهلال.

3) وجه ندره هذه الصنعة أنها من الصناعات الكبيرة، أدوار دخولها، 54، وأدوار كرشها 28.

غيره (طويل)

بِالْأَسْتِهْلَالِ الَّذِي تَحَقَّقَ^(٨١) ذِكْرُهُ بِحَضْرَةِ فَاسٍ أَصْلُهُ عَنْ ذَوِي^(٨٢) الْكَرَمِ^(٨٣)
تَرَنَّمْ بِهِ وَأَشْدُ^(٨٤) وَكُنْ بِهِ مُوَلَعًا فَنِعْمَتُهُ الْحَسَنًا^(٨٥) تَهِيحُ الْغَرَامِ^(٨٦)^(١)

ومما يستعمل من عرق عرب إنشادا:

أَلَا بِعِرَاقِ الْعُرْبِ يَا خَيْرَ مُنْشِدٍ بِحَقِّ الْهَوَى كُنْ لِي مُجِيبًا وَمُنْشِدًا
فَدَيْتَكَ عَلَّيْني^(٨٧) أُرِيحُ مِنَ الْهَوَى وَأَنْسُ غُرْبِي لَا زَلْتَ مُرْشِدًا^(٢)

الباب التاسع في النوبة السادسة

في طبع الرصد وطبع الحصار وطبع الزيدان وطبع المزموم.

طبع الرصد فرع المائة، واسمه في الحقيقة رأس المائة. ويسمونه أيضا: رصد المائة، استخرجه محمد بن الحارث. وهذا الطبع رقيق النغمات حلو الألحان. وكثيرا ما يقع الخلط بينه وبين الحصار. ومن بسيطه.

هَنِيًّا يَا قَلْبِي الْعَلِيلُ قَدْ أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ^(٣)

ونغمتها تارة في ارتفاع أولا للأوج وثانيا في انخفاض للحضيض. وكل منهما يجلب للنفس فرحا وحبورا عظيما. ولذا يقولون: الرُّصُودُ تُحْيِي الْأَسْوَدَ.

(1) في عجز البيت خلل لعله يستقيم بأن نقول: فَنِعْمَتُهُ الْحَسَنًا تَهِيحُ لِي الْغَرَامِ

(2) في طرة الصفحة 91 من نسخة عب رواية مغايرة لهذا البيت هي:

فَدَيْتَكَ عَلَّيْني أَرْتَاخُ مِنَ الْهَوَى وَمِنْ غُرْبِي أَنْسُ لَا زَلْتَ مُرْشِدًا

(3) توشيح مجزو الرجز.

وأما الحصار فهو من الزيدان، ويسمى بهذا الاسم لحصره في حنجرة المغني به وحصر نغماته في أوتار العود. استخرجه عنان بن فورك^(٨٨) باليمن، وهو قليل الاستعمال بالمشرق كثير الاستعمال بالأندلس. يصفي أحشاء سامعه من الخلط الرديء.

81 والزيدان من أصول النغم، ينسب إلى الوتر المسمى بالرمل. يقوي خلط البلغم. ويضاد خلط الصفراء، ويسكن حرارتها^(٨٩) ويكسر حدتها. استخرجه هبة الله بن معاذ^(٩٠) الحبشي ويستعمل في جميع الأقاليم.

وأما المزموم فهو من أصول النغم أيضا، وينسب إلى الوتر المعروف بالزير^(٩١) المسمى بالحسين. يقوي خلط الصفراء، ويضاد خلط البلغم ويلطفه ويرطبه. استخرجه رجل من العرب يسمى شير بن عتاد من أرض سوس، ونغماته حادة حارة، وألحانه رقيقة يابسة، وإنشاد الرصد: (طويل)

أَيَا مُطْرِبِي بِالرَّصْدِ يَا مَنْ لَهُ صَبَا
فَدَيْتُكَ إِذْ أَطْرِبْتَنِي بِنَغْمَاتِهِ
فُوَادِي وَفِي قَلْبِي ثَوَى مُذْ تَرَنَّمَا^(٩٣)
وَخَلَّفْتَنِي صَبَا كَثِيبًا مُتَيْمًا

وإنشاد الزيدان^(٩٤): (طويل)

تَرَنَّمْتُ بِالزَّيْدَانِ فِي مَدْحِ أَحْمَدِ
بِرَبِّكَ زِدْنَا مِنْ مَدِيحِ مُحَمَّدِ
فَأُصْبَحَ فِي الطُّبُوعِ مَوْلَايَ زَيْدَانَ
فَحَالِي أَدَهَانِي بِذَاكَ وَأَذَانَ

وإنشاد المزموم: (طويل)

أَيَا مُنْشِدِي^(٩٥) الْمَزْمُومَ لَا خَانَكَ الدَّهْرُ
وَلَا زَلَّتْ فِي عِزِّ عَظِيمٍ وَرَفَعَةٍ
وَلَا سَامَ مَا تَحْمِيهِ عُسْرٌ وَلَا ضَيْرُ
يَعْمَهُمَا^(٩٦) التَّائِيدُ وَالْفَتْحُ وَالنَّصْرُ

الباب العاشر في النوبة السابعة

طبع غريبة الحسين وطبع المحررة وطبع الصيكة.

غريبة الحسين فرع المزموم، استخرجه غريب الفارسي المستخرج لطبع الغريبة. وقيل مستخرجه جارية كانت للسلطان الذي استخرج طبع الحسين، كانت تسمى بالغريبة^(٩٧) لانفرادها عن أهلها ووطنها. ويذكر أن السلطان كان مغرماً بها فلذا سميت بغريبة الحسين. ولها من الأوقات طلوع الفجر. ونغماتها 82 وألحانها تثير^(٩٨) في قلوب المستمعين الرأفة والتحنن والبكاء. وأما المحررة فأصل بلا فرع. استخرجه جارية تسمى بالغريبة المحررة، كانت عند السلطان الذي استخرج طبع الحسين، وكان مولعاً بها فلما أته الجارية المسماة بغريبة الحسين علق بها وترك الأولى وحررها فسميت بالغريبة المحررة. وتصدير بسيط الغريبة صنعة (رمل محذوف)

يَا غَرِيرًا^(٩٩) عَلَّمَ الْقَلْبَ الْغَرْرَ^(١٠٠) وَنَفُورًا^(١٠١) عَلَّمَ الظُّبْيَ النَّفَارَ^(١٠٢)

وهي من الصنائع الكبار، لا توجد إلا عند خواص المعلمين لغرابتها وحسن ألحانها⁽¹⁾.

والصيكة استخرجه صيكة بن تميم العراقي، فسميت باسمه. وهو الذي استخرج عرق عرب وعرق عجم. وإنشاد غريبة الحسين: (طويل)

رَعَا اللَّهُ مُنْشِدًا جَادَ بِغَرِيبَةٍ عَلَيْنَا وَنَحْنُ فِي مَقَامٍ مُعْظَمٍ
وَأَنْسَ مَنْ كَانَ الْغَرَامُ بِقَلْبِهِ^(١٠٣) فَجَاءَ عَلَى قَصْدٍ حَبِيبٍ^(١٠٤) مُحْكَمٍ

1) الصنعة توشيح من محذوف الرمل. وقد جعلها التادلي تصدرة لميزان البسيط، أما في المتداول اليوم فهي من الصنعات الموسعة في الميزان، أدوار مطلعها 28.

وإنشاد الصيكة (طويل)

إِذَا مَا شَدَا شَادَا بِصِيكَةِ لَحْنِهِ تَحِنُّ لَهُ أَرْوَاحُ كُلِّ مُهَذَّبٍ
فَنَغَمَتْهَا الْحُسْنَاءُ تَنْعِشُ مَنْ فَنَا^(١٠٥) بِذِكْرِ النَّبِيِّ الْهَادِي الْحَبِيبِ الْمُقَرَّبِ

الباب الحادي عشر في النوبة الثامنة*

طبع^(١٠٦) الحجاز^(١٠٧) الكبير، وطبع المشرقي الصغير، وطبع مجنب الذيل.

الحجاز^(١٠٧) الكبير، وتقول له العامة لَحْكَازُ^(١٠٨) لكبير. فرع الزيدان عند المغاربة. وأما المشاركة فلا حجاز عندهم. ويزعمون أن الحجاز هو الزيدان^(٤).
83 ومستخرجه حجاز بن طارق من اليمن وكان نزيل بلاد سنان من بلاد العراق.

وأما المشرقي الصغير ففرع الذيل. ولم نقف على مستخرجه.

ومجنب الذيل استخرجه رجل من الأندلس يقال له هذيل^(١٠٩). وإنشاد

مجنب الذيل^(١١٠): (طويل)

بِمَجْنَبِ الذَّيْلِ فَكُنْ لَنَا^(١١١) مُنْشِدًا وَأَطْرِبْ عُقُولَ الْجَالِسِينَ ذَوِي الْقَدْرِ
وَكَنْ مَا جِدًّا جَهْرًا وَأَحْسِنْ عِبَارَةً فَهَذَا مَحَلُّ الْجُودِ وَالْفَضْلِ وَالْفَخْرِ

الباب الثاني عشر في النوبة التاسعة*

^(١١٢) طبع الحجازي^(١١٣) المشرقي. هو فرع المزموم، ومركب من حمدان والحسين. وبينه وبين المحررة مناسبة كانقلاب الرمل. وهو مهيج للصفراء.

1) لعل في ذلك إشارة إلى مقابلة الحجاز الكبير بطبع الزيدان في الجزائر.

* نسخة غا خالية من ذكر النوبة التاسعة (الحجاز المشرقي) وقد اعتمدت النسخ الأربعة الباقية.

وهذا الطبع خرج من الأندلس، ولم نقف على الذي استنبطه، ويستعمل في سائر الأوقات. ونعمته حلوة رقيقة مفرحة. وإنشاده: (طويل)

أدراها [شلفة]^(١١٤) كَلَوْنَ التَّبْرِ نُورًا وَغَنَّ لِي بِأَطَافِ^(١١٥) مَا شَادَتْ بِهِ النَّعْمَاتُ
بِطَبْعِ الْحِجَازِ الْمَشْرِقِيِّ فَإِنَّمَا بِهِ وَبَهَا تُسْتَجَلَبُ النَّشَوَاتُ

الباب الثالث عشر في النوبة العاشرة

طبع^(١١٦) عراق العجم وتسميه^(١١٧) العرب عرق عجم. وهو خارج عن الشجرة. واختلف فيه هل هو من الأصول الأربعة أو من الفروع. ومستخرجه صيكة بن تميم العراقي كما مر. وهذا الطبع رخيص النعمات حلو الألحان، يُدخل القلوب الفرح والسرور. وما سمعه إنسان كريم رقيق الطبع إلا أطربته نعماته. وتصديرة^(١١٨) بسيطه صنعة كبيرة شعرها: حَفِظَ اللَّهُ لَيْلَنَا وَرَعَى^(١١٩): 84 وهي توشيح من أعاجيب نعماته الكبار^(١). كان سيدي محمد الشريف رئيس المعلمين بتطوان يأتي إليّ بمدرسة العطارين ليتعلمها مني إذ لم تكن عنده. وإنشاده: (طويل)

أَلَا قُمْ وَعَلِّ بِالْتَّرْنَمِ سَيِّدِي وَأَطْرِبْ وَأَنْشِدْنِي عِرَاقَ بَنِي الْعَجَمِ
وَنَبِّهِ أَخِي الْغِزْلَانَ مِنْ سِنَةِ الْكِرَا فَجَيْشُ الدُّجَا وَلَّى عَنِ الْفَجْرِ وَأَنْهَزَمَ

وإنشاده صعب قل من يعرفه. فإن كل طبع أراد المعلم أن يستعمله للناس لا بد أن يقدم تواشي بلا شعر بل بضرب الماعون فقط، ثم يختم بإنشاده بلا قول

(1) توشيح. هو عند بمنصور تصديرة الميزان (ص 249) وعند ابن جلون ثانية صنعته (ص 292).

أيضا. وإن حضر مَنْ يعرفه أنشده، وقد يقدم على التواشي، ثم يشرع بعد ذلك في العمل مع القول^(١٢٠). وبالتواشي تتفاضل المعلمون، فالماهر من عنده ثلاث تواشي فأكثر، كل توشية يطول زمانها بسماع الأوتار فقط، ثم يردفها أخرى في نمط آخر، كل ذلك مقدمات وإعلامات بالطبع الذي يستعمل قبل الشروع فيه كبراعة الاستهلال في علم البيان التي تخبر أول التأليف بمقصوده^(١٢١).

الهوامش والتصويبات

- (١) حا: حصله. وهو خطأ.
- (٢) عا-حب: الرياضة. وهو خطأ.
- (٣) عا-حب-حا: الميم. وهو خطأ.
- (٤) عب: أي. وفي غا: أما.
- (٥) عا-حب. حا: لم تساو. وهو خطأ.
- (٦) عب: الجملة بين هالين مشطوب عليها.
- (٧) عب: بالاصبع.
- (٨) عب: لها، والصواب "له" لأنه يعود على لفظ التحريك.
- (٩) عب: ما بين هالين عبارة على الطرة. وكلماتها الأخيرة غير واضحة.
- (١٠) غا-حب-عا: مساوات. وهو خطأ.
- (١١) حب: سقطت كلمة "ونحوه".
- (١٢) حا: وقاعدة. وهو خطأ.
- (١٣) عا: عام، وهو تصحيف.
- (١٤) في سائر النسخ: سادج بالبدال المهملة وهو خطأ.
- (١٥) عا-حب: سقطت عبارة "في التقطيع".
- (١٦) حب: سقطت كلمة "ونحوها".
- (١٧) عا-حب: سقطت عبارة "لا يخلو".
- (١٨) عا-حا-حب: جعلها. وهو تصحيف.
- (١٩) عا-تلقها. حب: تعلقها. وكلاهما خطأ.
- (٢٠) غا-عب: بل.
- (٢١) غا-عب-حا-حب: عن.
- (٢٢) في سائر النسخ. ويبدو أنها مجرد حشو.
- (٢٣) عا: سقطت العبارة التي بين هالين في النسخة.

- (٢٤) حب: حذف. وهو تصحيف.
- (٢٥) حا: على. والصواب "عن".
- (٢٦) حا: ما يتولى نقرتين. وهو تحريف.
- (٢٧) حب: لما. وهو تصحيف.
- (٢٨) عا-حب: تنوص، وهو تصحيف.
- (٢٩) غا-عا-حا-حب: خرق، ولعل الأصوب: حزق.
- (٣٠) عا-حا-حب: بان وهو تصحيف. والصواب: فإن سَاوَى زمنُه زمنَ النقرة.
- (٣١) حاز: زلماتها.
- (٣٢) حب: متعاوتر. وهذا خطأ.
- (٣٣) عا: متفاوتة. والصواب متفاوتة.
- (٣٤) الصواب: اثنتين أو ثنتين كما في عا.
- (٣٥) حا: الدها بالدال المهملة وهو تصحيف.
- (٣٦) عا-حا-حب: والواحه. وهو تصحيف. والفقرة الواقعة بين هلالين غير موجودة في غا.
- (٣٧) عا-حب: سقطت كلمة "المثلث".
- (٣٨) عا: سقطت كلمة "في".
- (٣٩) في عب-حا-حب: يقسم.
- (٤٠) عا-حا-حب: تسعة وهو تصحيف.
- (٤١) عا-حا-حب: سقطت كلمة "أيضا".
- (٤٢) عا-حب: الزيد. وهو تصحيف.
- (٤٣) عا: جعلوه. وهو خطأ.
- (٤٤) عا: الأرفاق. وهو تصحيف. غا: الوفاق.
- (٤٥) عب: زيادة كلمة "أهل".
- (٤٦) الأصوب: الفلكيون.
- (٤٧) عا-حا-حب: ثلاثة والصواب ما أثبتناه.
- (٤٨) عب- للقوت. وهو تصحيحه.
- (٤٩) حا: كماله. وهو خطأ.

- ٥٠) حا: لتدييره بالذال المعجمة. وهو حشو.
- ٥١) عا-عب-حب: "فإنها".
- ٥٢) في سائر النسخ: فساج بالذال المهملة وهو خطأ.
- ٥٣) عا-حا-حب: منتور بالتاء المثناة وهو تصحيف.
- ٥٤) حا: الفلكية. وهو خطأ.
- ٥٥) عا: ما وهو خطأ.
- ٥٦) حب: إذا. وهو خطأ.
- ٥٧) عب-حا-حب: المضاد بالذال، وهو تصحيف.
- ٥٨) في سائر النسخ: والساج بالذال المهملة. وهو خطأ.
- ٥٩) عا: نفجة: خطأ.
- ٦٠) حب: تسمع. خطأ.
- ٦١) عا: نوسب. خطأ.
- ٦٢) عا: آلة. خطأ.
- ٦٣) حا: الفقرة التي بين هالين سقطت في النسخة.
- ٦٤) عا-حدّ.
- ٦٥) عا: واضرب خطأ.
- ٦٦) في سائر النسخ: الجملي والمعروف الجمل.
- ٦٧) عا: سقطت كلمة "المذكور".
- ٦٨) عب: احلا، والصواب ما أثبتناه.
- ٦٩) غا-حا: الكامانجة.
- ٧٠) غا-عا-حا-عب: الدر بالذال المهملة. خطأ.
- ٧١) عا: سقطت كلمة "إليه".
- ٧٢) حا: الد بالذال المهملة. تصحيف.
- ٧٣) عب: كما. خطأ.
- ٧٤) عا-حب: سقطت كلمة "تُحَيَّرُونَ".
- ٧٥) عا-حب: سقطت كلمة "وتسبيحهم".

- (٧٦) عا: سقطت كلمة "به".
- (٧٧) عا-حب: ابن. وهو خطأ.
- (٧٨) عا-حا-حب: أتقنت بالتاء المثلثة، والصواب ما أثبتناه.
- (٧٩) حا: أتعاصى بحرف الصاد. وهو تصحيف.
- (٨٠) عب: هو. في النسخ الأخرى هي.
- (٨١) حا: تحفف. وفيه غموض.
- (٨٢) حا: دوري بالبدال المهملة، وهو تصحيف.
- (٨٣) غا-عا: الكرام. في النسخ الأخرى: الكرم.
- (٨٤) عا-حب: واشدوا. وهو خطأ، حا: وانشد.
- (٨٥) عا-حب: الحسناء، وإثبات الهمزة يخل بالوزن. حا: الحسن. وهو خطأ.
- (٨٦) حا: للغرام.
- (٨٧) حا: علني. وهو خطأ.
- (٨٨) حب: جورك.
- (٨٩) عا: حرارتهما. خطأ.
- (٩٠) عب-حا-حب: معاد بالبدال المهملة. خطأ.
- (٩١) حا: بالزابر. خطأ.
- (٩٢) حب: شُبر.
- (٩٣) حا: قَدْ وهو تصحيف.
- (٩٤) حب: كلمتان زائدتان لا معنى لهما.
- (٩٥) حا: ايا منشد.
- (٩٦) حب: يعمها. خطأ.
- (٩٧) عا: الغرابية، وهو خطأ.
- (٩٨) في سائر النسخ: تؤثر. والصواب "تثير".
- (٩٩) غا-حا: يا غريز، وهو مخل بالوزن.
- (١٠٠) غا-عا-حا-حب: الغرار بمد الراء الأولى.

- (١٠١) غا-عا-حا-حب: ونفور، وهو خطأ لأنه معطوف على الخطأ.
- (١٠٢) عب: النفر.
- (١٠٣) عا-عب-حب: في قلبه. والأنسب ما أثبتناه.
- (١٠٤) عا-حب: الحبيب خطأ.
- (١٠٥) عب: فنى.
- (١٠٦) عب: هي طبع.
- (١٠٧) حب: الحكاز.
- (١٠٨) حا-حب: لحكز / عب: لحكزى.
- (١٠٩) عا-حا-حب: هديل بالبدال المهملة. خطأ.
- (١١٠) عا: سقطت كلمة "الذيل".
- (١١١) حا: سقطت كلمة "لنا" / عا: "لي".
- (١١٢) عب: وهي.
- (١١٣) حا-حب: الحكاز.
- (١١٤) عا: الكلمة بين معقوفين حشو.
- (١١٥) عب: بالطف. وهو الأصوب.
- (١١٦) عب: وهي طبع.
- (١١٧) حب: وتسمية تصحيف.
- (١١٨) حا: وتصدير.
- (١١٩) حا-حب: ورعا.
- (١٢٠) عا-حب: النول تصحيف.
- (١٢١) حب: بمقصده. خطأ.

الباب الرابع عشر في النوبة الحادية عشرة

(¹) طبع العشاق وطبع الذيل، وطبع رمل الذيل.

العشاق فرع الزيدان. استنبطه رجل من الإفرنج يقال له قد جر بن دبحير (²). وأهل المشرق يسمونه الخرق، وقيل كان اسمه شاق فكانوا يسمونه طبع شاق **85 فتداولته** (³) الألسنة حتى سمي بالعشاق. وهو طبع حاد رقيق النغمات، وكثيرا ما يستعمل فيه أهل الأندلس الأرجال.

وأما الذيل فهو من الأصول الأربعة، (⁴) وينسب إلى وتر البم (¹) المسمى بالذيل. استنبطه رجل من اليمن يسمى زيدا (⁵) المنتقد. وأهل صناعة الوتر يسمونه بالزير، يقوي خلط السوداء ويضاد خلط الدم، ويسكن هيجانه، ولذا قيل (كامل)

أُنْظِرْ إِلَى الْأَوْتَارِ كَيْفَ تَرَكَّبْتُ	بِالطَّبْعِ مِثْلَ طَبَائِعِ الْإِنْسَانِ
فَالزَّرِيرُ أَوْلَاهَا لِأَنَّ حَيْنَهُ	شَكْوَى (⁶) الْمُحِبِّ وَنَشْوَةَ السَّكْرَانِ
وَالْمَنْنِيَانِ (⁷) فَضَاحِكٌ (⁸) مُتَلَاعِبٌ	بِمَلَامَةٍ عَتَبْتُ (⁹) بِهِ الْكَمَّانِ
وَالْمَمْلُتُ الْمَحْزُونُ قَدْ أَلْفَ الْبُكَاءِ	مُتَذَابِلًا (¹⁰) كَتَذَابِلِ (¹¹) الْحَيْرَانِ
وَالْبِمُّ (¹²) (¹) يَخْفِضُ صَوْتَهُ فَكَانَهُ	نِضُو تَأَوَّهُ مِنْ أَدَى الْهَجْرَانِ (²)

وله من الأوقات جوف الليل.

وأما رمل الذيل فاستنبطه عبد الرزاق الفيلسوفي بقرطبة بالأندلس. ونغمته شائعة في المغرب خاصة به دون المشرق. وهو فرع الذيل هـ من كتاب الفقيه الحايك باختصار (³).

1) البم بحرف الباء: أحد أوتار العود. وهو أغلظها، ويقابل نغمة الذيل (دو).

2) من بحر الكامل.

3) كناش الحايك، ص 30.

واستعمال العشاق في الصباح قبل الشروق وبعده كما تفصح به أشعار
أهل الأندلس. وإنشاده: (طويل)

أَلَا فَاثُودُ بِالْعُشَّاقِ فَالصُّبْحُ قَدْ بَدَا
وَرَجَعُ بِذَيْلٍ^(١٣) فَالظَّلَامُ قَدْ ارْتَفَعُ
أَمَّا تَنْظُرُ الْوُوقَ الْحِسَانَ غَدَّتْ عَلَى
[أورجع]^(١٤) مَنَابِرَهَا صَاحِ تَنْبَهُ مَنْ هَجَعُ

وفيه أيضا: (كامل)

86 غَنَّتْ عَلَى قُضْبِ^(١٥) الرِّيَاضِ حَمَامَةٌ
وَتَرَنَّمَتْ بِنَغَائِمِ الْعُشَّاقِ^(١٦)
رَقَصَتْ لَهَا أَرْوَاحُ ذِي نُسْكَ وَوَقَدْ
أَفَنْتُ لِحَيْسَمِ الْعَاشِقِ الْمُشْتَاقِ

وإنشاد الذيل: (طويل)

أَيَا مُنْشِدًا^(١٧) يَشْدُو^(١٨) بِذَيْلٍ مَرْجَعٍ
لَقَدْ هَجَّتْ^(١٩) شَوْقِي وَوَجْدِي وَلَوْعَتِي
أَمَّا تَنْظُرَنَّ الْفَجْرَ قَدْ لَاحَ ضَوْؤُهُ
وَرَبَّتْ عَلَى الْقُضْبِ الْحَمَامُ وَعَنْتِ

وإنشاد رمل الذيل: (طويل)

بِنَغْمَةٍ^(٢٠) رَمَلِ الذَّيْلِ فَاشْدُمُؤْنِسِي
وَشَمِّ مِنَ الْبُسْتَانِ رَائِحَةَ الزَّهْرِ^(١)
فَقْمُ وَدَاوِ^(٢١) بِالشَّرَابِ^(٢٢) مَنْ كَانَ نَائِمًا

ومن توشيح أهل الأندلس المستعمل في العشاق: (منهوك الخفيف)

اسْقِيَانِي لَقَدْ بَدَا الْفَجْرُ
وَأَضَّا الْكَوْكَبُ^(٢٣)
قَهْوَةٌ لِي فِي شَرْبِهَا وَزُرُّ
وَهَيَّ لِي مَذْهَبُ
يَا نَدِيمِي اسْقِنِي^(٢٤) لَقَدْ حَلَا
شُرْبُ رَاحٍ بِرَاحٍ^(٢٥)

1) في صدر البيت الثاني خلل، لعله يزول بأن نقول: فقم داو بالشراب من كان نائما.

أَرْفَعِ السَّجْفَ وَأَنْظِرِ الطَّلَاً
وَعُرَابُ الظَّلَامِ قَدْ وَلَّى
وَأَنْشَنَتْ^(٢٨) قُضْبُ رَوْضِهَا الْخُضْرُ
عَجَبًا كَيْفَ نَالَهَا السُّكْرُ
كَيْفَ رَشَّ^(٢٦) الْبِطَاحُ
عَنْ حُسَامِ^(٢٧) الصَّبَاحُ
طَرِبَاتٍ لَعَبُ
وَهِيَ لَا تَشْرَبُ^(١)

غيره شغل: (بسيط)

قُمْ يَا خَلِيلِي إِلَى اللَّذَاتِ^(٢٩) وَالطَّرِبِ
أَمَا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ
لَا صَبْرَ لِي عَنْ بَنَاتِ الْكَرَمِ وَالْعِنَبِ
مَهْزُومَةً وَجُيُوشُ الصُّبْحِ فِي الطَّلَبِ^(٢)

غيره زجل ملحون:

أَصْبَحْنَا^(٣٠) فِي رَوْضِ بَهِيحٍ
وَالْيَاسَمِينَ تَنْسُجُ نَسِيحٍ
بُسْتَانُ فَرِيحٍ حَفَّتْ بِهِ الْأَشْجَارُ
وَالْمَا^(٣١) مَزِيحٍ فَالْجَلَنَارُ^(٣٢) أَحْمَرُ
إِذَا نَهِيحٍ عَسَاكِرُ الْأَطْيَارِ^(٣)
فَوْقَ الْغُصُونِ تَسْمَعُ ضَجِيحٍ

87

غيره شغل:

وَلَى ظَلَامِ الدُّجَا لِلْغَرْبِ مُنْهَزِمًا^(٣٣)
وَالشَّمْعُ فِي حُرْقٍ بَبْكَي لِفُرْقَتِنَا
وَالضَّوُّ فِي إِثْرِهِ يَبْدُو وَيَنْعَلِمُ
وَالطَّيْرُ يُنْشِدُ^(٣٤) وَالْأَزْهَارُ^(٣٥) تَبْتَسِمُ^(٤)

(1) توشيح منهوك الخفيف.

(2) صنعة من بحر البسيط. وهي تصديرة ميزان البسيط في المتداول اليوم.

(3) صنعة خماسية هي مزيج من الهزج والتوشيح، وكلمة "ملحون" بمعنى الزجل عند التادلي، وهي من بسيط العشاق.

(4) تحليل من بحر البسيط في انصراف ميزان بسيط العشاق.

غيره توشيح:

شُدُّ جَيْبِ اللَّيْلِ عَنْ نَحْرِ الصَّبَاحِ أَيُّهَا السَّاقُونَ
وَبَدَا لِلظَّلِّ^(٣٦) فِي جِيدِ اللَّقَاحِ لُوْلُوًّا^(٣٧) مَكْنُونُونَ
وَدَعَانَا لِلذِّيدِ الإِصْطِبَاحِ طَائِرٌ مَيْمُونٌ^(١)

غيره توشيح:

فِي دَوْحَةِ الأَزْهَارِ قَدَ لَدِّي^(٣٨) سُكْرِي
وَنَعْمَةُ الأَوْتَارِ مَعَ ضِيَا الفَجْرِ
وَسُلْطَانُ الأَقْمَارِ كَالْكُوكَبِ الدُّرِّي^(٢)

غيره زجل:

الصُّبْحُ قَدْ بَانَ وَصَافِحَ البَّانِ
الصُّبْحُ بَادِي بِأَيْمَنِ بَادِي وَالأَلْيَلُ رَاحِ
وَالنَّجْمُ غَارِبٌ مِنْهُ المَغَارِبُ حُلَّةٌ وَشَاحِ
وَالزَّهْرُ حَادٍ فِي كُلِّ نَادٍ بِالمِسْكِ فَاحِ
وَالنُّورُ كَاتِبٌ تِلْكَ المَكَاتِبُ مِنَ البِطَاحِ
وَالطَّيْرُ شَادٍ^(٣٩) لِلإِرْتِشَادِ^(٤٠) بِأَيْمَنِ صَاحِ
وَالدَّوْحُ فَيَّانٌ وَالأَزْهَرُ أَلْوَانُ

1) صنعة خماسية، وهي توشيح مشطور الرمل، تستعمل في قنطرة بسيط العشاق.

2) توشيح مضارع، وهو صنعة خماسية في بسيط العشاق.

وَالظَّلُّ هَيَّا دُرًّا بِهِيَا عَلَى الْأَفَاحِ^(٤١)
جَلِيًّا وَرِيًّا وَضَاعَ رِيًّا نَشَرَ الْأَفَاحِ^(١)

ولله در الولي الصالح سيدي قدور العلمي دفين مكناسة الزيتون رضي الله تعالى^(٤٢) عنه من جملة أزجاله الملحونة، وما أحلاها. ويشير بها للحقيقة ككلام ابن الفارض رضي الله تعالى عنه قوله، ويسمى بالساقبي:

شَفُّ أَهْمَامٍ^(٤٣) الضَّوْبَانَتْ^(٤٤) اَعْلَمُ فَالْأَفَاقِي يَا سَاقِي^(٢)

وَأَنْظُرُ لَشُمُوسِ الْبَهِيَا عَلَى الْأَجْدَارِ شَرِيْقًا

هَزَمْتُ سُلْطَانَ الْغَسِيْقِ^(٤٥) صَبَحْتُ أُمَّ لِحَسَنُ شَكِيَا^(٤٦) لِلْحَيِّ الْخَلَّاقِ^(٤٧) يَا سَاقِي

بَغْرَامُ هَوَاهَا لِأَنَّهَا مُوْلِعًا وَعَشِيْقًا^(٤٨) (تَسْبِي الْوَالِعِ وَوَلَعِشِيْقُ)^(٤٩)

88

إلى قوله:

تَزِيَانُ^(٥٠) الْمَوْسِقَا وَأَزْرَعُ لِلْسَّاهِي يَفِيْقُ

ولمؤلفه غفر الله له:

الصُّبْحُ لَاحٌ وَالزَّهْرُ فَاحٌ وَالطَّيْرُ صَاحٌ قَدْ لَدَّ لِي ذِكْرِي
وَالشُّرْبُ رَاحٌ وَالْعُودُ نَاحٌ وَاللَّيْلُ رَاحٌ قَدْ حَلَّ^(٥١) لِي شُكْرِي^(٥٢)

1) لا وجود لهذا الزجل في نسخ الحايك، ويوجد في كل من نسخة ورثة الرقيواق الطنجي، وإيقاد الشموع للبو عصامي زجل آخر في وزنه وارد في بطايعي العشاق مطلعته:

الليل غاد والصبح باد والفرج لاح

ولعل الزجلين من منظومة واحدة لما بينهما من تشابه.

2) عب: أسقط الناسخ كلمة "يا ساقبي" في البيتين. ولعل ذلك لأنها ليست من صلب القصيدة، وإنما هي من ترجيع الردادا أثناء الإنشاد.

وَالْفَرْحُ جَا جُنَحَ الدُّجَا وَلَّى الدُّجَا غَمْرُنِي سَكْرِي
سِرٌّ فَجَا بِهِ نَجَا^(٥٣) وَقَدْ حَجَا جَاءَ بِهِ فِكْرِي

وله أيضا شغل: (بسيط)

بَنَفْسَ سَجِّ الصُّبْحِ قَدْ فَاحَ بِعِطْرَتِهِ وَالطَّيْرُ بِالذِّكْرِ لِلْعُشَّاقِ قَدْ بَاخَا
وَوَتَرَ الْعُودِ قَدْ أَجَابَ دَعْوَتَهُ بِالمَوْسِقَايْفَرْحِ الْمُشْتَقُّ إِذْنَا^(٥٤)(1)

ثم إذا علمت أن الموسقا من علوم الحكماء الفلاسفة فلا بد أن نشير^(٥٥) إلى أنموذج^(٥٦) من علومهم القديمة قبل الإسلام لتمتاز عنها علوم الإسلام فنقول: قال الإمام اليوسي رضي الله عنه أول "القانون" ما حاصله: العلوم إما قديمة أو إسلامية. فالإسلامية كالعلوم الشرعية من تفسير وحديث وغيرهما كعربية، والقديمة منها (علوم العرب)^(٥٧) كالقيافة والعيافة والكهانة. ومنها فلسفية إما مجردة عن المادة مطلقا، وهو العلم الإلهي المعروف بعلم التوحيد، أو عن المادة بالذهن فقط، وهو العلم الرياضي أو مقيد بالمادة مطلقا، وهو العلم الطبيعي⁽²⁾. ثم أطل في بيان ذلك فيه وفي أول فهرسة شيوخه⁽³⁾ ^(٥٨) فانظرهما.

والفلاسفة منهم مسلمون كارسططاليس، ومنهم كفار.

89 وعلوم الفلاسفة، وإن أخذت^(٥٩) من الكفار فاجن الثمار ودع الحطب للنار، لأن المدار على الحكمة، وهي العلم، لا على العالم بها لما ورد أن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ولو عند كافر، كما يشير له ما ورد «اطلُّبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ». قالوا: وكان الصين في ذلك الوقت^(٦٠) للكفار قبل أن يفتحه المسلمون.

(1) من بحر البسيط.

(2) اليوسي: القانون. ص 146.

(3) اليوسي: الفهرست. ص 58-60.

كما أخذ الحساب وغيره كالمنطق من الفلاسفة، ومنهم نصارى ويهود ومجوس ومسلمون.

وقد قال ابن الصباغ المكناسي⁽¹⁾ رحمه الله في شرحه لمُنِيَّةِ ابن غازي رحمه الله في الحساب عند قولها في أواخرها: ^(٦١) (رجز مقطوع)

وَأَنْشَأَ^(٦٢) الْكَفَّاتِ بِالْبُرْهَانِ قُسْطًا بِنُ لَوْقَا شَكَلَ ذِي الْمِيزَانِ

يعني أن عمل الكفات اخترعه^(٦٣) قُسْطًا⁽²⁾ ^(٦٤) بضم القاف وسكون السين وبعد الطاء ألف، ابن لقا^(٦٥) بضم اللام وفتح القاف. قال بعضهم هو قسط بلا مد، وهو نصراني وله معرفة بعلم القدماء، سكن،^(٦٦) بغداد، وكان في دولة المكنفي بالله العباسي^(٦٧) سنة خمس وتسعين ومائتين هـ باختصار⁽³⁾. وقال العلامة ابن هيدور في شرحه لتلخيص ابن البناء المراكشي في الحساب ما حاصله: العلوم على كثرتها ثلاثة أقسام إلهي، وطبيعي ورياضي، لأن الموجود:

- إمّا أن يدرك وجوده بالحواس^(٦٨) الجسمانية، وهي الخمس الظاهرة كالبصر.^(٦٩) فالطبيعي كالتب، وتفتقر معلوماته إلى مادة ولا توجد إلا بها.

1) ابن الصباغ: محمد بن أحمد المكناسي البعقلي، ثم الفاسي، ولد عام 990هـ/1582م، رحل إلى فاس، ودرس فيها على أحمد بن القاضي وغيره من العلماء، ثم تصدر للتدريس، فأخذ عنه كثير من العلماء من بينهم عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي صاحب "الأقنوم". كان ابن الصباغ مشاركا في علوم الحديث والفقه والفرائض، اشتهر ببراعته في الحساب والتوقيت والأسطرلاب والأوقاف، ومن مؤلفاته: سلك فرائد اليواقيت في الحساب والفرائض واليواقيت، وإدراك البغية في شرح المنية في الحساب لابن غازي المكناسي، توفي بفاس عام 1076. ترجمه الإتحاف/41، الصفوة ص 145، السلوة 239/1.

2) قسطا بن لوقا. يوناني الأصل، ولد في بعلبك عام 205هـ/820م، رحل إلى آسيا الصغرى للدراسة، ثم عاد إلى العراق، وجلب معه تصانيف يونانية كثيرة لينقلها إلى العربية، أتقن اللغات العربية واليونانية والسريانية وقد كان مقتدرا في الرياضيات والفلك والمنطق والطب والموسيقى، وله مؤلفات متعددة في هذه العلوم، توفي قسطا في أرمينية عام 912/300.

3) ابن الصباغ: شرح إدراك البغية لحل ألفاظ المنية، مخ. مؤسسة علال الفاسي رقم 2 ضمن مجموع رقم 706. دون رقم الصفحة.

90 ومادته هي موضوعه. وهي^(٧٠) أجسام العالم من حيث وقوعها في حركة وسكون وزمان ومكان وتغير في طبيعة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وسائر الكيفيات لا من حيث احتياجها للصانع وكونها فعلا لله تعالى، وإلا كانت من الإلهي. ويسمى الطبيعي بالعلم الأسفل.

- أو يدرك بالعقل فقط في مادة. فالإلهي كالتوحيد إذ لا تدركه تعالى^(٧١) الحواس كالأبصار، ولا يتصور بشكل ولا عدد ولا غيرهما، ولا يعقل منه تعالى إلا وجوده بصفاته لا في مادة^(٧٢) البتة^(٧٣) بوجه من الوجوه الوجودية والذهنية، وينقسم خمسة أقسام.

- أو يدرك بالحواس والعقل غير مفتقر في وجوده لمادة، فالرياضي، ويسمى العلم الأوسط، والتعليمي^(١). ونظم مؤلفه عفا الله عنه هذه العلوم الثلاثة في بيتين وهما^(٧٤) (رجز)

وَعَلَّمَنَا الْإِلَهِي كَالتَّوْحِيدِ ثُمَّ طَبِيعِي مِثْلُ طَبِّ يَهْدِي
ثُمَّ رِيَّاضِي. هَذِهِ ثَلَاثُهُ قَدِيمَةٌ لِلْفَلْسَفِي وَرَأْتُهُ^(٧٥)

والرياضي ينقسم أولاً أربعة أقسام هي الأصول، أقدمها وأولها في الطبع^(٧٦) علم الحساب، ثم الهندسة، ثم الهيئة، ثم الموسيقى. ونظمها مؤلفه أيضاً في بيت وهو: (رجز)

هَنْدَسَةٌ وَهَيْئَةٌ حِسَابُ مَوْسِقًا فَالرِّيَّاضِي لَا عِتَابُ

يعني لا عتاب في تعلمه إذا نوى به^(٧٧) إدراك الحقائق. ولذا كانت الفلاسفة تبدأ لصبيانهم بتعلم الرياضي كاتِّرَاضِ الدابة الصغيرة على المسير. قال ابن

(1) ابن هيدور: شرح تلخيص ابن البناء، الورقة 6.

91 هيدور: الرياضي غير مفتقر في وجوده إلى مادة يوجد فيها كالأشكال الهندسية والأعداد، ويسمى العلم الأوسط لتوسطه بين الأعلى، وهو الإلهي، والأدنى، وهو الطبيعي. ويسمى الرياضي لرياضته النفس إذا وقفت عليها واستعدادها لإدراك الحقائق بطريق البرهان فيقف عند ذلك على فهم الإلهي^(٧٨) والطبيعي⁽¹⁾.

وذكر الغزالي رحمه الله أن العلم الذي يتولى^(٧٩) النظر في المعلومات -وهو بريء عن المادة بالكلية- هو الإلهي، أو بريء عن المادة في الذهن⁽²⁾ دون الوجود هو الرياضي، والذي يتولى^(٨٠) النظر في المواد المعينة هو الطبيعي⁽³⁾ هـ. وقال اليوسي في "القانون": الرياضي علم يُبحث فيه^(٨١) عن أمور مادية يمكن تجريدها عن المادة في البحث⁽⁴⁾. سمي بالرياضي لأنها تروض قوة العقل رياضة يعتاد بها اليقينيّات^(٨٢) ولا يقنع^(٨٣) بالظن في البرهانيّات^(٨٤) ولذا تسمى بالتعليمي لأنهم كانوا يقدمون في تعاليمهم على سائر العلوم حتى المنطق شيئاً من الهندسة والحساب تقويماً لأفكار المتعلمين وتأنيساً لطبائعهم بالبراهين هـ.

(1) ابن هيدور: شرح تلخيص ابن البناء، المصدر نفسه.

(2) في سائر النسخ: في الوهم، والصواب: في الذهن.

(3) الغزالي: لم أعتز على المصدر الذي نقل عنه التادلي هذه العبارة. على أن الإمام الغزالي أفاض القول في العلوم وتصنيفها في الجزء الثاني من كتابه "إحياء علوم الدين". وقد سبق التنويه بذلك.

(4) اليوسي: كتاب القانون، ص 151.

الهوامش والتصويبات

- ١) عب: وهي طبع.
- ٢) حا: فَرَج بن دَيْحَر. عا: بن دبجير. غا: بن دبجر.
- ٣) غا-عا-حا-حب: فتدولته. خطأ.
- ٤) عا-حا: الأربع. خطأ.
- ٥) حا-عب-حب: زيد. خطأ.
- ٦) حا: سكوى بالسین المهملة. خطأ.
- ٧) غا-حا: ومُثْنِيَان. خطأ.
- ٨) حا: فصاحك. وهو تصحيف.
- ٩) في سائر النسخ: عَتَبْت. ولعل الأنسب "عبثت".
- ١٠) غا-عا-حا-حب: متدابلا بالبدال المهملة. خطأ.
- ١١) عا-حا-حب: كتدابل بالبدال المهملة. خطأ. وفي غا: كتدبل. وهو خطأ أيضا.
- ١٢) حا: الميم. خطأ. وفي غا: واليم بصوت نفقة. وهو خطأ أيضا.
- ١٣) حا: بديل بالبدال المهملة. خطأ.
- ١٤) عا: الكلمة التي بين معقوفين حشو.
- ١٥) حا: قصب بالصاد المهملة. وهو تصحيف.
- ١٦) حا: العساق. خطأ.
- ١٧) عا: يا منشدا. خطأ يخل بالوزن.
- ١٨) حا: يشد. خطأ.
- ١٩) غا-عا-حا-حب: هيَّجْت. خطأ مخل بالوزن.
- ٢٠) عا: فنغمة. والصواب ما أثبتناه.
- ٢١) عا: وداوني/حا: وذاو/حب: وداوى والصواب ما أثبتناه.
- ٢٢) غا-عا-حا-حب: بالشرب.

- (٢٣) حا: كوكب. خطأ يخل بالميزان.
- (٢٤) البيت بين هالين من زيادة بعض النسخ.
- (٢٥) عا: اسقيني. خطأ.
- (٢٦) عا: وش. خطأ.
- (٢٧) عب: حمام. خطأ.
- (٢٨) عا: وافتمت. وهو خطأ.
- (٢٩) حا: الذات بلام مفردة.
- (٣٠) عا-حا-حب: صبحنا.
- (٣١) حا: لما دون حرف الواو.
- (٣٢) عا: فالجنار. خطأ.
- (٣٣) غا-عا-حب: منهزم- خطأ.
- (٣٤) حب- حا: يشدو.
- (٣٥) عا: والاشجار.
- (٣٦) عب: وبدًا لي الطلُّ.
- (٣٧) عا-حا-حب: لؤلؤ.
- (٣٨) حا: لد بالبدال المهملة. خطأ.
- (٣٩) حا: شاد.
- (٤٠) حا: للإرشاد. خطأ.
- (٤١) عب: على اللقاح.
- (٤٢) عا: سقطت كلمة "تعالى".
- (٤٣) عا: اعلام . خطأ.
- (٤٤) عا: بنات- تصحيف وفي الديوان تاكَّتْ اَعْلَامُهُ.
- (٤٥) عا: العشاق. خطأ.
- (٤٦) حا: سكياء. بالسين المهملة.

- (٤٧) حا-عا-حب: الخلاق.
- (٤٨) حا-حب: وعشيق.
- (٤٩) عب: كتب الناسخ بدلا عن الشطر الذي بين هلالين: بالحب جسمها رفيق. وهو الصواب.
- (٥٠) عا-حا-حب: تزين.
- (٥١) عب: حلا.
- (٥٢) حا: سُكري بالسین المهملة.
- (٥٣) عا: سقط الشطر: "به نجا".
- (٥٤) في وزن البيت خلل.
- (٥٥) حا: نوشر. خطأ.
- (٥٦) عا-حا-حب: انمودج بالبدال المهملة. خطأ.
- (٥٧) حا. خط الناسخ كلمة "عروبة" بدل ما بين الهلالين. وهو خطأ.
- (٥٨) حب: شيوخنا.
- (٥٩) حا: أحدث. وهو تصحيف.
- (٦٠) عا: القوت. خطأ.
- (٦١) حب: سقطت كلمتا "في أواخرها".
- (٦٢) عا: وأنشأت. خطأ.
- (٦٣) عا: اخترعته. خطأ.
- (٦٤) غا: قسطا.
- (٦٥) عأ-حا-حب: لُقا.
- (٦٦) عا: فسكن بزيادة حرف الفاء.
- (٦٧) عا-حب-عب: العباس. وتنقص الكلمة ياء النَّسَبِ.
- (٦٨) حا: بالحساب. وهو خطأ.
- (٦٩) عا: كبالبصر. وهو تحريف.

- (٧٠) حب: وهو.
- (٧١) عا-حا-حب: تعلق. خطأ.
- (٧٢) حب: مادته. خطأ.
- (٧٣) عا: البته. خطأ.
- (٧٤) حا: سقطت العبارة التي بين هلالين.
- (٧٥) عا-حا-حب: وراثه. غا: وارثه.
- (٧٦) عب-حب: في الطبع.
- (٧٧) حب-عب: سقطت كلمة "به".
- (٧٨) عا: إلا هي. خطأ.
- (٧٩) عا: يتوالى. خطأ.
- (٨٠) حب: يتوالى. خطأ.
- (٨١) عا-حا-حب: سقطت كلمة "فيه".
- (٨٢) عا-اليقنيات- خطأ.
- (٨٣) عا-حا-حب: يقع. خطأ.
- (٨٤) عا: البرهينات. خطأ.

خاتمة

أحببت^(١) فيها نقلَ حاصل ما في كتاب الياقوتة^(٢) الثانية في الألحان من "العقد الفريد" لابن عبد ربه رحمه^(١) الله تعالى لمناسبته^(٣) لكتابتنا "الأغاني" هذا، فنقول: قال رحمه الله: قد مضى قولنا في أعاريض الشعر، ونحن قائلون بعون الله وإذنه في علم الألحان واختلاف الناس فيه ومن كرهه لماذا، ومن استحسنته لماذا، وكرهنا أن يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب^(٤) عطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال^(٥) الهوى ومسلاة^(٦) الكئيب وأنس الوحيد^(٧) وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس. قال أبو سعيد بن مسلم: قلت لابن دأب^(٨): قد أخذت^(٩) من كل شيء بطرف غير شيء واحد فلا أدري ما صنعت فيه. فقال: لعلك تريد الغناء؟ قلت أجل قال: أما أنك لو شهدتني وأنا أترنم بشعر كثير عزة (ت 105هـ) حيث يقول: (طويل)

وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا ^(١٠) وَإِنْ عَظُمَتْ ^(١١) أَيَّامٌ أُخْرَى وَجَلَّتْ

لَأَسْتَرَحْتَ تَكْتِكَ. قال: قلت أتقول لي هذا؟ قال: إي والله، وللهادي^(١٢) أمير المؤمنين كنت أقوله^(٣).

1) ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد. ولد في قرطبة سنة 246هـ - 860م. وشب على حب العلم والأدب، فنبغ في الفقه والتاريخ، ونال من الموسيقى والطب نصيبا. كان في أيام الصبا مولعا بالغناء، فنظم الشعر في الغزل، ولما تقدم به السن فزع إلى ربه، وتحول إلى نظم قصائد في الزهد، عرفت بالمحمصاة لأنه قصد بها أن يُحْمَصَ الله عنه ذنوب شبابه. له "العقد الفريد" وتوفي سنة 328هـ - 940م. ترجمه بغية الملتمس ص137، ابن خلكان 32/1، البداية والنهاية 193/11.

2) ابن دأب. عيسى. من أهل الحجاز، رحل إلى بغداد، واتصل بالخليفة الهادي، فأصبح من أخلص جلسائه، وعظمت مكانته عنده حتى بات لا يقدر على فراقه، كان أديبا عالما عارفا بأخبار الناس وأيامهم، توفي سنة 120هـ.

3) ابن عبد ربه. العقد الفريد. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، 1949/1368م. ج 6. ص 3-4.

فصل في مدح الصوت الحسن⁽¹⁾

وهو يضم صوت الآدمي وغيره كصوت العود الموسقي، وإن كان عُرفاً يخص الأول، قال بعض أهل التفسير^(١٣) في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِيهِ الْخَلْقَ مَا يَشَاءُ﴾⁽²⁾ هو الصوت الحسن. وقال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري لما أعجبه حسن صوته: لَقَدْ أُوتِيَتْ مِزْمَاراً مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ. وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يسري في الجسم ويجري في العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتنمو له النفس وتهتز له^(١٤) الجوارح وتخف الحركات. ومن ذلك^(١٥) كرهوا للطفل أن ينوم على أثر البكاء حتى يرقص ويضطرب^(١٦). وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقى من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجها، فاستخرجته الطبيعة^(١٧) بالألحان على الترجيع لا على التقطيع، فلما ظهر عشقته النفس وحن إليه الروح. ولذا قال أفلاطون⁽³⁾: لا ينبغي أن تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضاً، ألا ترى أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملاحة^(١٨) والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان فاستراحت لها أنفسهم؟ وليس من أحد كائنا من كان إلا وهو يضطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه. ولو لم يكن من فضل الصوت إلا أنه ليس في الأرض لذة تكتسب من مأكلا^(١٩) أو ملبس^(٢٠) أو مشرب أو نكاح أو صيد إلا وفيه معاناة على البدن وتعب على الجوارح^(٢١) غيره لكفى.

وقد يُتوصل بالألحان الحسان إلى خير الدنيا والآخرة، فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من صلة رحم وتجاوز عن ذنب واصطناع معروف. وقد

1) جاء في طرة ص 104 من "عب" عبارة ذيلها الناسخ بقوله: من حاشية بنيس على "منية الحساب"، ونصها: مَنْ لَمْ تَلْهَ الغواني ولم (كلمة غير واضحة) فكيف يدرك المعاني؟

2) سورة فاطر، الآية 1.

3) أفلاطون. ولد في أثينا عام 427 ق م. ارتبط بمعلمه سقراط وهو في العشرين من عمره إلى أن تم إعدامه، تحول إثر ذلك إلى جنوب إيطاليا، ثم إلى مصر، فصقلية، وما فتى أن عاد إلى أثينا، فأسس مدرسة أصبحت تعرف بأكاديمية أفلاطون، له إنتاج غزير أشهره "الجمهورية" وقد توفي عام 347 ق.م.

بيكي الرجل بها على خطيئته ويرقق^(٢٢) القلب من قسوته، ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره. وكان أبو يوسف القاضي،^(١) ربما حضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر به نعيم الآخرة^(٢).

فصل في أصل الغناء ومعدنه

قال ابن الكلبي (ت 204هـ)⁽³⁾: الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج. فأما النصب فغناء الركبان والقينات⁽⁴⁾^(٢٣)، وأما السناد فالثقل والترجيع الكثير النغمات، وأما الهزج فالخفيف كله، وهو الذي يثير القلوب ويهيج الحليم. وإنما كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات^(٢٤) القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً، وهي المدينة والطائف وخيبر ووادي^(٢٥) القرى ودومة الجندل واليمامة. وهذه القرى مجامع أسواق العرب⁽⁵⁾. وقيل إن أول من صنع العود

1) أبو يوسف القاضي، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب من أصحاب الإمام أبي حنيفة، تولى القضاء من عام 166هـ حتى وفاته عام 182، وكان مشهوراً بفضلته وعلمه. ترجمه مفتاح السعادة 100/2، ابن النديم ص 203، الزركلي 193/8.

2) عن كتاب العقد الفريد بتصرف ج 6 ص 4-5.

3) ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن أبي النصر بن السائب بن بشر الكلبي، مؤرخ وعارف بأخبار العرب وأيام الجاهلية، له تأليف عدة من بينها: كتاب "الأصنام" الذي أُلِّم فيه بذكر الغناء والمغنيين، وهو من المصادر التي اعتمدها أحمد بن فضل الله العمري في كتابه "مسالك الأبصار"، وابن عبد ربه في "العقد الفريد"، والأصبهاني في كتابه. توفي عام 819/204 ترجمه ابن النديم 95/1، ابن خلدون 262/2، وفيات الأعيان 195/2.

4) استوقفت كلمة "القينات" في هذه العبارة الدكتور ناصر الدين الأسد، فنبه إلى أن جميع من نقلوا رواية ابن الكلبي بعد ابن عبد ربه إنما وضعوا لفظ "الفتيان" بدلا من "القينات"، ومن هؤلاء ابن رشيق في "العمدة" والأبشيهي في "المستطرف". والكلمتان "الفتيان" و"القينات" متشابهتان في الشكل بحيث لا يستغرب من الناسخ أن يخلط بينهما فيصحف (انظر: القيان والغناء في العصر الجاهلي. ط 3. دار الجليل - بيروت، 1988 ص 101) وقد تسرب هذا التصحيف إلى كتاب التادلي، وذلك في سياق اقتباساته منه.

5) يرجع إلى: ابن الكلبي: الأصنام، تحقيق زكي باشا، ط. دار الكتب - مصر.

لامك بن قابل بن آدم وبكى به على ولده. ويقال إن صانعه بطليموس⁽¹⁾ صاحب كتاب الموسيقى، وهو واضع⁽²⁾، "كتاب اللحن الثمانية". وكان أول من غنى في العرب قَيْنَتَانِ يُقَالُ لهُمَا الْجَرَادَتَانِ. وكانت العرب^(٢٦) تسمى القَيْنَةَ⁽³⁾ (٢٧) الكرينة، والعود^(٢٨) الكران، والمزهر^(٢٩) أيضا هو العود، وهو البربط⁽⁴⁾. وكان أول من غنى في الإسلام الغناء الرقيق طويس، وهو عَلمَ ابن سريج.

فصل في أخبار المغنين

أولهم طويس، وكان في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان له دفٌّ يضرب به وكان مع طويس بالمدينة ابن^(٣٠) سُريج، والدِّلال، ومنه تعلمنا، ثم نَجَمَ بعد^(٣١) هؤلاء سلم الخاسر، وعنه أخذ مَعْبُدُ الغناء، ثم كان ابن أبي السَّمْح الطائي، أخذ الغناء عن مَعْبُد، وكان لا يضرب بعود وإنما يغني مُرْتَجِلًا⁽⁵⁾. وكان مَعْبُد والغريص، بمكة، ولمعبد أكثر الصناعة الثقيلة. ولما قدمت سُكِينَةُ ابنة الحسين رضي الله عنهما مكة أتاها الغريص^(٣٢) [القريص]^(٣٣) وَمَعْبُدُ فغنياها. ثم نجم ابن^(٣٤) طنبورة (ت)، وأصله من اليمن، وكان أزهج الناس وأخفهم غناء، ومنهم حَكَم الوادي، كان في صحبة الوليد بن يزيد بالشام. وكان في صحبته

95

1 بطليموس Ptolemy: فيلسوف يوناني ولد في صعيد مصر، وهو من علماء الهيئة والتاريخ والجغرافية، أشهر مؤلفاته "المجسطي" و"آثار البلدان"، وله كتاب "الموسيقى (اللحن الثمانية)"، ذكر فارمر أن مترجمه مجهول، ويقال إن زرياب هو الذي فكه. توفي قرب الأسكندرية عام 167م.

2 كلمة واضع زائدة.

3 جاء في طرة ص 106 من النسخة "عب" ما يلي: قال لبيد بن ربيعة العامري (كامل)

بَصْبُوحِ صَافِيَةٍ وَجَدَّبَ كَرِينَةَ
بِمُوتَرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامَهَا

والبيت استشهد به الناسخ على ما ذكره المؤلف من أن العرب كانت تسمى العود بالكرينة. وهو في وصف مجلس طرب تدار فيه كؤوس صافية من الشراب على وقع عود موتر تنقره كرينة بإبهامها.
4 جمع المؤلف في هذه العبارة أربعة أسماء من أسماء آلة العود، هي: العود والكران، والمزهر، والبربط.
5 المرتجل: مصطلح موسيقى قديم استعمل في الدلالة على العازف الذي اقتصر دوره على مصاحبة المغنين بعوده.

مغنٌ آخر يقال له العُزَيْل،^(٣٥) ويكنى أبا كامل^(٣٦)، وكان لهارون^(٣٧) الرشيد جماعة من المغنين منهم إبراهيم الموصلي، وابن جامع السهمي، ومُخَارِق، وطبقة أخرى دونهم منهم زَلْزُلُ وَعَمْرُو الغَزَال، وعلويّه^(٣٨)، وكان له زامر^(٣٩) يقال له برصوماً. وكان إبراهيم أشدهم تصرفاً في الغناء، وابن جامع أحلامهم نعمة. فقال الرشيد يوماً لبرصوما: ^(٤٠) ما تقول في ابن جامع؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وما أقول في العسل الذي من حيث ما ذقتّه فهو طيب؟ قال: فإبراهيم الموصلي؟ قال: هو بستان فيه جميع الثمار والرياحين. قال: فعمرو الغزال؟ قال: هو حسن الوجه يا أمير المؤمنين. وكان لإبراهيم الموصلي عبد أسود يقال له زَرِيَابُ، وكان مطبوعاً على الغناء. علمه إبراهيم، وكان ربما حضر به مجلس الرشيد يغني فيه، ثم انتقل زرياب إلى القيروان إلى بني الأغلب.. ثم طردوه، فجاز البحر إلى الأندلس، فكان عند الأمير عبد الرحمان بن الحكم^(١). وكان مخارق وعلويّه قد حَرَّفَا الغناء القديم كله^(٤١)، وصيرا فيه نغماً فارسية، فإذا أتاهما الحجازي بالغناء الأول الثقيل قالوا: يحتاج غناؤك إلى قصار^(٤٢). واسم علويّه يوسف مولى لبني أمية، وكان زلزل أضرب الناس للوتر، ولم يكن قبله ولا بعده مثله، ولم يكن يغني وإنما كان يضرب على إبراهيم وابن جامع وبرصوما^(٢)، هـ (وإسحاق بن إبراهيم الموصلي كان من المغنين للرشيد، وكان ذات ليلة مع الرشيد يغنيه حتى طرب لغنائه ونام، فدخل إبليس لعنه الله عليهما في صورة شاب وهيئة جميلة فأخذ العود من إسحاق وأصلحه فضرب به. قال^(٤٣) إسحاق: فما سمعت أذني صوتاً أجود منه. ثم اندفع يغني، وقال لإسحاق: إذا غنيت فغن^(٤٤) هكذا. ثم خرج إبليس، وقام إسحاق على إثره^(٤٥) فلم ير أحداً فتعجب

1) عن كتاب العقد الفريدة بتصرف 27/6. وهنا اختصر التادلي الخبر المنقول عن العقد الفريد.

2) كان زلزل ضارباً على العود، ولم يغن أبداً.

من دخوله والأبواب مغلقة⁽¹⁾. نقل هذه الحكاية في ترجمة ذكر خلافة هارون الرشيد من السفر الرابع من "مروج الذهب" للمسعودي رحمه الله. وقد سمعت بفاس أن عند الموسيقيين^(٤٦) بها صنعة عجبية يغنون بها تسمى صنعة إبليس "فما أدري أهي التي علمها لإسحاق أم غيرها⁽²⁾".

فصل فيما قيل في العود⁽³⁾

قال فيه عبید الله بن مسعود: محدّودب الظُّهر^(٤٧) أَرْسَحُ البَطْنِ⁽⁴⁾ له أَرْبَعَةُ أوتار إذا حُرِّكَتْ^(٤٨) لم يسمَعها أحدٌ إلاَّ حَرَّكَ عطفه وهزَّ رأسه. ومَرَّ إسحاق الموصلي برجل ينحت عوداً فقال لمن ترهفُ هذا^(٤٩) السيف⁽⁵⁾؟

وقيل فيه⁽⁶⁾: (بسيط)

وَالصُّبْحُ قَدْ غَرَّدَتْ فِيهِ عَصَافِرُهُ ⁽⁷⁾	فَالْعُودُ يَخْفِقُ مِثْلَهُ وَمِثْلُهُ
يَمَشِي الهُوَيْنَا وَتَلُوهُ عَسَاكِرُهُ	كَانَمَا الْعُودُ فِيمَا بَيْنَنَا ^(٥٠) مَلِكٌ ^(٥١)
كِسْرَى بِنُ هُرْمَزٍ تَقْفُوهُ أَسَاوِرُهُ	كَانَهُ إِذِ تَمَطَّى وَهِيَ تَتْبَعُهُ

1 نقل التادلي الفقرة التي بين هلالين عن كتاب "مروج الذهب" للمسعودي 359/3.

2 في طرة الصفحة 106 من نسخة (عب) إضافة للناسخ هي: ولعل الصنعة المسماة بصنعة إبليس هي في انصراف قدامى الغريبة، والحجازي الكبير، ونصها: "متى نستريح" في الأولى، "وتعشقت طنبيا" في الثانية. وقد عقب الناسخ على هذه الإضافة قائلا: ذكره مطربو الرباط.

3 من كتاب العقد الفريد بتصرف ص 73 - 76.

4 ارسح: قليل اللحم: والمراد مستوي الوجه.

5 السيف هنا كناية عن العود.

6 عب: في طرة الصفحة 106 من المجموع الأبيات الشعرية التالية:

وطنيُّورٌ بديع الشكلِ جلي	بنغمته البديعة عندليباً
روى لَمَّا دوى نغماً فصاحاً	حوهاً في قلبه قضيلاً
كذا من عاشر العلماء طفلاً	يكون إذا نشأ شخياً أديباً

7 الصواب: عصافيره، حذف ياء المد لضرورة الوزن. والبحر بسيط.

غيره: (بسيط)

وَنَاطِقٍ بِلِسَانٍ لَا ضَمِيرَ لَهُ
يُبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ فِي الْكَلَامِ كَمَا
كَانَّهُ فَخِذٌ نَيْطَتْ إِلَى قَدَمِ
يُبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ مَنْطِقُ الْكَلِمِ

97

غيره: (مخلع البسيط)

يَا رَبِّ صَوْتِ يَصُوغُهُ عَصَبٌ
جَوْفَاءُ مَضْمُومَةٌ أَصَابِعُهَا
أَرْبَعَةٌ جُرِّزَتْ لِأَرْبَعَةٍ
أَصْغَرَهَا فِي الْقُلُوبِ أَكْبَرَهَا
إِذَا أَرَنْتَ^(٥٥) (١) بَغْمَزٍ لَافِظَهَا^(٢)
لَهَا لِسَانَ بِكَفِّ ضَارِبِهَا
نَيْطَتْ بِسَاقٍ مِنْ فَوْقِهَا قَدَمٌ
فِي سَاكِنَاتِ تَحْرِيكِهَا نَغْمٌ^(٥٣)
أَجْزَاؤُهَا بِالنُّفُوسِ تَلْتَجِمُ
يُبْعَثُ مِنْهُ الشِّفَاءُ وَالسَّقَمُ^(٥٤)
قُلْتَ حَمَامٌ يُجِيبُهُنَّ حَمٌ^(٥٦)
يُعْرِبُ عَنْهَا وَمَا لَهِنَّ فَمٌ

فصل فيما قيل في البارد من الغناء^(٣)

قال أبو نواس:

قُلْ لِيْزْهِيْرٍ إِذَا شَدَا وَحَدَا^(٤)
سَخَنْتَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى
أَقْلِلُ أَوْ أَكْثِرُ فَأَنْتَ مِهْدَارٌ^(٥٧)
صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ

وقال أيضا:

لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي
كَذَلِكَ الثَّلْجُ بَارِدٌ حَارٌّ

(1) أرنت: رجعت صوتها بالبكاء، لغة في رن.

(2) بغمز: أي بحس، وبغمز لافظها كناية عن جس الوتر.

(3) من كتاب العقد الفريد بتصرف ج 6 ص 75 - 76.

(4) في ديوان أبي نواس، مطبعة مصر 1953. ص 545. قل لزهير إذا أتكا و شدا

وَقَالَ دَعْبِلِ الْخُرَاعِي^(٥٨) : (مجزو الرمل)

وَمَغْنٌ إِنْ تَغَنَّى
أَحْسَنُ الْأَقْوَامِ حَالًا
أُورَثَ النُّدْمَانَ هَمًّا
فِيهِ مَنْ كَانَ أَصَمًّا^(٥٩)

ولعباس الخياط (مجزو الخفيف)

رَأَيْتُ نَصْرًا شَادِيًا يَضْرِبُ⁽¹⁾
لِأَنَّهُ يَنْبَحُ مِنْ عُوْدِهِ
فَقُمْتُ مِنْ مَجْلِسِنَا أَهْرَبُ
كَأَنَّمَا تَسْمَعُ⁽³⁾ فِي حَلْقِهِ
عَلَيْكَ مِنْ أُوْتَارِهِ أَكَلْبُ⁽²⁾
مَا عَجَبِي مِنْهُ وَلَكِنِّي
دَجَاجَةٌ يَخْنُقُهَا نَعْلَبُ
مَنْ الَّذِي يَسْمَعُهُ أَعْجَبُ⁽⁴⁾

98 وفي النوع التاسع والأربعين من "المزهر" للسيوطي رحمه الله ما حاصله:
أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع،
أي ضرب آلات الأوتار ونحوها كالعود والرباب والطار، إلا أن صناعة الإيقاع
تقسم الزمان^(٦٠) بالنغم، وصناعة العروض تقسمه بالحروف المسموعة هـ⁽⁵⁾.

(1) في كتاب العقد الفريد - ص 76. رأيت يوماً سائياً يضربُ

وفي الأنيس المطرب لمحمد بن الطيب العلمي ص 183 ما يلي: رأيت زيدا قاعداً للغنا

(2) عب: تنفرد عن النسخ الثلاث الأخرى وعن كتاب العقد الفريد بالصيغة التالية: جرو ومن أوتارِهِ أَكَلْبُ

(3) عب: ويحسبُ النُدْمَانُ فِي حَلْقِهِ.

(4) إلى هنا تبلغ نقولات التادلي من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وهي عبارة عن نتف اقتبسها على التوالي من:

- ديباجة "كتاب الياقوتة الثانية في الغناء واختلاف الناس فيه" ص 3.

- فضل الصوت الحسن: ص 4 و 5.

- أصل الغناء ومعدنه: ص 27.

- أخبار المغنين: ص 27-29-30-31-34-37.

- فصل ما قيل في العود: ص 73-74-75.

- فصل في المبردين في الغناء. ص: 75-76.

(5) السيوطي: كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 2. ط 2 دار إحياء الكتب العربية ص 470.

وقال ابن خلدون في ترجمة علم الأدب من مقدمته: كان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن أي فنّ الأدب وهو حفظ الشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه⁽¹⁾، وألف فيه القاضي أبو الفرج الأصبهاني كتاب الأغاني.

فصل في حكم الغناء وسماعه

اعلم أن الناس فيه فرقتان: فرقة خففت فيه فأباحته، وفرقة شددت فيه فحرمته أو كرهته. واختلاف العلماء رضي الله عنهم^(٦١) رحمة^(٦٢) بالأمة: فممن خفف فيه بعض الصوفية، وممن^(٦٣) شدد فيه بعض الفقهاء. والظاهر التفصيل فيه بين أحوال الناس، فإنها فيه مختلفة. فقد يباح لمن يحسن سماعه وغناؤه كمن يعينه^(٦٤) على التفكير في مخلوقاته تعالى وعلى تذكر نعيم الآخرة كما مر عن أبي يوسف، وهو من عظماء الحنفية من تلامذة أبي حنيفة رضي الله عنهما، وقد ينهى عنه من لا يحسنه^(٦٥).

فصل في بيان^(٦٦) من خفف فيه

منهم شيخنا الولي الصالح الشريف آخر أهل المعقول بفاس سيدي عبد السلام بوغالب (ت 1290هـ)، فكان يبيت الليالي وأهل الموسيقى يضربون **99 بين يديه**. وكان له معرفة تامة به^(٦٧)، فكانوا لا يحركون نغمة إلا بشهوته ومشورته. ومنهم شيخنا السيد عبد الواحد موقت فاس الجديد، كان يحسن ضربه بيده. ومنهم الولي الصالح سيدي عمر بن المكي بن المعطى [الصالح]^(٦٨) صاحب الذخيرة المشهورة⁽²⁾. وكان يأتي من بلده أبي الجعد فينزل بدارنا عند جدنا للأم^(٦٩) القاضي الفقيه العلامة قاضي مكناسة الزيتون والرباط سيدي صالح

(1) ابن خلدون. المقدمة. ص 554.

(2) ابن الصالح: عمر بن المكي بن المعطى بن الصالح، عالم مغربي، ينتمي إلى الشيخ محمد المعطى بن الصالح المتوفى عام 1284، له ذخيرة المحتاج في الصلاة على النبي صاحب اللواء والتاج. ترجمته في "بتيمة العقود الوسطى".

الحكماوي بن قاضي العدوتين الرباط وسلا سيدي أحمد الحكماوي المشارك في علوم منها علم الموسيقى. وكان رضي الله عنه مشغوقا بسماع الموسيقى، بمجرد نزوله عندنا يُحضره الجَدُّ المذكور أهل الموسيقى مادام عندنا، ومنهم الولي الصالح سيدي الهاشمي الطالب دفين سلا^(٧٠)، كان يأتي للرباط بدارنا ويحب سماع الموسيقى، فيحضر أهلها عنده. ومنهم السادات الصوفية أصحاب مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهم، كنت أحضر معهم في زاويتهم بعض الأوقات ويحضر أهل العدوتين، ويقوم الشريف مولاي عبد الرحمن الفكيكي خلف الحلقة، والعود بيديه يضرب فيه، ولحيته في غاية البياض شيئا، ويحضر معنا بعض أعيان سلا كالفقيه ابن دحمان، والسيد الحسن. وفي "الروض الهتون"^(٧١) في أخبار مكناسة الزيتون "للإمام ابن غازي"^(١) رحمه الله أن الشيخ الإمام الغماري كان أستاذا في علم الموسيقى وعلم القراءات، فيعلم أصحاب هذا الفن وأصحاب هذا الفن فكان يؤخذ عنه العلمان معا^(٢)، وفي كتاب الحايك أن سيدي المهدي الفاسي^(٣) شارح^(٧٢) "دلائل الخيرات" كان يحسن علم الموسيقى^(٧٣)، وآلته. وكانت^(٧٤)

100

1) ابن غازي المكناسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن غازي المكناسي، ثم الفاسي، ارتحل إلى فاس في طلب العلم، ثم عاد إلى مسقط رأسه قبل أن يستقر بفاس حتى وفاته، كان استاذا ماهرا في القراءات، بارعا في علوم اللغة والتفسير والحديث والأدب، له مؤلفات عدة منها: شفاء الغليل على مقفل خليل، تكميل التقييد وتحليل التعقيد، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، توفي سنة 919هـ. ترجمه نيل الإبتهاج ص 333، الزركلي 336/5.

2) ابن غازي المكناسي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية - الرباط 1993 ص 55.

3) المهدي الفاسي: أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي ولد بفاس عام 1033، قرأ على أبيه وأعمامه وغيرهم من مشايخ زمانه العربية والحديث والفقهاء والعقائد وغير ذلك، وصحب سيدي محمد بن عبد الله والد أحمد مع الأندلسي، له عدة مؤلفات منها: تحفة الأخيار - مطالع المسرات - التجريد لما في الكبير والصغير من المزيد. وكلها في شرح دلائل الخيرات، وله مصنفات أخرى في السير، وفي تراجم أعلام الصوفية، وغير ذلك، كان بارعا في الخط في الكتابة، وقد توفي عام 1109هـ. ترجمه الزركلي 1152/7، فهرس الفهارس 205/1، السلوة 316/2، الصفوة ص 211.

جماعة الموسيقيين بفاس تحضر كلها كل عيد المولد الشريف بزواوية سيدي عبد القادر الفاسي عند الصباح، ويكملون بها^(٧٥) نوبة كاملة لكن بلا آلة بل يتصفيق أيديهم، وكل جمعة بعد^(٧٦) العصر في سيدي ابن عباد رضي الله عنه (داخل باب الفتوح بلا آلة أيضا كذلك، وكل أربعاء في الضحى عند ضريح سيدي بوغالب رضي الله عنه)^(٧٧) وعلماء فاس كلهم ساكتون. وكان الشريف سيدي عبد السلام بن رسول رضي الله عنه^(٧٨) بتطوان تحضره جماعة الموسيقيين من أهل بلده مرارا، وكان هو يحسن ذلك العلم أيضا. وكان سيدي أحمد بن علي الوزاني^(٧٩) نزيل الرباط رضي الله عنه لا تكاد تفارقه الموسقا كأخيه سيدي الحاج العربي الوزاني.

وفي خطبة كتاب الفقيه الأديب محمد بن الحسين الحايك في الموسقا ما حاصله: الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأمتعنا بلذة السماع، وجعله^(٧٨) قوتا^(٧٩) للقلوب، وشَنَفًا^(٨٠) وقُرطا للأسماع، وصحة للأبدان، تستوفي بها الأعضاء قواها، وتبلغ منتهاها^(٨١) في الاستماع، وقادة^(٨٢) لارتياح الأرواح، وتأتي الأنس الذي شارك السلف^(٨٢) في الرضاع، وتواخي^(٨٣) معه الاستماع، وحرك ما كان ساكنا برقة الأوتار ونغمات اليراع^(٨٣). ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خص بنعمة الغناء الأذان وتفضل علينا^(٨٤) بنعمة^(٨٥) الألحان، ونشهد أن سيدنا ونبينا^(٨٦) ومولانا محمدا عبده ورسوله سر الوجود،

101

* العبارة بين هلالين غير واردة في نسخة غا.

1) عب: في طرة الصفحة 110 من المجموع ترجمة موجزة لسيدي عبد السلام بن رسول جاء فيها: توفي رضي الله عنه في 16 شوال عام 1299 وهو القطب الشهير، طبيب الظاهر والباطن، مربي المريدين، وقُدوة السالكين، المقتفي أثر جده ﷺ هـ. من خط تلميذه المؤلف العلامة أبي حامد سيدي المكي البطاوري وبواسطته، رضي الله عنه.

2) جاءت العبارة في سائر النسخ على هذا الشكل، ويرى الأستاذ عبد اللطيف بن منصور أن العبارة دخلها التحريف بسبب التناقل، وأن الصواب هو: "قيادة لارتياح الأرواح"، انظر تحقيق الحايك ص 10.

3) حا: جاء في طرة الصفحة 621 من المجموع: لعله قدم فيه وأخر من الناسخ (كذا) والأصل تخاوى، وهو ظاهر.

والسبب في كل موجود، المنتخب من أشرف^(٨٧) الآباء وأكرم الجدود، الذي أُعْطِيَ خُلُقَ آدَمَ وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَصَوْتَ دَاوُدَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَبْرَارِ وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ (من المهاجرين والأنصار، وسلم كثيرا)^(٨٨). وبعد فمن المقرر المعلوم أن أجمل ما تحلى به الإنسان حلية العلوم، ومن أجل العلوم قدرا وأجملها محاسن^(٨٩) وذكرًا علم الأدب. إلى أن قال: وقد كنت زمن الشبية مولعا بحفظ الأشعار، وأطلبه من الأجلة الأخيار. إلى أن قال: فطلب مني بعض الإخوان أن أجمع له ما حصل عندي حفظه من فن الموسقا زجل وتوشيح^(٩٠).

ولما كان الغناء والسماع يصبو إليه كل لبيب، وله في كل جارحة سريان وديب، ويجري مجرى الدم من الإنسان الأريب، وضعت هذا المجموع مشتملا على أصول ألحان وأصوات وفروع وموشحات وما شاكلها من أوزان وأبيات^(١) ثم قال:

فصل في جواز السماع^(٩١)(٢)

اعلم أذقنا الله وإياك حلاوة المناجاة وطلاوة اللذات بالنغمات أن السماع بالأصوات الحسان والترنمات والألحان قد حضره وسمعه الأجلة الأخيار والصالحون والأبرار كما تواتر في حديث ساداتنا المهاجرين والأنصار (لما قدم ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة)^(*) فتلقاه الأنصار ببنيتهم وبناتهم ومشايخهم وكهولهم وهم يطربون ويلعبون بغنائهم المرَّجَّع الفصيح المسطر عن الثقات في الصحيح: (رمل منهوك)

طَلَعَ^(٩٢) الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ^(٩٣) الْوَدَاعِ

1) كناش الحايك - المقدمة. ص 33.

2) المصدر نفسه ص 34.

(*) العبارة بين هلالين غير واردة في كناش الحايك - تحقيق ابن جلون وبنمنصور.

فناهيك^(٩٤) بترجيعة وترداده والحداء^(٩٥) به كي يفرج المحب ما بفؤاده. (ومعلوم أن ما ذكر من^(٩٦)) طربهم وشوقهم^(٩٧) ووجدهم كان بمرأى منه ﷺ ومسمع فأقره. فإذا علمت المعنى وذقت من شراب الهوى فامتثل توقيع القطب الجامع سيدي أبي مدين الغوث^(١) رضي الله عنه وقوله: (طويل)

فَيَا حَادِيَّ^(٩٨) الْعُشَّاقِ قُمْ وَاحِدُ قَائِمًا وَزَمِيمًا^(٩٩) لَنَا بِاسْمِ الْحَبِيبِ وَرَوْحِنَا
فَنَحْنُ إِذَا طَبْنَا وَطَابَتْ^(١٠٠) نَفُوسُنَا^(١٠١) وَخَامَرْنَا^(١٠٢) خَمْرُ الْغَرَامِ تَهْتَكُنَا^(٢)

وروي أن رسول الله ﷺ مر بجارية تغني وتقول: (مجزو تالرمل)

هَلْ عَلَيَّ وَيَحْكُمُ
إِنْ لَهَوْتُ مِنْ حَرَجٍ^(١٠٣)

فقال عليه الصلاة والسلام: لا حرج إن شاء الله. قال ابن جريج^(٣)^(١٠٤): سألت عطاء^(٤) عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء^(١٠٥) قال: لا بأس يا ابن أخي. وإذا كانت قراءة القرآن بالألحان غير مكروهة فغيرها أولى، وفي

1) أبو محمد بن الغوث: هو شعيب بن الحسين بن عبد الله الإشبيلي التلمساني صاحب الكرامات، ولد عام 515، انتقل من الأندلس إلى المغرب، ودرس بفاس على علمائها، ولازم ابن جريرهم، توفي قرب تلمسان حيث دفن عام 594هـ/1198م. ترجمته في الجدوة 530/2، موسوعة أعلام المغرب 385/1.

2) حا: في طرة الصفحة 622 بيت من زيادة الناسخ مهّد له بقوله: ومنها. والبيت هو:

أَمَا تَرَى الطَيْرَ الْمُقْفَصَّ يَا فَتَى (كذا) إِذَا ذَكَرَ الْأَوْطَانَ حَنَّ إِلَى الْغِنَا

وفي صدر البيت خلل في الوزن. وهو من الطويل

3) ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. أحد رواة الحديث روى كثيرا عن الإمام مالك. توفي سنة 150هـ. ترجمته في تذكرة الحفاظ 160/1، وفيات الأعيان 286/1، تاريخ بغداد 400/1.

4) عطاء بن أبي رباح، محدث كثير الحديث، انتهت إليه الفتوى بمكة، وكان من أعلم التابعين بتفسير القرآن، توفي عام 114هـ. ترجمته في تذكرة الحفاظ 92/1، الوفيات 318/1، صفوة الصفوة 119/2.

إكمال^(١٠٦) الإكمال⁽¹⁾: لما قدم أبو الحسن الصُّعَيْر⁽²⁾ تونس - وكان يحب الغناء اللائق به، فأضافه الشيخ الصالح الحسن الزبيدي بزوايته المعروفة^(١٠٧) - عمل له الغناء، وقال ابن عرفة (ت 803) ولما عرّف الخطيب^(١٠٨) الإمام أبو بكر ابن ثابت (ت 463هـ) في تاريخ بغداد بالعالم الصالح إبراهيم بن سعد الزهري⁽³⁾ قال: قدم العراق فأكرمهم الرشيد، فسئل عن الغناء، فأفتى بإباحته. فأتاه بعض المحدثين ليسمع منه أحاديث الزهري⁽⁴⁾ فسمعه يغني، فقال كنت حريصا على السماع منك، فأما الآن فلا سمعت منك حرفا. فقال: (إذن لا أفقد إلا شخصك)^(١٠٩)، عليّ أن لا أحدث ببغداد^(١١٠) ما أقمت فيه حديثا حتى أغنى قبله. فبلغ ذلك الرشيد، فدعا به، فسأله عن حديث المخزومية التي قطع يدها^(١١١) رسول الله ﷺ في سرقة الحلبي، فدعا بعود، فقال الرشيد: أعود المجرم؟ قال: لا، ولكن عود الطرب، فتبسم، ففهمه الشيخ إبراهيم بن سعد فقال: لعله بلغك يا أمير المؤمنين

103

1) الأبي التونسي. إكمال الإكمال، ط الأولى، سنة 1327 مطبعة السعادة مصر ج 3. ص 41.

2) الصُّعَيْر: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي. فقيه مالكي. استقضاها السلطان يوسف المريني وحفيده. وسار إلى الأندلس سفيرا. له كتاب "الدر النثير في النوازل والأحكام"، توفي سنة 719. وفي المصدر المذكور: ولما قدم الشيخ أبو الحسن الزرقاني. ترجمته في الاستقصا 178/1، جذوة الاقتباس 472/2، الزركلي 334/4.

3) أخطأ التادلي فذكر المُرني بدل الزهري. والزهري: إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أبو إسحاق، ولد بالمدينة سنة 108م، أخذ عن أبيه، وعن هشام بن عروة، ومحمد بن إسحاق، وروى عنه الليث بن سعد، وابناه يعقوب وسعد، ويونس المؤدب، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، نزل ببغداد، ومكث بها، وقُدَّ بها القضاء، كان يجالس الخليفة هارون الرشيد، وكان مقصد الناس في رواية الحديث. وقد عرف عنه تساهله في شأن الغناء. أجمع الأئمة على ثقته وعدالته والرواية عنه، توفي ببغداد سنة 184هـ. ترجمه نهاية الأرب 247/4، تاريخ بغداد 81/6، الزركلي 40/1.

4) القصد هنا إلى المحدث الشهير محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري المتوفى سنة 124هـ/741م. وهو من كبار المحدثين بالمدينة في نهايات القرن الأول ومطالع القرن الثاني هـ. أخذ عنه الإمام مالك، فكان يحضر مجلسه، فيجده مزدحما بالطلاب. وقد سمعه إبراهيم بن سعد الزهري وهو يومئذ دون العشرين من عمره. ترجمه تذكرة الحفاظ 102/1، وفيات الأعيان 451/1، تهذيب التهذيب 445/9، الزركلي 97/7.

حديثي الذي ألجاني إلى الحلف. فدعا الرشيد بعود فغناه⁽¹⁾، فقال الرشيد: من كان من فقهاءكم يكره السماع؟ وهل بلغك عن مالك بن أنس فيه شيء؟ فقال: لا والله، إلا أنني أخبرت أن جماعة من الأجلة اجتمعوا في مجلس معهم دفوف ومعارف⁽¹¹²⁾ وعيدان يغنون ويلعبون، ومع مالك دف هو يغنيهم⁽²⁾ فضحك الرشيد، ووصله⁽¹¹³⁾ بمال عظيم⁽³⁾. قال ابن عرفة: وإمامة أبي بكر وعدالته ثابتة. وإبراهيم بن سعد هذا خرّج له أهل الكتب الستة الصحيحين، وأبو داود (ت 275)، والنسائي، وابن ماجه (ت 253)، وجامع الترمذي (279). هـ⁽⁴⁾ وهو مذكور في صحيح البخاري (ت 256) كما في باب الاستلقاء، ووضع الرجل

1) العبارة في "تاريخ بغداد" كالآتي:

فدعاه الرشيد، فغناه: (بسيط)

يَا أُمَّ طَلْحَةَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ الشَّوَاءَ لَئِنْ كَانَ الرَّجُلُ غَدَا

2) العبارة في "تاريخ بغداد" كالآتي: ومع مالك دف وهو يغنيهم:

سُلَيْمَى أَجْمَعَتْ بَيْنَنَا	فَأَيَّنَ لِقَاؤَهَا أَيَّنَا؟
وَقَدْ قَالَتْ لِأَثْرَابٍ	لَهَا زُهْرٌ تَلَقَّيْنَا:
تَعَالَيْنَا فَقَدْ طَابَ	لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا

3) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، مطبعة السعادة القاهرة، 1349 ج 6. ص 84. وقد ذهب ابن عدي الجرجاني إلى الدفاع عن الإمام مالك، فدحض ما ورد في كتاب الأغاني وتاريخ ابن الخطيب. وقد شكك في صحة الحكاية التي نقلها لضعف رآه في سند روايتها. ذلك أن الخطيب البغدادي في تاريخه لا يروي الحكاية إلا من جهة عبيد الله عن أبيه. وقد أقر بن عدي بثقة الأب وعدالته، ولكنه اتهم ابنه عبد الله. (انظر ابن عدي أبو أحمد الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال.

والواقع أن متن الحكاية قابل للطعن من عدة وجوه، منها أننا ننزه المحدث إبراهيم بن سعد- وهو الذي أجمع رواة الحديث على ثقته - عن أن ينعث كاره السماع بأنه ممن ربطهم الله. ومنها أنه لو صح أن الإمام مالكا غنى بصوته، وضرب بالدف في مدعاة جمعت عليه القوم وصفوة الفقهاء وحشدا من المغنين والضاربين لتناقل أصحابه هذا الخبر، واحتجوا به على إباحة السماع وضرب العيدان والمعارف. فكيف وقد نقل عنه أنه قال: لا يفعل السماع في المدينة إلا الفساق.) انظر الغزالي: الإحياء، ج 2 ص 267.

4) يريد ابن عرفة أنه لا مجال للشك في وثوق ما نقله الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد" حول ما حكاه إبراهيم بن سعد الزهري عن الإمام مالك، لأن إمامة أبي بكر بن ثابت الخطيب وعدالته عنده ثابتة.

على الأخرى آخر كتاب اللباس، وفيه: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب⁽¹⁾. وفي العارضة لابن العربي⁽²⁾ الغناء ليس بحرام قال: فإن اتصل به نقر طنبور فلا يؤثر أيضا في تحريمه، فإنها كلها آلات تتعلق بها قلوب الضعفاء، وللناس عليها استراحة وطرح لثقل الجذ الذي لا تحمله كل نفس، فقد سمح الشرع لها فيه⁽³⁾ وفي "كتاب التدلي والترقي"⁽⁴⁾ عن ابن^(١١٤) العربي: ليس الغناء بحرام، لأن النبي ﷺ سمعه في بيته وبيت غيره. انتهى.

وعن عياض، عن محمد بن عبد الحكم، قال: كان أبي والشافعي وأبو بكير وجماعة من أصحابه في منزل يوسف بن عمرو في صنيع عرس لهم، وكان ثمّ لهو ودف فما أنكروه⁽⁵⁾. وعن عكرمة قال: لما ختن ابن عباس⁽⁶⁾ رضي

(1) البخاري: الصحيح، ضبط وترقيم د. مصطفى ديب البغا، نشر وتوزيع دار ابن كثير، بيروت - اليمامة - دمشق ج 5 ص 2225.

(2) ابن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد أبو بكر المشهور بابن العربي المعافري الإشبيلي، أحد أئمة الفقه المالكي، وحفظ الحديث. له مصنفات عدة في الفقه والحديث والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، منها: عارضة الأحوذ في شرح سنن الترمذي، توفي بفاس عام 543.

(3) ابن العربي المعافري: عارضة الأحوذ، 282/5.

(4) في كتاب السقا: في كتاب التادلي، وفي كناه الحايك: وفي كتاب التدلي والترقي للمواق. وهو الاسم الثاني لكتابه "سنن المهتدين في مقامات الدين"، وقد أورد المواق عبارة ابن العربي في كتابه هذا، وذلك في سياق رد ابن العربي على أصبغ الذي قال: "لا يكون الغناء إلا في العرس للنساء خاصة بالدف والكبر هَملاً، أو بذكر الله، أو تسييحاً، أو تحميذا على ما هدى، أو برجز خفيف، لا بمنكر ولا بطويل" فبعد أن علق المواق على حكم أصبغ هذا بقوله وانظر: "ما شدد أحد في الغناء مثل ما شدد أصبغ" نقل قول ابن العربي التالي: "قول أصبغ لا يكون إلا للنساء، ويكره حضوره لذي الهيئة" - فاسد، لأن النبي ﷺ حضر ضرب الدف، ولا يصح أن يكون "ذو الهيئة" أعظم من النبي ﷺ (سنن المهتدين) المقام الثاني. الملمزة الثانية.

(5) عياض: ترتيب المدارك، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ربيع الثاني 1388/ يوليو 1968 285/3.

(6) عبد الله بن عباس: ابن عم الرسول ﷺ، أحد كبار رواة الحديث وحفاظه إضافة إلى معرفته بالشعر والأنساب، وأيام العرب، وأسباب النزول، وحساب الفرائض والمغازي، لقب ببحر الأمة، وترجمان القرآن، توفي عام 70هـ، وقيل 68. ترجمه الزركلي 95/4، الإصابة ص 47-72، صفوة الصفوة 314/1، نكت الهميان ص 180.

الله عنهما بنيه أرسلت دعوة^(١١٥) له إلى [العباس] ^(١١٦) اللعابين، فلعبوا، فأعطاهم ابن عباس أربعة دراهم. وقيل لأبي سالم: كيف تنكر السماع وكان الجنيد (ت 297) والسري (ت 251) وذو النون (ت 245) وغيرهم يسمعون؟ قال: كيف أنكره وقد أجازته وسمعه من هو^(١١٧) خير مني. انتهى⁽¹⁾.

وقال أبو طالب⁽²⁾ في "القوت": إن أنكرنا السماع أنكرنا سبعين صادقاً من هذه الأمة⁽³⁾، [وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب العدا، لأننا نعلم ما لا يعلمون]⁽⁴⁾. انتهى. وقال عياض: كان ابن المعتب (ت 277) ثقة عالماً بالحديث صحيح اليقين بالله، وكانت فيه رقة، مرّ في طريقه إلى المسجد يوماً بدار فسمع فيها^(١١٨) الغناء، ففرغ الباب، فخرج صاحب الدار واعتذر، فطلب منه الدخول، فامتنع، فقال لصاحب^(١١٩) الدار: لا بد. فدخل صاحب الدار قبله، وغيب ما كان بين أيديهم، ثم أذن له، ودخل وسلم، فقال: مَن المَغْنِي؟ قالوا: هذا. قال: سألتك بالله إلا أعدت ما سمعت منك فقال المغني: (بسيط)

العَفْوُ أَوْلَى لِمَنْ كَانَتْ لَهُ الْقُدْرُ لَأَسِيَمًا عَن مُسِيءٍ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
أَقْرَّ بِالذَّنْبِ إِجْلَالًا لِسَيِّدِهِ وَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَعْتَذِرُ

- 1) أغاني السقا، ص: 61، أنظر كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي 233/2.
- 2) أبو طالب: هو محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، المشهور بأبي طالب المكي، نشأ بمكة، وانتقل إلى البصرة ثم إلى بغداد، فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ، ثم هجره، فامتنع عن الكلام، كان عالماً بالتصوف ويرى أن عمل المتصوفة هو ثمرة العمل بالشرعية، توفي سنة 386، وله كتاب: قوت القلوب في معاملة المحبوب. ترجمه وفيات الأعيان 491/1، تاريخ بغداد 89/3، لسان الميزان 300/5، الزركلي 274/6.
- 3) المصدر نفسه 101/2. وأصل العبارة في "قوت القلوب": فإن أنكرناه (أي السماع) مجملاً فقد أنكرنا على تسعين صادقاً من خيار الأمة.
- 4) العبارة بين علامتي [...] ليست من كتاب "قوت القلوب" وقد جاءت في "سنن المهتدين" للمواق كالاتي: قال: وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب القراء، إلا أننا لا نفعل، لأننا نعلم ما لا يعلمون، وسمعنا من السلف والأصحاب ما لا يسمعون.

فبكى ابن المعتب. انتهى⁽¹⁾(١٢٠). وورد أن عبد الله بن عمر⁽²⁾ دخل على عبد الله بن جعفر⁽³⁾، وبين يديه جارية في حجرها عود، فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟ فقال: ميزان نزن به الكلام، ودعا عبد الله بن جعفر معاوية (ت 60هـ) لطعام، فلما وضع معاوية يديه^(١٢١) فيه حرك مغن أوتاره وغنى، فأعجب غناؤه معاوية، فقبض يده على الطعام وجعل يضرب برجله الأرض طربا، وقال: لا بأس بحكمة الألحان⁽⁴⁾. قال ذلك ثلاثا. وسمع معاوية أيضا غناء فطرب طربا شديدا وجعل يحرك رجليه، فقال ابن جعفر: إنك تحرك رجلك، فقال معاوية: كل كريم طروب⁽⁵⁾. وكان لأبي حنيفة (ت 150هـ) جار خمار يغني على شرابه كل ليلة:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى^(١٢٣) أَضَاعُوا

1) عياض: ترتيب المدارك، 285/3.

2) عبد الله بن عمر، ابن الخليفة عمر بن الخطاب، كان كثير الحفظ للحديث، وأحد رواة المشاهير، وهو بعد أبي هريرة وعائشة أكثر الصحابة حديثا حتى عد من الطبقة الأولى في العلم. توفي سنة 73هـ، ترجمته في الإصابة ص 4825، معالم الإيمان 70/1، الزركلي 108/7.

3) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من آل البيت، ورث الجاه عن أبيه وتزوج السيدة زينب بنت فاطمة الزهراء والإمام علي، وكان من أثرياء المدينة على عهد معاوية بن أبي سفيان، كان ميالا بطبعه للموسيقى والغناء، فتح بيته للمغنين والحواري، فكانوا يجدون فيه الحامي، وفي بيته الملاذ والمنتجع، انقطع إليه بعض المغنين كَنَشِيطٍ وَسَائِبِ خاتر وبديح. توفي عام 80هـ، وهو ابن سبعين سنة في خلافة مروان بن الحكم.

4) في العقد الفريد لابن عبد ربه: قال عبد الله بن جعفر لمعاوية: يا أمير المؤمنين إنما هو مختار الشعر يُرَكَّب عليه مختار الألحان، فهل ترى به بأسا؟ قال معاوية: لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الغناء (العقد الفريد ج 3 ص 165).

5) أورد الماوردي في كتاب "الحواري" هذا الخبر، فقال: إن معاوية بلغه أن عبد الله بن جعفر مُكَبَّ على السماع مستغرق أوقاته فيه، فقال لعمر بن العاص: قم بنا إليه، فإنه غلب هواه على شرفه. فأتيا إليه فطرقا عليه الباب، فأمر جواريه بالسكوت، وأذن لهما بالدخول. فلما استقرا عنده أمرهن ليرجعن إلى ما كنَّ فيه، فجعلن يغنين، ومعاوية يحرك رأسه ويهز رجليه من فوق السرير. فقال عمرو بن العاص: إِنَّ مَنْ جِئَتْ تَلْحَاهُ أَحْسَنُ حَالًا مِنْكَ. فقال: مَهْ يا عمرو، إن الكريم لطروب. (انظر الإمام الغزالي: بوارق الإلماع في تكفير من يحرم السماع). مخطوط المكتبة الوطنية رقم 943 ص 9-10.

وحكايته مشهورة. وفي "لطائف المنن والأخلاق" للشعراني⁽¹⁾، وقد تكلم على حكم السماع ما نصّه: لا فرق بين سماع الأوتار وصوت الهزار وكل طائر حسن الصوت⁽²⁾. ويقال إن الملكين لا يكتبان الغناء لأنه لغو كلغو حديث الناس فيما بينهم من أخبار جاهليتهم وإنشاد أشعارهم. انتهى. من كتاب الحايك المذكور باختصار.

106 وقد ألف علماء الإسلام في الموسيقى تأليف^(١٢٢) منها: "غاية المطلوب في فن الأنغام والضروب" لشمس الدين الحنبلي، مات سنة سبعمائة وتسعة وخمسين، و"الأغاني" للقاضي أبي الفرج الأصبهاني، ذكرهما في حرف الغين مع الألف من "كشف الظنون". و"الفتحية"^(١٢٤) لمحمد بن عبد الحميد^(١٢٥) اللادفي، و"كتاب الموسيقى لابن سينا، و"الكبير" و"الصغير" للسرخسي. وترجم للموسقا في حرف الميم مع الواو من "كشف الظنون".

1) الشعراني لم ترد هذه العبارة في لطائف المنن والأخلاق للمؤلف، غير أنه في الباب التاسع من كتابه تحدث عن كراهته لسماع الآلة المطربة، منذ صباه، ثم لما بلغ ودخل طريق محبة الفقراء ازداد في ذلك نفرة. وقد ساق رأي جمهور المحققين على خلاف ما ذهب إليه، فذكر استشهادهم بالحديث المرفوع: «لله أشدُّ إذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته» وأن في هذا الحديث إباحة سماع الغناء، لأن سماع الله لا يجوز أن يقاس على محرم.

2) الشعراني: لطائف المنن. مخطوط خ. ح رقم 1416 وجه الورقة 144.

الهوامش والتصويبات

- ١) عا-حب: اجبت. وهو تصحيف.
- ٢) عا-حب: سقطت كلمة "الياقوتة".
- ٣) عا-حب: لمناسبة. خطأ.
- ٤) في النسخ الأربعة: الأدب. والصواب ما نقلناه عن العقد الفريد.
- ٥) عا-حب: سجال. وهو تصحيف.
- ٦) حا: مسالة، وهو خطأ.
- ٧) غا-عا-حا-حب: الواحد. والصواب كما في نسخة عب.
- ٨) في النسخ الأربعة: لابن دأب. والصواب ما نقلناه عن العقد الفريد.
- ٩) حا: أخذت. بالبدال المهملة. خطأ.
- ١٠) غا-عا: وما مر يوم من. وهو تحريف.
- ١١) حا: عطت: خطأ.
- ١٢) في النسخ كلها: للمهتدي. والصواب: للهادي.
- ١٣) عا: الفسير. خطأ.
- ١٤) عا: له.
- ١٥) في سائر النسخ. ولذا. وما أثبتناه منقول عن العقد الفريد.
- ١٦) استغنى المؤلف عن فقرة من خمسة أسطر.
- ١٧) عا-حب: الطبيعية. خطأ.
- ١٨) في العقد الفريد: الملالة.
- ١٩) حب: مأكول.
- ٢٠) حب: ملبوس.
- ٢١) استغنى المؤلف عن الفقرة التالية: ما خلا السماع، فإنه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح.
- ٢٢) حب: يرق. خطأ.
- ٢٣) عا-حب: القينيات. خطأ.

- (٢٤) حب: سقط حرف الهمزة من كلمة "أمهات".
- (٢٥) حا-حب: وواد.
- (٢٦) حا: سقطت كلمة "العرب".
- (٢٧) عا-حب: القينية.
- (٢٨) عب: العدد. وهو تصحيف.
- (٢٩) حا: الرهر. وهو تحريف لكلمة "المزهر".
- (٣٠) غا-عا-حب: سقطت همزة الوصل من كلمة (ابن).
- (٣١) عا: سقطت كلمة "بعد".
- (٣٢) عا: القريض. وهو تصحيف.
- (٣٣) عا: الكلمة التي بين معقوفين مكررة.
- (٣٤) غا-عا-حا: سقطت همزة الوصل في كلمة "ابن".
- (٣٥) في سائر النسخ: العزيز. والصواب "الغزِيل".
- (٣٦) في النسخ: أبا كاهل، والصواب "أبا كامل".
- (٣٧) حا: لهرون. خطأ.
- (٣٨) في النسخ: علوية، وصوابه "عَلْوِيَّة".
- (٣٩) في النسخ: زامرا. وصوابه "زامر" بالرفع لأنه اسم كان.
- (٤٠) عا: برصومة. خطأ.
- (٤١) حب: صير خطأ.
- (٤٢) في النسخ الأربع: فصادة - وهو خطأ صوابه ما أثبتناه عن العقد الفريد.
- (٤٣) عا: سقطت كلمة "قال".
- (٤٤) عا: فغني. خطأ.
- (٤٥) عا: اتره. وفيه تصحيف.
- (٤٦) حب: المسيقيين.
- (٤٧) عا: الدهر. وهو خطأ.
- (٤٨) عا: سقط حرف التاء من كلمة "حركت".
- (٤٩) عا: هذه. خطأ.

- ٥٠ عا: بيتا. وهو تصحيف.
- ٥١ عا: ملكا. خطأ.
- ٥٢ في العقد الفريد: القلم.
- ٥٣ في العقد الفريد: في ساكنات.
- ٥٤ عا: سقط هذا البيت في النسخة.
- ٥٥ عا: أردت: تصحيف. غا: رنت.
- ٥٦ عا: لجيهن. وهو خطأ.
- ٥٧ في سائر النسخ: مهذار بالبدال المهملة، وهو خطأ.
- ٥٨ زيادة كلمة الخزاعي في (عب).
- ٥٩ عا-حا-حب: أحما. وهو تصحيف.
- ٦٠ عب: الزمن.
- ٦١ عا: إضافة عبارة "رضي الله عنه".
- ٦٢ عا: سقطت كلمة "رحمة".
- ٦٣ عا: ومن. والصواب ما أثبتناه.
- ٦٤ عا: يغنيه. وهو تصحيف.
- ٦٥ حا: سقط "فصل في حكم الغناء وسماعه" بكامله.
- ٦٦ عب: فصل فيمن خفف فيه.
- ٦٧ حا: فيه.
- ٦٨ عا: ما بين المعقوفين حشو.
- ٦٩ غا-عا-حا-حب: الإمام.
- ٧٠ عب: السلوي.
- ٧١ حب: المتون. وهو تصحيف.
- ٧٢ حب: صاحب دلائل الخيرات/ عب: شارح دلائل الخيرات. غا: صاحب شرح.
- ٧٣ عا-حب: سقطت كلمة "وآلته".
- ٧٤ عا: وكان.
- ٧٥ عب: فيها. غا: يكلمون.

- (٧٦) حب: بعض. خطأ.
- (٧٧) عا: الوزاني.
- (٧٨) عا: وجعلت - خطأ.
- (٧٩) حا: قوتا.
- (٨٠) عا: شنيا. تصحيف.
- (٨١) حا: مشتهاها.
- (٨٢) عا: حا-حب: السلب. وهو تصحيف.
- (٨٣) عا: اليرع. وهو خطأ.
- (٨٤) غا: عليها.
- (٨٥) عا: بنغمة بالعين المنقوطة.
- (٨٦) عا: ونينا.
- (٨٧) حا: أشراف.
- (٨٨) العبارة بين هلالين لا وجود لها في مقدمة كناش الحايك. تحقيق ابن جلون وبمنصور.
- (٨٩) في سائر النسخ: محاسنا. والصواب ما أثبتناه كما هو في تحقيق ابن جلون لكناش الحايك.
- (٩٠) في كناش الحايك: زجلا وتوشيحا.
- (٩١) هو في كناش الحايك بزيادة كلمة "واستحكامه".
- (٩٢) المعروف المتداول هو: طلع البدر.
- (٩٣) في سائر النسخ: تثنية بالافراد والوزن يتطلب كلمة ثنيات بالجمع. وهو المتداول.
- (٩٤) حب: فناهك - خطأ.
- (٩٥) في سائر النسخ: الحذاء بالذال المعجمة، وهو تصحيف.
- (٩٦) في سائر النسخ سقطت العبارة التي بين هلالين.
- (٩٧) عا: وشؤنهم. خطأ.
- (٩٨) غا-حا: فياحدي. خطأ.
- (٩٩) حا: زمم، وهو خطأ.
- (١٠٠) حا: صابت. تصحيف.

- ١٠١) حا: خمورنا/ حب: أوقاتنا. وكلاهما خطأ.
- ١٠٢) غا-حب: وخمّرنا خطأ.
- ١٠٣) في سائر النسخ: ويحكمنا. والصواب: ويحكم. وفيها أيضا إن لهوت. وفي كتاب "حل الرموز" للمقدسي: إن عشقت. الخزانة الحسينية، المجموع رقم 1558 ص 254.
- ١٠٤) حب: جرير. خطأ.
- ١٠٥) في سائر النسخ: الحذاء بالذال المعجمة، وهو خطأ.
- ١٠٦) عا: أكمل. خطأ.
- ١٠٧) عا: سقطت كلمة "المعروفة".
- ١٠٨) حب: عرفت الخطب. وهو تحريف.
- ١٠٩) الفقرة التي بين هلالين في كناش الحايك، وقد سقطت في سائر النسخ.
- ١١٠) حا: سقط حرف الجر السابق لكلمة "بغداد".
- ١١١) في سائر النسخ: قطعها. وهو خطأ.
- ١١٢) غا-حا: معازيف.
- ١١٣) في سائر النسخ: واصله. خطأ.
- ١١٤) عا: ابي والصواب ما أثبتناه.
- ١١٥) عا: سقطت كلمة "دعوة".
- ١١٦) عا: الكلمة بين معقوفين حشو.
- ١١٧) في سائر النسخ سقطت كلمتا "من هو".
- ١١٨) عا-حا: فيه. خطأ.
- ١١٩) عا: سقطت لام الجر في كلمة "صاحب".
- ١٢٠) غا-عا-حا-حب: سقطت عبارة "فبكي ابن المعتب. هـ".
- ١٢١) عا: سقطت كلمة "يديه".
- ١٢٢) عا: فني/ حا-حب: فاني. وكلاهما خطأ.
- ١٢٣) حا: تألف. خطأ.
- ١٢٤) عا: الفتيحة. وهو تصحيف.
- ١٢٥) في سائر النسخ: عبد المجيد. والصواب ما أثبتناه.

فصل في بيان من شدد فيه

منهم المالكية رضي الله عنهم فإنهم جوزوا آلات السماع في الأعراس دون ذوات الأوتار كالعود فقد رجّحوا حرمتها. قال في فصل الوليمة من باب النكاح من المختصر: وكره نثر اللوز والسكر لا الغربال ولو لرجل⁽¹⁾ وفي الكبر والمزهر ثالثها يجوز في الكبر. ابن كنانة: وتجاوز الزمارة والبوق⁽²⁾. انتهى⁽⁴⁾. قال شارحه الشيخ الدردير مع محشيه الشيخ الدسوقي رحمهما الله ما حاصله: لا يكره الطبل بالغربال في العرس، وهو الدف المعروف بالطار، وهو المغشى بجلد من جهة واحدة، بل يندب، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْلَنُوا النِّكَاحَ وَأَضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالْدَفِّ». وظاهره ولو كان فيه صراصر. وقيل يجوز إن لم يكن فيه صراصر أو جرس، وإلا حرم⁽²⁾، وهو ما في المدخل. والطار قال بناني: هو المسمى عندنا بالبندير. وظاهره ولو كان فيه أوتار⁽³⁾ لأنه لا يباشرها بالقرع بالأصابع كالعود ونحوه من الآلات الوترية⁽³⁾. قال⁽⁴⁾ الشيخ زروق: رأيت أهل الدين ببلادنا يتكلمون في أوتاره، ولم أقف فيه على شيء⁽⁴⁾. ولا يكره الطبل بالغربال ولو لرجل، بل يندب في النكاح خلافاً لقول أصبغ⁽⁵⁾: إنما يجوز للنساء هـ⁽⁵⁾. وأما بقية⁽⁶⁾ الآلات من ذوات الأوتار فالراجح حرمتها حتى في النكاح، ومقابله جوازها في النكاح خاصة، وهو ضعيف. هـ وجعلوا سماع الغناء من قوادح الشهادة. قال في المختصر في باب الشهادة: ذو مروءة بترك غير لائق من حمام وسماع

107

1) الشيخ خليل: المختصر. باب النكاح، فصل الوليمة. انظر شرح الأزهرى، مط. محمد صبيح، مصر ج 1 ص 362.

2) الدردير، أحمد: شرح مختصر خليل خ ح د. ت رقم 5618.

3) بناني: حاشية على شرح الزرقاني، مطبعة محمد أفندي مصطفى، مصر د. ت 54/4.

4) زروق: شرح على متن الرسالة القيروانية، دار الفكر 1402-1982 ج 2 ص 378.

5) في كتاب "أحكام السماع" ليحيى بن عمر أنه ذكر عن مالك في الدف والكبر أنه لا بأس بهما. قال أصبغ: يعني في العرس خاصة للنساء، تحقيق. حسن حسني عبد الوهاب مط. الشركة التونسية للتوزيع. 1975 ص 78.

غناء⁽¹⁾. قال الزرقاني: وسماع غناء بالمد سماعا متكررا بغير آلة لإخلال سماعه بالمروءة وإن كره في هذه الحالة، حيث لم يكن بقبيح أو يحمل عليه. واعلم أن الغناء إما بآلة أو بغيرها، وفي كلِّ إما أن يحمل على تعلق بمحرّم أم لا، وفي كلِّ إما أن يتكرر أم لا^(*)، وفي كلِّ إما فعلاً أو سماعاً، وفي كلِّ إما في عرس أو صنيع، وإما في غير ذلك، فمتى حُمِلَ على تَعَلَّقٍ بمحرّم حرّم فعلاً وسماعاً، تكرر أم لا، بآلة أم لا،^(٧) في عرس أو صنيع أو نحوهما أو في غير ذلك. ومتى لم يُحْمَلْ على مُحَرَّم جاز بعرس وصنيع كولدادة وعقد نكاح بآلة وغيرها^(٨) سماعاً فعلاً تكرر أم لا^(٩). وأما بغير^(١٠) عرس وصنيع فَيُمنَعُ إن تكرر بآلة وغيرها فعلاً وسماعاً، وإن لم يتكرر كره سماعاً. وهل كذا فعلاً أو يُمنَعُ؟ خلاف⁽²⁾.

فائدة في المدخل: (الغناء يُنْبِتُ النِّفَاقَ كَمَا يُنْبِتُ المَاءُ البَقْلَ)⁽³⁾ هـ.

108 قال محشيه بناني: قول الزرقاني: ومتى لم يحمل على محرّم جاز إلخ. انظر الجواز. وفي ابن عرفة⁽⁴⁾ قال ابن عبد الحكم⁽⁵⁾: سماعُ العود جُرحة، إلا أن

1) الشيخ خليل: المختصر. باب العدل في أحكام الشهادة، وفيه أن من شروط العدل أن يتحاشى كل ما يخل بالمروءة كاللعب بالطير أو ممارسة الغناء، المرجع السابق ج 2 ص 233.
* (في نسخة غا كلمة (بغير)).

2) الزرقاني: شرح على مختصر خليل، دار الفكر. بيروت، د.ت 159/4.

3) ابن الحاج: المدخل، مكتبة الحلبي بمصر، ط 1 - 123/3، 1960/1380.

4) ابن عرفة: أبو عبد الله بن محمد الورغمي، إمام في الفقه وغيره من العلوم، من شيوخه أبو عبد الله الأبلي، كان على مذهب مالك، توفي عام 803، له "المختصر الشامل" في التوحيد - "المختصر الكبير" في فقه المالكية، ترجمه السلوة 105/2، نيل الإبتهاج ص 274، الضوء اللامع 240/9.

5) ابن عبد الحكم: هو أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين، ولد بمصر عام 165 هـ رحل إلى المدينة، فسمع من مالك، وابن عيينة، وغيرهما، روى عنه كثيرون كابن المواز وابن حبيب، وغيرهما، وإليه أفضت رئاسة مذهبه في مصر بعد أشهب، له: المختصر الكبير، والمختصر الأوسط، وعليهما مَعُولُ المالكيين. وله أيضاً: المختصر الصغير، وقد قصره على علم الموطأ، وله كتاب الأهوال، وكتاب القضاء في البنيان، وكتاب المناسك. امتحن في مسألة خلق القرآن، فُضِرْبَ بالسياط في مسجد مصر أيام الخليفة المأمون. وقد سجنه أخوه المعتصم، فمرض ووفاه أجله سنة 214، ترجمه وفيات الأعيان 248/1، الزركلي 94/4.

يكون في صنيع لا شرب فيه، فلا يُجرّح، وإن كره على كل حال⁽¹⁾. هـ. وقال محشيه الرهوني أيضا: قول الزرقاني: جاز بعرس الخ... ظاهره ولو كانت الآلة كالعود⁽²⁾. وهو خلاف ما تقدم له في الوليمة عن "الشامل" من أنه مكروه⁽³⁾، وخلاف ما في "المعيار" عن المازري أنه حرام⁽⁴⁾. وفي ابن عرفة هنا: والغناء بآلة، فإن كانت ذات⁽¹¹⁾ أوتار كالعود والطنبور والمعزفة والمزمار فالظاهر عند العلماء حرمة، وأطلق محمد بن عبد الحكم أن سماع العود مكروه وقد يريد به الحرمة⁽⁵⁾. ولما كان ذلك يقارن غالبا شرب الخمر ويبحث عليه⁽¹²⁾ انسحب عليه حكم التحريم. قال ابن عبد الحكم: سماع العود جُرحة إلا أن يكون في صنيع لا شرب فيه فلا يحرم. وإن كره على كل حال⁽⁶⁾ هـ. وظاهره أن الكراهة على بابها من التنزيه، وهو خلاف ما في المعيار عن المازري: الغناء بلا آلة مكروه، وبآلة ذات أوتار كالعود والطنبور ممنوع⁽⁷⁾. وعن ابن عبد الحكم: إن الشهادة ترد بسماع العود إلا في عرس أو صنيع بلا شرب مسكر فلا ترد به، وإن كان محرما على كل حال. اهـ⁽⁸⁾. وقال الدردير: وسماع غناء متكرر بغير آلة لإخلال سماعه بالمروءة، وهو مكروه إذا لم يكن بقبيح ولا حمل عليه ولا بآلة

1) بناني: حاشية على شرح الزرقاني، 159/7، انظر حاشية الدسوقي على شرح الدردير على مختصر خليل

للدردير. خ. ج. ك. م. رقم 267 ك. 148/1.

2) الرهوني: حاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، 357/7.

3) الدميري بهرام: الشامل مخ. مؤسسة علال الفاسي، رقم ع 64. ص 176.

4) جاء عن المَازري في شرح التلقين نقيض ما نقله التادلي، ونصه: عند ابن عبد الحكم أنه قال: إذا كان العود في عرس أو صنيع فلا ترد به شهادة. وهو مكروه.

5) الرهوني. المصدر نفسه.

6) المازري: المعلم بفوائد مسلم. دار الغرب الإسلامي، ط 1. 1988 و ط 2. 1992، 320/1.

7) الونشريسي: المعيار المعرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط 1981/1401،

ج 11 ص 74.

8) المصدر نفسه.

وإلا حُرْم اهـ. (1). وقال الدسوقي ما حاصله: «إذا» (13) لم يكن بكلام قبيح ولا حمل عليه كتعلق بامرأة أو بأمرد ولا بآلة كعود وقانون يكره (14). فإن تخلف شرط من الشروط الثلاثة حُرْم سماعه وفعله ولو في عرس على المُعتمد. وهل ترد به الشهادة كره أو حُرْم ولو مرة في السنة [وهو مالتت]. (15) أو لا بد من التكرار في السنة. لكن المعتمد كما قال شيخنا (2): إنه متى كان بكلام قبيح أو حمل عليه، أو كان بآلة حرم بعرس أو صنيع أو غيرهما، تكرر أم لا، فعلا أو سماعا، (وإن لم يكن بقبيح ولا حمل عليه ولم يكن بآلة كره كان بعرس أو صنيع أو غيرهما، تكرر أم لا، فعلا أو سماعا) (3) وترد به الشهادة إن تكرر في السنة، كان بآلة أو بغيرها على ما للمواق» اهـ. (3) ولو سرق شخص آلة لهو كعود وطنبور لم تقطع يده إلا أن يُساوي بعد كسره بتقديره نصاب (16) السرقة لقول المختصر في باب السرقة: وطنبور إلا أن يساوي بعد كسره نصابا اهـ. (4) قال الدسوقي: طنبور بضم الطاء ويقال طنبار (17) أيضا، وهو فارسي معرب (5) هـ ويكره كراء آلة اللهو لقول المختصر في باب الإجارة: وكراء دف ومعزف لعرس اهـ. (6) قال شارحه: وكره كراء دف بضم الدال، وقد تفتح، وهو الدور (18) المغشى من جهة كالغربال، ومعزف، واحد المعازف، وهي (19) الملاهي فشمّل (20) المزمارة والعود والسنتير بناء (على كراهة استعمالها وسماعها في العرس (7)). والحاصل أن الدف والكبر في النكاح فيهما قولان: الجواز والكراهة، وفي (21) المعازف ثلاثة أقوال

1) الدردير: شرح مختصر خليل. ط. حج. خ الجامع الكبير بمكناس رقم 267 ك بهامش ص 148.

2) يزيد ابن الحاج الطالب: حاشية على شرح المرشد المعين: الملزمة 34 ص 3.

* الفقرة بين هلالين غير موجودة في غا.

3) الدسوقي: حاشية على شرح الدردير للمختصر، المرجع نفسه ص 166.

4) مختصر خليل: المصدر السابق 290/2-291.

5) الدسوقي: المصدر السابق ص 336.

6) مختصر خليل: ص 188.

7) الدردير: شرح مختصر خليل. خ.ج.ك.م / ج 4 هامش ص 17.

110 زيادة الحرمة وهو أرجحها، فتكون إجارتها^(٢٢) في النكاح حراما. وأما في غير النكاح فالحرمة في الجميع اتفقا، أشار له الدسوقي رحمه الله^(١).

وأما قراءة القرآن بالتلحين - وهو تطريب الصوت بالأنغام كقراءته بطبع المائة أو العشاق أو الرصد ونحوه مما هو من نعمة العجم لا من نعمة العرب - فإن لم يخرجها عن حد القرآن كرهه على المشهور من مذهب الجمهور، لأن المقصود من القراءة التدبر والتفهم. وتقطيع الصوت بالأنغام ينافي ذلك. وعلى الكراهة مشى في المختصر، فقال في فصل سجود التلاوة عطفاً على المكروهات: وقراءة بتلحين^(٢). لكن قال الدسوقي هناك: وذهب الشافعي وابن العربي إلى جوازه^(٣)، بل قال إنه سنة، واستحسنه كثير من فقهاء الأمصار لأن سماعه بالألحان يزيد غبطة بالقرآن وإيماناً، ويكسب القلب خشية^(٢٣). ويدل له قوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» وقوله «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». وأجاب الجمهور على^(٢٤) الأول بأن المراد بالتغني الاستغناء، وعلى^(٢٤) الثاني بأنه مقلوب، فإن أخرجه عن حد القرآن حرم^(٤) - بمعناه. والإجارة على قراءته باللحن مكروهة أيضاً، وعليه حمل قول المختصر في باب الإجارة: وقراءة بلحن -هـ^(٥). وقال في باب جُمَل من "الرسالة": ولا يحل لك أن تتعمد^(٢٥) سماع الباطل كله ولا سماع شيء من الملاهي والغناء، ولا قراءة القرآن باللحن المرجعة كترجيع الغناء -هـ^(٦). وفي "المرشد": (رجز) يَكْفُ سَمْعُهُ عَنِ الْمَاتِمِ.

1) الدسوقي، المصدر السابق.

2) مختصر خليل: 71/1.

3) أما الإمام الشافعي فيقول: لا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بها بأي وجه وأحب ما يقرأ إليّ ما كان حدرًا وتحزينا (الأم - دار الفكر - بيروت، ج 6 ص 210). وانظر ابن العربي المعافري: عارضة الأحوذى، 73/12.

4) الدسوقي: حاشية على الشرح الكبير، باب النكاح، دار الفكر للطباعة والنشر. ج 2 ص 214-216.

5) مختصر خليل: باب الإجارة، تصحيح الشيخ أحمد نصر - مصر 1950/1370 ص 243.

6) ابن أبي زيد القيرواني: الرسالة، انظر كتاب الثمر الداني في تقريب المعاني، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ص 676-677.

وقال الشيخ جسوس في شرح الرسالة: وقد جزم المصنف بمنع سماع شيء من الملاهي. والمنع هو المشهور من قولين كما في القلشاني. ويستثنى من كلام المصنف النكاح⁽¹⁾. قال الشيخ خليل: وكُره نثر اللوز والسكر^(٢٦) لا الغربال إلخ. والغربال⁽²⁾ هو البندير. (وخصَّ بعضهم الجواز بما لا أوتار فيه)^(*). والكبير هو أكوال^(٢٧)، والمزهر هو المغشى من جهتين^(٢٨)، والبوق هو النفير. ويتحصل من كلامهم الاتفاق على جواز الغربال في العرس، واختلف هل يقاس عليه المزهر والكبير ثالثها يجوز في الكبير. واختلف هل يقاس على العرس غيره من الأفراح؟ وهل الإباحة للنساء فقط أو^(٢٩) لهن وللرجال؟ وهو المشهور. وفي التوضيح في باب الشهادات: الغناء بلا آلة مكروه عندنا، ولا يقدر المكروه في الشهادات^(٣٠) بالمرة الواحدة بل لا بد من تكراره⁽³⁾. وفي المدونة: تُردُّ شهادة المغني والمغنية والنائح والنائحة إذا عرفوا بذلك اهـ.⁽⁴⁾ ابن عرفة. المازري: وأما الغناء بما لا يطرب كالدف فحائز⁽⁵⁾. وقال مالك: لا بأس بضرب الدف والكبير⁽⁶⁾. قال بعض أصحابه: يريد في العرس هـ. وقال في باب الفطرة من "الرسالة" أيضا: ولا تحضر من ذلك ما فيه نوح نائحة أو لهو^(٣١) مزمار أو عودٌ

1) جسوس: شرح رسالة القيرواني، المصدر السابق.

2) مختصر خليل، المصدر السابق 326/1.

* الفقرة بين هلالين غير واردة في غا.

3) الشيخ خليل: التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، مخ مؤسسة علال الفاسي. رقم ع 627. ظهر الورقة رقم 51.

4) الإمام مالك: المدونة الكبرى، صورة من مطبعة السعادة بمصر، مطبعة صادر بتصرف، ج 6 ص 153 انظر المدونة الكبرى دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 79/4.

5) لم أعر على المصدر الذي استقى منه التادلي هذه العبارة.

6) الإمام مالك: في باب الوليمة من الموطأ: أما اللهو الخفيف مثل الدف والكبير فلا يرجع، فإني أراه خفيفا، انظر "موسوعة شروح الموطأ" تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1. مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية ج 14 ص 442.

112 أو شبهه من الملاهي الملهية إلا الدف في النكاح. وقد اختلف في الكبر⁽¹⁾ هـ وقال الشيخ زروق: ظاهره⁽³²⁾ أن الملاهي نوعان: ملهية كالعود وجميع ذوات الأوتار، وغير ملهية. وهو ما كان مزعجا كالبوبق والدف والزمارة، والكل ممنوع إلا ما استثني لوليمة العرس ونحوها⁽²⁾ اهـ. قال تعالى في وصف عباده المختصين: ﴿وَإِذَا مَدُّوا بِاللِّغْوِ مَدًّا كِرَامًا﴾⁽³⁾ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾⁽⁴⁾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾⁽⁵⁾. كما في "النصيحة"⁽⁶⁾. والمراد بالباطل في كلام المصنف كل ما نهت الشريعة عن سماعه من الأقوال والأفعال. أما الأقوال فكالغيبة والكذب والتلذذ بمطلق كلام أجنبية أو أمرد يشتهي كلامه، وإن كان كلامهما⁽³³⁾ ذكرا أو تلاوة أو مدحا من الأمداح النبوية. ابن شعبان: لا يحل لك سماع صوت الأمرد من الصبيان إذا خيف منه لذة. اهـ. وقوله التادلي. ويقويه قول الغزالي: ولا يصلى خلفه الأشفاع لأنه يلتذ بصوته، وكذلك الغناء⁽³⁴⁾ وكل ما حرك من القلب مراد الشيطان من الشهوة وعشق مخلوق بأن يُشَبَّب⁽³⁵⁾ فيه بذكر محاسن النساء من الخدود والقدود والنهود والشعور ونحوها. وأما ما يحرك الشوق إلى الله تعالى فلا يحرم⁽⁷⁾. وفي "الإحياء": لا يحرم على من غلب عليه حب الله تعالى إذا ذكر الهوى فلكل امرئ ما نوى⁽⁸⁾ [في]⁽³⁶⁾. وبعد⁽³⁷⁾ أن ذكر الشيخ زروق الغناء [كذا]⁽³⁸⁾ المحرم⁽³⁹⁾ باتفاق، وهو ما فيه ذكر الخدود [عدا]⁽⁴⁰⁾ ونحوها⁽⁴¹⁾ من دواعي الزنى قال: إن الحداء إذا لم يكن فيه شيء من

1) القيرواني: الرسالة، المصدر السابق ص 688.

2) زروق: المصدر السابق.

3) سورة الفرقان، الآية 72.

4) سورة القصص، الآية 55.

5) سورة المؤمنون، الآية 3.

6) زروق: النصيحة الكافية، ص 74.

7) الغزالي: إحياء علوم الدين ج 2 ص 247 بتصرف.

8) الغزالي: المصدر نفسه ص 244 بتصرف.

113 ذلك جاز اتفاقا، وهو سوق الإبل بضرب من الغناء. وما كان من التغزلات داعيا إلى ما ذكر حرم وما لم يستعن^(٤٢) به على ذلك. فإن أريد تسلية النفس في شغل ونحوه منع لسد الذرائع^(٤٣)، وإن أريد به تقوية النفس على الخير كسماعات الفقراء ففيه بين الناس خبط عظيم، تحريره أنه لا نص فيه من الشارع. ووقع من بعض الرجال في أحوال، فوجب أن يسلم لهم ولا يتبعوا فيه، مع أن العاملين به يقولون: إنه من رخص الصوفية. ثم قال وما سمع من سماع الأشياخ إلا لأحد أمرين: الأول إصلاحا^(٤٤) للمريدين حتى يلقي^(٤٥) إليهم ما يريد من الحق في قوالب الباطل، فإن النفس لا تُطيق الحق على وجهه مع بقاء الهوى فيها، والثاني رفقا بأبدانهم ليلا تُتَهَتَّك^(٤٦) من حرارة الحب. وقال بعض المحققين: السماع في هذا الزمان لا يقول به مسلم ولا يقتدى بشيخ يعمل السماع أو يقول به، وصاحب الحال معذور^(١) هـ والمراد ببعض المحققين ابن العربي الحاتمي كما في "النصيحة"^(٢) (٤٧).

وقد سئل السيوطي رحمه الله عن السماع فأجاب بما نصه: حرّمه مَنْ يرجع في الأمور الشرعية إليه، وأباحه من ليس لنا أن نعترض^(٤٨) عليه. وإنما هو أمر مُبْهَم وصاحبه على خطر فمن عرف طريق من أباحه، وإلا فطريق من حرّمه أسلم هـ^(٣) وفي "النصيحة": «من قال بجواز السماع فإنما قاله عند توفر شروطه الثلاثة التي هي: وجود الزيادة في الإيمان والنشاط في العبادة، والثاني السلامة مما ينكره ظاهر الشرع كالا اجتماع مع النساء والأحداث، والثالث أن لا يكون مقصودا غيره^(٤٩) من وضعه من غير رقص ولا إساءة أدب في الذكر وغيره، مع كون ذلك مرة في مدة^(٥٠)، ولا يحضره مقتدى به إلا مختفيا. والصواب

114

(1) زروق: شرح المقدمة الوغليسية. ص 266-267.

(2) الصواب: كما في شرح المقدمة الوغليسية، والوغليسية أو الجامعة في الأحكام الفقهية "كتاب للفقيه

والمفتي أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي. المتوفى عام 1384/786.

(3) لم أهتم إلى المصدر الذي استمد منه التادلي هذه العبارة.

في هذا الزمان تركه إذ أهله اتخذوا دينهم لهوا^(٥١) ولعبا» اهـ. من^(٥٢) كلام "النصيحة"⁽¹⁾. وأما الأفعال بآلات^(٥٣) اللهو. قال في شرح الوغليسية: كالبوبق والغيطة والعود والطنبور والجَنَح أو الطار وغيرها من آلات الطرب فلا يحل سماعها اختيارا، وما وقع لبعض المباركين^(٥٤) من سماعها فمحمول على أنهم فيه أصحاب [فيه]^(٥٥) حَال، وصاحب الحال له حكم المجنون، يسلم له ولا يقتدى به. وإنما الفرق بين صاحب الحال وبين المجنون أن صاحب الحال ذهب عقله (بمعنى رباني، فوجب تعظيمه لذلك، والمجنون ذهب عقله)^{*} بأمر شيطاني فيترك في حيز العدم. وقد يكون صاحب الحال ثابت الذهن قائما بالحجة لكنه فان، فيقتدى به فيما وافق الشرع. هـ كلام الشيخ زروق في شرحه المذكور باختصار. هـ⁽²⁾ كلام جسوس باختصار كثير. وقال شيخنا قاضي الجماعة بفاس سيدي الطالب بن الحاج⁽³⁾ رحمه الله في حاشيته عند قول "المرشد": «يَحْفَظُ بَطْنَهُ مِنَ الْحَرَامِ» ما حاصله: الملاهي الملهية هي العود وجميع ذوات الأوتار، وهي^(٥٦) حرام في الأعراس وغيرها كما في باب الشهادة من "التوضيح" نقلا عن المازري، ونحوه لابن عرفة وصاحب "المدخل"، وهو المشهور في مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد. ولم أر^(٥٧) من صرح بالخلاف في ذلك من المالكية إلا من عبّر في كراء المعازف بالكراهة، ومن عبّر في العود والرباب بالكراهة كابن المواز وابن عبد الحكم. وقد يريدون بالكراهة التحريم كما في "التوضيح" والعلة في

115

(1) زروق: النصيحة. المصدر السابق. ص 62-63.

* العبارة بين هلالين ساقطة في غا.

(2) زروق: شرح الرسالة الوغليسية، بواسطة النوازل الجديدة الكبرى للمهدي الوزاني. تصحيح ذ. عمر بن

عياد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الرباط، 1997/1418 مخ.خ. ح رقم 4156. 577/3.

(3) ابن الحاج الطالب: حاشية على شرح المرشد المعين. الملزمة 34 ص 3. والمؤلف هو محمد بن الطالب بن

حمدون بن الحاج السلمي المرדاسي، علامة شهير. أخذ عن والده الفقيه الأديب حمدون بن الحاج المتوفى

عام 1232هـ، وكان محمد الطالب شيخ الجماعة بفاس على عهده. وممن تتلمذ عليه إبراهيم التادلي. له

مؤلفات كثيرة جلتها في تراجم علماء فاس. وقد توفي عام 1857/1274. ترجمه الأعلام للمراكشي 311/5،

السلوة 157/1، الزركلي 40/7.

ذلك شدة الإطراب المؤدى إلى الاستكثار المنبت للنفاق في القلب. نقله في "المدخل"، عن أبي عبيّنة، وفي "النصيحة"⁽¹⁾ عن ابن المبارك، ويؤيده حديث: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النَّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ»⁽²⁾ ومقابل المشهور الإباحة، وهو الذي حكاه الماوردي⁽³⁾ عن بعض الشافعية ومال إليه الأستاذ أبو منصور البغدادي. وقال الإمام ابن العربي في العارضة لما تكلم على إباحة الغناء: وإن انضاف إلى ذلك^(٥٨) عود فهو داخل في قول أبي بكر رضي الله عنه: "مَزْمَارُ الشَّيْطَانِ" في بيت رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «دَعَهُمْ فَإِنَّهُ يَوْمٌ عِيدٌ» فلا يؤثر في التحريم، فإنها كلها آلات تقوى بها قلوب الضعفاء وتستريح النفوس بها⁽⁴⁾ اهـ. وذكر أبو المواهب التونسي⁽⁵⁾ في تأليف له في

1) عا: في طرة الصفحة 122 من المجموع: الذي في النصيحة: قال ابن المبارك: السماع ينبت النفاق في القلب، فانظرها.

2) زروق: النصيحة، المصدر السابق ص 61.

3) الماوردي: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق وتعليق علي محمد معوض وعادل أحمد محمد الموجود، دار الكتب - بيروت 1994/1414، ج 17 ص 188. انظر الشوكاني: نيل الأوطار ج 8 ص 101.

4) ابن العربي: عارضة الأحوزي، 282/5 والمؤلف هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي، رحل إلى المشرق، فلقي الإمام الغزالي وغيره، وعاد إلى وطنه بعلم غزير، وله: أحكام القرآن، وعارضة الأحوزي في شرح صحيح الترمذي، وكتاب العواصم من القواصم. وله شعر يترجم عن روح شعرية مرهفة تطبعها سمات من التصوف. توفي عام 543 بفاس. ترجمته في أزهار الرياض 62/3، الزركلي 106/7، العبر للذهبي 125/4، ابن خلكان 292/2.

5) أبو المواهب. محمد بن أحمد بن محمد بن الحاج داود بن سلامة الشاذلي التونسي، ثم القاهري المالكي المتصوف. اشتهر بابن زغدان. ولد عام 820هـ بتونس، وأخذ قراءة نافع من أصحاب الإمام ابن عرفة، درس علوم الوسائل والمقاصد، رحل إلى القاهرة عام 842، وحج وجاور، وصحب يحيى الوفايي، وفهم كلام الصوفية، كان له ميل إلى ابن عربي، فتعرض للطنع والتشكيك في دينه، فغادر مصر إلى الشام، فاشتهر أمره وتعلق به الناس. له كتاب "القانون في علوم الطائفة"، وهو كتاب يشهد له بالتدوق الكامل في الطريقة الصوفية، وله كتاب "قرع الأسماع برخص السماع"، أو "فرح الأسماع برخص السماع". وعليه يعتمد فقهاء المالكية في تعليقاتهم على أحكام الوليمة ومظاهر الفرح فيها، وهو بمثابة ملخص لكتاب "الإمتاع بأحكام السماع" للأدقوني المتوفى عام 748. وتوفي أبو المواهب بالقاهرة سنة 882هـ. ترجمته في شذرات الذهب 335/7، الضوء اللامع 66/7، الطبقات الكبرى 62/2.

إباحة... سماع الآلات⁽¹⁾ أن جمعا من الصحابة والتابعين (سمعوا نقر العود، فمن الصحابة ابن عمر، وابن جعفر، وابن الزبير، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وغيرهم، ومن التابعين)^(٥٩) وخارجة بن زيد، وعبد الرحمن بن حسان، وسعيد بن المسيّب، وعطاء بن أبي رباح⁽²⁾. وكان إبراهيم بن [أبي] سعد⁽³⁾ من علماء المدينة يقول بإباحته، ولا يحدث حديثا إلا بعد نقره، وهو إمام مجتهد مشهور عدل بارز وثقة مأمون⁽⁴⁾، أخذ عن الشافعي وروى عنه البخاري، ثم اختلف^(٦٠) من حرمه هل هو صغيرة أو كبيرة؟ والأصح عند المتأخرين من الشافعية أنه^(٦١) صغيرة، واختاره إمام الحرمين، وحزم العراقيون ومعظم الأصحاب بأنه كبيرة، وعليه الغزالي. أنظر شرح الشيخ مُرْتَضَى على "الإحياء"⁽⁵⁾. ومما ينبغي على تحريمه أن من كسر آلة منها لا يضمنها^(٦٢). وقال في باب الشهادة من المختصر مما تسقط به العدالة من قوله: ويبيع نرد وطنبور⁽⁶⁾. وفي باب السرقة^(٦٣) لأحمد: وطنبور إلا أن يساوي بعد كسره نصابا⁽⁷⁾. وغير الملهية هي الآلات التي لا أوتار

116

- 1) الإشارة هنا إلى كتاب "فرح الأسماع برخص السماع" لأبي المواهب التونسي، تحقيق ذ محمد الشريف الرحموني، الدار العربية للكتاب، تونس 1985.
- 2) يقول ابن حجر في الرد على أبي المواهب التونسي: وكلامه هذا من جملة الكذب على إبراهيم... وعلى فرض صحته لم يجز لأحد تقليده لأنه ليس من المجتهدين. كف الرعاع ص 309.
- 3) المراد هنا إبراهيم بن سعد الزهري.
- 4) أبو المواهب التونسي. المصدر نفسه.
- 5) مرتضى الزبيدي: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: عقد الزبيدي فصلا خاصا بالسماع وآدابه، استغرق من الجزء السابع المحقق من ص 557 حتى 781. ومما جاء فيه: وأما الأوتار، ويدخل فيها العود والقانون والرباب والجنك والسنطير والكمنجة وغير ذلك. والمعروف في مذهب الأئمة أن الضرب بها وسماعها حرام. وحكى جماعة جواز ضرب العود وسماعه. وفي موقع آخر علل الزبيدي المنع في الأوتار بثلاثة أسباب: أحدها أنها تدعو إلى الشرب، والثانية أنها تُذكر الشرب لقرب عهدها به، والثالثة أنها من عادة أهل الفسق. وقد استعرض أقوال المبيحين فذكر أن من لم يكن حاله ارتياد مجالس الشرب، أو حسنت ثوبته لم تشمله العلة الثانية. (دار الكتب العلمية-بيروت. د.ت ج 7 ص 645 و690).
- 6) مختصر خليل: باب العدل، تصحيح الشيخ أحمد نصر، المكتبة التجارية 1370-1950 ص 265.
- 7) المصدر نفسه، باب السرقة، ص 288. انظر الشامل للدميري مخ. مؤسسة علال الفاسي رقم ع 64 ص 504.

لها. قال الشيخ خليل فيها: لا الغربال ولو لرجل الخ⁽¹⁾. وفي "البيان" لابن رشد: اتفق أهل العلم على إجازة الغربال في العرس اهـ.⁽²⁾، وحكاها شارح "المقنع" عن الحنابلة⁽³⁾ وأبو بكر الأبهري عن الشافعية⁽⁴⁾ وقال الشيخ جعفر الأذفوي⁽⁵⁾: ذهبت طائفة إلى إباحة الدف في العرس والعيد وقدم المسافر وكل سرور حادث⁽⁶⁾. وهو الذي للغزالي في الإحياء⁽⁷⁾ والقرطبي لما ذكر أحاديث تقتضي المنع قال: وقد جاءت أحاديث تقتضي الإباحة في النكاح وأوقات السرور، فيستثنى من المنع المطلق⁽⁸⁾. ولما استثنى القرطبي الدف قال: ولا يلحق به الطارات ذوات الصلاصل والجلجل لما فيها^(٩) من زيادة الإطراب اهـ.⁽⁹⁾ ونحوه لزروق في "شرح المباحث الأصلية"⁽¹⁰⁾ قال: وقد رام بعضهم إباحتها،

(1) مختصر خليل، ص 132.

(2) ابن رشد. أبو الوليد: البيان والتحصيل، تحقيق محمد العراشي، دار الغرب الإسلامي - لبنان، ج 4 ص 431.
(3) المرغشي: المقنع في شرح أبي مفرع، المصدر السابق. انظر المقنع للمقدسي أبي عبد الله وشرحه لابن أخيه عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ج 7 ص 434.

(4) جاء في كتاب "فرح الأسماع برخص السماع" لأبي المواهب التونسي: ص 66 «وحكاها شارح المقنع عن الحنابلة وأبو بكر العامري عن الشافعية...». وقول التونسي أرجح وأصوب لأن المعروف عن الأبهري أنه كان من شيوخ المالكية. أما العامري فهو أبو بكر محمد بن حبيب البغدادي صاحب "كتاب السماع".
(5) الأذفوي. جعفر بن ثعلب، من علماء الشافعية، جمع بين الفقه والأدب، أخذ عن ابن دقيق العيد ولزمه، وتأدب بأثير الدين أبي حيان الأندلسي، ومن مؤلفاته: الإمتاع في أحكام السماع، وفيه فوائد عن آلات الموسيقى توفي عام 748هـ / 1347. ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة 136/3، الزركلي 122/2.

(6) الأذفوي: الإمتاع بأحكام السماع. المكتبة الوطنية. تونس. رقم 3058.

(7) جاء عند الغزالي في كتابه "بوارق الإلماع في تكفير من يحرم السماع" ما يؤكد ذلك. ص 3-4-5.

(8) جاء في تفسير القرطبي (ج 14 ص 54) أنه قيل: إن الطبل في النكاح كالدف، وكذلك الآلات المشهورة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما حسن من الكلام، ولم يكن فيه رفت، ج 14 ص 38 و54.

(9) القرطبي. المصدر نفسه. انظر مواهب الجليل لأبي عبد الله الحطاب 7/4.

(10) يقول ابن البناء السرقسطي في منظومة المباحث الأصلية: (خ. ح رقم 4670 ص 43).

ولم يكن فيه مُرابِلونا ولا طنابِرُ ومسمِعونا
وليس أيضا كان فيه طارُ ولا مزاهرٌ عليها نقرُ

والمراسلون: الذين يتراسلون ويتغنون بالغناء. والطنبور: آلة كالعود ذات عنق طويل يطلق عليها لفظ "البزق".

وهو بعيد، ونسب للشافعي جوازه، وأنكره أبو إبراهيم المُزني⁽¹⁾، وكان من كبار أصحاب الشافعي، وأنشد فيه من أبيات ذكرها في "المدخل": (سريع)⁽²⁾.

117 حَاشَا الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ الشَّبِيهَ أَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ مَعَالِي نَبِيهِ
أَوْ يَتَّخِذَ طَارِأً وَشَبَابَهُ^(٦٥) لِنَاسِكَ فِي دِينِهِ وَيَقْتَدِيَهُ^(٦٦)

ويستثنى من هذا الخلاف الذي في الكبر كما قال الأذفوي والقرطبي المالكي وابن الجوزي من الحنابلة: طبل الحرب، فيجوز بلا خلاف لما فيه من التقوية على العدو.

وقال الإمام المقدسي⁽³⁾ وأما صوت الشبابة فاحتج أهل الحديث بحديث نافع عن ابن عمر حين وضع^(٦٧) أصبعه في أذنيه وقد سمع زمارة راع و[قد]^(٦٨) عدل عن الطريق وهو يقول: «يَا نَافِعُ أَتَسْمَعُ؟»، حتى قلت لا، فأخرج أصبعه من أذنه، وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع⁽⁴⁾. وهذا ليس فيه دلالة على التحريم بل فيه دليل قوى على إباحة الشبابة حيث لم يأمر عبد الله بسد أذنيه ولم ينكر على الراعي في فعله، وهو ﷺ لا يقر^(٦٩) أحدا على باطل. وأما سد أذنيه ﷺ فيحتمل معنيين: أحدهما أنه ﷺ كان أتم الأحوال وأفضلها، ونحن نقول إن الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها. الثاني أنه ﷺ قل ما يخلو^(٧١) قلبه من فكر أو ذكر أو حال مع الله تعالى، فلعله كان في حال يشغله عنه زمارة الراعي.

1) المزني: أبو إبراهيم صاحب الإمام الشافعي وتلميذه عالم مجتهد، له الجامع الكبير، والجامع الصغير، والمختصر، كان الشافعي يقول فيه: لو ناظر الشيطان لغلبه، توفي سنة 878/264. ترجمه الزركلي 329/1، وفيات الأعيان 71/1.

2) ابن الحاج: المدخل، 100/3.

3) المقدسي: حل الرموز، ضمن مجموع بالخزانة الحسينية رقم 1558 ص 255-256.

4) انظر القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر: جامع الأحكام الفقهية 205/1.

ويصح الاحتجاج به لابن كنانة في إجازة الزمارة، لكن في الاحتجاج به على إباحتها نظر، وإنما فيه ذكر صوت الزامر وهو أخف، وفي المدونة: أكره الدفاف والمعازف في العرس وفي^(٧٢) غيره هـ^(١).

وفي فصل وقاره ﷺ من "الشفاء" للقاضي عياض^(٢): «فَخَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ مَكَّةَ سَمِعْتُ فِيهَا عَزْفًا بِالْدُفُوفِ وَالزَّمَامِيرِ لِعُرْسٍ بَعْضُهُمْ فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ فَضُرِبَ^(٧٣) عَلَيَّ أُذُنِي فَنَمْتُ فَمَا^(٧٤) أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسَّ الشَّمْسُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا» إلى قوله «ثُمَّ لَمْ أَهَمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِسُوءٍ»^(٣) هـ قال شارحه الشهاب ما حاصله: عَزْفًا بعين مهملة وزاي معجمة وفاء ما يُلهي به الإنسان^(٤). وفي "مختصر العين": العزفُ اللعب^(٧٥) بالمعازف وهي الملاهي واحدها عزف أو معزف. والمعزف الطنبور أو الدف،^(٥) والدفوف جمع دف بضم أوله أو فتحه وتشديد الفاء، وهو الذي يضرب به النساء، ويسمى عند العامة دراجاً وطاراً، وفيه شبه الجلالجل قال: (رجز)

كَأَنَّ فِي الدَّفِّ الذِّي يَفْصِلُهُ زَمَارَ دَفٍّ تَتَغَنَّى^(٧٦) جُلُجُلُهُ

1) هنا ينتهي نقل التادلي من حاشية الطالب ابن الحاج على شرح ميارة للمرشد المعين، ط حج.خ.ج. ك مكناس رقم 681م II. الملزمة 33 ص 8 والملزمة 34 ص 1 و 2.

2) أخطأ التادلي، فرد الحديث إلى فصل "وأما وقاره ﷺ". والصواب أنه وارد في آخر فصل "وأما عدله ﷺ". المرجع السابق.

3) تنمة حديث الرسول كالاتي: عراني مرة أخرى مثل ذلك، ثم لم أهم بسوء. إلخ ونصه كاملا: ذكر أبو جعفر الطبري - برواية الزار- عن علي عنه ﷺ: ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته. قلت لغلام كان يرعى معي: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت فيها عزفا بالدفوف والزامير لعرس بعضهم، فجلست أنظر، فضرب علي أذني، فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت ولم أفض شيئا. ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك، ثم لم أهم بعد ذلك بسوء. (انظر الشهاب الخفاجي. المصدر السابق. ص 128-130).

4) الشهاب الخفاجي: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض. المجلد الثاني، ص 129-130.

5) الزبيدي أبو بكر: مختصر العين: مخ.خ.ح رقم 239 ص 58.

واختلف فيه فجوزه^(٧٧) بعض الشافعية، وكرهه مالك^(١). ثم قال^(٢): واعلم أن المعازف حرام في ملتنا للنهي عنها في الأحاديث المشهورة كقوله ﷺ: «لِيَكُونَ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ وَالْمَعَاذِفَ»^(٣). واختلف في بعضها فمنهم من جوز الدف في العرس، ومنهم من جوز ضرب العود^(٧٨) لتسليية الأحران كالماوردي^(٤) وكان الأستاذ الشيخ محمد البكري رحمه الله تعالى ونفعنا به يقول: عطروا مجلسنا بالعود الماوردي، لكنه قول ضعيف. وفي منظومة الدميري رحمه الله: (رجز)

وَنَعَمَاتُ الْعُودِ فِي الْأَحْيَانِ قَالُوا تُزِيلُ أَثَرَ الْأَحْزَانِ
فَأَجْزِمُ عَلَى التَّحْرِيمِ أَيَّ جَزْمٍ وَالْجَزْمُ^(٧٩) أَلَّا تَتَّبِعَ ابْنَ حَزْمٍ
فَقَدْ أُبِيحَتْ عِنْدَهُ الْأَوْتَارُ وَالْعُودُ وَالطُّبُبُورُ وَالْمِزْمَارُ^(٥)

119

1) الشهاب الخفاجي، المصدر السابق.

2) المراد بالقائل هنا شارح الشفا.

3) الشهاب الخفاجي، المصدر السابق 129-130.

4) الماوردي: أبو علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، ولد بالبصرة سنة 364، وفيها نشأ وتلقى تعليمه، انتقل إلى بغداد، وفيها درس الفقه على شيخها أبي حامد الأسفرائيني، ولي القضاء أكثر من مرة، ثم عين في منصب "القاضي القضاة" على عهد القائم بأمر الله العباسي، وهو أحد كبار فقهاء الشافعية، إلى جانب علمه بالسياسة والاجتماع، وضلوعه في الأدب، كان يميل إلى مذهب المعتزلة. وتوفي سنة 450هـ - ببغداد، له عدة مؤلفات منها الأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين، والحاوي. انظر الحاوي الكبير ص 193. ترجمته في طبقات الشافعية 3/303 و ما بعدها هدية العارفين 1/689.

5) الفقرة "بدا من" فخرجت حتى جئت أول دار من مكة" وانتهاء بأبيات الدميري منقولة بأكملها من شرح الشهاب الخفاجي للشفا ص 128-130.

وقد عمد شهاب الدين محمد بن إسماعيل بن عمر المكي المتوفى عام 1274هـ/1857م - وهو أحد علماء الأزهر المعاصرين- إلى وضع منظومة عارض فيها أرجوزة الدميري نظما وموضوعا، قال فيها..(رجز)

تَمَّ ابْنُ حَزْمٍ وَهُوَ حَبْرٌ عَارِفٌ قَدْ جَوَزْتَ فِي قَوْلِهِ الْمَعَاذِفُ
وَعِنْدَهُ قَدْ حَلَّتِ الْأَوْتَارُ وَالذَّفُّ وَالطُّبُّورُ وَالْمِزْمَارُ
كَذَلِكَ الْأَرْعُنُ وَالرَّبَابِيُّ وَالنَّايُ وَالْمَوْصُولُ وَالسَّنَابِيُّ
وَلَا جَنَاحَ فِي الْجَنَاحِ عِنْدَهُ فَاسْمَعْ لَهَا وَاطْرَبْ وَتَابِعْ جُنْدَهُ

الهوامش والتصويبات

- ١) حب: سقط حرف الجر من كلمة "الرجل".
- ٢) حب: سقطت كلمة "والبوق".
- ٣) عا-حن: أوتارا. ولا موجب للنصب/عب: الأوتار.
- ٤) حا: سقطت كلمة "قال".
- ٥) حا: أسبغ. خطأ.
- ٦) عا: حب: بقيت. خطأ.
- ٧) عا: سقطت عبارة "بآلة أم لا".
- ٨) حب: أو.
- ٩) حا-حب: سقطت كلمة "تكرر".
- ١٠) حا-حب: سقطت كلمة "وأما".
- ١١) حا: ذات بالبدال المهملة. خطأ.
- ١٢) حا: عليها.
- ١٣) حب: ان.
- ١٤) غا-عب: كره.
- ١٥) ما بين معقوفين في سائر النسخ حشو.
- ١٦) حب: نصب. خطأ.
- ١٧) عا: طنبارا. ولا موجب للنص. طنبور: خطأ.
- ١٨) غا-عب-حب-حا: المدور. خطأ.
- ١٩) عب: سقط حرف الواو.
- ٢٠) عب: فيشمل.
- ٢١) حب: الفقرة التي بين هالين ساقطة بالكامل.
- ٢٢) عا: أجازتها بحرف الزاي. وهو خطأ.
- ٢٣) حب: حشية بحرف الحاء المهملة. خطأ.
- ٢٤) غا-عب: عن.
- ٢٥) عا-عب: تعمد. وهو خطأ.

- (٢٦) عا: والسكار.
- (٢٧) عب: أكوال.
- (٢٨) غا-عب-حا-حب: وجهين.
- (٢٩) حا: سقطت همزة "أو".
- (٣٠) حا: الشهادات: خطأ.
- (٣١) حا: أولهن من وهو تحريف.
- (٣٢) حا: وظاهره.
- (٣٣) عا: كل منهما تحريف.
- (٣٤) حا-حب: وهو كل.
- (٣٥) عا-حا: يشيب وهو تصحيف.
- (٣٦) عا: كلمة (في) التي بين معقوفين حشو.
- (٣٧) عا: سقطت كلمة "وبعد".
- (٣٨) عا: كلمة (كذا) التي بين معقوفين حشو.
- (٣٩) عا: سقطت كلمة "المحرم".
- (٤٠) كلمة (كذا) التي بين معقوفين حشو.
- (٤١) عا: سقطت كلمة "ونحوها".
- (٤٢) عا: يستعمل خطأ.
- (٤٣) عب: الذريعة.
- (٤٤) عب: سقطت كلمة "إصلاح".
- (٤٥) عا: حب: يلقن. تصحيف.
- (٤٦) عا-حا-حب: تهتك والصواب ما أثبتناه.
- (٤٧) عا: لا وجود لعبارة "كما في النصيحة".
- (٤٨) عا-حا-حب: نتعرض، وهو تصحيف.
- (٤٩) حا: مقصود غيره.
- (٥٠) غا-عا: في مدة بحرف الدال.
- (٥١) غا-حا-حب-عب-هزؤا.
- (٥٢) حا-حب-عب: سقطت كلمة "من".
- (٥٣) غا-عا-حا-حب: بآلات.

- ٥٤) عا: العباركين، وهو تصحيف.
- ٥٥) كلمة "فيه" بين معقوفين حشو.
- ٥٦) عا: وهو خطأ.
- ٥٧) عا: كلمة غامضة. والصواب ما في النسخ الأخرى.
- ٥٨) عا: ذكر والصواب: ذلك.
- ٥٩) حب: العبارة التي بين هلالين ساقطة.
- ٦٠) عب: أخلف. خطأ.
- ٦١) في عا: أنها.
- ٦٢) غا-عا-حا-حب: يضمه.
- ٦٣) عا-حب: السريقة- وهو خطأ.
- ٦٤) عا: فيه. خطأ.
- ٦٥) عا-حا: طارات أو شباة. وفي شرح زرؤق للمباحث الأصلية: أو يتخذ طارا وشباة
خ ح 9332 ص 77.
- ٦٦) في كتاب المدخل لابن الحاج: ويقتديه ط 1. ج 3 1960/1380 شركة ومكتبة
ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر. ص 100.
- ٦٧) حا: وضعه.
- ٦٨) عا-حب: ما بين معقوفين حشون.
- ٦٩) يقرأ: خطأ.
- ٧٠) غا-عا: عبارة التوصية ساقطة.
- ٧١) عا-حب: يخلو بزيادة ألف بعد الواو خطأ.
- ٧٢) عب: سقطت "في".
- ٧٣) عا: فيضرب خطأ.
- ٧٤) عا: سقطت عبارة "فنمت فما".
- ٧٥) عا: اللاعب. خطأ.
- ٧٦) في سائر النسخ: تغير، والصواب ما أثبتناه نقلا عن شرح الشفا للشهاب الخفاجي.
- ٧٧) عا: فجوازه. خطأ.
- ٧٨) في سائر النسخ: وضربه- والصواب منقول عن شرح الشفا للشهاب.
- ٧٩) عا-حب-حا: والجزم تصحيف.

ثم قال في الحاشية المتقدمة⁽¹⁾ عقب ما مر عنها ما حاصله: قال أصبغ⁽²⁾ في "العتبية"⁽³⁾: وإذا ضرب النساء في الدفاف فلا يعجبني التصفيق بالأيدي وهو أخف من غيره. اهـ. نقله في "التوضيح"⁽⁴⁾.

تنبيهات:

الأول: تحصل مما مرّ أن الغربال^(٢) في العرس جائز اتفاقاً، وفي الكبر، والمزهر ثالثها. يحوز الكبر. وهل يُقاس على العرس غيره من الأفراح؟ الراجح نعم، بل قال العنبري⁽⁵⁾ وإبراهيم بن سعد بالجواز متى أحب الإنسان ذلك، وضُغف قولهما. والراجح في الطار والشبابة المنع في العرس وغيره، وأنّ العود والرباب يمنعان أيضاً في العرس وغيره اتفاقاً عند المالكية وعلى المشهور عند الشافعية والحنفية والحنابلة، وأنّ الأصحّ عند من حرّمه أن سماعه من الصغائر.

(1) ابن الحاج الطالب. الملمزة 34 ص 3.

(2) أصبغ بن الفرج بن سعيد المالكي، أبو عبد الله، ولد في مصر، ورحل إلى المدينة المنورة ليسمع عن مالك، فدخلها يوم وفاته. أفتى في مصر، وكان من أعلم العلماء برأي مالك. وهو ثقة صاحب سنة من فقهاء الطبقة الأولى الذين انتهى إليهم الفقه المالكي. له تأليف عدة منها: كتاب الأصول، تفسير غريب الموطأ. توفي سنة 225 وقيل 224 أو 220هـ، وفيات الأعيان 79/1، الإحاطة 264/1.

(3) العتبية: كتاب "المستخرجة العتبية" لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن جميل بن عتبة القرطبي، كنيته أبو عبد الله، سمع بالأندلس، ورحل إلى المدينة، فسمع من سحنون وأصبغ. كان كثير الحفظ، جَماعاً للمسائل، عارفاً بالنازل. ولم يكن هناك أحد يتكلم معه في الفقه إلا من جاء بعده. وكان جليل القدر عند العامة معظماً في زمانه. جمع "المستخرجة العتبية"، فكان يقيد فيها كل ما سمعه وأعجبه من الروايات، حتى المسائل الشاذة، ولذلك قيل: في المستخرجة خطأ كثير. ترجمه القاضي عياض. وقد ذكر ابن حزم الظاهري أن للمستخرجة بإفريقية القدر العالي والطيران الحثيث. توفي سنة 254 أو 255. انظر ترتيب المدارك، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط مطبعة فضالة- المحمدية ج 4 ص 252. الزركلي 307/5، اللباب 119/2، الجذوة ص 36.

(4) الشيخ خليل الجندي: التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب. مخ. مؤسسة علال الفاسي. رقم ع 627 ظهر الورقة 51. تح الشيخ أحمد نصر - مصر 1950/1370.

(5) العنبري. عبد الرحمن بن المهدي بن حسان، محدث شهير، لازم الإمام مالكا وأخذ عنه كثير الفقه والحديث، وعلم الرجال. وله معه حكايات. كان ثقة ومرجعاً، جالس الإمام الشافعي، وقيل إنه هو الذي بدأ رسالته، وقد نسب له "كتاب السنة والفتن". توفي بالبصرة عام 198هـ. ترجمته في إيصاح المسالك ص 352.

الثاني: ما وقع لبعض المباركين من السماع لهذه الآلات وغيرها محمول على أنهم فيه أصحاب حال، وصاحب الحال له حكم المجنون في جميع أحواله فيسلم له ولا يقتدى به.

الثالث: من أسمع العوائد ما يفعله أصحاب الملاهي في العود ونحوه من ابتدائهم الموازين أو بعضها بثناء على الله تعالى أو مدح نبوي أو صلاة على المصطفى ﷺ وختمهم بأدعية، فإن أرادوا بذلك استحلال ما حرم من تلك الآلات فقريب من الكفر والعياذ بالله تعالى، أو أرادوا كفارة ما فيه من الوزر فجهل عظيم بل هو إلى الاستهزاء أقرب. فيزداد الإثم من جهة استعمال ما وُضع^(٣) للتعظيم في غير محل التعظيم كما يُسْمَلُ عند شرب الخمر.

120

الرابع: سماع الغناء بدون الآلات، أعني الإنشاد بصوت رقيق فيه تمطيط، أربعة أقسام على ما يظهر من كلام الغزالي في "الإحياء" وابن الحاج في "المدخل" والمقدسي في "حل الرموز":

- أحدها حرام محض لأكثر الناس من الشباب وغيرهم ممن غلبت عليهم^(٤) شهوة الدنيا (إن كان في الإنشاد مثل الصدغ والخد والوصال لأنه لا يحرك منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات^(٥)) المذمومة.

- ثانيها مكروه لمن لا ينزله على صورة المخلوق، بل يتخذه عادة على سبيل اللهو.

- ثالثها مباح لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن.

- رابعها مندوب لمن غلب عليه حب الله تعالى (ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة، إن كان الصوت من غير أجنبية ولا أمرد). وعلى القسم الأول حمل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنُ

يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ ﴿١﴾ وقول "النصيحة": ومن الباطل الغناء⁽²⁾.
انظر شرحها^(٨) والقسم الأخير⁽³⁾ هو ما نقله صاحب "النهاية في شرح
الهداية" عن ابن طاهر من إجماع الصحابة والتابعين على إباحته⁽⁴⁾،
وعن ابن قتيبة (توفي سنة 76هـ) من إجماع أهل الحرمين عليه.
ومحمل^(٩) ما أنشد بعض الشيوخ⁽⁵⁾. (طويل)

121

وَمَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ السَّمَاعُ بِطِيبِهِ فَذَلِكَ أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى التَّصَوُّرِ^(١٠)
وَأَهْلُ الْحِجَا أَهْلُ الْحِجَا زِينَتُهُمْ رَوَاهُ مُبَاحًا عِنْدَهُمْ غَيْرَ مُنْكَرٍ
وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قَالَ زِينُوا بِأَصْوَاتِكُمْ آيَ الْكِتَابِ الْمُطَهَّرِ
فَإِنَّ أَكْ^(١١) مُغْرَى بِالسَّمَاعِ وَطِيبِهِ فَحَسْبِي اقْتِدَاءُ بِالْكَرِيمِ ابْنِ جَعْفَرٍ^(١٢)
زِيَادَةُ حُسْنِ الصَّوْتِ لِلْمَرْءِ زِينَةٌ يَرُوقُ بِهَا لَحْنُ الْقَرِيضِ الْمُحَبَّرِ
فَكُلُّ أَمْرٍ عَابَ السَّمَاعَ فَإِنَّهُ مِّنَ الْجَهْلِ فِي عَشْوَانِهِ غَيْرُ مُبْصِرٍ
وَهَامَ بِهِ أَهْلُ التَّصَوُّفِ رَغْبَةً لِتَهْيِيجِ شَوْقِ نَارِهِ^(١٣) لَمْ تَسْعَرَ^(١٤)
وَزَانَتْ لِدَاوُدَ النَّبِيَّ زُبُورَهُ مَزَامِيرُهُ بِالنُّوحِ^(١٥) فِي كُلِّ مَحْضَرٍ
وَلِلَّهِ فِي الْأَرْوَاحِ عِنْدَ ارْتِيَاحِهَا إِلَى اللَّحْنِ سِرٌّ فِي الْوَرَى غَيْرُ مُظْهِرٍ

1) سورة لقمان، الآية 6. وقد احتج بعض الفقهاء بهذه الآية، فقالوا: المراد بالآية الغناء والشبابة. والذي في تفسير القرطبي عن ابن مسعود: الغناء فقط. وقيل إن الآية نزلت في النضر بن الحارث، فقد كان يشتري المغنيات، فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته، ويقول: أطعميه واسقيه وغنيه. ويقول: هذا خير مما يدعو إليه محمد من الصلاة والصيام، وأن تقاتل بين يديه. (تفسير القرطبي ج 14 ص 52.

2) زروق: النصيحة النافية، ص 61.

3) عا: والقسم الأول: وصوابه: الأخير كما في النسخ الأخرى، والمراد رابع أقسام سماع الغناء بلا آلات.
4) انظر في الرد على ابن طاهر: كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لابن حجر الهيتمي. ص 277-281.
وكتاب النهاية في شرح الهداية الوارد في المتن هو من تأليف حسام الدين الحسين بن علي بن حجاج السنغاق (ت 710) نسبة إلى سنغاق بلدة في تركستان. وهو شرح على كتاب "الهداية" لبرهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الصديقي المرغيناني المتوفى عام 593هـ. ويعتبر كتاب "الهداية" من أنفس متون الفقه الحنفي وأجلها وأعزرها بالفقه والأدلة.

5) المقصود هو أبو محمد بن الصباغ كما جاء في كناش الحايك. والصواب هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير كما في "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك - السفر الخامس ص 615.

هـ من الحاشية المذكورة⁽¹⁾. ونقل هذه الأبيات أيضا الشيخ الحايك في كتابه في الموسيقى فقال: "الفصل الثاني في منفعه وأحكامه"⁽²⁾: مذهب جمهور حذاق⁽³⁾ الأطباء ان الصوت الحسن يسري في الجسم ويجري في العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح⁽⁴⁾ له القلب وتهتز له الجوارح. وفي كل شيء على البدن تعب ما عدا السماع لا تعب فيه على البدن والجوارح، لأنه مرتع النفس وربيع القلب وسلوان الكتيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لموقع الصوت الحسن من سلطان الجسد وأخذه بمجامعه. وما خلق الله شيئا أوقع في القلب ولا أشد اختلاسا للعقول من الصوت، فلا يحل لامرئ مسلم أن يعيبه على من شُغف به، فإن ذلك من رقة النفس ولطافتها واعتدال المزاج، ولا يُنكره إلا غليظ الطبع مختل العقل كما قيل: (بسيط)

122

إِنَّ السَّمَاعَ صَفَا نُورًا^(١٨) وَصَفْوَتُهُ تَخْفَى وَتُحَجَّبُ عَمَّنْ قَلْبُهُ قَاسٍ
نُورٌ لِمَنْ قَلْبُهُ بِالنُّورِ مُنْشَرِّحٌ نَارٌ لِمَنْ قَلْبُهُ قَاسٍ بَوَسْوَاسٍ⁽³⁾

وقال ابن عبد الجبار⁽⁴⁾ (طويل)

وَمَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ الرَّبِيعُ وَزَهْرُهُ وَلَا الْعُودُ حِينَ تَعْتَرِيهِ الْأَصَابِعُ
وَلَمْ يَتَأَثَّرْ بِالسَّمَاعِ وَلَحْنِهِ^(١٩) وَلَمْ يَلْتَمِسْهُ الصَّفْوُ^(٢٠) إِذْ هُوَ نَافِعٌ

(1) ابن الحاج الطالب: المصدر السابق، الملزومة 34 ص 4-5.

(2) كناش الحايك - المصدر السابق. ص 37-38.

(3) من البسيط. وفي غا: وَوَسْوَاسٍ. وهو خطأ.

(4) ابن عبد الجبار. إبراهيم بن عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي، الفحيجي، أخذ عن والده العلامة عبد الجبار الفحيجي، وعن بعض علماء الزاوية الونشريسية، والزاوية الكبيرة. انتقل إلى فاس، فأخذ عن بعض علمائها، ثم رحل إلى المشرق للحج، فلقى جلال الدين السيوطي بمصر، وإبراهيم اللقاني صاحب "جوهرة الحديث". عاد إلى موطنه فحج، فولي بها مهمة القضاء، وكان ولوعا بالصيد في البراري، وفي ذلك نظم قصيدة عينية من 214 بيتا، وله أيضا - أرجوزة في العقائد والتربية سماها "مفيدة الولدان" قوامها 817 بيتا، وله تأليف في قوله صلعم: بني الإسلام على خمس. هاجر إلى السودان مع بعض أهله واستقر في مملكة بورنو، فاشتغل بالفتوى والتدريس لمدة تزيد على ثلاثة عقود إلى أن توفي بها عام 954هـ. ترجمته في الدوحة ص 132، الجدوة 99/1، البستان في ذكر الأولياء ص 287.

وَلَمْ تَسْتَفِزَّهُ الطِّبَاءُ وَلَا الْمَهَا إِذَا اعْتَرَضَتْ^(٢٢) أَوْ أَلْجَأَتْهَا الْأَجَارِعُ
وَلَمْ يَدْرِ مَا الْغَرَامُ وَمَا الْهَوَى وَلَا وَجَعَاتُ الْقَلْبِ إِذْ يَتَوَجَّعُ
فَذَلِكَ مُخْتَلُّ الْمِزَاجِ طَبِيعَةً وَلَا شَكَّ فِيهِ لِلْحِمَارِ طَبَائِعُ

وفي بعض التأويلات في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِيهِ الْخَلْقُ مَا يَشَاءُ﴾^(١) أنه الصوت الحسن. وربما يتوصل به إلى خير الدنيا والآخرة لأن الألحان تبعث على مكارم الأخلاق، والذبح^(٢٣) عن^(٢٤) الأعراض، والتجاوز عن الذنوب. وقد يبكي بها^(٢٥) الرجل على خطيئته فيرق قلبه من قسوته. سئل الجنيد: ما بال الإنسان يكون هادئاً^(٢٦) فإذا سمع الصوت اضطرب؟ فقال: إن الله سبحانه لما خاطب^(٢٧) الدر في الميثاق الأول بقوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾^(٢) استفرغت عذوبته^(٢٩) كلام الأرواح، فإذا سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك. وقال أبو الدرداء (ت. 32هـ): إني لأستنجع^(٣) نفسي بشيء من اللهو ليكون ذلك عوناً على الحق. اهـ. ما في الحايك^(٤). وللعلامة الفكيكي رحمه الله قصيدة في مدح الصيد أولها: (طويل)

يَلُومُونِي فِي الصَّيْدِ وَالصَّيْدُ جَامِعٌ لِأَشْيَاءَ لِلْإِنْسَانِ^(٣٠) فِيهَا مَنَافِعُ^(٣١)

إلى قوله:

فَمَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ الرَّبِيعُ وَزَهْرُهُ وَلَا الْعُودُ حِينَ نَعْتَرِيهِ الْأَصَابِعُ
فَذَلِكَ مَفْسُودُ الْمِزَاجِ طَبِيعَةً وَلَا شَكَّ فِيهِ لِلْحِمَارِ طَبَائِعُ

1) سورة فاطر، الآية 1.

2) سورة الأعراف، الآية 172.

3) في غا- عا- عب- حا: لأستنجم، وفي حب: لأستجم، وكلا اللفظين بعيد عن المعنى المقصود، ولعل الصواب: لأستنجع بمعنى أستمرئ وأستطيب للهو.

4) الحايك. المرجع السابق.

وقال بعضهم: (رجز)

وَأَسْمَعُ إِذَا غَنَّتِ الْمَثَانِي (٣٢) تَقُولُ يَا هُوَ لَبَّيْكَ يَا هُوَ
وَاطْرَبَّ لِذِكْرِ الْحَبِيبِ وَاشْرَبَّ قَدْ بَلَغَ الشَّوْقُ مُنْتَهَاهُ

ثم قال في الحاشية^(١) عقب ما مرّ: وقال الجنيد: السماع على ثلاثة أنواع: للعوام، والزهاد، والعارفين. فأما العوام فحرام عليهم لبقاء أنفسهم. وأما الزهاد فمباح لهم لحصول مجاهدتهم، وأما أصحابنا فمستحب لهم^(٢). وقال الشبلي (ت 344هـ):^(٣) ظاهره فتنة وباطنه عبرة، فمن عرف الإشارة حل له سماع العبارة^(٤). وقال أبو طالب: إن أنكرنا السماع من غير تفصيل فقد^(٥) أنكرنا على^(٦) سبعين صادقا^(٧)، وقال الشهروردي^(٨): منكر السماع إما جاهل بالسنن والآثار أو مفتر بما حرّفه من أحوال الأخيار، وإما جامد الطبع الذي لا ذوق له فيصير^(٩) على الإنكار^(١٠). لكن قال الشيخ زروق في "شرح الرسالة" وفي "القواعد": أكثر من يُعتدّ به من مشايخ المتأخرين على منعه لفساد الزمان حتى قال محيي الدين ابن العربي: السماع في هذا الزمان لا يقول به مسلم ولا يُفتدى بشيخ يعمل به^(١١) هـ وفي "النصيحة": الصواب في هذا الزمان

124

1) ابن الحاج السلمي: حاشية على شرح المرشد المعين، الملزمة 34 ص 5.

2) الغزالي: الإحياء ج 2 ص 279. انظر الأذفوي: الإمتاع بأحكام السماع، الورقة 25.

3) المصدر نفسه، ج 2، ص 252.

4) أبو طالب المكي: قوت القلوب 101/2.

5) الشهروردي: شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري البغدادي. ولد سنة 539هـ، كان شيخ وقته في علم الحقيقة وفي تربية المريدين. لازم الخلوة والذكر، ولما تقدم في السن عقد مجلسا للوعظ، فكان يلتفت حوله خلق عظيم. نفذ رسولا عدة مرات، وكان موضع احترام، غير أنه داوم على الذكر والحج، صنف في التصوف كتاب "عوارف المعارف" شرح فيه أحوال القوم، وقد توفي سنة 632. ترجمه الوفيات 380/1، البداية والنهاية ص 13، طبقات الشافعية 143/5.

6) انظر في هذا الموضوع الباب الثاني والعشرين في القول والسماع للشهروردي. كتاب "عوارف المعارف" على هامش كتاب "الإحياء" للغزالي، المرجع السابق ج 5 ص 103.

7) زروق: قواعد التصوف. تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية-بيروت ط 3. 2007/1428. ص 89.

تركه لما فيه من الفساد إذ أهله اتخذوا دينهم لهوا ولعباً⁽¹⁾، وقال الحسن بن سالم: لا أنكر السماع، وإنما أنكر ما أحدث فيه اهـ. وفي "النصيحة": ومن الباطل السحر والطلسمات⁽³⁷⁾ والعزائم، قيل والمنطق والجدل⁽³⁸⁾ والموسقا⁽²⁾. قال شارحها العلامة ابن⁽³⁹⁾ زكري الفاسي ما حاصله: هكذا في النسخ التي رأيناها⁽³⁾. والموسقا كما قال ابن ساعد: علم تعرف منه النغم والإيقاع وأحوالها وكيفية تأليف اللحن وإيجاد الآلات الموسيقية⁽⁴⁰⁾. وموضوعه الصوت⁽⁴⁾ اهـ. ولعل الكاتب⁽⁴¹⁾ صحف وأبدل الفلسفة بالموسقا⁽⁴²⁾ هـ، والموسقا لفظ يوناني، والظاهر أن من مدحه نظر للطبع، ومن ذمه نظر للشرع، فلم يتوارد⁽⁴³⁾ الخلاف على محل واحد. وهو من حيث الطبع محبوب للنفس إجماعاً، ومن خالفه فهو الذي قيل فيه: «لا شكَّ فيه للحمّار طَبَائِعُ». وهو من حيث الشرع قد تعتربه الأحكام الخمسة إلا الوجوب. وهذا كحلاوة العسل فإنها محموددة ومحبوبة طبعاً إجماعاً⁽⁴⁴⁾، وقد تدمّم⁽⁴⁵⁾ لضررها من حيث الطب لمريض لا توافقه⁽⁴⁶⁾ حلاوته.

إلا أنه لا عبرة بالطبع مع الشرع لحديث «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَابِعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ» وهو من الأربعين النووية. وحيث اختلف فيه شرعاً فالاحتياط ترك جميع أنواعه ندبا على قاعدة "ترك المشبهات" من باب الورع، كما في حديث «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ» الحديث. وفي "المرشد": يترك ما شُبِّهَ بِأَهْتِمَامٍ.

وفي "الإضاءة"⁽⁵⁾. (رجز)

مَنْ فَرَّ مِنْ شَكِّ إِيَّايَ يَقِينِ وَذُو أُحْتِيَاظٍ فِي أُمُورِ الدِّينِ

1 زروق: النصيحة الكافية، ص 63.

2 المصدر نفسه.

3 ابن زكري: شرح النصيحة، مخ مؤسسة علال الفاسي. رقم ع 329 ج 1 دون رقم ص.

4 ابن ساعد السنجاري: إرشاد القاصد، ظهر الورقة 12.

5 عب: الجوهرية، وفي باقي النسخ الإضاءة.

وَيَجْعَلُ بَدَلَهُ سَمَاعَ الْقُرْآنِ وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَحِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾^(٤٧) (1). وَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَسَبْنَا كِتَابَ اللَّهِ وَفِي "الهمزية" (خفيف)

تَتَحَلَّى بِهِ الْمَسَامِعُ وَالْأَفْـ
وَاهُ فَهُوَ الْحُلِيُّ وَالْحَلَوَاءُ^(٤٨)
وَأَمَّا السَّمْعُ مِنْ مَحَاسِنِ يُمَلِّـ
هَا عَلَيْكَ^(٤٩) الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ

ولا أظن أحدا يعجبه السماع ويرتاح له اليوم مثلي، إلا أني تركته لله منذ أزمان لَمَّا وَقَفْتُ عَلَى خِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهِ⁽²⁾.

فصل في تفصيله على مذهب الشافعية

في أول كتاب الشهادات من المنهج⁽³⁾ وشرحه للشيخ زكرياء الأنصاري⁽⁴⁾ مع محشيه الشيخ البجيرمي⁽⁵⁾ رحمهما الله ما حاصله: الغناء بكسر الغين والمد، وهو رفع الصوت بالشعر بلا آلة (واستماعه مكروهان لما فيهما من اللهو، وأما

1) سورة العنكبوت، الآية 51.

2) يشبه موقف التادلي هذا ما روي عن الخليفة الأموي يزيد بن الوليد أنه قال: يا بني أمية، إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة. وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعله السكر. فإن كنتم-ولا شك- فاعلين فحبوه النساء، فإن الغناء رقية الزنا. وإني لأقول ذلك فيه على أنه أحب إلي من كل لذة، وأشهى إلى نفسي من الماء إلى ذي الغلة الصادي. ولكن الحق أحق أن يقال. (انظر الأذفوي: الإمتاع بأحكام السماع، المصدر السابق).

3) المراد كتاب منهاج الطالب للإمام يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى عام 676هـ/1277م.
4) الأنصاري القاضي زكريا بن محمد (ت. 928-1522) شرح المنهاج في الفقه على مذهب الإمام الشافعي- كتاب الشهادات.

5) حاشية على شرح منهج الطلاب في الفقه الشافعي. ولهذا الكتاب اسم ثان هو "التجريد". ولم أهند إليه في رسدي لمصادر التادلي.

مع الآلة فمحرمان. لكن قال الزركشي⁽¹⁾: مهما اقترن بالغناء آلة محرمة^(٥٠) فالقياس تحريم الآلة فقط، وبقاء الغناء على الكراهة اهـ⁽²⁾. وقال الغزالي: الغناء إن قصد به^(٥١) ترويح القلب على الطاعة^(٥٢) فهو طاعة، أو على المعصية فهو^(٥٣) معصية، أو لم يقصد به شيء فلهو مَعْفُوٌّ عنه اهـ⁽³⁾. وأما الحداء^(٥٤) بضم الحاء وكسرهما والمد، وهو ما يقال خلف الإبل من رجز^(٥٥) وغيره، وضرب الدف بضم الدال^(٥٦) أشهر من فتحها، وهو المسمى بالطار لما فيه من إظهار السرور كعرس وختان وعيد وقدام غائب ولو بجلاجل، وهو الصنوج، جمع صنج، حلق تُجعل داخل دَف العرب والدوائر العراض التي تؤخذ^(٥٧) من صفر، وتوضع في خروق دائرة دَف العجم، واستماع الحداء والدف، فلا يحرم ولا يكره شيء من الثلاثة لما في الأول من تنشيط الإبل للسير وإيقاظ النوم، وفي الثاني من إظهار السرور.

126

وورد في جوازهما أخبار، بل صرح^(٥٨) النووي⁽⁴⁾ بسنّ الأول، والبغوي (توفي سنة 516هـ) بسنّ الثاني. وحل استماعهما تابعٍ لِحِلِّهما.

(1) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، ولد سنة 745 - 1344، وهو ابن مملوك، اكتسب لقب الزركشي من احترافه صناعة الزركش، رحل إلى حلب، وتولى القضاء في دمشق. وتوفي في القاهرة عام 1391-794. له: البرهان في علوم القرآن - لقطه العجلان في مبادئ وأصول الفقه والمنطق. انظر شرح البخاري للزركشي، دار التراث العربي - بيروت - لبنان. ج 8 ص 280. ترجمه الدرر الكامنة 3/397، شدرات الذهب ص 6، الزركلي 6/60.

(2) الزركشي: تنمة شرح كتاب "منهاج الطالب" لجمال الدين عبد الرحيم بن حسن الأسنوي (ت. 792هـ) ابتداءً من باب المساقاة.

(3) الغزالي: هذه العبارة من كلام ابن حزم نسبها التادلي خطأ للإمام الغزالي، انظر: المحلى ج 6 ص 60، ونص ما ذكره ابن حزم هو: فمن نوى باستماع الغناء عوناً على معصيته لله تعالى فهو فاسق، وكذلك كل شيء غير الغناء. ومن نوى ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل، وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق. ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو مَعْفُوٌّ عنه كخروج الإنسان إلى بستانه متنزهها، وقعوده على باب داره متفرجاً، وصباغة ثوبه لا زوردياً وأخضر، أو غير ذلك.

(4) البغوي الحسين بن مسعود، مصابيح السنن، مخ. خ. ج. ك. مكناص ج 1 رقم 146، ص 303-304.

وأما استعمال آلة مطربة كطنبور وعود وصنج بفتح أوله - ويسمى الصفاقتين كالنحاستين اللتين تُضرب إحداهما على الأخرى يوم خروج المحمل^(٦٠) ونحوه، وهما من نحاس أصفر - ومزمار عراقي - وهو ما^(٦١) يضرب به مع الأوتار^(٦٢)، ويراع - وهو الزمارة، ويقال له الشبابة - وكوبة بضم الكاف - وهي^(٦٣) طبل طويل ضيق الوسط^(٦٤) كالمعروف عند المغاربة بأكوال - واستماع هذه الآلات فكلها حرام من الصغائر لأنها من شعار شارب الخمر لحديث أبي داود «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْكَوْبَةَ». والقاعدة أن كل طبل حلال إلا الكوبة المذكورة، وكل مزمار حرام إلا مزمار النفير للحاج، وكل ما حُرِّمَ حُرِّمَ التفرج عليه لأنه إعانة على معصية. لكن صحَّح الرافعي (ت. سنة 623) حل اليراع، ومال إليه البلقيني (ت. سنة 805) وغيره لعدم ثبوت دليل معتبر لتحريمه. ويباح الرقص لخبر الصحيحين أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقف لعائشة يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفنون. والزن الرقص، ولأنه^(٦٥) مجرد حركات على استقامة واعوجاج إلا بتكسُّر فيحرم لأنه يشبه أفعال المخنثين. لكن الإكثار من الغناء أو استماعه أو الرقص يُخل بالمروءة، فيقدح في الشهادة اهـ. من المنهج باختصار⁽¹⁾.

127

فصل في حكم السماع على مذهب الحنابلة رضي الله عنهم

قال في باب الوليمة من "دليل الطالب"⁽²⁾ وشرحه ما حاصله: وَيُسْنُ (٦٦) إعلان النكاح والضرب فيه بدف لا حلق فيه ولا صنوج للنساء. قال أحمد (ت 241)

1) الأنصاري أحمد بن حمزة: ص 282.

2) دليل الطالب، كتاب من تأليف مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، ولد في طولكرم، انتقل إلى القدس، ثم القاهرة، أخذ في القدس وفي مصر عن جلة من العلماء، وغدا من كبار علماء الحنابلة في مصر. وهو إمام محدث فقيه، درس بالأزهر، وتولى الفتيا، ومشيخة جامع السلطان حسن. وكان إلى ذلك أديبا ومفسرا ومؤرخا، من مؤلفاته: دليل الطالب، ونيل المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، توفي بمصر عام 1033. الزركلي 203/7، خلاصة الأثر 358/4.

يستحب ضرب الدف والصوت في الإملاك، فقييل له: ما الصوت؟ قال: يتكلم ويتحدث ويظهر. انتهى. ويكره» [الضرب بالدف] [للرجال] [مطلقاً] [ولا بأس بالغزل في العرس، وضربُ الدف في الختان وقدم الغائب والولادة ونحوها كالعرس لما فيه من السرور].

(تنمة: تحرم كل الملهيات سوى الدف كمزمار وطنبور ورباب، ومعزفة، وعود وزمارة الراعي ونحوها سواء استعملت لحزن أو سرور اهـ. (1) وقال في كتاب الشهادات أيضاً ما حصله: (لا شهادة) (٦٧) [مقبولة] لمتسخر (2) ورقاص ومستعبد (3) [ومغنّ، ويكره الغناء واستماعه اهـ] (4).

فصل في بيانه على مذهب الحنفية رضي الله عنهم

في باب الشهادة من القدوري مع شرحه ما حصله: ولا تقبلُ شهادة مَنْ يلعب بالطنبور، وهو المغني...، ولا من يغني للناس لأنه يجمع الناس على ارتكاب كبيرة كما في "الهداية". وأمّا من يغني لنفسه لدفع وحشة فلا بأس به عند العامة كما في "العناية"، وصححه العيني وغيره اهـ (5). وانظر كتاب السماع من "الإحياء" للغزالي، ففيه ما يشفي ويكفي. وترجم لاختلاف الناس فيه في السفر الثالث من العقد الفريد، وقال فيه: أجازه أهل الحجاز وكرهه

128

1) التعلبي، عبد القادر بن عمر، نيل المآرب بشرح دليل الطالب، المكتبة الوطنية بالرباط، رقم T 216 ج2. ص 211 تحقيق. محمد سليمان عبد الله الأشقر ط1. 1983/1403، ط2. 1999/1420، والعبارة المنقولة جامعة بين متن دليل الطالب (...) وشرحه للتعلبي [...].

2) متمسخر لفظ عامي من المسخرة، وهي ما يُسخر منه.

3) مستعبد الشعبة، كالشعوذة، وهي خفة في اليدين (شرح المنتهى) وهو لفظ لا وجود له في القاموس، ولعل أصل الذال طاء، وبذلك يكون أصله "استعبط" من عَبَطَ الكَذِبَ عَلَى شَخْصٍ، بمعنى تَكَلَّفَهُ وَأَفْتَعَلَهُ، وهو قياس غير متداول الاستعمال.

4) التعلبي: شرح دليل الطالب، 477/2.

5) الحدادي العبادي أبو بكر محمد بن علي بن محمد: الجوهرة النيرة في شرح القدوري مخ. خ ح رقم

عامة أهل العراق. ثم أطل في بيان حجج الفريقين⁽¹⁾، فانظره. وكذا في باب السماع من "المدخل"، وشدد فيه كما هو اللائق بأهل الورع⁽²⁾. وكذا أطل فيه في النوع السابع آخر المقصد التاسع من "المواهب"⁽³⁾. وفي "الرسالة القشيرية" في باب السماع منها⁽⁴⁾. وقال في ترجمة السين مع الميم من "كشف الظنون": اختلف في السماع أهل الظاهر والباطن، فكتبوا أجوبة فيه، فانظره⁽⁵⁾. وأقوى حديث في ذلك حديث الجاريتين المغنيتين عند عائشة رضي الله عنها في أيام منى «تَضْرَبَانِ بِالذَّفِّ» الحديث. أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه كباب الحرابِ وَالذَّرْقِ يومَ العيد من كتاب الصلاة، وباب الدعاء في العيد⁽⁶⁾ عقبه، وفي باب مَقْدَمِ النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وأخرجه مسلم أول كتاب صلاة العيدين⁽⁷⁾. قال في النوع المذكور من "المواهب": واستدل جماعة من الصوفية بهذا الحديث على إباحة الغناء وسماعه بآلة وبغير آلة⁽⁸⁾. ثم تعقبه بما للقرطبي، ثم فصل في ذلك فانظره. وقال الزرقاني عند قول المختصر في فصل السهو: وبطلت بققهة إرخ. قال بعض الصوفية بجواز سماع بعض آلات اللهو المحرمة عند الفقهاء لسماعه منها ذكر الله دون اللهو، فالجواز قاصر على من هو بتلك الصفة اهـ⁽⁹⁾.

129

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد. ج 6 ص 6-8.

(2) ابن الحاج: المدخل. ص 95-117.

(3) الزرقاني: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (ت 923).

(4) الرسالة القشيرية، ذخائر العرب رقم 75. تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، دار المعارف القاهرة، ج 2 ص 504-519.

(5) حاجي خليفة: كشف الظنون، مج 2. ص 1001 لخص اختلاف أهل الظاهر والباطن حول مسألة السماع، فذهب البعض إلى أنه بدعة ظهرت ببغداد بعد المائتين، وذهب البعض الآخر إلى أنه لم يرد في تحريمه أو إباحته نص صحيح صريح، كما اختلف العلماء في الاستماع إلى الغناء بالألحان على وجوه.

(6) صحيح البخاري ج 3. ص 113 تحقيق. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر - بيروت 1993/1414.

(7) صحيح مسلم، دار الفكر - بيروت د. ت 183/6.

(8) الزرقاني: المصدر السابق، ص 65.

(9) الزرقاني: شرح مختصر خليل، 1/249.

ولبعض المصريين بلداً التونسي مولداً⁽¹⁾ تأليف سماه^(٦٨) "فرح الأسماع برخص السماع" ذكره في حرف القاف مع الراء من "كشف الظنون"⁽²⁾. ولتاج الدين ابن^(٦٩) الفرّكاح الشافعي: "كشّفُ القنّاع في حلّ السّماع" ولغيره: "كشّفُ القنّاع عن الوجد والسماع". ذكرهما معا في حرف الكاف مع الشين من "كشف الظنون"⁽³⁾ أيضاً ولابن حجر الهيتمي^(٧٠) "كف الرّعاء"^(٧١) عن محرّمات اللّهُو والسماع، ذكر فيه أنه دُعي إلى مجلس فوق السّؤال عن السماع، فأغلظ في الجواب والرد علي من زلّ فيه، فقليل له بالّع في قرع الأسماع في جوازه، فبالغ أيضاً في الرد عليه، ثم ألّف هذا الكتاب. ذكره في حرف الكاف من "كشف الظنون"⁽⁴⁾. قال في النوع المذكور من "المواهب": "نعم، تركه والاشتغال بما هو أعلى أسلم لخوف الشبهة وللخروج من الخلاف"⁽⁵⁾. وقد نقل عن الإمام الشافعي والإمام^(٧٣) مالك (ت 199) والإمام^(٧٢) أبي حنيفة (ت 150) وجماعة من العلماء ألفاظ تدل على التحريم⁽⁶⁾. ولعل مرادهم ما كان فيه تهيج شيطاني لا مطلقاً.

1) يقصد هنا أبو المواهب التونسي المعروف بابن زغدان، المتوفى عام 882.

2) حاجي خليفة: كشف الظنون، مج 2 ص 1362.

3) المصدر نفسه، مج 2 ص 1493.

4) المصدر نفسه، مج 2 ص 1502 انظر كف الرعاء عن محرّمات اللّهُو والسماع لابن حجر ملحق الجزء الثاني من كتاب الزواجر، دار المعرفة بيروت ص 34-36. و انظر أيضاً تحقيق محمد عبد القادر عطا. ط 1 بيروت دار الكتب العلمية 1986/1406.

5) الزرقاني شرح على المواهب، ص 67.

6) يقول الإمام الشافعي: الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، ومن استكثر منه أو اتخذه صنعة كان منسوباً إلى السفاهة وسقوط المروءة (الأم، دار المعرفة-بيروت ج 6 ص 209): وقد ناقش الغزالي مقالة الشافعي، فقال في "إحياء علوم الدين" ج 2 ص 284: أما قول الإمام الشافعي: لهو، فصحيح. ولكن اللّهُو من حيث أنه لهو ليس بحرام، فلعب الحبشة ورقصهم لهو، وقد كان رسول الله ﷺ ينظر إليه ولا يكرهه... وأما قوله: يشبه الباطل، فلا يدل على اعتقاد تحريمه، بل لو قال: هو باطل، صريحاً، لما دل على التحريم، وإنما يدل على خلوه من الفائدة، إذ الباطل ما لا فائدة فيه =

وإذا كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز أن يُحكَم فيه مطلقا بإباحة^(٧٤) ولا تحريم، بل يُختلف (في^(٧٥) ذلك بالأشخاص واختلاف طرق النغمات... انظر تمامه فيه⁽¹⁾). والقول باختلاف حكمه باختلاف الأشخاص هو أعدل الأقوال وأولاها بالصواب إن شاء الله، وهو أن ما ورد من حرمة محمول على ما فيه تهيج شيطاني^(٧٦) وإباحته محمول^(٧٧) على ما فيه تهيج رباني لما تقرر في أصول الفقه أن الإعمال بالدليلين والجمع بينهما أولى من إلغائهما أو إلغاء^(٧٨) أحدهما وإعمال الآخر، كما أشار لذلك في الكتاب السادس من "جمع الجوامع" بقوله: والأصح أن العمل بالمتعارضين - وكو من وجه - أولى من إلغاء^(٧٨) أحدهما، إلى قوله: خلافا لزاعميهما⁽²⁾. والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا ومولانا^(٧٩) محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ووافق الفراغ منه سابع رجب عام سبعة وثلاثمائة وألف هـ. وكان الفراغ منه ضحوة يوم السبت عاشر شوال عام 1336.

=وقد نهى الإمام مالك عن الغناء، وعن سماعه، غير أن كثيرا من النصوص المنسوبة إليه تشير إلى أنه كان أقل الأئمة الأربعة صلابة في موضوع الغناء، ناهيك وهو من أبناء المدينة مهد الأنصار الذين قال فيهم رسول الله ﷺ من حديث رواه البخاري عن عائشة في باب النكاح: يا عائشة... إن الأنصار يعجبهم اللهو (باب النكاح ص 63).

أما أبو حنيفة فقد نقل عنه أنه يكره الغناء، ويجعل سماعه من الذنوب، وكذلك كان مذهب سائر أهل الكوفة والبصرة باستثناء عبيد الله بن الحسن العنبري، فقد كان لا يرى به بأسا.

وأما أحمد بن حنبل فقد نقل عنه ابن الجوزي وغيره عدة روايات منها التحريم والكرهية.

(1) الزرقاني، المصدر السابق، ص 67-68، وتمامه فيه كالاتي: فحكمه حكم ما في القلب، وهو لمن يرتقي بربه ترقية مثير لكامن في النفوس من الأزل حين خاطبنا الحق تعالى بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِوَكِيمٌ﴾. فما كان في القلب من رقة ووجد وحقيقة، فهو من حلاوة ذلك الخطاب. والأعضاء كلها ناطقة بذكره مستطية لاسمه. والعبارة بين هلالين ساقطة في غا.

(2) الجلال. شمس الدين محمد بن أحمد المحلى: شرح على متن "جمع الجوامع" لتاج الدين عبد الوهاب بن السبكي - 378/2.

الهوامش والتصويبات

- ١) عا-حا-حب: العتبية، والصواب ما أثبتناه، وهو تصحيف.
- ٢) حا: العربال بالعين المهملة. خطأ.
- ٣) عا: وقع. وهو تصحيف.
- ٤) عا: عليه. وخطأ.
- ٥) حب" الفقرة التي بين هلالين ساقطة في النسخة.
- ٦) حب: الفقرة التي بين هلالين. سقطت في النسخة.
- ٧) حا: سقطت كملتا" ومن الناس".
- ٨) حا: شطب الناسخ هذه العبارة.
- ٩) عا: محل. خطأ.
- ١٠) عا: الصور. خطأ.
- ١١) غا: فإن أك.
- ١٢) حب: البيت ساقط في النسخة.
- ١٣) عا: نارك. خطأ.
- ١٤) عجز هذا البيت عند ابن منصور في تحقيق كناش الحايك كالاتي: لتهيج نار الشوق لما تسعّر.
- ١٥) حب: سقطت كلمة "في".
- ١٦) عا-عب-حا: حداق بالبدال المهملة. خطأ.
- ١٧) غا-عب: إليه.
- ١٨) عا: نوره. خطأ.
- ١٩) عند بنمنصور وبنجلون في تحقيقهما لكناش الحايك: ولحنه. وذلك أنسب.
- ٢٠) عند بنمنصور وبنجلون في تحقيقهما لكناش الحايك: الصفو. وفي غا: السفر. ولا معنى له.
- ٢١) عا: أعرضت خطأ.
- ٢٢) عا: ولم ير خطأ.
- ٢٣) في سائر النسخ: الدب بالبدال المهملة. خطأ.
- ٢٤) حب: على.

- (٢٥) حب: به.
- (٢٦) عا: هادئ خطأ.
- (٢٧) غا-حا-حب: خطب . خطأ.
- (٢٨) عب: سقطت كلمتا "قالوا بلى".
- (٢٩) في جميع النسخ: غدوته وما أثبتناه عن ج.
- (٣٠) حب-حا: فيها للإنسان. وهو مخل بالوزن.
- (٣١) عا: نافع. سقط حرف الميم.
- (٣٢) عا: المثاني، وهو تحريف.
- (٣٣) عا: السبلي. خطأ.
- (٣٤) حب: سقطت كلمة "فقد".
- (٣٥) عا-حب-عب: سقطت كلمة "على".
- (٣٦) عا-حب-حا: فيصير خطأ.
- (٣٧) عا: الطلمسات. خطأ.
- (٣٨) حا: الجدول. خطأ.
- (٣٩) عا: سقطت همزة "ابن".
- (٤٠) عا: الموسيقى.
- (٤١) عا-حا-حب: الكتاب. وهو خطأ.
- (٤٢) حب: سقط حرف الجر في "بالموسقا".
- (٤٣) حب "سقط حرف الياء في "يتوارد".
- (٤٤) عا: سقطت كلمة إجماعا.
- (٤٥) غا-عا-حا-حب: تقدم. والصواب عن عب.
- (٤٦) غا-عا: تفاوته، حب: تفارقه، وكلاهما خطأ.
- (٤٧) غا-عا-حا: سقطت كلمتا "يتلى عليهم".
- (٤٨) عا: الحلول خطأ غا-حا-حب: سقط الصدر وبعض العجز.
- (٤٩) عا: سقطت كلمة "عليك".
- (٥٠) حب: سقطت الفقرة التي بين هلالين.
- (٥١) حب: أريد.
- (٥٢) حب-عب: الطاعات.

- ٥٣) غا-حب-حا: سقطت كلمة "هو".
- ٥٤) عب: الحذاء بدال معجمة، تصحيف.
- ٥٥) حا-حب: زجر. تصحيف.
- ٥٦) عا: الذل. سقط حر المد بعد الدال.
- ٥٧) عا: توجد. تصحيف.
- ٥٨) عا: حرم. خطأ.
- ٥٩) عا: لبس. خطأ.
- ٦٠) عا-حب: المحل. خطأ.
- ٦١) حب: سقطت كلمة "ما".
- ٦٢) عب: من.
- ٦٣) عا-حا-عب: وهو.
- ٦٤) حا: كلمة "الوسط" مكررة.
- ٦٥) عا: ولا. خطأ.
- ٦٦) عا: وليس. ولا معنى لها. والصواب: يُسن، وهو الذي في المتن.
- ٦٧) حا: شاهدة. تصحيف.
- ٦٨) عا-حا-حب: سماع وهو تصحيف.
- ٦٩) عا-حب: أبي. خطأ.
- ٧٠) في سائر النسخ: الهيتمي. بناء مثناة، والصواب ما أثبتناه.
- ٧١) في سائر النسخ: الدماغ. والصواب ما أثبتناه.
- ٧٢) حب: ثم. وهو تصحيف.
- ٧٣) حب-عا-حا: سقطت كلمة "الإمام" في الموضعين.
- ٧٤) غا-عا-حا-حب: سقطت كلمة "إباحة".
- ٧٥) عا: كلمة "في" زائدة. والفقرة بين هالين ساقطة في غا.
- ٧٦) حا: أو والهمزة زائدة.
- ٧٧) عا: إباحتنا خطأ.
- ٧٨) عا: سقطت عبارة (إلغائهما أو إلغاء).
- ٧٩) حب: الغناء وهو تحريف.
- ٨٠) عا-حا: سقطت كلمة "ومولانا".

ملاحق الكتاب

1) مصادر المؤلف

تحفل صفحات كتاب السقا بذكر أسماء الكتب التي استقى منها التادلي مواد كتابه. ويدل تعدد هذه الكتب على سعة اطلاعه على ما ألفه الأقدمون والمتأخرون حول الموسيقى علما وعملا.

ويمكن تصنيف مصادر الكتاب في ثلاثة أقسام:

1- مصادر موسيقية.

2- كتب الفقه والحديث والتفسير والفتاوى.

3- مصادر متنوعة الأغراض.

ومن هذه المصادر ما يعلن التادلي عن أسمائها وأسماء واضعيها. ومنها ما يكفي بذكر مؤلفيها دون عناوينها، أو العكس، ومنها ما يشير إليها بمثل: قال بعضهم، أو قال شيخنا... ويجري التادلي في إغفاله ذكر أسماء المؤلفات على عادة تواضع العلماء عليها، وفي هذا يقول مرتضى الزبيدي في تعريف مادة "أقليدس" من كتابه "تاج العروس" نقلا عن بعض مشايخه: إن إطلاق اسم المؤلف على كتابه من الأمر المشهور، بل قل أن تجد من يُميّز بين اسم الكتاب ومؤلفه، فيقولون: قرأت البخاري، وقرأت أبا داود، وكذا وكذا... ومرادهم بذلك كتبهم.

ولعل أهم ما يميز كتاب التادلي أنه يطلعنا على مصادر مغربية حفلت بالنظر في قضايا علم الموسيقى، وهي مصادر قلما عنيت بدراسة الباحثين الذين دأبوا على الرجوع إلى ما ألفه العلماء المشاركة خاصة، بدء بالكندي وحتى موسيقي عصر النهضة الحديثة في العالم العربي.

وقد يعمد التادلي إلى النقل الحرفي من مصادره، مثلما قد يتصرف في النص المنقول على نحو ما صنع في التعريف الاصطلاحي للحن عند اللاذقي⁽¹⁾، وفي نقولاته عن كتابي "النزهة" و"تذكرة الانطاكي"، ونمثل لنقولات التادلي بنصين:

– النص الأول: ما ورد في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه⁽²⁾: ساقه التادلي فيما أسماه في كتابه "خاتمة"⁽³⁾. وهو يحتل من كتاب "العقد الفريد" عدة صفحات، مبدؤها. قول ابن عبد ربه: قد مضى قولنا في أعاريض الشعر...⁽⁴⁾.

اقتبس التادلي نقولاته عن ابن عبد ربه من خمسة فصول هي:

- 1) فضل الصوت الحسن⁽⁵⁾.
- 2) أصل الغناء ومعدنه⁽⁶⁾.
- 3) أخبار المغنين⁽⁷⁾.
- 4) قولهم في العود⁽⁸⁾.
- 5) قولهم في المبردين في الغناء⁽⁹⁾.

1) أغاني السقا، ص: 7.

2) العقد الفريد. كتاب الياقوتة الثانية في الغناء واختلاف الناس في ذلك . ج.6. من ص: 3 - 76.

3) أغاني السقا، ص: 54.

4) العقد الفريد. المرجع السابق، ص: 4.

5) المصدر نفسه، ص: 4.

6) المصدر نفسه، ص: 27.

7) المصدر نفسه، ص: 27.

8) المصدر نفسه، ص: 73.

9) المصدر نفسه، ص: 75.

وقد تصرف التادلي في النصوص المنقولة، فكان أنا يختصرها، وأنا يحشوها بزيادات من عنده أو بنقولات من مصادر أخرى. وقد وضع لتلك الفصول عناوين أخرى هي كالآتي:

- فصل في مدح الصوت الحسن (1).

- فصل في أصل الغناء (2).

- فصل في أخبار المغنين (3).

- فصل فيما قيل في العود (4).

- فصل فيما قيل في البارود من الغناء (5).

- **النص الثاني** : ومن نقولات التادلي أيضا ما أورده الحايك في مقدمة كناشه الشهير بدءاً من قوله: الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه (6). وقد امتد النقل إلى نهاية الفصل الأول في "جواز السماع واستحكامه"، واستغرق ذلك من كناش الحايك خمس صفحات وزيادة (7).

والتادلي - في نقله عن الحايك - كثيراً ما يلجأ إلى الاختصار، من قبيل اختصاره لقصة أبي حنيفة مع جاره الخمار، وهي معروفة على حد قوله (8)، مثلما يلجأ - أحيانا - إلى زيادات يدفعه إليها الاستطراد.

1) أغاني السقا، ص: 54.

2) المصدر نفسه، ص: 55.

3) المصدر نفسه، ص: 56.

4) المصدر نفسه، ص: 57.

5) المصدر نفسه، ص: 58.

6) المصدر نفسه، ص: 59-61.

7) المصدر نفسه.

8) المصدر نفسه ص: 61.

ويعود التادلي لينقل عن الحايك جل "الفصل الثاني في منافع الغناء وأحكامه"⁽¹⁾ وضمنه منظومة ابن عبد الجبار العينية، ورائية أبي محمد الصباغ⁽²⁾.

ومن جهة أخرى يقف القارىء في ثنايا "كتاب السقا" على نصوص علمية غميسة لأشخاص محسوبين على غير علم الموسيقى، ومن هؤلاء ابن هيدور في كتابه "شرح تلخيص ابن البناء المراكشي في علم الحساب"، وأبو علي الحسن اليوسي في كتابه "الفهرست".

وتكمن أهمية هذه النصوص في سعيها إلى تحديد موقع علم الموسيقى في منظومة العلوم. ونعرض فيما يلي لنموذجين منها :

- **النموذج الأول :** للعالم المغربي الموسوعي الحسن اليوسي (ت 1102هـ) نسوقه مع شيء من التصرف والاختصار؛ يقول فيه: العلوم بمقاصدها، ونفعها متفاوت. وهي صنفان: العلوم العقلية، والعلوم النقلية، وقد يقال إما فلسفية أو إسلامية.

والفلسفية نوعان :

1- **مقصودة لذاتها، وغرضها تكميل النفس، وهي نوعان:**

- الأول نظري. وهو إما نظري مجرد عن المادة مطلقا، وهو العلم الإلهي كالتوحيد، وعلم نظري مجرد عن المادة في الذهن فقط، وهو العلم الرياضي. وإما مقيد بالمادة مطلقا، وهو الطبيعي كالطب.

- والنوع الثاني عملي كسياسة النفس. وهي التصوف.

1) أغاني السقا، ص: 69 - 71.

2) لم يذكر التادلي الناظم، وإنما قال: مما أنشد بعضهم، ص: 120. والتحقق عن كناش الحايك، ص: 38.

2- مقصودة لغيرها. وهي:

- إما للذهن كالمنطق.

- وإما للسان كالأدب والنحو.

وقد جاء الشرع الإسلامي بما يغني عن الفلسفي العملي بعلوم الشرع كالفقه، فأسقط فقهاء الإسلام المتأخرون من الفلسفي هذا القسم، واقتصروا على الإلهي والرياضي والطبيعي والمنطق، وصنفوا الرياضي في أربعة أنواع هي: الحساب، والهندسة، والهيئة، وعلم الأصوات والنعومات. وهذا الرابع يقال له علم النغم وعلم الموسيقى.... فهذه علوم الأقدمين على الإجمال، أخذ أهل الشرع منها على العموم ما عمت منفعتها كالإلهي، والمنطق، والحساب، والطب، والهيئة، وكثير منها متروك⁽¹⁾.

- النموذج الثاني : لابن هيدور

تطرق فيه لمراتب العلوم، فجعلها ثلاثة: علوم طبيعية كالطب، وعلوم الهيئة كالتوحيد، وعلوم رياضية كالأشكال الهندسية. وأقسام العلم الرياضي أربعة: الحساب، ثم الهندسة، ثم الهيئة، ثم الموسيقى. ومن فروع الموسيقى علم الآلات، والرقص، والغنج. وقد قيل: إن علم الموسيقى مستنبط من حركات الأفلاك والنجوم التي هي في غاية الصفاء، فلحركات الأفلاك نسبة هندسية هي ميزان الموسيقى الذي به يحصل الطرب، ذلك أن ائتلاف اللحن ومشاكلتها إنما هما باتفاق أعداد الأصوات في نسبة خاصة... إلا أن علم الموسيقى لما كان صاحبه ينظم الشعر ويحفظه غالبا صار له جهتان، إحداهما من جهة النغمة الساذجة ونقر الآلة كالعود، وبها يعد من علم الفلسفة، وثانيتها من جهة الشعر، وبها يُعد من علم الأدب. وقد قسموه إلى اثني عشر قسما منها علم الشعر⁽²⁾.

1) أغاني السقا، ص: 3-5.

2) المصدر نفسه، ص 6.

وقد بذلت قصارى الجهد في استقصاء مصادر التادلي. كما اهتمت إلى تخريج بعض النصوص التي نقلها ولم يفصح عن ذكر مظانها.

وحتى تكتمل الصورة لدى القارئ نورد فيما يلي أسماء المصادر التي اعتمدها التادلي في مباحثه، موزعة على جدولين: الأول خاص بكتب الموسيقى والسماع الصوفي. والثاني شامل لفنون المعرفة الأخرى.

أ- مصادر الموسيقى والسماع

العناوين	المؤلفون
الإمتاع بأحكام السماع(**) المكتبة الوطنية. تونس رقم 3058	الأدفوي كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب (ت. 1347/748)
الادوار الرسالة الشرفية(**)	الأرموي صفي الدين عبد المومن بن يوسف
كتاب الأغاني- دار الكتب المصرية أو الهيئة المصرية العامة للكتاب	الأصبهاني أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت. 356هـ)
كناش الحايك - تصحيح الحاج ادريس بن جلون. مط الرايس الدار البيضاء 1981 - إعداد عبد اللطيف بن منصور. مط الريف الرباط 1977/1397	الحايك محمد بن الحسين
كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع(1)	ابن حجر الهيتمي شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي (ت. 1565/973)
رسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محظور. تحق إحسان عباس. ط1 المؤسسة العربية للنشر 1981	ابن حزم علي بن أحمد أبو محمد الأندلسي
غاية المطلوب في فن الأنغام والضروب(2)	الحنبلي شمس الدين محمد بن عيسى بن الحسن بن كر البغدادي (ت. 1388/759)
كتاب السماع(**)	ابن طاهر أبو منصور البغدادي عبد القاهر التميمي الشافعي (ت. 429)

1) مخ مكتبة المتحف البريطاني. لندن رقم 3854. الورقة 31 - 86 - 5517. طبع مرتين في القاهرة: 1892 و1907. وطبع في بيروت بتحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت ط. 1. 1406 / 1986. ألفه ابن حجر في الرد على ابن زغدان صاحب كتاب "فرح الأسماع برخص السماع". ترجمته في الضوء اللامع 66/3، الطبقات الكبرى 62/2، نيل الإبتهاج ص 196.

2) عند هـ. فارمر أن الكتاب مخطوط ضائع. انظر "مصادر الموسيقى العربية". تعريب حسين نصار، ص: 100.

الرسالة الفتحية ⁽¹⁾	اللاذقي محمد بن عبد الحميد (ت. حوالي 1494/900)
جامع الألحان - كنز الألحان ⁽²⁾ (**)	المراغي عبد القادر (ت. 838هـ/1434)
فرح الأسماع برخص السماع ⁽³⁾	أبو المواهب التونسي (ت 1477/882)
العقد الفريد. مط لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة 1949/1368	ابن عبد ربه أحمد (ت 328)
الموسيقى الكبير ⁽⁴⁾ . تحقق غطاس عبد الملك خشبة. دار الطالب العربي للطباعة والنشر القاهرة	الفارابي محمد بن محمد بن طرخان (ت 950/339)
الاقنوم في مبادئ العلوم. م ورقم 515	الفاسي عبد الرحمن بن عبد القادر (ت. 1096)
كشف القناع في حل السماع ⁽⁵⁾	ابن الفركاح عبد الرحمان بن إبراهيم الفزاري (ت. 1291/690)
الموسيقى الكبير، الموسيقى الصغير	السرخسي أحمد بن الطيب (ت. 286هـ)
كتاب الشفا - جوامع علم الموسيقى مج1	ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله (ت 1037/428)
منظومة في الطبوع وعلاقتها بالطبائع مج خ ح رقم 650	عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 1549/955)

1) في الكتاب (عبد المجيد) وهو تصحيف لعبد الحميد. والاسم الكامل للكتاب: الرسالة الفتحية في الموسيقى، تحقيق الحاج هاشم الرجب - بغداد 1986.

2) لم يذكر التادلي الكتابين، وإنما اكتفى بقوله: له فيه (علم الموسيقى) كتب عديدة.

3) هو أبو المواهب محمد بن أحمد التونسي مولداً مصري قراراً المعروف بابن زغدان. مخ مكتبة برلين رقم 5514 بتاريخ 1363/971. فارمر: "مصادر الموسيقى العربية" ص: 109.

4) لم يذكر التادلي اسم الكتاب. والقصد إلى "كتاب الموسيقى الكبير".

5) عند فارمر: الفركاح. مخ رقم 9/5536 فهرست المخطوطات العربية في المكتبة الملكية ببرلين. الزركلي 293/3، فوات الوفيات 250/1، السبكي 60/5.

ب- مصادر المعرفة العامة

• إكمال الإكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم- مط السعادة مصر. ط1 - 1327	• الأبي التونسي. أبو عبد الله محمد بن خليفة بن عمر الوستاني (ت. 1424/1827) ^(*)
• الكامل (في التاريخ) خ ح رقم 2303	• ابن الأثير. عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني (1233/630)
• السلم في علم المنطق ^(**) • مكتبة المعارف. بيروت. لبنان. ط1- 2000/1420	• الأخضرى عبد الرحمان ^(*) (ت983هـ)
• تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب تح أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. لبنان. ط 2-1427/2006	• الأنطاكي داود بن عمر (الضرير) (ت. 1008هـ/1600)
• النزهة المبهجة في تشحيز الأذهان وتعديل الأمزجة. (على هامش التذكرة)	• الأنصاري أبو يحيى زكرياء بن محمد الأنصاري الشافعي (ت. 1522/928).
• شرح منهج الطالب في الفقه الشافعي	• أصبغ بن الفرج بن نصر (ت. 840/225)
• تفسير غريب الموطأ	• الإيجي. عضد الدين عبد الرحمن (ت. 756)
• المواقف (في علم الكلام) دار الجبل. بيروت 1997/1417	• البجيرمي سليمان بن محمد بن عمر (ت. 1806/1281)
• حاشية على شرح منهج الطالب في الفقه الشافعي "أو التجريد"	• البخاري الجندي محمد بن اسماعيل بن إبراهيم الجعفي.
• صحيح البخاري. ضبط وترقيم د. مصطفى ديب البغا. توزيع دار ابن كثير. بيروت. اليمامة. دمشق	• بناني أبو عبد الله محمد بن الحسن مسعود البناني الفاسي (ت. 1780/1194)
• حاشية على شرح الزرقاني. مط محمد أفندي مصطفى. مصر د.ت • شرح السلم المرونق (في علم المنطق). المطبعة الكبرى الأميرية. مصر ط1 - 1318	

• مصابيح السنن ج1 (***) خ ج ك م رقم 146	البيضاوي الفراء الحسين بن مسعود (ت. 1117/510).
• الطواع (في علم الكلام)	البيضاوي القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت. 1286/685)(*)
• نيل المأرب بشرح دليل الطالب. تح محمد سليمان عبد الله الأشقر. ط 1- 1403 / 1983	التغلبى عبد القادر بن عمر(*)
• الجامع الصحيح خ ح 7088	الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 892/279)
• شرح المواقف للإيجي. مط السعادة. مصر 1325	الجرجاني. السيد الشريف (ت. 1339/740)
• شرح الرسالة القيروانية خ ح 6793. خ ج ك م رقم 818	جسوس محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أحمد. (ت. 1768/1182)
• كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ط. وكالة المعارف. إستانبول 1943/1362	حاجي خليفة مصطفى (ت. 1076)
• حاشية على شرح ميارة على المرشد المعين خ ح 4156	ابن الحاج السلمي محمد الطالب بن حمدون (ت 1857/1274)
• المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين البنيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد. مط مصطفى البابي الحلبي. مصر ط1- 1960/1380	ابن الحاج محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج العبدري الفاسي. (ت. 1336/737)
• مسند الإمام أحمد(**)	ابن حنبل الإمام أحمد بن محمد ابن حنبل الشيباني (ت. 241-855)
• مسند أبي حنيفة(**)	أبو حنيفة النعمان الإمام (ت. 150)
• القصيدة الخزرجية في العروض والقافية خ ح 419	الخزرجي. ضياء الدين أبو محمد عبد الله (ت 1424/827)(*)
• تاريخ بغداد. مط السعادة. القاهرة. 1349	الخطيب البغدادي. ابن ثابت أبو بكر أحمد بن علي الحافظ (ت. 463).
• المقدمة. المكتبة التجارية. مصر. د ت	ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي (ت. 1406/808)

ابن خلكان. شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم الإربلي. (ت. 1282/681)	• وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان خ ح 2135 (**)
الشيخ خليل الجندي. ضياء الدين بن إسحاق بن موسى بن يعقوب المالكي (ت. 1374/776)	• التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه تص. الشيخ أحمد نصر. مصر. 1950/1370
الخفاجي شهاب الدين أحمد بن عمر	• شرح الشفا بتعريف حقوق المصطفى = نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض. دار سعادات. مط. عثمانية 1312 هـ
الرددير أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي (ت. 1786/1201)	• شرح مختصر خليل. خ ح رقم 2850
الدميري تاج الدين بهرام بن عبد الله الدميري المالكي (ت. 805)	• الشامل. م ع ف رقم 64
الدسوقي شمس الدين محمد بن أحمد بن عرفة (ت 1814/1230)	• حاشية علي شرح الدردير على مختصر خليل. خ ج ك م رقم 267 ك
الرازي فخر الدين (ت. 606 هـ)	• حواشي على قانون ابن سينا
الرافعي. عبد الكريم بن محمد. إمام الدين القزويني الشافعي (ت. 1226/623).	• شرح مسند الشافعي (**)
ابن رشد أبو الوليد. محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي الجد (ت 520).	• البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل. تح محمد العرائشي. دار الغرب الإسلامي. لبنان
الرهوري أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد (ت. 1815/1230)	• حاشية على المختصر. دار الفكر بيروت 1978/1398
الزبيدي أبو عبد الله. محمد بن الحسن بن عبد الله (ت 989/379)	• حاشية الرهوري على الزرقاني. دار الفكر بيروت 1978/1398
الزركشي. محمد بن عبد الله بدر الدين (ت. 1391/794)	• شرح منهج الطالب في الفقه الشافعي • تنمة شرح منهج الطالب لجمال الدين الأسنوي

<ul style="list-style-type: none"> • شرح مختصر خليل. دار الفكر. بيروت. دت • شرح على المواهب اللدنية للقسطاني تح. محمد عبد العزيز. دار الكتب العلمية. بيروت 	<p>الزرقاني. محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد المالكي (ت. 1687/1099)</p>
<ul style="list-style-type: none"> • شرح الرسالة القيروانية. دار الفكر. 1982/1402 • شرح المقدمة الوغليسية لأبي زيد الوغليسي البجائي. خ ج ك م رقم 438. • شرح المباحث الأصلية لابن البناء السرقسطي خ ح 9332 • كتاب القواعد (في التصوف). تح عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية. بيروت 1971 • النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية. تح عبد المجيد خيالي. ط 1-1422/2001 	<p>زروق. أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي (ت. 899)</p>
<ul style="list-style-type: none"> • شرح النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية لأحمد زروق. م ع ف رقم 329 	<p>ابن زكري. محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن زكري الفاسي. (ت. 1732/1144)</p>
<ul style="list-style-type: none"> • مفتاح السعادة ومصباح السيادة(**) 	<p>طاش كبري زاده. عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل أبو الخير (ت. 1561/901)</p>
<ul style="list-style-type: none"> • قوت القلوب في معاملة المحبوب. تح. د. عاصم إبراهيم الكيالي. دار الكتب العلمية. بيروت 2005 	<p>أبو طالب المكي. محمد بن علي الحارثي (ت. 386)</p>
<ul style="list-style-type: none"> • البداية والنهاية 	<p>ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت. 774)(*)</p>
<ul style="list-style-type: none"> • شرح دليل الطالب للتغلب 	<p>الكرمي. مرعي بن يوسف المقدسي (ت. 1033)(*)</p>
<ul style="list-style-type: none"> • الأصنام. تح. زكي باشا. دار الكتب. مصر 	<p>ابن الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد بن النسائي (ت. 819/204)</p>
<ul style="list-style-type: none"> • جوهرة التوحيد (منظومة في التوحيد)(**) 	<p>اللقاني. عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم بن حسن علي برهان الدين (ت. 1631/1041)(*)</p>

<p>• شرح صحيح مسلم = المعلم بفوائد كتاب مسلم. دار الغرب الإسلامي ط1-1988. ط2 1992</p>	<p>المازري. أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر (ت. 536).</p>
<p>• الموطأ. تح.د.عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1 مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية • المدونة. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع</p>	<p>مالك بن أنس. الإمام</p>
<p>• الحاوي (في فقه الشافعية) تحقيق وتعليق علي محمد معوظ وعادل أحمد محمد الموجود. دار الكتب العلمية.بيروت. 1994/1414</p>	<p>الماوردي. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت. 1058/450)</p>
<p>• شرح جمع الجوامع لابن السبكي. المكتبة التجارية الكبرى. مصر</p>	<p>المحلى شمس الدين محمد بن أحمد (ت 1459/864)</p>
<p>• إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. دت</p>	<p>مرتضى الزبيدي الحافظ. محمد بن محمد الحسيني (ت 1792/1205)</p>
<p>• شرح المقنع في علم أبي مفرع الممتع في شرح المقنع (منظومة). خ ج ك م.المجموع رقم 2542 • المقنع في علم أبي مفرع خ.ح 491 • شرح المقنع في اختصار أبي مفرع: المطلع على مسائل المقنع خ ح 315</p>	<p>المرغثي السوسي. محمد بن سعيد بن محمد (ت 1678/1089)⁽⁶⁾</p>
<p>• المختصر</p>	<p>المُزني أبو ابراهيم. إسماعيل بن يحيى الشافعي (ت 264)</p>
<p>• حل الرموز ومفاتيح الكنوز خ ح مجموع رقم 1558</p>	<p>لمقدسي. عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي (ت 678)</p>
<p>• مروج الذهب ومعادن الجواهر. ط1 دار الأندلس للطباعة والنشر. بيروت. 1906/1385</p>	<p>المسعودي أبو الحسن. علي بن الحسين بن علي</p>
<p>• سنن المهتدين في مقامات الدين (أو كتاب التذلي والترقي) خ ح رقم 533</p>	<p>المواق أبو عبد الله. محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي (ت 1492/897)</p>

• منهاج الطالب في فروع الشافعية	النووي. محيي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف بن حسن. (ت. 1277/676)
• ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج ﷺ	ابن الصالح محمد المعطى الشرقي (ت 1180هـ)
• شرح إدراك البغية في حل ألفاظ المنية لابن غازي. مج 706 رقم 2 مؤسسة علال الفاسي	ابن الصباغ المكناسي. محمد بن أحمد العقيلي (ت 1666/1076)
• كتاب الرحمة في الطب والحكمة خ ح 304	السنبري جمال الدين محمد بن علي بن إبراهيم الهندي
- المرشد المعين على الضروري في علوم الدين. مط مصطفى محمد. المكتبة التجارية. مصر. 1355	ابن عاشر. عبد الواحد بن أحمد بن علي الأنصاري (ت 1040)
• الجوهرة النيرة في شرح القدوري. خ ح رقم 11827	العبادي. أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحدادي
• الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية (**). دار صادر. بيروت ط1-2004/1424	ابن عربي. محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي (ت 1240/638)
• عارضة الأحوذ في شرح صحيح الترمذي. دار إحياء التراث العربي. بيروت ط1-1995/1415	ابن العربي. أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري المالكي (ت 1148/543)
• المختصر الشامل في أصول الدين خ ح 2103	ابن عرفة. أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي (ت. 803) (*)
• المستخرجة العتبية	العتبي. محمد بن أحمد بن أبي عتبة القرطبي (ت 254)
• الشفا بتعريف حقوق المصطفى. دار الكتب العلمية. لبنان. بيروت. 1979/1399	عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت. 544-1149)
• ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك (**). ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ربيع الثاني 1388 يوليو 1968	

• ابن غازي المكناسي. محمد بن أحمد بن محمد العثماني (ت 919)	• الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. تح عبد الوهاب بن منصور. المطبعة الملكية. الرباط 1993
• الغزالي أبو حامد. محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي (ت 1111/505)	• إحياء علوم الدين. دار الفكر للطباعة و النشر ط 1-1423/2003
• الفكيكي. أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الجبار (ت 954)	• قصيدة روضة السلوان
• الفيومي. شهاب الدين. أحمد بن محمد بن علي (770هـ) (*)	• المصباح المنير في غريب الشرح الكبير خ ح 692 (**)
• القدوري. الإمام أبو الحسن أحمد بن محمد البغدادي الحنفي (ت. 1036/428)	• مختصر القدوري (في المذهب)
• القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت. 671)	• الجامع لأحكام القرآن (أو تفسير القرآن)
• القزويني. أبو عبد الله زكرياء بن محمد بن محمود	• عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات خ ح 2152.
• الفلثاني. أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله (ت . 1459/863)	• شرح على رسالة القيرواني (*)
• ابن قنفذ الخطيب أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت 810)	• لم أعر على المصدر
• قسارة علي بن إدريس بن علي الحميري	• حاشية علي شرح بناني على السلم المرونق. خ ج ك م رقم 809
• القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت 1072/465)	• الرسالة القشيرية. ذخائر العرب. رقم 75 تح. د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف. دار المعارف. القاهرة
• القيرواني أبو محمد عبد الله بن أبي زيد	• رسالة ابن أبي زيد القيرواني (الرسالة القيروانية) خ ح 1686
• ابن السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت. 1369/771) (*)	• جمع الجوامع خ ح 909

• شرح الرسالة العضدية (في علم الوضع) خ ح 1558 المجموع 5820	السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (1483/888)
• إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد. تقديم وتعليق يان يوست ويتكام. دار "تورلخت" للطباعة والنشر بمدينة ليندن 1989	السنجاري شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأكفاني الأنصاري. (ت 1348/749)
• شرح مقاصد الطالبين في علم أصول الدين خ ح 527	سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ت 791
• النهاية في شرح الهداية	السغناقي حسام الدين الحسين بن علي بن الحاج (ت 710)
• عوارف المعارف (**). على هامش كتاب الإحياء للغزالي. دار الفكر للطباعة والنشر. ط1-1423/2003	السهروردي شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله (ت 1234/632)
• المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. دار إحياء الكتب العربية. ط 2 • الكنز المدفون والفلك المشحون. خ ح 788 • كتاب الرحمة في الطب والحكمة. عدة طباعات	السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (1505/911)
• لطائف المنن والأخلاق. خ ح 1416 • اختصار تذكرة القرطبي	الشعراني أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشافعي الأنصاري (ت 1565/973)
• التمهيد في شرح التلخيص. خ ح رقم 1425	ابن هيدور التادلي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد (ت 1413/816)
• الفهرست. تقديم وتحقيق د. حميد حماني مط. دار الفرقان. الدار البيضاء. ط1-1425/2004 • قانون الأحكام. تح وشرح وتع وفه— وتق د. حميد حماني. مط شالة. الرباط. 1989/1419	اليوسي أبو علي الحسن بن مسعود (ت 1691/1102)

* (أعلام اقتصر التادلي على ذكر مؤلفاتهم دون أسمائهم.

** (مصادر اقتصر التادلي على ذكر أسماء مؤلفيها.

2) فهرست الآيات القرآنية

الآيات	ص	السور
لِيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا	167	المدثر- الآية 4
وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا	167	طه-114
وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا	167	الأنفال-2
وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا	168	الإسراء-85
ليس كمثلته شيء	173	الشورى-11
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ	175	الحديد-3
وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ	175	محمد-38
إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ	185-231	لقمان-19
وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا	186-196	البقرة-31
خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ	186	الرحمن-2 و3
وَإِخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَانَكُمُ	187	الروم-22
فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ	199	القمر-55
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ	214	الروم-7
مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ	216	النحل-96
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ	224	ق-16
سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ	227	النحل-81
وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ	230	ابراهيم-5
وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ	233	الأنعام-12
وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	233	الذاريات-21
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ	234	الأنبياء-30
وكان عرشه على الماء	234-238	هود-7

الآيات	ص	السور
سُنُرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ	235	فصلت-53
وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ	235	الذاريات-20
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	236	الذاريات-49
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	239	مريم-35
وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ	239	النجم-42
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا	240	نوح-14
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ	243	الأعراف-54
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي	243	الإسراء-85
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ	244	الصافات-96
بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ	245	النساء-157
وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا	245	مريم-50
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ	261	النحل-78
يَا جِبَالُ أَوَّيِّي مَعَهُ وَالطَّيْرُ	263	سبأ-10
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ	336-263	الأعراف-172
فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ	264	الروم-15
يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ	336-291	فاطر-1
وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا	320	الفرقان-72
وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ	320	القصص-55
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ	320	المؤمنون-3
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ	334-333	لقمان-6
أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ	333	العنكبوت-51

3) فهرست الأحاديث النبوية

ص	نص الحديث	
169	اختلاف أمتي رحمة	1
171	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى	2
184	هل زالت الشمس قال نعم	3
291	لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود	4
282	الحكمة ضالة المؤمن يَلْتَقِطُهَا حَيْثَمَا وَجَدَهَا	5
282	اطلبوا العلم ولو بالبعير	6
302	لا حرج إن شاء الله	7
314	أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف	8
318	ليس منا من لم يتغن بالقرآن	9
372-318-148-134	زيئوا القرآن بأصواتكم	10
323-315	الغناء يُنبِتُ النَّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ	11
326	يا نافع، أسمع؟	12
327	ما هممت بشيء...	13
328	ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخمر والمعازف	14
338	لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به	15
338	الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ	16
341	إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة	17
377-341	وقف ﷺ لعائشة يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفنون	18
343	حديث... تَضْرِبَانِ بِالْدَفِّ (حديث الجاريتين)	19

تخريج الأحاديث الواردة في المتن

1) الحديث: «اِخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ»

حديث وارد رواه المقدسي في "الحجة"، والبيهقي في "الرسالة الأشعرية" كلاهما بغير سند. وقال ابن حزم في "الإحكام": وهذا من أفسد قول يكون، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطاً، وهذا ما لا يقوله مسلم، لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف، وليس إلا رحمة أو سخط⁽¹⁾.

وقد ساق التادلي هذا الحديث للتدليل على أن بعض شراحه احتجوا به على اختلاف العلماء في اختيار العلوم، وأصحاب المهن في اختيار الحرف، فكان في العلماء من تعلقت همتهم بالفقه، وآخرون بالنحو، وغيرهم بالمنطق، وكان من المهنيين من احترف الدباغة، وامتهن صناعة الجزار، إنما كل ذلك مصدر للتراحم بين الناس⁽²⁾.

2) الحديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»

حديث متفق على صحته. رواه البخاري ومسلم في الصحيحين. اتخذه ابن حزم في رسالته "رسالة في الغناء أمباح هو أم محظور" حجة على بطلان من ذهب إلى تحريم الغناء، فقال معقبا على الحديث: "من نوى باستماع الغناء عونا على معصية الله فهو فاسق، وكذلك كل شيء غير الغناء-، ومن نوى الترويح على نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق، ومن لم ينو لا طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها، وعوده على باب داره متفرجا، وصبغه ثوبه لا زوردياً أو أخضر أو غير ذلك⁽³⁾.

1) انظر تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، لعبد الرحمن بن الربيع الشيباني ط1.

الطبعة العامرية - مصر 1324هـ. ص 10.

2) أغاني السقا. ص: 3.

3) رسائل ابن حزم. ص 419.

4 الحديث: «لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي، والبيهقي، ونصه: "لو رأيته وأنا أسمع قراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود". وقد رد أبو موسى فقال: لو علمت أنك تسمع لقراءتي لَحَبَّرْتُهُ لِكَ تَحْبِيرًا. والحديث عند الإمام النووي متفق عليه. ورواه ابن نصر عن يحيى عن سفيان عن الزهري بصيغة "لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داود".

5 الحديث: «الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ».

حديث وارد. قال عقبه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهو: الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها⁽¹⁾.

6 الحديث: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ».

يروى عن أنس مرفوعا، وهو ضعيف، بل قال ابن حبان: لا أصل له⁽²⁾.

7 الحديث: «لَا حَرَجَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»

حديث جاء مرفوعا أن أصحاب النبي ﷺ جلسوا بسماطين، وجاءت جارية يقال لها سيرين، معها مزهر تختلف بينهم وهي تغنيهم:

فَهَلْ عَلَيَّ وَيَحْكُمُ إِنْ لَهَوْتُ مِنْ حَرَجٍ

فتبسم النبي ﷺ وقال: لا حرج إن شاء الله تعالى⁽³⁾.

(1) انظر المقاصد للسخاوي. ص 191.

(2) انظر المقاصد للسخاوي. ص 26 وانظر تمييز الطيب من الخبيث ص 26.

(3) انظر السيرة الحلبية 452/1.

8) الحديث: «أَعْلَنُوا النِّكَاحَ وَاضْرَبُوا عَلَيْهِ بِالْدَفِّ. وفي رواية: أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدف».

حديث حسن، رواه ابن ماجه عن عائشة مرفوعا، وصححه الحاكم النيسابوري في "المستدرک" وقد ضعفه الترمذي⁽¹⁾.

9) الحديث: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»

حديث صحيح رواه البخاري عن أبي هريرة، ورواه أحمد في مسنده، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم في المستدرک. والحميدي عن ابن عيينة، والدارمي، والحاكم من طريقه، ويذهب الجمهور في تفسير الحديث إلى أن المراد بلفظ "يتغنني" هو "يستغني" وقد عارض الشافعي هذا التفسير فقال: ليس هو هكذا، لو كان هكذا لقال: يتغانا⁽²⁾. ويؤيد ما ذهب إليه الشافعي قول عبيد الله بن معاوية ضمن أبياته.

كَلَانَا غِنْيِي عَن أَحْيِهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا⁽³⁾

10) الحديث: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»

رواه أحمد بن حنبل، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي، والبيهقي، وابن حبان، والسخاوي، وزاد الحاكم النيسابوري.. فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا.

وهو حديث صحيح، ورواه الطبراني بسند حسن من حديث عبد الله بن عباس، مرفوعا، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة بلفظ الترجمة، وعلقه البخاري بلفظ الترجمة في آخر صحيحه جازما به⁽⁴⁾.

(1) ابن الربيع الشيباني: تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث. ص 28.

(2) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق الطناحي والحلو. ج 2 ص 130.

(3) المبرد: الكامل. شرح المرصفي. ج 3 ص 13.

(4) انظر تمييز الطيب من الخبيث، ص: 106.

وقد اعترض بعضهم من الجمهور على الحديث محتجا بأن المعنى المراد مقلوب إذ هو "زينوا أصواتكم بالقرآن".

11) الحديث: «الغناء ينبت النفاق»

حديث روى مرفوعا وموقوفا. فأما المرفوع فقد رواه أبو داود عن مسعود والبيهقي من طريق سالم بن مسكين وهو ضعيف لأن في سنده مُبهما، ويقول الحافظ العراقي في "المغني": المرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يُسم.

كما رواه البيهقي عن جابر من طريق عبد الله بن عبد العزيز ابن أبي رواد. وعبد الله هذا أحاديثه منكراً "عند أبي حاتم، وهو "لا يساوي شيئاً" عند الجعيد، و"له أحاديث مناكير، وليس ممن يقيم الحديث" عند العقيلي. وحديثه هذا "لا يصح كما قال النووي، وهو متروك" كما قال النسائي.

وأما الموقوف فقد رواه البيهقي من طريق حماد عن إبراهيم. وحماد هذا عند شعبة "لا يحفظ الحديث" وهو عند الغطفاني عن البتي: إذا قال: قال إبراهيم (النخعي) أخطأ.

وقد اعترض الغزالي في "الإحياء" على صحة هذا الحديث معتبرا أن زرع النفاق متعلق بالمغني، وليس بالغناء، وذلك في حالة تودده إلى الناس ليقبلوا عليه ويسمعوا صوته، ومثله في هذه الحالة كمثل من يتظاهر أمام الناس باللباس الفاخر وأنواع الزينة والتفاخر بالكسب مما ينبت في القلب النفاق، ومع ذلك فمثل هذه الحالات لا يطلق القول فيها بالتحريم⁽¹⁾.

(1) الإحياء 2/283. وانظر تمييز الطيب من الخبيث - ص: 136 وكتاب السماع لابن القيسراني، ص 84.

12) الحديث: «يا نافعُ أسمعُ»

حديث عبد الله بن عمر حين وضع النبي أصبعه في أذنيه وقد سمع زمارة راع، وقد عدل عن الطريق، وهو يقول: يا نافع، أسمع؟ حتى قلت: لا، فأخرج أصبعه من أذنه وقال (أي عبد الله بن عمر) هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع.

هذا الحديث أخرجه أبو داود في مختصر سننه، وابن ماجه مع اختلاف في ألفاظه، وقد ناقش الإمام الحافظ أبو الورد المقدسي هذا الحديث الذي رواه ابن عمر عن نافع بسند فيه سليمان بن موسى، فاستنتج من سياقه أنه خال مما يدل على تحريم استعمال الشبابة، بل إنه حجة قوية على جوازها لأمرين:

- أولهما أن النبي ﷺ - وهو الذي لا يقر أحدا على منكر - لم يأمر عبد الله بسد أذنيه، ولم ينكر على الراعي صنيعه.

- ثانيهما أن سد أذنيه يحتمل معنيين. أحدهما أنه كان أتم الأحوال وأفضلها ونحن نقول: إن الأولى تركه في أكثر الأحوال، بل إن أكثر مباحات الدنيا تركها أولى. والمعنى الثاني أنه ربما كان النبي صلعم في حال من الفكر أو الذكر أو الحال مع الله تعالى وخشي أن يشغله زمارة راع فسد أذنيه⁽¹⁾.

ويضيف المقدسي أن سليمان بن موسى - وهو من روى حديث ابن عمر عن نافع - تكلم فيه أهل النقل، وأن البخاري قال عنه: سليمان بن موسى عنده مناكير (أي أحاديث منكورة)⁽²⁾.

1) أغاني السقا، ص 68.

2) ابن القيسراني: كتاب السماع، ص 59.

13) حديث «ما هممت بشيء...»

القصد هنا إلى الحديث الذي رواه أبو جعفر الطبري عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ ونصه كما رواه ابن الأثير:

قال رسول الله ﷺ: «ما هممت بشيء مما كان في الجاهلية يعملونه غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته: قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب! فقال: أفعل، فخرجت، حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع، فضرب الله على أذني، فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي، فسألني، فأخبرته. ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت مكة، فأصابني مثل أول ليلة... ثم ما هممت بعد بسوء...»⁽¹⁾

14) الحديث: «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحر⁽²⁾ والخمر

والمعازف»

أخرجه البخاري في الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه⁽³⁾.

ووهنه ابن حزم بحجة أن البخاري لم يورده مسندا، وإنما قال قال هشام بن عمار..، وأنه مروى عن أبي عامر أو أبي مالك، وأبو عامر هذا غير معروف⁽⁴⁾.

1) انظر شرح الشفا لشهاب الدين الخفاجي، مج 2. ص 129-130.

2) الحر: الفرج كناية عن الزنا.

3) صحيح البخاري. ج 7 ص 106.

4) رسالة "الغناء امباح هو أم محظور" ص 434.

وقد أخذ علي ابن حزم طعنه في هذا الحديث الذي أخرجه البخاري في الصحيح خاصة، فقال ابن الصلاح: "لا التفات إلى أبي محمد بن حزم الظاهري الحافظ في رده ما أخرجه البخاري من حديث أبي عامر أو أبي مالك⁽¹⁾. أما ابن القيم الجوزية⁽²⁾ فقد انحى على ابن حزم أنه "انماع في باب العشق والنظر وسماع الملاهي المحرمة... وهو من انحرافه في الطرفين حين رد الحديث الذي رواه البخاري في تحريم آلات اللهو بأنه معلق غير مسند، وخفي عليه أن الحديث قد أسنده غير واحد من أئمة الحديث... فأبطل سنة صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ لا مطعن فيها بوجه.

وقد احتج آخرون بهذا الحديث على جواز الغناء بدليل عدم ذكره، وإنما ذكرت المعازف مقرونة باستحلال الزنا والخمر والحريير.

15) الحديث: «لا يومن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

هو من الأحاديث النووية

16) الحديث: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات».

متفق عليه. رواه البخاري ومسلم في الصحيحين بألفاظ متقاربة.

17) حديث عائشة: القصد هنا إلى الحديث الوارد في الصحيحين: قالت

عائشة: كان يوم عيد، يلعب السودان بالدرق والحراب⁽³⁾. فإما سألت النبي ﷺ، وإما قال: أتشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي علي خده،

1) انظر "صيانة صحيح مسلم من الإخلال والخلط وحمائته من الإسقاط والسقط. ص 83.

2) روضة المحبين. تحقيق أحمد عبيد. ط. السعادة. مصر ص 131 الحديث...

3) الدرّ: مفردا الدرقة، وهي الترس من جلد.

وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة⁽¹⁾. حتى إذا مللتُ قال: حسبك؟ قلتُ: نعم. قال: فذهبي.

والحديث متفق عليه، رواه البخاري من عدة طرق في صحيحه، ورواه مسلم في كتاب صلاة العيدين من صحيحه من طريق الزهري بسنده، كما رواه ابن حبان من أربع طرق، وابن حنبل في مسنده، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وعبد الرزاق في مصنفه.

18) حديث الجاريتين: عن عائشة قالت: "دخل علي أبو بكر، وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ: وذلك يوم عيد؟ فقال رسول الله ﷺ إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا.

أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه مثل كتاب الصلاة وباب الدعاء في العيد، وأخرجه مسلم في أول كتاب صلاة العيدين عن طريق الزهري بسنده.

والحديث في رواية أخرى تنتهي إلى الزهري عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها، وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان بدفين، ورسول الله ﷺ مسجىً بثوبه، فانتهرهما، وكشف رسول الله ﷺ عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد⁽²⁾.

(1) بنو أرفدة: أرفدة جنس من الحبشة، انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي، المكتبة التجارية ج 1 ص 25.

(2) ابن القيسراني. كتاب السماع، ص: 37-38.

4 فهرست الأبيات الشعرية

ص	البحر	الشعراء و النظام	الابيات
168	المقتارب	أبو العتاهية	* وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهٗ آيَةٌ * تَأْمَلْ صُورَةَ الْعَرَبِ كَمَا أَنَّ الْأَضْدَادَ إِنِ كَثُرَتْ كَذَاكَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ
175	مجزوء الوافر		* تَمَحَّتْ آيَةُ الْكُهَانَةِ آيَا فَارَضَهُ أَفْصَحَ لَمْرِي نطق الضا أعجز الإنس آية منه والجن أنت مصباح كل فضل فما تصم
196	الخفيف	همزية البوصيري	ت من الوحي ما لهن أنصاء . الخ د فقامت تغار منها الظاء فهلأ تأتي بها البعاء (3) ذر إلا عن صؤبك الأضواء
234		همزية البوصيري	♦
235	الرجز	المرشد المعين	♦ من حديث الأعراس مع تالزم (4) ♦ للعالم العلووي ثم السافل ♦ فأنظر إلى نفسك ثم انتقل ♦ وَحُدُوثُ الْعَالَمِ
236	الرجز	الحوهرة	♦ بأسرها وتركها في العدمات ♦ يجر في حقه فعل الممكات ♦ ركن، مزاج، خلط، الأعضاء ♦ الحكم في الشرح خطاب ربنا *
237	الرجز	المرشد المعين	♦
238	الرجز	التادلي	♦
239	الرجز	المرشد المعين	♦

ص	البحر	الشعراء والنظام	الآيات
239	الرجز	الإضامة	* وَفِي تَأْيِيرٍ عَنِ الْأَسْبَابِ * عَلِمَ بِهِ يُعْرَفُ أَحْوَالُ التَّعَمُّمِ * وَمَا بِهِ يَلْبَغُ تَفَرَّتْ أَسْبَابُ
253	الرجز	الفاسي في الأقتوم الفاسي في الأقتوم	* ثُمَّ الْمَفْصَلُ الَّذِي تَتَفَصَّلُ * ثُمَّ الْمَفْصَلُ لَهُ قِسْمَانُ * مَا يَتَوَالَى تَفَرَّتَانِ مَرَّتَيْنِ
257		" "	* أَنْظُرْ إِلَى الْأَوْتَارِ كَيْفَ تَرَكَّيْتُ * قَالَ زَيْدٌ أَوْلَاهَا لِأَنَّ حَبِيْبَهُ * وَالْمَثْبُتَانِ: فَصَاحِكٌ مُتَلَاصِبٌ * وَالْمَثْبُتُ الْمَحْزُونُ قَدْ أَلْفَ الْبُكَاءِ * وَالْبَيْمُ يَخْفِضُ صَوْتَهُ فَكَانَهُ
277	الكامل		بِالطَّبَعِ مِثْلَ طَبَائِعِ الْإِنْسَانِ شَكَرَى الْمُحِبِّ وَنَشَوَةَ السَّكْرَانَ بِمَلَامَةٍ صَبَّيْتُ بِهِ الْكَفَّانِ مُتَدَائِلًا كَتَدَائِلِ الْحَيْرَانَ نَضُّوْ تَأْوَهُ مِنْ أَدَى الْهَجْرَانَ (5)
281		من قصيدة الساقى لسيدى عبد القادر العلمي شيخ الملحن	يَيْسَا سَيْسَا قِي فَهَزَمْتَ سُلْطَانَ الْعَشَائِقِي يَيْسَا سَيْسَا قِي شَوْفَ أَعْلَامِ الضُّمُونِ بَنَاتِ أَعْلَامِ فِي الْأَقَائِقِي وَأَنْظُرْ لَشُمْسِ النَّهْيَا عَلَى الْأَجْدَانِ شَرِيْقَا صَبَّيْتُ أَمْ لِحَسْنِ شِكَايَا اللَّحِي الْخُلَائِقِي

ص	البحر	الشعراء والنظام	الآبيات
281	توشيح	إبراهيم التادلي	بُغْرَامُ هَوَاهَا لِأَنهَا مُوَلَّوْعَةٌ وَاصْبِيحًا ♦ تَسْبِيحِي الرَّالْعُ وَاعْتَبِقُ تَرْزِيَانُ الْمُوَسْبِقِ سَا ♦ وَأَزْرَعُ لِلْسَّاهِي أَيْقِيُقُ * الصَّبِيحُ لِأَخٍ وَالزَّاهِرُ فَأَخٍ وَالطَّيْرُ صَاخٍ قَدْ لَدَّ لِي ذِكْرِي وَالشُّرْبُ رَاخٍ وَالْعُودُ نَاخٍ وَاللَّيْلُ رَاخٍ قَدْ حَلَّ لِي شُكْرِي وَالْفَرْحُ جَا جَنَحَ الدَّجِي وَلَى الدَّجِي عَمَرَنِي سَكْرِي وَقَدْ جَا حَجَا جَادَ بِهِ فِكْرِي
282	البيط	التادلي	* بَهْفَسَجُ الصَّبِيحُ قَدْ فَأَخَ بِعُطْرَتِهِ ♦ وَاللَّيْلُ بِالذِّكْرِ لِاعْتِاقٍ قَدْ بَاخَا وَوَتْرُ الْعُودِ قَدْ أَجَابَ دَعْوَتَهُ ♦ بِالْمُوسِقَى يَفْرَحُ الْمُشْتِاقُ إِذَا نَاخَا وَأَنْشَبَا الْكَلَّةَ أَجَابَاتٍ بِالْبُرْهَانِ ♦ فَسَطَا بَيْنَ لَوْقَا شَكْلَ ذِي السَّمِيرَانِ
283	الرجز	منية ابن غازي	* وَعِلْمَنَا الإِلَهِي كَاللَّوْجِ دَد ♦ ثُمَّ طَبِيعِي مِثْلَ طِبِّ بِيَهْدِي ثُمَّ رِيَاضِي، وَهِيَئَةً حَسَاب ♦ هَذِهِ ثَلَاثُهُ قَدِيمَةٌ لِلْفَلَسُفِي وَرَأْتُهُ
284	" "	إبراهيم التادلي	* هَذَا نَسَبٌ، وَهِيَئَةً حَسَاب ♦ مُوسِقَى: قَالُوا رِيَاضِي. لِاعْتَابِ
284-56	الرجز	إبراهيم التادلي	* وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا ♦ وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَّاتِ
290-145	الطويل	كثير عزة	

ص	البحر	الشعراء والنظام	الأبيات
295	البيسط		<p>فَالْعَوْدُ يَخْفِقُ مَثْمَاهُ وَمَثْمَاهُ * وَالصَّبْحُ قَدْ عَرَّتَتْ فِيهِ عَصَاوِرُهُ</p> <p>كَانَمَا الْعَوْدُ فِيمَا بَيْنَنَا مَلَكَ * يَمْشِي الْهُوْيَا وَتَلُوهُ عَسَاكِرُهُ</p> <p>كَانَهُ إِذْ تَمَطَّى وَهِيَ تَتَّبَعُهُ * كَسْرَى ابْنِ هُرْمَزٍ تَقْفُوهُ أَسَاوِرُهُ</p>
296	البيسط		<p>*وَطَاطِقُ بِلْسَانٍ لَا صَمِيمٍ لَهُ * كَانَهُ فَعِدًّا نِيَطَتْ إِلَى قَدَمِ</p> <p>يُبْدِي صَمِيمٍ سِرَاهُ فِي الْكَلَامِ كَمَا * يُبْدِي صَمِيمٍ سِرَاهُ سِوَاهُ مَطِيقُ الْكَلَامِ</p>
296	الخفيف	ابن عبد ربه	<p>*يَا رَبِّ صَوْرَتِي يَصُوغُهُ عَصَبٌ * نِيَطَتْ بِسَاقٍ مِنْ فَرْوَقِهَا قَدَمٌ</p> <p>جَوْفَاءَ مَضْمُومَةٍ أَصَابِعُهَا * فِي سَاكِنَاتٍ تَحْرِيقُهَا نَعْمٌ</p> <p>أَرْبَعَةٌ جَزَأَتْ لَأَرْبَعَةَ * أَجْرًا أَوْهَا بِاللُّهُوسِ ثَلَاثَةٌ</p> <p>إِذَا رَكَتْ بَعْمُزٌ لِأَفْطِهِهَا * قَلَّتْ حَمَامٌ يُجِيبُهُنَّ حَمٌ</p> <p>لَهَا لِسَانٌ بِكَفِّ صَارِبِيهَا * يُعْرِبُ عَنْهَا وَمَالَهُنَّ فَمٌ</p>
296		أبو نواس	<p>*قُلْ لِرُفْهِيرٍ إِذَا شَادَا وَحَدَا * فَأَقَلَّتْ أَوْ أَكْثُرَتْ مِهْمَارُ</p> <p>سَخُنْتُ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودِ حَتَّى * صِرْتُ صُنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ</p> <p>لَا يَجْعَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صَمْتِي * كَذَلِكَ التَّلْحُجُّ بَارِدٌ حَارُ</p>

ص	البحر	الشعراء والنظام	الآبيات
297	مجزوء الرمل	دعبل الخزاعي	<p>* وَمَعْنَى أَنْ تَعْتَهُ أَحْسَبَنَّ الْأَقْوَامَ خَالًا</p> <p>♦ أَوْرَثَ اللَّهُمَّ عَانَ هَمًّا (6)</p> <p>* رَأَيْتُ نَصْرًا شَالِدِيًّا يُضْرَبُ لِأَلَا يُبْهِهُ يَنْبُحُ مِنْ عُوْدِهِ</p> <p>♦ دَجَّاجَةٌ يَخْتَفُّهَا ثُعَالِبُ مَنْ عَجَبِي مِنْهُ وَكَانَ لِي</p> <p>♦ مِنْ تَيْبَاتِ الْأَسْوَدِاعِ</p> <p>* أَقْبَلُ الْبَيْتُزُ عَظِيمًا</p> <p>* قِيَا حَادِي الْعَشَّاقِ قُمْ وَاحِدًا قَائِمًا فَنَحْسُ إِذَا طَبْنَا وَطَابَتْ نُفُوسُنَا</p> <p>♦ مِنْ تَيْبَاتِ الْأَسْوَدِاعِ وَرَمَزِمُ لَنَا بِاسْمِ الْحَبِيبِ وَرَوْحَنَا وَخَامَرْنَا خَمْرُ الْعَرَامِ تَهْتَكُنَا</p> <p>* فَهَلْ عَلَّاسِي وَبِحَكْمَا الْعَفْوُ أَوْ لِي لِمَنْ كَانَتْ لَهُ الْقَدْرُ</p> <p>♦ وَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَعْتَذِرُ أَقْرَ بِالْحَذْبِ إِجْلَالًا لِسَيِّدِهِ</p> <p>* حَاكَمْنَا الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ الشَّيْبَةَ أَوْ يَبْتَدِعُ طَارًا أَوْ شَجَابِرَابَةَ (8)</p>
297	السريع	عباس الخياط	
301	مجزوء الرمل	الأنصار	
302	الطويل	أبو مدين الغوث	
302	مجزوء الرمل	جارية السيدة عائشة	
144	البيسط		
306			
326	سريع مطوي	المرزني أبو ابراهيم	

ص	البحر	الشعراء والنظام	الأبيات
327	الرجز		كَأَنَّ فِي الدَّفِّ الَّذِي يَفْعَلُهُ ♦ زَمَّارٌ دَفَّ يَتَعَنَّى جُجَلُهُ *وَتَعَمَّاتُ العُودِ فِيهِ الأَخْيَانُ ♦ قَالُوا تُزِيلُ أَثَرَ الأَخْزَانِ فَأَجْزِمُ عَلَى التَّخْرِيمِ أَيَّ جَزْمٍ ♦ وَالْجَزْمُ أَلَّا تَتَّبِعَ ابْنَ حَزْمٍ فَقَدْ أُبِيحَتْ عِنْدَهُ الأَوْتَارُ ♦ وَالْعُودُ وَالطُّبُورُ وَالْمِزْمَارُ
140	البيسط	الدميري	
328			
148	الطويل	أبو محمد الصباح	فَذَلِكَ أَصْنَى القَلْبِ أَصْنَى التَّصَوُّرِ (9) رَأَوْهُ مَبَاحًا عِنْدَهُمْ غَيْرَ مُنْكَرٍ ♦ وَمَنْ لَمْ يُحْرِكْهُ السَّمَاعُ بِطَبِيبِهِ بِأَصْوَاتِكُمْ أَيَّ الكِتَابِ المُطَهَّرِ ♦ وَأَهْلُ الحِجَا أَهْلُ الحِجَارِ فَكَلُّهُمْ فَحَسْبِي إِفْتِدَاءٌ بِالكَرِيمِ ابْنِ جَعْفَرٍ ♦ فَإِنَّ رَسْمَ لَهِ اللهِ فَقَالَ : زَيْنُومَا يَرُوقُ بِهَا لَحْنُ القَرِيضِ المُحَبَّرِ ♦ زِيَادَةُ حُسْنِ الصَّوْتِ لِلْمَرْءِ زِينَةٌ مِنْ الجَهْلِ فِي عَشْوَائِهِ غَيْرَ مُبْصِرٍ ♦ زِيَادَةُ حُسْنِ الصَّوْتِ لِلْمَرْءِ زِينَةٌ لِتُهَيِّجَ شَوْقَ نِسَاءِهِ لَمْ تَسْمَعِرْ (10) ♦ وَهَمَامٌ بِهِ أَهْلُ التَّصَوُّفِ رَغْبَةٌ مَنْ أَمِيرُهُ بِالنُّوحِ فِي كُلِّ مَحَضَرٍ ♦ وَرَأَيْتُ لِدَاوَدَ النَّبِيِّ زُبُورَهُ إِلَى اللّٰحْنِ سِرًّا فِي الوَرَى غَيْرَ مُظْهِرٍ ♦ وَالْأَرْوَاحُ عِنْدَ ارْتِيَادِهَا وَلِلَّهِ فِيهِ
334			

ص	البحر	الشعراء و النظام	الأبيات
335	بسيط		<p>* إِنَّ السَّمَاعَ صَفَا نُورًا وَصَفْوَتُهُ نُورٌ لِمَنْ قَابَهُ بِالنُّورِ مُنْتَسِرِحٌ ◆ تَخْفَى وَتَحْبَبُ عَمَّنْ قَابَهُ قَاسٌ ◆ تَارٌ لِمَنْ قَابَهُ قَاسٌ وَوَسْوَسٌ (12)</p>
158	الطويل	ابن عبد الجبار الفكيكي	<p>* وَمَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ الرَّبِيعُ وَزَهْرُهُ وَلَمْ يَتَأَنَّكَ بِالسَّمَاعِ وَلَحْنِهِ ◆ وَلَا تَسْتَنْزِعُهُ لَا الظُّبَاءُ وَلَا الْمَسَا ◆ وَلَا تَمُزُّ قَطُّ مَا الْعَرَامُ وَمَا الْهَوَى ◆ فَذَلِكَ مُخْتَلُ السَّمَزَاجِ طَبِيعَةٌ (16)</p>
335			<p>* وَلَمْ يَلْتَمِسْهُ الصَّفْوُ إِذْ هُوَ نَافِعٌ (13) إِذَا اضْطَرَّضَتْ أَوْ جَاءَتْهَا الْأَخَارُ (14) وَلَا مَوْجَعَاتُ الْقَلْبِ إِذْ يَتَوَجَّعُ (15)</p>
336			<p>وَلَا تَشَاكَ فِيهِ لِلْحَمَارِ طَبَائِعُ (16) لِأَشْيَاءِ الْإِنْسَانِ فِيهَا نَافِعٌ (17) وَلَا الْعُودُ حِينَ تَعْتَرِيهِ الْأَصَابِعُ ◆ وَلَا تَشَاكَ فِيهِ لِلْحَمَارِ طَبَائِعُ (18)</p>
337	الرجز		<p>* وَاسْمَعُ إِذَا ضَغَبْتَ الْمَثَانِي (19) وَاطْرَبْ لِلنَّخْرِ الْحَبِيبِ وَاشْرَبْ ◆ قَدْ بَلَغَ الشَّسْوُوقُ مِنْتَهُ سَاهُ ◆ مَنْ فَرَّ مِنْ شَاكَ إِلَى يَقِينِ ◆</p>
338-49	السرير	الإضاءة	<p>* وَنُوَ اخْتِطَاطٌ فِي أُمُورِ الدِّينِ ◆ وَهِيَ الْخَلْيُ وَالْخُلُوءُ وَالْإِنْشَاءُ ◆ وَهِيَ عَائِيكَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ ◆</p>
339	الخفيف	همزية البوصيري	<p>* وَهِيَ عَائِيكَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ ◆ وَهِيَ عَائِيكَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ ◆ وَهِيَ عَائِيكَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ ◆</p>

الهوامش

- 1) في هذا البيت تصحيف. ولعله يستقيم بالآتي:
- كَمَا الْأَعْدَادُ إِنْ كَثُرَتْ فَمَرْجِعُهَا إِلَى الْأَحَدِ
- 2) في البيت تصحيف. ولعل صوابه:
- كَذَلِكَ الْخَلْقُ مَرْجِعُهُمْ لِرَبِّ وَاحِدٍ صَمَدٍ
- 3) الصواب: به البلغاء.
- 4) مطلع البيت من المرشد المعين: وذا محال...
- 5) في كناش الحايك: صَبَّ تَأَوَّهَ مِنْ أذى الهجران
- 6) صوابه: فيه مَنْ كَانَ أَصَمًّا
- 7) في كناش الحايك: وَيَحْكُمُ.
- 8) في المدخل لابن الحاج: ويقتديه.
- 9) في عجز البيت تصحيف. والصواب: فذلك أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى التَّصَوُّرِ
- 10) الصواب: ناره.
- 11) الصواب للوزن: نوراً.
- 12) في العجز إخلال بالقافية. ولعل الصواب: بِوَسْوَاسِ
- 13) عند بنمنصور:
- وَلَمْ يَتَأَثَّرِ بِالسَّمَاعِ وَلِحْنِهِ
- وَلَمْ يَلْتَمِسْهُ الصَّفْوُ إِذْ هُوَ رَاجِعٌ
- 14) عند بنمنصور:
- وَلَمْ تَسْتَفْرِزْهُ لَا الظَّبَاءُ وَلَا المَهَا
- إِذَا اعْتَرَضَتْ
- 15) عند بنمنصور:
- وَلَمْ يَدْرِ قَطُّ مَا الغَرَامُ وَمَا الهَوَى
- وَلَا وَجِبَاتٌ
- 16) عند بنمنصور: للحمير.
- 17) الصواب: منافع.
- 18) في تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي للقصيدة تقديم كلمة "للحمار" على كلمة "في".
- 19) الصواب: المثاني.

5) فهرست أشطار الأبيات

ص	البحر	الناظم	الأشطار
167	كامل	عمر بن الفارض	زِدْنِي بِفَرْطِ الْحُبِّ فِيكَ تَحْيِرًا ⁽¹⁾
196	خفيف	الإمام البوصيري	فَمَحَتْ آيَةَ الْكِهَانَةِ آيَاتُ ⁽²⁾
196	خفيف	الإمام البوصيري	فَارَضَهُ أَفْصَحَ أَمْرِي نَطَقَ الضَّادُ ⁽³⁾
196	بسيط	الإمام البوصيري	فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ⁽⁴⁾
232	رجز	عبد الرحمن الأخرسي	وَبَعْدُ فَالْمُنْطِقُ لِلْجَنَانِ ⁽⁵⁾
239	رجز	ابن عاشر - المرشد المعين	حَاجَةٌ كُلُّ مُحَدِّثٍ لِلصَّانِعِ ⁽⁶⁾
307	وافر	العرجي عبد الله بن عمر	أَصَاعُونِي وَأَيَّ فَنَى أَصَاعُوا ⁽⁷⁾
241	رجز	عبد الرحمن الأخرسي	خَطَابَةٌ شِعْرٌ ⁽⁸⁾
255	طويل	عبد الله الخزرجي	جُزءٌ لِحُزءٍ ثَنَا ثَنَا ⁽⁹⁾
318	رجز	ابن عاشر - المرشد	يَكْفُ سَمْعُهُ عَنِ الْمَاتِمِ ⁽¹⁰⁾
322	رجز	ابن عاشر - المرشد	يَحْفَظُ بَطْنَهُ مِنَ الْحَرَامِ ⁽¹¹⁾
338	رجز	ابن عاشر - المرشد	يَنْزُكُ مَا شَبَّهَ بِأَهْتِمَامِ ⁽¹²⁾

(1) صدر بيت عجزه : وَأَرْحَمَ حَنْسَى بِلَطَى هَوَاكَ تَسَعَّرَا

(2) صدر بيت من همزية البوصيري نصح : فَمَحَتْ آيَةَ الْكِهَانَةِ آيَا تَّ مِنَ الْوَحْيِ مَا لَهَنَّ انْمِحَاءُ

(3) صدر بيت من همزية البوصيري تمامه : فَارَضَهُ أَفْصَحَ أَمْرِي نَطَقَ الضَّادُ دَفَقَامَتْ تَغَارُ مِنْهَا الظَّاءُ

(4) صدر بيت من بردة البوصيري عجزه : وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ

(5) صدر بيت من "السلم" في المنطق للأخرسي عجزه : نَسَبْتُهُ كَالنَّحْوِ لِللِّسَانِ

(6) عجز بيت من المرشد المعين صدره : وَجُودُهُ لَهُ دَلِيلٌ قَاطِعٌ

(7) صدر بيت عجزه : لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تَغْرِ

(8) بداية صدر بيت من منظومة السلم في المنطق للأخرسي. والبيت هو :

خَطَابَةٌ، شِعْرٌ، وَبُرْهَانٌ، جَدَلٌ وَخَامِسٌ سَفْسَطَةٌ، نُلْتُ الْأَمَلُ

(9) نهاية بيت من منظومة الخزرجية (نظم الرامزة) لضياء الدين بن محمد عبد الله الخزرجي، ونص البيت كاملا

كالآتي: فرتب إلى اليازن دوائر (خفلشوق) اللات عد جُزءًا بجُزءًا ثَنَا ثَنَا

(10) عجز بيت من المرشد المعين صدره : يَعْضُّ عَيْنَيْهِ عَنِ الْمَحَارِمِ

(11) صدر بيت من المرشد المعين عجزه : يَنْزُكُ مَا شَبَّهَ بِأَهْتِمَامِ

(12) هو عجز البيت السابق نفسه.

6 فهرست الصنعات الغنائية
أ الشعر⁽¹⁾

ص	البحر	النوبة	الميزان	الشاعر	القافية	المطالع
193-83	البسيط	العشاق	البسيط		العنب وبَيْتِي	فَمُ يَا خَلِيلِي إِلَى اللذَاتِ وَ الطَّرَبِ مَنْ رَسُولِي إِلَيْكَ يَاوَرَّ عَيْتِي ⁽²⁾
211-194-85	الخفيف	الاستهلال	البسيط		فُتَاكَ	يَا عَلِيًّا نَحْوَ الحَبِيبِ عَسَاكَ ⁽³⁾
195-72	الكامل	الاستهلال	-		الفَلَّاحِ	عَرَوْسُ يَوْمِ القِيَامَةِ
206-74	مجنث	رمل المايه	البسيط	أحمد الحلبي ⁽⁴⁾	البرّزه	صَلُّوا يَا صَيَّادَ دَائِمٌ عَلَى أَشْرَفِ الوَرَى
81-74	المتدارك	رمل المايه	"	علي بن سعد ⁽⁵⁾	وَيَلْمَعُ	الفَاكُ فَيْكُ يَدُورُ
207-74	المنسرح	الأصبهان	"	-		

- 1، يطلق النادلي عليه أيضا مصطلح الشغل
- 2 ذكر النادلي أن هذه الصنعة مستعملة أيضا في نوبة الحجاز الكبير غير أنها غير واردة في نسخ الحايك.
- 3 لم أقف على هذه الصنعة في نسخ الحايك.
- 4 هو أحمد بن عبد الحي الحلبي المتوفى عام 1120.
- 5 هو أبو الحسن علي بن سعد المتوفى عام 685هـ.

ص	البحر	النوبة	الميزان	الشاعر	القافية	المطالع
209	المنسرح	رصد الذيل	"	-	صَنَعُوا	إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لَا تُفْسِدُهُمْ
209	الهزج	"	"	ابن القبطرونية(1)	شَمُوْ لَا	يَا أَيُّهُ فَمُ تَرَى النَّسِيمَ عَلِيلاً
209	-	"	"	-	خُضُوْغُ	تَكْتُبُ كِتَابَ بُرْسِلٍ سَلَامٌ
210	-	"	"	-	-	أَلَا يَا عَصِيْبَهُ(2)
210	الهزج	"	"	-	تَبُوْخُ	أَوْفَدْتِ فِي قَلْبِي هَوَاكَ(3)
286	الرمل	الرصد	"	-	عَايَاكَ	هَيِّبَا يَا قَلْبِي الْعَيْلُ
268-80	البسيط	غريبة الحسين	"	-	النَّقَارُ	يَا غَرِيْباً أَعَلَّمَ الْقَلْبَ الْعَرَازِ
82	-	عرق عجم	"	-	-	حَفِظَ اللهُ لِيْلِنَا وَرَعَى
279	البسيط	"	البسيط	-	وَيُعْطَاهُ(4)	وَأَيُّ ظِلَامِ الدَّجَى لِلْغَرْبِ مُنْهَزِماً
280-102	مشطور الرمل	"	"	-	السَّاقُوْنُ	شَقَّ جَيْبُ اللَّيْلِ عَنْ نَحْرِ الصَّبَاخِ

1) هو أبو بكر بن القبطرونية الأندلسي.

2) لم أوقف على هذه الصيغة في نسخ الحايك في نوبة رصد الذيل.

3) لم أوقف على هذه الصيغة عند الحايك في نوبة رصد الذيل.

4) في كتاب الحايك: يتعدم.

ب) الشعر

ص	النوبة	الميزان	المطالع
193-84	العشاق	البسيط	إن شئت أن تقرب فرب الوصال ⁽¹⁾ شمس العشي قد عربت يا شممس العشي أهمل لا تعيب بالله رفا
208-101-75	المائة	القدام	مالت الشمس إلى العروب يا عشاق ⁽²⁾ أنا بالأفراح في عيش خصيب ⁽³⁾ قم يا حبيبي واغتنم سرورك وأفرح ⁽³⁾ شملي اجتمع
209	رصد الذيل	البسيط	
209	رصد الذيل	البسيط	
279	" "	" "	
210-77	" "	" "	
210	" "	" "	إكل من هو عاقل ⁽⁴⁾
210	" "	" "	ألا يارقيب ⁽⁴⁾
265	الاستهلال	" "	العود قد ترنم اسقائي لقد بدأ الفجر
278	العشاق	" "	
280	" "	الدرج	في دوحه الأزهار قد لني سُكري

- 1) هذا التوشيح غير وارد عند الحايك.
- 2) هذا التوشيح غير وارد في المخطوط د 109، وهو وارد في المخطوط رقم 3285 ص 56، وفي المخطوط 3796 ص 19.
- 3) بداية التوشيح عند التادلي من كرش الصنعة وأولها في نسخ الحايك: يا قلبي سُكري هنيئا.
- 4) لا ذكر لهذه الصنعة في نسخ الحايك.

ج) الرجل

ص	التوبة	الميزان	المطالع
193-83	العشاق	البيسط	أيا مُنَادِي بِالْحَمَى هِيَجْتُمُونِي (1)
193-83	العشاق	القدام	وَتَشْكُرُ فِي ذَا الْمَقَامِ نِعْمَ الْكَرِيمِ
209	رصد الذيل	البيسط	عُجَّ بِالْحَمَى وَأَنْزَلَ بِخَيْرٍ وَادٍ
210	رصد الذيل	البيسط	مَنْ يُؤْزِلُ لَكَ
211	الحجاز الكبير	البيسط	هَبَّتْ سَحْرًا
279	العشاق	البيسط	أَصْبَحْنَا فِي رَوْضٍ بَهِيحٍ
280	"		الصُّبْحُ قَدْ بَانَ وَصَافِحَ الْبَانُ (2)

1) الصنعة غير واردة في كتابش الحايك.
2) الصنعة غير واردة في كتابش الحايك

(د) فهرست العذراوي (البراول)⁽¹⁾

ص	النوبة	الميزان	الشاعر	المطالع
194-84	العشاق	-	-	فأخّ الوزْدُ و السّوسُنُ (1)
208-101-84-75	المباية	الدرج	-	عَدْرُ طاسِتي بِاسْقاقي واهلأهأ (2)

(1) يطلق النادلي على العذراوي الملحون أيضا.

(2) الصبغة غير واردة في كتاب الحايك.

(3) الصبغة غير واردة في كتاب الحايك.

7 فهرست الإنشادات والبيتينات

ص	الطبوع	النوبات	الإنشادات والبيتينات
205	الحسين	رمل المايه	* أَيَا مَنْ حَكَى دَاوُدَ صَوْمَتًا وَيُوسُفًا ♦ جَمَّالًا وَلَقَمَانَ الْحَكِيمَ بِحِكْمَتَيْهِ سَلْبَتِكَ حَجَايَ بِالْحَسَنِينَ وَزِدْتَنِي ♦ بِتَرْجِيحِهِ شَوْقًا إِلَى حُسْنِ تَعَمَّتِهِ * أَلَا عُنِّي يَا مُتَشَدِّدِي رَمَلٍ مَائِيَّةٍ ♦ وَأَطْرِبُ عُقُولَ الْعَائِثِقِينَ ذَوِي الْفُضْلِ وَدَعَّ عَنكَ شُرْبَ الرَّاحِ وَأَصَغَ لِلْخَنِيهِ ♦ فَفَقَمَّتْهُ تَحَكِّي السُّلَافَةِ فِي الْعُقُلِ (2)
205	رمل المايه (1)	" "	* فَيَا رَبِّي بِالْجِلِّ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ♦ فَاكُنْ مُتَشَدِّدًا لِلْمَائِيَّةِ يَا أَخَا الطَّرِبِ * إِذَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ وَحَانَ فِرَاقُهَا ♦ عِيُونَكَ فِي ثَوْبِ الْأَصِيلِ الْمَذْمُومِ (4)
207	حمدان (3)	أصبهان	
208	المايه	المايه	

1) لم يذكر النادلي إنشاد انقلاب الرمل.
 2) في البيت تصحيف. في المخطوط 109 د: بنعمته تحكي السلاية. ولا معنى لها
 3) نسب النادلي هذا الإنشاد لروية الصيكة. وهو غير وارد في نسخ الحياك.
 4) في نسخة الحياك: ونزه.

ص	الطموح	النوبات	الإشادات والبيّنات
209	رصد الذيل	رصد الذيل	<p>إِذَا كُنْتَ ذَا عَشْقٍ وَوَجِدٍ وَرَقَةٍ ♦ فِرْصِدِ الذَّيْلِ كُنْ لِي يَا أَخِي مُشِيدًا(1)</p> <p>فَعَمَّتْهُ نُحَيْبِي النَّفُوسَ وَتَشْفِي ♦ لَدَيْهِ القلوبُ وَالصُّمُورُ مِنَ الصَّدا</p> <p>* لَمَّا اسْتَهَلَ هَلَالٌ وَجْهَ مَنْ ارْتَضَى ♦ فِي الحُخْنِ سَاقِي السَّحَرِ وَالْإِخْلَالَ</p> <p>هَمَمًا بِهِ طَرِبًا وَلَا عَجَبًا إِذَا ♦ مَمَالِ امْرُؤٍ طَرِبًا بِالِاسْتِهْلَالِ</p> <p>بِالِاسْتِهْلَالِ الَّذِي تَحَقَّقَ ذِكْرُهُ ♦ بِحَضْرَةِ قَاسٍ ذِكْرُهُ عَنْ ذَوِي الكَرَمِ</p> <p>تَرَكَمُ بِهِ وَاشْتَدَّ وَكُنْ بِهِ مَوْلِعًا ♦ فَعَمَّتْهُ الحَسَنَاتُ تَهْبِجُ العَرَامَ(2)</p> <p>* أَلَا يِعْرَاقُ العُربِ يَا حَيْسَ مُشِيدٍ ♦ بِحَقِّ السَّهْوَى كُنْ لِي مُجِيبًا وَمُشِيدًا</p> <p>فَدَيْتَكَ عَلَّانِي أُرِيحُ مِنَ السَّهْوَى ♦ وَأَنْسُ عُرْبِيَّتِي لَا زِلَّتْ مُرْشِيدًا(3)</p> <p>* أَيَا مُطْرَبِي بِالرَّصْدِ يَا مَنْ لَهُ صَبَا ♦ فُوَادِي وَفِي قَلْبِي ثَمَوَى قَدْ تَرَكَمَا</p> <p>فَدَيْتَكَ إِنْ أَطْرَبْتَنِي بِبِعْمَانِيهِ ♦ وَخَالَفْتَنِي صَبَا كَبِيْبًا مُتِيمًا(4)</p>
266	عراق العرب	" "	
287	الرصد	الرصد	

- 1) الأصوب ليستقيم الوزن: فكن لي برصد الذيل يا أخي مشيدا.
- 2) في كناش الحايك (تحقيق ابن جلون ص 124): فَعَمَّتْهُ الحَسَنَاتُ تَهْبِجُ لِي العَرَامَ.
- 3) في كناش الحايك (تحقيق ابن جلون ص 124): وَأَنْسُ لِعُرْبِيَّتِي فَلَا زِلَّتْ مُرْشِيدًا.
- 4) في كناش الحايك (تحقيق ابن جلون ص 153): فَدَيْتَكَ إِنْ أَطْرَبْتَنِي بِبِعْمَانِيهِ.

ص	الطبوع	التويات	الإشادات و البيِّنات
267	الزيدان	" "	<p>* تَرَمَّمْتُ بِالرَّيْدَانِ فِي مَدْحِ أَحْمَدٍ</p> <p>♦ فَاصْبَحْ فِي الطُّبُوعِ مَوْلَايَ زَيْدَانَ (1)</p> <p>♦ فَحَالِي أَهْلَانِي بِذَلِكَ وَأَنَا نِي</p> <p>♦ وَلَا حَامَ مَا تَحْمِيهِ عَصْرٌ وَلَا صَبْرٌ</p> <p>* أَيَا مُشِيدِي الْمَرْمُومِ لَا خَانَكَ الدَّهْرُ</p> <p>♦ يَمُوهُمَا التَّائِيْدُ وَالْفَتْحُ وَالنَّصْرُ</p> <p>♦ وَلَا زِلْتِ فِي عِزِّ عَظِيمٍ وَرَفْعَةٍ</p> <p>♦ عَلِيًّا وَنَحْنُ فِي مَقَامٍ مُعْظَمٍ</p> <p>♦ رَعَا اللهُ مُشِيدًا جَادًا بِعَرَبِيَّةٍ</p> <p>♦ فَجَاءَ عَلَيَّ قَصْدُ الْحَبِيبِ الْمَحْكَمِ</p> <p>♦ وَأَسَّ مِنْ كَانِ الْعَرَامِ فِي قَلْبِهِ</p> <p>♦ إِذَا مَا شَدَا شَادَ بِصِيكَةِ لَحْنِهِ</p> <p>♦ تَحَسُّ لَهْ أَرْوَاحُ كُلِّ مَهْتَابٍ</p> <p>♦ فَغَفَّتْهَا الْحَسَنَاءُ تُعْشُ مِنْ فَنِي</p> <p>♦ بِمَجِيبِ الدَّيْلِ فَكُنْ لِي مُشِيدًا</p> <p>♦ وَكُنْ مَا جَادًا جَهْرًا وَأَحْسِنْ عِبَارَةً</p> <p>♦ أَدْرَاهَا كَلُونَ النَّبْرِ نُورًا وَصَّ لِي</p> <p>♦ بِطَبْعِ الْحَجَّازِ الْمَشْرِقِيِّ فَإِنَّمَا</p> <p>♦ وَأَطْرَبُ عُقُولَ الْجَالِسِينَ نَوِي الْقَدْرِ</p> <p>♦ فَعَهْدًا مَحَلُّ الْجُودِ وَالْفَضْلِ وَالْفَخْرِ</p> <p>♦ بِأَطْلَافِ مَا شَادَتْ بِهِ التَّعَمُّكَ</p> <p>♦ وَبِهَا تُشْتَجَلِبُ النَّشَوَاتُ</p>
268	غربية الحسين	غربية الحسين	
269	الصبيكة	" "	
269	مجنب الذيل	الحجاز الكبير	
270	الحجاز المشريقي	" "	

(1) في عجز البيت إichال بالوزن. والإشناد غير وارد في نسخ الحياك.

ص	الطبوع	النوبات	الإشادات و البيتيات
270	عراق العجم	عراق العجم	<p>أَلَا قُمْ وَعَلَّ بِاللَّرْزَمِ سَيْدِي ♦ وَأَطْرَبْ وَأَشْبِدْنِي عِرَاقَ بَنِي الْعَجَمِ</p> <p>وَبَيْهَ أَخِي الْعِزْلَانَ مِنْ سَيْتَةِ الْكَرَى ♦ فَجَيْشِ الدَّجَى وَلَى عَنِ الْفَجْرِ وَالْهَزَمِ</p> <p>أَلَا قَانِدُ بِالْعَشَّاقِ فَالْمُصْبِحِ قَدْ بَدَا ♦ وَرَجَّحَ بِبَيْتِلِ فَالظَّلَامِ قَدْ ارْتَفَعَ</p> <p>أَمَّا تَنْظُرُ الْوَرَقَ الْحَسَنَ عَدَّتْ عَلَي ♦ مَنَابِرَهَا صَاحَ تَبَّيْهُ مَنْ هَجَعَ</p> <p>عَدَّتْ عَلَي قُمْصِ الرِّيَاضِ حَمَامَةً ♦ وَتَرَبَّمْتُ بِعَاقِمِ الْعَشَّاقِ</p> <p>رَقِصْتِ لَهَا أَرْوَاحَ ذِي نُسَاكِ وَقَدْ ♦ أَقْبَتِ لِحَنِمِ الْعَائِشِقِ الْمُشْتَقِ</p> <p>أَيَا مُشْبِدَا يَشْدُو بِبَيْتِلِ مَرَجِعُ ♦ لَقَدْ هَجَجْتَ شَوْقِي وَوَجَدِي وَلَوْ عَتَيْ (1)</p> <p>أَمَّا تَنْظُرِينَ الْفَجْرَ قَدْ لَاحَ ضَمُودُهُ ♦ وَرَبَّتْ عَلَي الْقُصْبِ الْحَمَامِ وَعَفَّتْ</p> <p>بِنَعْمَةٍ رَمَلِ الدَّيْلِ قَانِدُ مُؤَيَّسِي ♦ فَعَفَمُهُ السَّيَاءُ يُخْبِرُ بِالْفَجْرِ</p> <p>قُمْ وَدَاوِنِي بِالشُّرْبِ مَنْ كَانَ تَائِمًا ♦ وَشَمُّ مِنْ الْبَيْتَانِ رَاحَةَ الرَّفْرِ (2)</p>
278	"	"	
278	الذيل	"	
278	"	"	

1) في نسخ الحايك : أيا منشدا. وبذلك يستقيم الوزن.

2) صدر البيت غير موزون.

8) فهرست المصطلحات الموسيقية الواردة في المتن

الموسيقيون	الممارسات والقوالب	أحوال النغمات	أجزاء الآلات	الآلات	الأوزان والإيقاعات	الطبائع	الطبوع
الذكارون	النوبة	النغمة الساذجة	الأوتار	الملاهي	البيسط	الطبائع الأربع	شجرة الطبوع
أهل الكريحة	الميزابن	علو النغمة	الزبر	العود	البطيحي	الحرارة	الطبوع الأصول
أهل المسامع	نوبة رمل الماية	انخفاض النغمة	الجم	البربط	الدرج	البرودة	الذيل
أهل الطبل و الغبطة	نوبة الأصبهان	خفة النغمة	المتشى	المزهر	القائم ونصف	اليبوسة	رمل الذيل
أهل طنبور العسكر	نوبة الماية	ثقل النغمة	المثالث	الكران	القائم	الرطوبة	مجنب الذيل
عيساوة	نوبة رصد الذيل	أنغام موزونة	المتبان	الرياب	الرابعي	الأخلاط الأربعة	استهلال الذيل
القاسميون	نوبة الاستهلال	كيف النغم	أوتار حادة	الكمنجة	الدور	السوداء	عرق عرب
أهل سوس	نوبة الرصد	كم النغم	ترتيب الأوتار	القانون	الدائرة	البلغم	عرق عجم
أصحاب سيدي هادي	نوبة غربية الحسين	بعد النغم	عشق العود	الطار	النقرة	الدم	المشرفي
أصحاب الحصرات	نوبة الحجاز الكبير	صوت متصل	الملاوي	الطر	الميزان	الصفراء	رصد الذيل
المرتجل	نوبة الحجاز المشرفي	صوت منفصل	المشط	الدف	كم النقرات	العناصر الأربعة	الزبدان

الموسيقيون	الممارسات والقوالب	أحوال النغمات	أجزاء الآلات	الآلات	الأوزان والإيقاعات	الطبائع	الطبوع
	نوبة عراق العجم	نقرات منغمة	تسوية الأوتار	دف العرب	النسبة العديدة	الماء	الزور كند
	نوبة العشاق	نقرات ساذجة	طاقات الحرير	دف العجم	السبب	الهواء	الحصار
	الشعر	مد الصوت	الطاق	الغربال	الرتد	النار	الحجاز الكبير
	الشغل	قصر الصوت	الإبريسم	أحوال	الفاصلة الصغرى	التراب	الأصهبان
	التوشيح	تفخيم الصوت	دستان الخنصر	الكبر	الفاصلة الكبرى	الفصول الأربعة	العشاق
	الرجل	ترقيق الصوت	دستان السبابة	الغيطة	الدف	الربيع	المائة
	الغزراوي	الاتفاق	دستان البنصر	المز امير	الندفة	الخريف	الحسين
	الصنعة	التفاقر	الرمل	الزهارة	الزنج	الشتاء	الرصد
	التصديرية	الصوت الثابت	الحسين	الشيابة	السبب الخفيف	الصيف	رمل المائة
	المخمسات	حزق الوتر	صفحات الصفر	البراع	السبب الثقيل	الأركان الأربعة	انقلاب الرمل
	المربعات		الزفوج	المزمار العراقي	الانصراف	هَمَّتْ	المزوم

الموسيقون	الممارسات والقوالب	أحوال النغمات	أجزاء الآلات	الآلات	الأوزان والإيقاعات	الطبائع	الطبوع
	صنعة إيليس		الجالجل	المعرفة	الحركة	نهمت	حمدان
	اللحون الثمانية		الصراصر	الجنج	السكون		غربية الحسين
	الحذاء		حفاقت الأصابع	البوق	المفصل		المشرقي
	الصوت		ذوات الأوتار	النفير	الموصل		الصبيكة
	مزامير داود			البندير	العمود الأول		الغربية المحررة
	النصب			الطنبور	الخفيف المطلق		راس المائة
	السناد			ذوات الأوتار	العمود الثاني		رصد المائة
	الهزج			الوتريات	الثقيل الأول		الطبوع الفروع
	غناء الركيان			الطبيلات	الثقيل الثاني		
	السماع			طبل الحرب	الوزن		
	قراءة القرآن بالأحان			الهندقة	الإيقاع		
	القول			الطاسات	ضبط الإيقاع		
	العمل			الصفقاتان	التصفيق		
	العمل مع القول			الأرغنون - الماعون			

9 فهرست الأعلام

أرقام الصفحات	أسماء الأعلام
حرف أ	
195-194	إبراهيم بن المهدي
301	إبراهيم النبي عليه السلام
315	الأبلي. أبو عبد الله
303	الأبي التونسي أبو عبد الله. محمد بن خلفه بن عمر (ت. 1424/827)
234-42	ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني (ت 1233/630)
99-96-95	أَحْضَرِي. أحمد بن العربي
245-196	إدريس النبي عليه السلام
300-195-186	آدم النبي عليه السلام
339-325-323	الأذفوي. جعفر بن ثعلب أبو الفضل (ت 1347/748)
199-66	الأرموي. عبد المومن (ت 1294/693)
226-200-198-185	أرسططاليس (ت 322 ق.م)
340	الأسنوي جمال الدين عبد الرحيم (ت 792)
242-37	الأزهري. أبو منصور محمد
241-232	الأخضري عبد الرحمن
123-104-85 198-187	إخوان الصفا
302	أبو مدين الغوث. شعيب بن الحسين بن عبد الله الإشبيلي التلمساني
32	أمية بن المنتقد ⁽¹⁾

-142-127-119-117 -226-224-216-172 -241-240-231-228 -257-252-244-243 261-260-258	الأنطاكي. داود بن عمر (ت.1600/1008)
341-339-255-147	الأنصاري. زكرياء بن محمد الشافعي أبو يحيى (ت 1522-9286)
332-314-305	أصبغ بن الفرّج بن سعيد بن نصر (ت.840/225)
-155-69-68-56-41 308-217-176-156	الأصبهاني. أبو الفرّج (ت 967/356)
34	الإفراني. محمد الصغير
-226-200-198-60 291	أفلاطون (ت 347 ق.م)
292	الأسد. د. ناصر الدين
291-217-149-69	الأشعري أبو موسى عبد الله بن قيس (ت. 665/44)
264-230	الأوزاعي. عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِدُ من أصحاب الإمام مالك (ت 774/157)
239-172-59	الإيجي. عضد الدين عبد الرحمن (ت.1355/756)
حرف ب	
339-147	البُجَيْرِمِي سليمان بن محمد بن عمران (ت 1221هـ/1806)
345-343-305-304	البخاري. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت.1348/749)
178	البرامكة
294	بَرَصوما الزامر
31	البرغيتي. العربي
149	ابن بطال أبو الحسن
300-30	البطاوري. أبو حامد
293-262	بطليموس
323	أبو بكر الصديق

328	البكري محمد بن محمد بن عمرو القرشي التميمي النيسابوري (ت 1218/615)
305	أبو بُكير. يحيى بن عبد الله بن زكريا المخزومي (ت 231)
341	البلقيني. سراج الدين عمر بن رسلان. (ت 1403-2/805)
255	البلوي الغرناطي. أحمد بن علي بن أحمد بن داود
32	ابن البناء. الشيخ
-135-62-61-56 325-283-260-173	ابن البناء الأزدي المراكشي أبو العباس. أحمد بن محمد بن عثمان (ت 1321/721).
316-314-241-232	البناني أبو عبد الله. محمد بن الحاج الحسن بن مسعود الفاسي (ت 1194هـ / 1780)
125-31	البناني الحاج أحمد بن الطيب
30	بناني. فتح الله (ت 1353)
25	بنبين شوقي
124-45	بنعسل الرباطي. الحاج قاسم
340	البَغَوِي. الحسين بن مسعود ابن الفراء (ت 1117/510)
150	البُستِي. أبو محمد بن جَبَان
34-30-23	بوجندار محمد (ت 1345)
210-47	بوجندار. العربي
-96-94-72-71-25 316-191-124-98	البوعصامي محمد
298-40-31-26	بوغالب. سيدي عبد السلام (ت 1874/1290)
300	بوغالب. سيدي علي
236	البيجوري محمد بن ابراهيم
240-172	البيضاوي القاضي ناصر الدين. أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 1286/685)
233	البيهقي ظهير الدين

حرف ت	
-27-26-25-24-19	
-35-34-33-31-28	
-45-44-43-41-40	
-55-49-48-47-46	
-62-59-58-57-56	
-69-68-66-65-63	
-75-73-72-71-70	
-81-80-79-77-76	
-87-86-85-84-82	
-96-92-89-88	
-103-102-101-100	التادلي ابراهيم (توفي 1411هـ)
-107-106-105-104	
-112-110-109-108	
-117-115-114-113	
-123-121-120-119	
-127-126-125-124	
-138-135-129-128	
-154-151-147-142	
-165-160-159-157	
-199-195-188-172	
-285-279-268-255	
-322-316-295-294	
340-339-327	
77	التازي. لبزور أحمد
158	التازي. د. عبد الهادي
304-154	الترمذي أبو عيسى. محمد بن عيسى بن سورة (ت 892/279)
342	التغلبني عبد القادر بن عمر
62	النفقازاني سعد الدين
99	التونسي. يوسف بن عمار بن علاء الدين
200	تيرفليس
178-48	التيفاشي الصفاقسي

حرف ج	
206-97	جابر بن أصعد الأصبهاني ⁽¹⁾
205-178-97	جابر بن مهريس الفارسي ⁽¹⁾
228	الجادري. عبد الرحمن
225-104	جالينوس
82-77-76-23	الجامعي. محمد بن العربي
294	ابن جامع السهمي اسماعيل (808/192)
33-30	الجراري عبد الله
169	الجرجاني. السيد الشريف (ت. 740هـ/1339م)
302-230	ابن جريح. عبد الملك بن عبد العزيز (ت 767/150)
-85-81-77-76-71 -205-194-186-100 254-209	ابن جلون التومي. الحاج إدريس
263-206-44-25	ابن جلون. الحاج حدو الفاسي
-101-100-99-72 189-109	ابن عبد الجليل عبد العزيز
-210-206-124-44 263	الجمّل. رشيد
206	الجمّل. علي
31	الجنان. المكي
123-77-44	الجمّل. الغالي
-336-306-139-135 337	الجُنيد بن محمد أبو القاسم الخراز (ت 297)
33-30	جسوس أبو العباس (ت 1319)
322-319-264	جسوس محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أحمد (1767/1182)
326	ابن الجوزي الحنبلي. عبد الرحمن بن علي الحافظ (ت 1201/597)

ح ر ف ح	
337-322-241-231	ابن الحاج. حمدون
-323-322-315-154 343-333-326	ابن الحاج. محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج العبدري الفاسي (ت. 1336/737)
-327-322-317-31 337-335-332	ابن الحاج السلمي. محمد الطالب بن حمدون (ت. 1273)
-198-197-168-59 344-343-199	حاجي خليفة مصطفى
266-208	ابن الحارث. محمد
-81-77-76-71-47 -97-96-94-90-85 -112-102-100-99 -191-188-178-115 -206-205-195-194 -254-245-209-208 -277-265-263-262 -335-308-299-281 336	الحايك. محمد بن الحسين الفاسي
150	ابن حبان البستي أبو حامد
315	ابن حبيب. القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم
-153-147-125-98 334-324-269-238	حجاز بن طارق ⁽¹⁾
344	ابن حجر الهيتمي. أحمد بن محمد بن علي (ت 1567/974)
25	الحراق التهامي
-332-328-142-42 340	ابن حزم أبو محمد. علي بن أحمد الأندلسي (ت 1064/456)
298-166-39	الحكماوي. صالح بن أحمد القاضي
-316-315-305-156 322	ابن عبد الحكم. محمد

294	حكم الوادي. المغني
215-213-33-32	عبد الحميد. السلطان العثماني
-341-324-322-154 345	ابن حنبل الإمام. أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت 241)
308-231-176	الحنبلي. البغدادي شمس الدين محمد بن عيسى بن حسن كر البغدادي (ت 1388-759)
-322-298-230-149 345-344	أبو حنيفة. النعمان بن ثابت بن زوطا (ت 767/150)
31-23	الحسن الأول (السلطان)
299	الحسن (فقيه)
338	الحسن بن سالم
155	الحسن بن يحيى
205-178	الحسين (سلطان أعجمي) ⁽¹⁾
205-97	حسين بن أمية ⁽¹⁾
32	حسين. الشيخ
196	حواء
241-95	الحوات أبو الربيع سليمان بن محمد
325	أبو حيان الأندلسي. أثير الدين
حرف خ	
324	خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (717/99)
293	الخاسر مسلم (المغني)
277	الخرق ⁽¹⁾
255	الخرزجي. ضياء الدين أبو محمد عبد الله (ت. 1424/827)
304-303-154	الخطيب البغدادي ابن ثابت أبو بكر. محمد بن علي (ت. 463)
-212-178-175-172 298-264	ابن خلدون. عبد الرحمن الحضرمي (1406/808)

233-232-230	ابن خَلْكَان شمس الدين. أحمد بن محمد بن إبراهيم الإبلي (ت 1282/681)
-325-319-315-314 332	خليل الجندي. الشيخ ضياء الدين بن إسحاق بن موسى بن يعقوب المالكي (ت 1374/276)
328-327-126	الخفاجي شهاب الدين. أحمد بن محمد بن عمر
199-129	الخوارزمي محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف (ت 850/236)
297	الخياط. عباس
ح ر ف د	
290-145	ابن دأب. عيسى بن يزيد بن بكر الليثي (ت.787/171)
263-96	داود محمد
-262-196-186-88 301-291	داود النبي عليه السلام
341-304	أبو داود السجستاني سليمان الأشعث (889/275)
32	دحلان الشيخ أحمد
299	ابن دحمان الفقيه
32	الدراج. الشيخ
336	أبو الدرداء. عمر بن مالك بن قيس الخزرجي الأنصاري (ت 652/32هـ)
317-316-314-145	الدردير. أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي (1786/1201)
299-210-26	الدرقاوي. مولاي العربي
-99-98-97-96-95 191	الدلائي الحاج محمد بن العربي
293	الدلال. المغنية
99	الدمشقي. عبد الوهاب ⁽¹⁾
328-324-316	الدميري. بهرام بن عبد الله المالكي، (ت. 1403/805)

297	دعبل بن علي بن رزين الخزاعي (ت 860/246)
325	ابن دقيق العيد
-316-314-148-146 318-317	الدسوقي. محمد بن أحمد بن عرفة (ت 1815/1230)
حرف ذ	
306-138	ذو النون المصري أبو الغيث ثوبان بن إبراهيم (ت 246)
322	ذو القرنين. القصد إلى الإسكندر الكبير المقدوني
حرف ر	
224-172	الرازي. الإمام فخر الدين محمد بن عمر (ت 606)
341	الرافعي. عبد الكريم بن محمد إمام الدين القزويني الشافعي (ت 1226/623)
82-77-76	الرايس. الحاج عبد الكريم
210-124-47-25	الرايس. محمد
211-210-124-47	الرطل الرباطي. محمد
-188-85-77-76 281-193	الرقبواق محمد الطنجي
325	ابن رشد أبو الوليد. محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي الجد (ت. 520هـ)
31	الروداني. أحمد
316-241-224	الرهوني أبو عبد الله. محمد بن أحمد بن محمد الرهوني (ت 1815/1230)
300-26	ابن ريسول. عبد السلام
حرف ز	
327-138	الزبيدي. أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد الله (ت 989/379)
303	الزبيدي. الحسن الشيخ الصالح
-303-241-238-140 316-315	الزرقاني. أحمد

-241-238-184-140 343-316-303	الزرقاني محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان (ت 1687/1022)
340	الزركشي. بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 1391/794)
-146-140-139-42 -321-320-314-158 -337-334-323-322 344-338	زروق البرنُسي. الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الفاسي (ت 899)
-293-217-178-58 294	زرياب. علي بن نافع (845/230)
110-64	زكريا. د. يوسف
338	ابن زكري محمد بن عبد الرحمن الفاسي (1731/1144)
294	زلزل الضارب
-156-155-154-143 332-324-304-303	الزهري. أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني (ت 800 / 184)
303-203-143	الزهري ابن شهاب. محمد بن مسلم بن عبد الله. أبو بكر المدني (ت 742/124)
296	زهير المغني
178	زيادة الله بن الأغلب
30	ابن زيدان. عبد الرحمن
277-99	زيد بن المنتقد ⁽¹⁾
199-184-106-104	ابن زيلة
حرف ط	
293	الطائي ابن أبي السمح (ت 757/140)
168	طاشكُبري زاده. أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي الحنفي عصام الدين أبو الخير (1541/901)
337-306-138	أبو طالب المكي، محمد بن علي الحارثي (ت 386)
323	ابن طاهر. أبو منصور البغدادي عبد القاهر التميمي (ت 429)

327-150-149	الطبري. أبو جعفر
196	طمطم الهندي
293	ابن طنبورة. المغني
293	طويس. المغني (ت. 711/92)
حرف ك	
290-145	كثير عزة. بن عبد الرحمن الخزاعي (ت 723/105)
341	الكرمي. مرعي بن يوسف المقدسي (ت 1033)
292	ابن الكلبي. أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 204)
327-314	ابن كنانة عثمان بن عيسى، أبو عمرو (ت 186)
-109-104-95-64 198-177-122-110	الكندي. يعقوب ابن إسحاق
213	كسرى
241-231-62-31	ابن كيران. الطيب بناني
حرف ل	
-177-63-57-56-41 308	اللاذقي. محمد بن عبد الحميد (ت. حوالي 1495/900)
293-262	لامك بن وائل بن قابيل بن آدم
255	لُبريس الرباطي. أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله
228	اللخمي. أبو عبد الله
31	لمراني. الشريف
236-235	اللقاني. إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي. برهان الدين (ت. 1631/1041)
حرف م	
304	ابن ماجة القزويني. أبو عبد الله محمد بن يزيد (887/273)
230	ابن الماجشون
319-316-315	المازري أبو عبد الله. محمد بن علي بن عمر

-230-156-155-154 -344-332-328-319 345	مالك بن أنس. الإمام (ت 795/179)
315-175-56	المأمون. الخليفة العباسي
328-323-307	الموردي. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 1058/450)
208	ماية (امراة) ⁽¹⁾
323	ابن المبارك عبد الله بن واضح الحنظلي مولا هم المروزي أبو عبد الرحمن (ت 181)
30	متجنيوش المهدي
345-335-160	المحلى. شمس الدين محمد بن أحمد (ت 864هـ/1459)
207-31	محمد الرابع (السلطان)
-150-149-143-55 -159-154-153-152 -245-234-217-196 -301-300-291-263 -314-305-303-302 -327-326-323-318 -343-341-333-328 -369-364-345-344 377-376-375-374-371	محمد ﷺ
209-98-97	محمد بن الحارث
343-270-265-47	محمد الشريف
294	مُخارق. المغني
302	أبو مدين الغوث (ت 1197/594)
-199-176-66-41 200	المراغي. عبد القادر بن غيبي
324	مرتضي الزبيدي محمد بن محمد (1792/1205)
232	ابن مرداس السلمي العباس
31	المرنيسي أحمد

325-229-228	المرغثي محمد بن سعيد بن محمد السوسي (ت 1678/1089)
344-334	المرغيناني برهان الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الصديقي (ت 593)
326	المزني أبو إبراهيم. إسماعيل بن يحيى (ت 264)
155	ابن مزيد. محمد
228	ابن المطرف. أحمد
328	المكي. محمد بن إسماعيل بن عمر (ت 1857-1274)
-270-194-193-143 300	بن منصور عبد اللطيف (ت 2010)
178	المقري. أحمد
324	ابن المسيب سعيد
324-307	معاوية بن أبي سفيان (680/60)
293	معيد. المغني (743/126)
306-143	ابن المعتب أحمد بن معتب بن أبي الأزهر التونسي (ت. 277)
-326-292-146-42 333	المقدسي. عبد السلام بن أحمد بن غانم (ت 678هـ/1280)
343	مسلم الإمام بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (875/261)
334-295	ابن مسعود. عبيد الله (653/32)
234-295-212-42	المسعودي أبو الحسن. علي بن الحسين بن علي (ت. 957/346)
37	المسعودي التونسي محمد بن خليفة
234-187	ابن مشيش العلمي
187	المهدي. الخليفة العباسي
322-315	ابن المواز. بكر بن محمد بن إبراهيم بن زياد الأسكندراني (ت 269)
228	المواسي أحمد
317-306-305	المواق. محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي (ت 1492/897)

147-323-324-325-344	أبو المواهب محمد بن أحمد النونسي المصري ابن زغان (ت 882)
212-294	الموصللي. إبراهيم بن إسحاق المغني
58-178-217-258-294-295	الموصللي إسحاق. المغني
196-263	موسى النبي عليه السلام
حرف ن	
326	نافع بن عبد الرحمن الليثي (القارئ) (ت 785/169)
41	نصار. د. حسين
334	النضر بن شميل
304	النسائي أحمد بن علي بن شعيب بن علي محيي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف بن حسن (ت. 915/303)
296	أبو نواس الحسن بن هانئ
339-340	النووي. محيي الدين أبو بكر يحيى بن شرف بن حسن (ت. 1177/670)
حرف ص	
39-40-166-298	ابن الصالح. عمر بن المكي بن المعطي (ت 1284)
166-298	ابن الصالح محمد المعطي الشرقي (ت 1726/1139)
45-210-263	الصبان الفاسي. محمد
148-334	الصباغ. أبو محمد
283	ابن الصباغ المكناسي. محمد بن أحمد العقيلي (ت. 1666 / 1076)
153-154	الصديق. أبو بكر بن أبي قحافة
255	السنهاجي الزموري. أبو القاسم الفتوح بن عيسى بن أحمد
138-303	الصُّغَيْرُ أبو الحسن. علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي (ت 719)
233	الصفدي خليل بن أبيك
98-99-265-268-270	صيكة بن تميم العراقي ⁽¹⁾

حرف ض	
125	الضُعَيْفُ الرباطي. محمد
حرف ع	
-343-341-307-153 345	عائشة بنت أبي بكر الصديق
-318-239-235-159 338-322	ابن عاشر. عبد الواحد بن أحمد بن علي الأنصاري (ت 1631/1040)
150	أبو عاصم النبيل
228	ابن أبي العافية. محمد بن القاضي
300-26	ابن عباد. صاحب زواية فاس
342	العبادي. أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحدادي
297	عباس الخياط. الشاعر
305	ابن عبد البر. أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت 463/1076)
-307-292-290-42 343	ابن عبد ربه. أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي
294	عبد الرحمن بن الحكم الأموي خليفة الأندلس
324	عبد الرحمن بن حسان (ت. 722/104)
39-31	عبد الرحمن بن هشام (السلطان)
277-206-98-97	عبد الرزاق الفيلسوفي ⁽¹⁾
149	عبد الله بن أبي مليكة
324-307-144	عبد الله بن جعفر
324	عبد الله بن الزبير (ت. 695/75)
-305-238-169-144 306	عبد الله ابن العباس (ت. 32)
326-324-307	عبد الله بن عمر (ت. 73)
232	العُتْبِيُّ. أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي عتبة (ت 254)

293	عثمان بن عفان. الخليفة الراشدي
156	ابن عدي. أبو أحمد عبد الله بن محمد الجرجاني
323-318-305	ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري المالكي (ت 1148/543)
-146-139-138-42 -234-154-149-148 -323-321-318-237 337	ابن عربي الحاتمي. محيي الدين محمد بن علي الطائي (ت 1240/638)
-316-303-234-172 323-322-318	ابن عرفة. أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي (ت. 803)
32	العزب الشيخ
324-302	عطاء بن أسلم بن صفوان بن أبي رباح (ت. 732/114)
305-144	عكرمة بن عبد الله البربري أبو عبد الله (ت 723/105)
265-99-97	علال. الحاج البطلنة
30	العلمي. محمد بن الحسين الرباطي (ت 1341)
-124-120-71-25 297-173	العلمي محمد بن الطيب
281	العلمي. عبد القادر
294	عَلَوِيَّة. علي بن عبد الله بن سيف بن يوسف. المغني (ت. 850/236)
307-213	علي بن أبي طالب
32	عليش المالكي
339-307-213	عمر بن الخطاب (ت. 644/23)
324-307	عمر بن العاص (ت. 664/43)
294	عمر بن الغزال. المغني
292	العمري. أحمد بن يحيى ابن فضل الله
214	أبو عنان المريني (السلطان)
332	العنبري عبد الرحمن بن المهدي بن حسان (ت 192)

99	العشاق بن غرير ⁽¹⁾
327-306-305-214	عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت. 1149/544)
-196-144-143-126 307-245	عيسى عليه السلام
90	ابن عيسى الشيخ. محمد بن الهادي
342	العيني. أبو محمود محمد بن أحمد بن موسى بدر الدين الحنفي (ت 1451/855)
324-315-150	ابن عيينة. سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي أبو محمد الكوفي (ت 198)
حرف غ	
299-283-143-142	ابن غازي المكناسي. محمد بن أحمد بن محمد ابن غازي العثماني (ت 1513/919)
268-98	غريب الفارسي
268	غريبة الحسين ⁽¹⁾
268	الغريبة المحررة ⁽¹⁾
293	الغريض. المغني (ت. 714/95)
-137-60-42-33 -211-171-146-140 -323-320-285-232 -340-337-333-325 342	الغزالي أبو حامد. محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي (1111/505)
294	الغزِيل. أبو كامل (المغني)
299-142	الغماري. الإمام أبو العباس أحمد بن عيسى (ت 682)
98	ابن الغواص الحسين ⁽¹⁾
حرف ف	
-226-198-184-95 232-231	الفارابي أبو نصر (ت 961/350)
281-167	ابن الفارض. أبو حفص عمر بن علي بن مرشد الحموي (ت 1235/632)

283-253-95	الفاسي. عبد الرحمن بن عبد القادر
300-253-27	الفاسي. عبد القادر (1680/1091)
299	الفاسي محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف
344	ابن الفرّاح الشافعي. (أبو) تاج الدين إبراهيم بن عبد الرحمن الفرّاري
226	فاروريوس
197	الفاوي علي بن عبد ربه التونسي
299-283-253-95	الفكيغي. عبد الرحمن الموسيقي
210-158-46	الفكيغي. محمد الفاسي الموسيقي
210-47	الفكيغي. المكي الرباطي. الموسيقي
336-335-158	الفكيغي. إبراهيم ابن عبد الجبار بن أحمد (ت 954)
267-98	ابن فورك. بن فورك محمد بن الحسن الأنصاري أبو بكر (ت 1015/406) ⁽¹⁾
-197-95-66-65 244-200-198	فيثاغورس (ت. 480 ق.م)
184	الفيومي شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي (ت 770)
حرف ق	
328	القائم بأمر الله. الخليفة العباسي
262	قابيل بن آدم
283-34	ابن القاضي أحمد
334	ابن قتيبة. أبو محمد أحمد بن عبد الله بن مسلم (ت 889/76)
277-99	قدجر بن بحير ⁽¹⁾
342	القدوري. أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر البغدادي الحنفي (ت 1036/428)
-325-264-150-149 343-334-326	القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي الأنصاري (ت. 1273/671)

235	القزويني. عبد السلام بن محمد أبو يوسف بن بندار المعتزلي (ت 488)
319	القلشاني أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله (ت 1459/863)
245	ابن قننذ. الخطيب أبو العباس أحمد بن حسن بن علي القسنطيني (ت 1407/810)
231	قصاره. علي بن إدريس بن علي الحميري
283	قسطا بن لوقا البعلبكي (ت 912/300)
343	القشيري. هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم (ت 1152/546)
-319-318-264-148 320	القوصوني. شمس الدين محمد بن أحمد
319-264	القيرواني أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني
155	ابن القيسراني. أبو الفضل المقدسي
ح ر ف س	
306-138	أبو سالم
338	ابن سالم. الحسن
345-160	ابن السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت 1369/771)
31	السجلماسي. محمد بن عبد الرحمن
308-177-56-41	السرّحسي. أحمد بن محمد بن مروان أبو العباس (ت 286)
293	ابن سريج. المغني (ت 716/98)
306-138	السرّي بن المغلس أبو الحسن السقطي (ت 867/253)
293	سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب (ت 735/117)
262-200-197	سليمان النبي عليه السلام
178-125	سليمان (السلطان العلوي)
39-24	ابن سليمان. الغالي بن المكي الأندلسي الفاسي
264-239-95	السمرقندي أبو الليث. نصر بن محمد (1483/888)

338-198-171-168	السنجاري شمس الدين. محمد بن إبراهيم بن ساعد الاكفاني الأنصاري
171	سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت 791)
213	سعد بن أبي وقاص (ت. 675/55)
98	السعدي الشيخ محمد ⁽¹⁾
290-145	أبو سعيد بن مسلم (مولى بني هاشم عبد الرحمن بن عبد الله)
324	سعيد بن المسيب
342-334	السغناقي. حسام الدين. الحسين بن علي بن حجاج (ت 710)
200	سقراط
337-158	السُّهْرَوْرْدِي. شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله الشافعي (ت 1234/632)
232-184	سيف الدولة الحمداني المبارك بن كامل
-177-56-42-41 -224-199-198-184 308-262	ابن سينا الحسين بن عبد الله، أبو علي (1037/428)
-140-109-42-30 -321-297-200-172 325	السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت. 1505/911)
ح ر ف ش	
-230-154-150-148 -323-322-318-305 344-332-326-324	الشافعي. الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع أبو عبد الله (ت 820/204)
270	شاق ⁽¹⁾
337	الشبلي أبو بكر (ت 945/334)
270	الشريف سيدي محمد. الموسيقي
320	ابن شعبان. محمد بن القاسم بن شعبان بن ربيعة القرطبي أبو إسحاق (ت 355)

308-264	الشعراني الأنصاري أبو المواهب. عبد الوهاب بن إدريس بن علي الأنصاري (ت. 1565/973)
265-99-98	ابن الشيخ محمد (السلطان) (1654/1064)
267-98	شير بن عتاد (1)
حرف هـ	
-143-137-98-69 -176-155-154 304-303-294-178	هارون الرشيد
299-40-31	الهاشمي الطالب السلاوي
267-98	هبة الله بن معاذ الحبشي (1)
253-128	هذي سيدي
269-99	هذيل (1)
-62-61-60-56 -283-260-173 285-284	ابن هيدور التادلي أبو الحسن. علي بن عبد الله بن محمد (ت. 1413/816)
307-150	أبو هريرة
32	الهندي. جمال الدين
حرف و	
298-40	عبد الواحد (موقت مسجد فاس الجديد)
300-40	الوزاني. أحمد بن علي
62	الوزاني إدريس بن أحمد
322	الوزاني. أبو عبد الله محمد بن المهدي
300-30	الوزاني. الحاج العربي التهامي
206	الوكيلي مولاي أحمد
150	وكيع بن الجراح
228	الولالي. أحمد

293	الوليد بن يزيد. الخليفة الأموي
321	الوغلبيسي البجائي. أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد
191-95-94	الونشريسي. عبد الواحد
230	ابن وهب. عبد الله
حرف ي	
323	يحيى بن عمر
298-292-137	أبو يوسف القاضي. يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت 182)
305	يوسف بن عمر
-169-168-136-61 -256-228-171 285-282	اليوسي أبو علي. الحسن بن مسعود (ت. 1691/1102)
305	ابن يونس. أحمد

10) فهرست مصادر ومراجع البحث

تعتبر مصادر المؤلف المذكورة آنفا تحت رقم (1) مما اعتمدها أيضا في إنجاز التحقيق. ونضيف إليها المصادر والمراجع التالية:

الألف

- الأسد. د. ناصر الدين: القيان والغناء في العصر الجاهلي. دار الجبل. بيروت. لبنان. ط 1 بيروت 1960. ط 2. 1968. ط 3 1988.
- إخوان الصفا: الرسالة الخامسة في الموسيقى.

الباء

- ابن البناء السرقسطي. أبو العباس: المباحث الأصلية (منظومة). خ ح رقم 4670.
- بوجندار. محمد: - الاغتباط بتراجم أعلام الرباط. تح. د. أحمد بن عبد الكريم نجيب. دار نجيبويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر. محرم 1430/يناير 2009.
- مقدمة الفتح عن تاريخ رباط الفتح. المحقق نفسه.
- البوعصامي محمد: إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبع. تحق. عبد العزيز بن عبد الجليل. منش. أكاديمية المملكة المغربية. سلسلة التراث 1995.
- البيجوري إبراهيم بن محمد: تحفة المرید علی جوهرة التوحيد. ط الباجي الحلبي. مصر. 1358.
- البيهقي ظهير الدين: تتمه صوان الحكمة أو تاريخ الحكماء. تحقيق محمد كرد علي. جبيل - لبنان. دار ومكتبة بيبليون. 2007.

التاء

- التادلي إبراهيم : إجازة محمد بن الخليفة المسعودي التونسي، المجموع رقم 1427. خ ع ك.
- التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار.
- التازي د. عبد الوهاب: تحقيق كتاب «الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد» لأبي القاسم بن محمد بن عبد القادر الفجيجي في شرح قصيدة "روضة السلوان" لأبي إسحاق بن إبراهيم الفجيجي. منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي. مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء 1983م.
- التفتازاني سعد الدين: شرح مقاصد الطالبين.
- ابن تاويت. محمد: مع الأبحاث البيروتية. السنة 31 ع 2 - 3 - 4. دجنبر 1968.
- التيفاشي الصفاقسي. أحمد: متعة الأسماع في علم السماع. مخ.خ. ابن عاشور - تونس.

الجيم

- الجراري عبد الله: من أعلام الفكر المعاصر. مطبعة الأمنية الرباط. ط1. 1391-1971.
- ابن جلون. الحاج إدريس: التراث العربي بالمغرب في الموسيقى. مستعملات نوبات الطرب الأندلسي العربي - شعر - توشيح - أزجال - براول. دراسة وتنسيق وتصحيح كناش الحايك 1981.
- ابن الجوزي: تلبيس إبليس، إدارة الطباعة المنيرية، تصوير دار الفكر ط2.

الحاء

- الحدادي العبادي أبو بكر محمد بن علي بن محمد: الجوهرة النيرة في شرح مختصر القدوري. خ ح رقم 11827.

- ابن حجر العسقلاني: - فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
- كف الرعاع.
- ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام. تقديم إحسان عباس. دار الثقافة الجديدة. بيروت ط 2 1983/1403.
- الخطاب أبو عبد الله: مواهب الجليل

الخاء

- الخوارزمي. محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف: مفاتيح العلوم.

الدال

- الدلائي. محمد بن العربي: فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار. م ورقم 3285 د. تحقيق د. التهامي الحراق بإشراف د. شوقي بنين. كلية الآداب - الرباط 2005.

الراء

- الرايس الحاج عبد الكريم: من وحي الرباب. مجموعة أشعار وأزجال موسيقى الآلة. ط 1. 1403 - 1982.
- الرقيواق الطنجي. ورثة: نسخة كناش الحايك.

الزاي

- ابن زيدان عبد الرحمن: إتحاف أعلام الناس بأخبار حاضرة مكناس. ج 4. ط الأولى 1348هـ - 1930.

الكاف

- الكندي يعقوب بن إسحاق: - مؤلفات الكندي الموسيقية. تحق. زكريا يوسف، بغداد 1962.

- رسالة في أجزاء خبرية في الموسيقى. تحقق. زكريا يوسف، بغداد 1962.
- ابن كيران الطيب: شرح المرشد المعين. المطبعة المصرية بالأزهر. ط1. 1348.

الميم

- المجموع 144 - 1202هـ، خزانة محمد داود.
- المرغيناني أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الصديقي برهان الدين: كتاب الهداية.
- بنمنصور عبد اللطيف: مجموع أزجال و تواشيح الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك. مط الريف. الرباط 1977/1397.
- المنوني. محمد: - دور الكتب في ماضي المغرب. منش. الخزانة الحسنية الرباط. ط . 1 - 2005.
- مظاهر يقظة المغرب الحديث. مط الأمنية - الرباط. ج 1. ط1 - 1973.
- معلمة المغرب. الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر. مطابع سلا 1426هـ - 2005 مج 21 ص 70-91/70-92.
- المقدسي. مرعي بن يوسف الكرمي: دليل الطالب.
- المقدسي عبد الرحمن بن قدامة: شرح المقنع لأبي عبد الله المقدسي.

النون

- الناصري أحمد: الاستقصا. ط. دار الكتاب. الدار البيضاء. 1954/ج3.
- نزار حسين: تعريب مصادر الموسيقى العربية لهانري فارمر.

السين

- ابن سليمان الغالي بن المكي الأندلسي الفاسي: الجواهر الحسان في نغم الألحان. مخطوط الخزانة الحسنية رقم 13943.

- السمرقندي محمد بن إبراهيم : بستان العارفين. دار الكتاب. الدار البيضاء د ت.
- ابن سودة عبد السلام. دليل مؤرخ المغرب الأقصى - جزآن، ط 2 - 1960 دار الكتاب، الدار البيضاء.

النشين

- الشامي يونس: النوبات الأندلسية المغربية المدونة بالنوطة الموسيقية ج2 نوبة رصد الذيل 1400.
- الشافعي محمد بن ادريس: كتاب الأم. دار الفكر. بيروت.
- الشوكاني. محمد بن علي: نيل الأوطار. المطبعة العثمانية المصرية. 1337هـ.

الصاد

- الصفدي. صلاح الدين خليل: الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد الأرناؤوط والتركي مصطفى. الطبعة الأولى - بيروت. دار إحياء التراث العربي 2000 ج1.

الضاد

- الضعيف الرباطي. محمد: تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة) تحق. وتعليق أحمد العماري. دار المآثورات. ط 1461هـ/1986م.

العين

- ابن عبد الجليل. عبد العزيز: - مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية. سلسلة عالم المعرفة. ط 1. رجب - شعبان 1403هـ/ مايو 1989. ع 65 ط. 2. مطبعة النجاح. الدار البيضاء 2000.

- الموسيقى الأندلسية المغربية فنون الأداء. سلسلة عالم المعرفة ع 129 محرم 1409. سبتمبر 1988.
- معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية. منش معهد الدراسات والأبحاث، للتعريب، الرباط 1992.
- ابن عدي. أبو أحمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال. تحقيق د. سهيل زكار - دار الفكر بيروت ط 3. 1998/1409 ج 3.
- العلمي محمد بن الطيب: الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب. ط حج خ الجامع الكبير - مكناس.
- العمري. أحمد ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. ج 10 تح. وشرح غطاس عبد الملك خشبة. دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة 1426-2005م.
- عياض القاضي اليحصبي: إكمال المعلم.

الفاء

- فارمر: ج. هـ : مصادر الموسيقى العربية. تعريب حسين نصار. مكتبة مصر. ط 2. 1989.
- الفاسي. محمد : رباعيات نساء فاس (العروبيات) ط. 1 فاس 1971. ط. 2. الدار البيضاء 1986.
- الفداوي . علي بن عبد ربه التونسي: في فن الموسيقى - سفاين المؤلف. تحقيق أ. محمد الأسعد قريعة. مجلة دراسات أندلسية. المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار الشرقية. تونس 1430هـ/2009م. عدد 41.

- الفكيكي. محمد بن عبد القادر: الفريد في تقييد الشريد، تحقيق د. عبد الهادي التازي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء 1983.
- الفيروز آبادي: القاموس المحيط. المكتبة التجارية. ج1.

القاف

- القنوجي. أبو الطيب صديق بن الحسن الحسيني: أبجد العلوم. ج 2 الهند بوهبال مطبعة الصديقي. 1878/1296.
- ابن القيسراني: كتاب السماع، تحقيق أبو الوفاء المراغي 1994/1415 القاهرة.

الواو

- الورزازي محمد بن محمد بن عبد الله: شرح منظومة أبي مقرر للمرغتي.
- الوزاني أحمد بن إدريس: حاشية النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب لابن كيران على المرشد المعين.
- الوزاني. أبو عبد الله محمد المهدي: النوازل الجديدة الكبرى. تص. ذ. عمر بن عياد. منش. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1418هـ-1997م ج 3. (انظر مخ.خ. ح رقم 4156).

الياء

- يحيى بن عمر: أحكام السوق. تحقيق حسن حسني عبد الوهاب. الشركة التونسية للتوزيع 1975.

11) فهرست موضوعات الكتاب

5تقديم
7مقدمة
21المدخل العام
23وضعية الموسيقى على عهد المؤلف
30- التعريف بالمؤلف
38- ثقافة التادلي الموسيقية
43- شيوخه في الموسيقى
45- تلامذته في الموسيقى
48- مؤلفات التادلي في الموسيقى
50- كتاب السقا ومنهج التادلي في التأليف
53القسم الأول: الجانب الموسيقي من كتاب السقا
59- منزلة علم الموسيقى من بين العلوم
61- مقدمات علم الموسيقى
62الباب الأول: حقيقة علم الموسيقى ومباحثه
63- موضوع علم الموسيقى
65- واضع علم الموسيقى
67- الصوت

69الباب الثاني : النوبة - بنيتها ومكوناتها
69- البنية
83- مكونات النوبة
83- المكون الغنائي
84- الصنعة
86- المكون الآلي
88الباب الثالث : الطبوع وعلاقتها بالطبائع
92- طبوع الموسيقى الأندلسية
95- الطبوع والطبائع
103الباب الرابع : الوزن والإيقاع
116الباب الخامس : الآلات الموسيقية
120- الآلات الوترية
125- آلات النفخ
126- آلات النقر
131القسم الثاني: مواقف الفقهاء والمتصوفة من السماع
163- تحقيق المتن
349- ملاحق الكتاب

- 1) مصادر المؤلف..... 351
- أ- مصادر الموسيقى والسماع..... 357
- ب- مصادر المعرفة العامة..... 359
- 2) فهرست الآيات القرآنية..... 367
- 3) فهرست الأحاديث النبوية..... 369
- 4) فهرست الأبيات الشعرية..... 378
- 5) فهرست أشطار الأبيات..... 386
- 6) فهرست الصناعات الغنائية..... 387
- 7) فهرست الإنشادات والبيتينات..... 392
- 8) فهرست المصطلحات الموسيقية الواردة في المتن..... 396
- 9) فهرست الأعلام..... 399
- 10) فهرست مصادر ومراجع البحث..... 421
- 11) فهرست موضوعات الكتاب..... 428

